الأستاذ الدكتور
محمد حسيني موسى
محمد الغزالي

# المدخل العام لعلم الكلام


تأليف

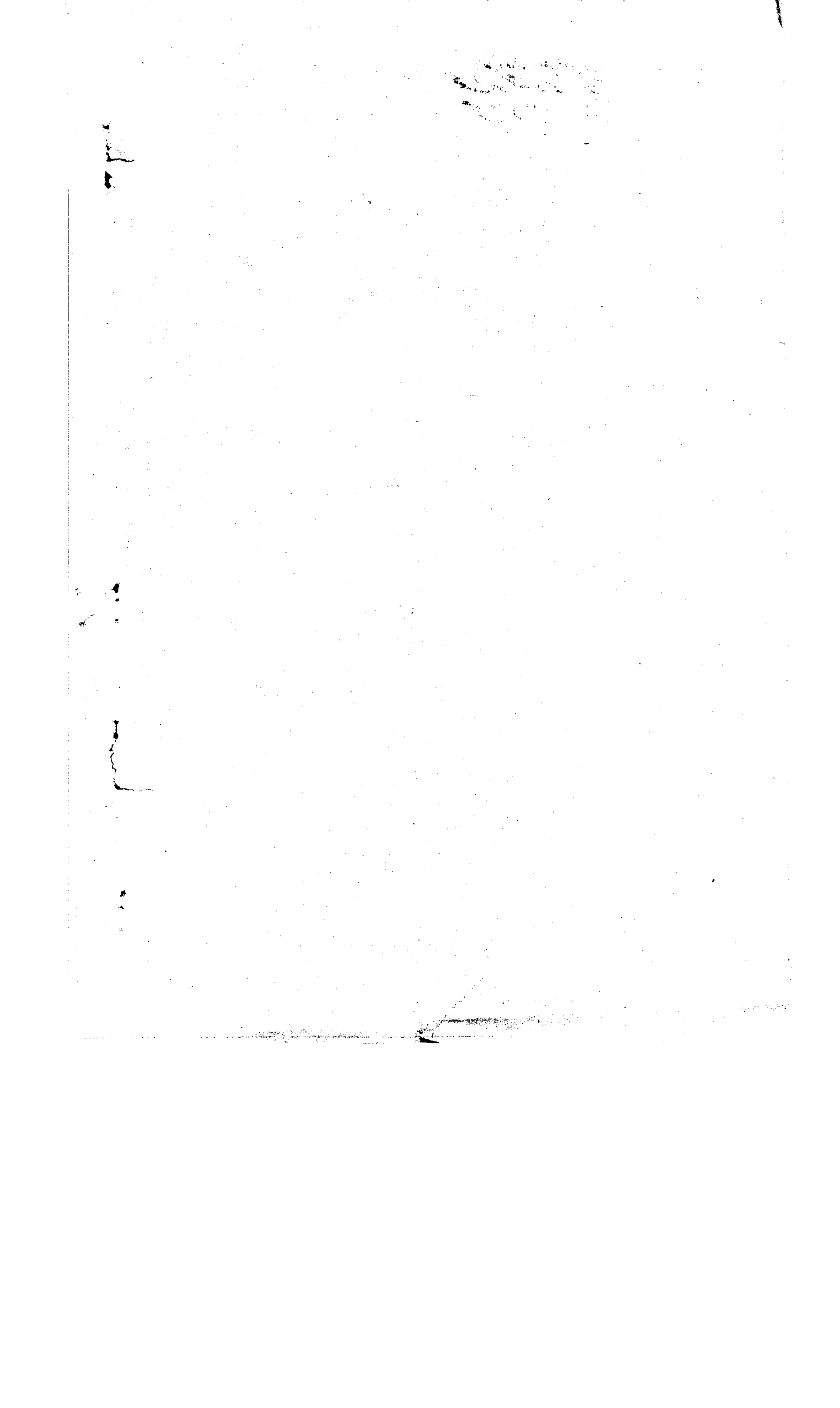
الدكتور

محمد حسينى موسى محمد الغزالى


الطبعة الأولى




١٤١٩هـ - ١٩٩٨م



# إهداء

إلى ...

صـــاحب الأيـــادى البيضـــاء

والأعمـــال الجليلـــة الغـــرّاء

والـــروح الاســـلامية والوفـــاء

صاحب السمو

## السلطان / قابوس بن سعيد

سلطان سلطنة عمان العربية الاسلامية

تحية أحباب ورسالة إعجاب

د/ محمد حسينى موسى محمد الغزالى

ج.م.ع. – محافظة الشرقيه – الزقازيق – غزاله

ت : ٠٥٥ / ٣٢١٠٧٥

# مقدمة

الحمد لله جعل العلماء به أقرب الخلق اليه ، فحببهم للعلم المقرب اليه ، وجعلهم هداة الخلق ليتعرفوا عليه[1].

" شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم[2] فقاموا بما كلفوا خير قيام وكانوا فى الليل الحالك الانجم والاعلام .

واشهد انه لا اله الا الله تقدست ذاته ، وتعالت كمالاته ، وعزت على الخلائق نعوته وصفاته ، وأودع فى عقول الخلائق ووجداناتهم ما يعرفهم بذاته وافعاله وسماته ، وكشف لالبابهم بعض سره المصون ، فهامت فيه الالباب والعقول .

وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد.

واشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صاحب الرسالة الخاتمة والنبوة التامة القائمة والتى ستظل قائمة ، صاحب اللواء المعقود ، والحوض المورود ، والشفاعة العظمى التى حباه بها الاله المعبود ، اللهم احشرنا فى زمرته ، واجعلنا من صالح امته ، وارزقنا شفاعته .

وارض اللهم عن اصحابه الاطهار ، وآل بيته الابرار ، والتابعين الأخيار ، ومن تبعهم باحسان فى الدنيا والآخرة ، وحتى نلقاك يا واحد ياغفار يا قهار ، انك على ما تشاء قدير ، وبالاجابة قدير .

---

(١) قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور " سورة فاطر الآية ٢٨ " .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨ .

أما بعد

فان الدراسات الكلامية ما تزال حقلا يحيطه بستان الافكار ، تتجه اليه العقول والانظار ، وتستعذب التأمل فيه بالليل والنهار ، وفى الشمس الضحى وهجعة الاسحار ، وقد تعددت الدراسات الكلامية وتشعبت بحيث شملت كلا من :

[١] مباحث علم الكلام .

[٢] المدارس الكلامية .

[٣] الفرق والمذاهب .

[٤] المتقدمين والمتآخرين .

[٥] الشراح والمحققين .

والناظر اليها يراها قد أوفت بالغرض ، وحققت الهدف ، لكن هذا لا يمنع مراجعة النتائج ، واعادة النظر فى المناهج ، وصياغة الافكار من جديد ، إما فى قالب عقلى يوائم ظروف العصر ، وإما بنهج نقلى طبقا للمستجدات العلمية التى ملأت الساحة العلمية فى كافة مناحى الحياة .

وقد رأيت من واجبى اعادة المحاولة ، وتكرار التجربة ، والأخذ بعاتقى للقيام بهذا الواجب ، طالما أملت فى الله التوفيق ، ورجوته التصويب والسداد ، غير أنى قد عاهدت الله تعالى الابتعاد عن العبارات القاسية ، والاحكام المفزعة ، وان انزل الناس منزلتى من نفسى حتى لا أَزِل أو أُزَل فضلا عن أَضِل أو أُضَل

وستكون هذه الدراسات بمثابة المدخل لما يعقبها من دراسات فى هذا الميدان الذى سبقنى اليه أفاضل العلماء ، وأجلة المفكرين ، وكانت لهم فيه صولات وجولات ، ومقدمات ومؤخرات ، وتمهيدات ومباحث مهمات .

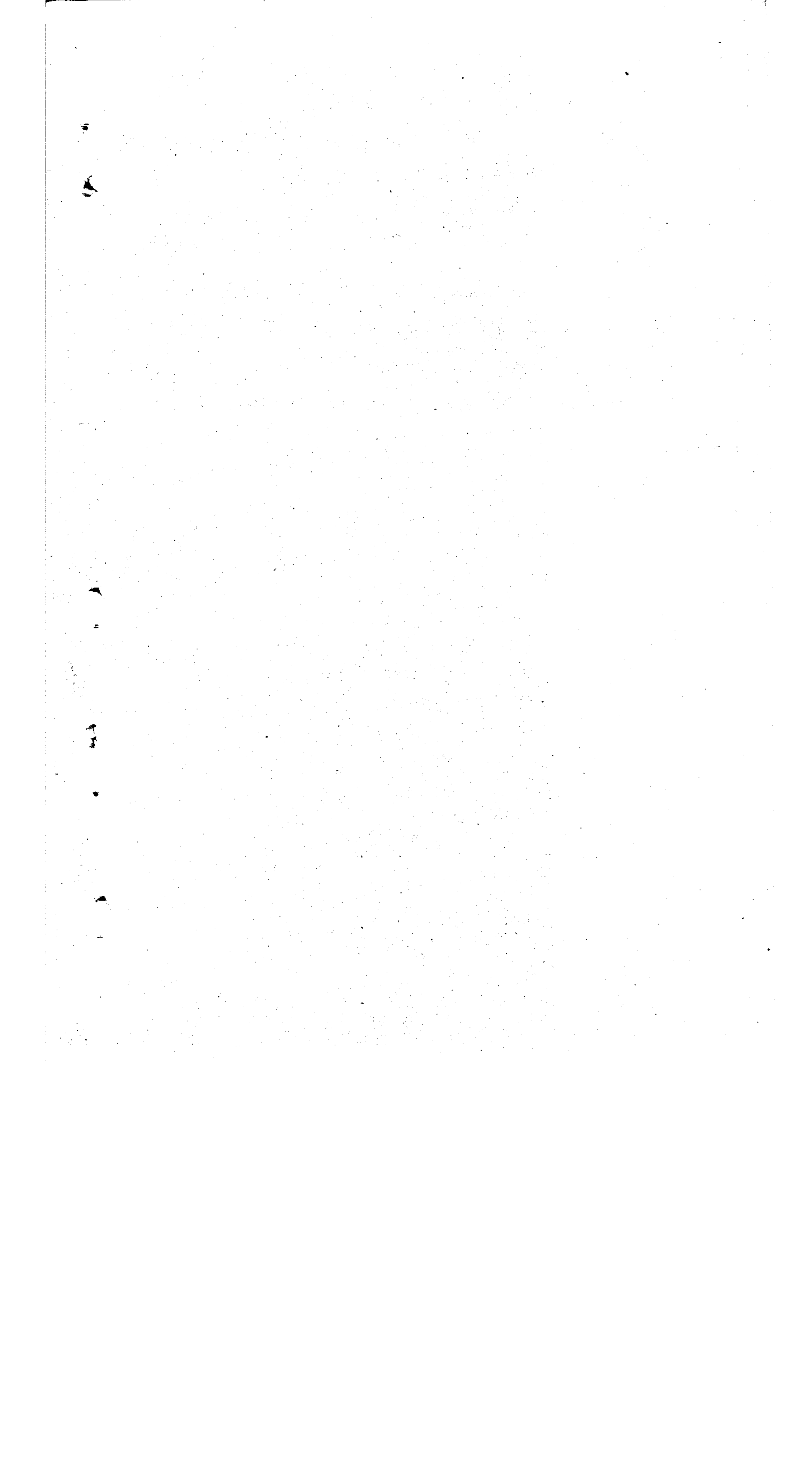
من ثم أسميته " المدخل التام لعلم الكلام " وما قصدت مدح ما دونت ، حتى يقدح غيره ، وانما كنت فىمنحة من الله تعالى فظهرت لى بوادر الصحة وبعض العافية ، فحمدت الله تعالى وأمسكت القلم بعد أن كان عصيا بمسرت لما بدا ، ورأيتها تسمية تفاؤلية ، حتى يتم الله النعمة واجتاز المنحة ، وما ذلك على الله بعزيز .

وارزقنا يارب الفهم وصفاء القلب ، ونقاء السريرة ويقظة الضمير ، وصحة الايمان حتى نكون ممن قلت فيهم " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[٣] .

د/ محمد الغزالى

---

(٣) سورة يونس : الآيتان ٩ - ١٠



# المبحث الأول

## بين العقيدة وعلم الكلام

كثير من الناس يكتفون من العلم بالقشور ، ويصعب عليهم الخروج من حيز الظلام إلى دائرة النور ، وهم فى هذا أصحاب هوى قادهم إلى ما ذهبوا اليه ، حتى إنهم خلطوا بين المفردات ، وتأبت عليهم اقرب معانيهم ، رغم انها بين ايديهم فى حلمهم وأمانيهم ، بل ربما صادفتَ أحدهم فحدثته عن علم الكلام مثلا ، فاذا به يهجم عليك فى ثقة منه وفزع منك قائلا :

وهل العقيدة تحتاج علم الكلام ، إن علم الكلام لا فائدة منه ، والعقيدة تصلح بدونه ولست فى حاجة اليه حتى أتعب نفسى عن علم يسميه صاحبه بما تطيب له نفسه . وربما غدا سألت احاد الناس عن علم العقيدة فأجابك بأنه مؤمن مسلم وتلك عقيدته وهنا يقع الخلط والاختلاط ، والشبه والاشتباه ، ومن ثم رأيت شغل هذا المبحث بعرض الأمور التى لابد منها فى مطلع دراسة أو تدريس هذا الفن . والأمور الاربعة هى :

[١] العقيدة .

[٢] علم العقيدة .

[٣] الكلام .

[٤] علم الكلام .

ولنبدأ بالأمر الأول منها حتى تكون البداية الصحيحة ، لانا نقصد بالعقيدة الناحية الايمانية ، والجانب العقدى لدى الإنسان هو العلاقة التى تربط بينه وبين ربه على النحو الذى ينجو به صاحبه فى الآخرة .

## أولا : العقيدة :

العقيدة : لفظ حمّال أوجه ، وتصاحبه العديد من المعانى التى عنيت بذكرها المؤلفات اللغوية والاصطلاحية على السواء مما يجعلنا نفرد لها حديثا فى كل من اللغة والاصطلاح .

### أ – فى اللغة .

وردت مادة ع ق د فى اللغة على أنحاء شتى منها :–

- التأكيد . ومنه قولهم عقدت اليمين بمعنى اكدته وقويته[٤] ، ومن ذلك قوله تعالى " لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ[٥] " .وكذلك الشئ الموثق البالغ حد التأكيد
- المعاهدة والمعاقدة ، ومنه قولهم عقدته عليه بمعنى عاهدته[٦].
- ما يدين به المرء مع ربه . ومنه قولهم : العقيدة هى ما يدين الإنسان به ، ويقال له عقيدة حسنة سالمة من الشك والبطلان ، أو عقيدة فاسدة قائمة على الظن والشكوك والاوهام .
- ما يختفى فى القلب والضمير ومنه جاء القول : عقدت على هذا الأمر قلبى ، وأخفيته داخل وجدانى فلا يبلغ أحد مما فى قلبى مبلغا .

---

(٤)القاموس المحيط باب الدال فصل العين وما يثلثهما ط ص٤١١

(٥) سورة المائدة .الأية ٨٩.

(٦) الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين ج١ ص ٥٢١ ط المنار .

- الإحكام مع الابرام = الجمع مع الاتفاق = الغموض = والسمك = الضيعة = إلى غير ذلك مما هو مشترك لغوى و- القول فى لغة المعاجم العربية على انه اصطلاح معجمى .

من جملة ماسبق يمكن تقديم تعريف للعقيدة على ناحية لغوية هو :

ان العقيدة ما يؤمن به المرء مؤكدا عليه مع الإحكام والتعاهد بمـ واجبات ، وما يتطلبه من تبعات .

ورغم ان هذا التعريف ليس من التعاريف الحدّيـة ، ألا انه مفيد فى اللغوية ، ولان الالفاظ اثواب المعانى ، فما يصل المعنى باللفظ يكون هـ على الناحية الفنية .

## ب- المعنى الفنى[٧]:

يقصد بالمعنى الفنى هو العلاقة القائمة بين المرء المخلوق وبين الاله الخالق الأعظم جل علاه ، وهذه العقيدة تمثل الجانب النظرى فى الدين السماوى وقد جاء بها الحديث الشريف من ذلك ما ورد فى حديث جبريل المشهور " بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس للنبى عليه ﷺ [٨] . فاسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال يا محمد :

أخبرنى عن الاسلام ؟[٩]

فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد ان لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا .

قال صدقت .

فعجبنا منه يسأله ويصدقه[١٠].

قال فأخبرنى عن الايمان[١١] ؟

---

(٧) المعنى الفنى حتى يتمايز عن المعنى اللغوى ، والاصطلاحى عند غير المتكلمين .

(٨) لان الملائكة يمكنهم الله من التشبه بالحسن من الهيئات .

(٩) يريد تعليم امة الاسلام ، والافإن حبريل يعلم هذه الاركان وغيرها .

(١٠) لانه صادق من قبل الله تعالى ومصدق ، فصدقه حبريل لذلك .

(١١) كانه يريد التعريف بالعقيدة والشريعة ، واحزاء كل منهما .

قال : أن تؤمن بالله وملائكة وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره .

قال صدقت ،

قال فاخبرني عن الاحسان[١٢] ؟

قال : ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك .

قال فاخبرني عن الساعة[١٣]؟

قال : ما المسئول عنها باعلم من السائل .

قال فاخبرني عن أمارتها[١٤] ؟

قال : أن تلد الامة ربتها ، وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان . ثم انطلق فلبث مليا ثم قال يا عمر أتدرى من السائل قلت الله ورسوله اعلم ، قال فانه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم[١٥].

والملاحظ ان العقيدة الايمانية قائمة على قواعد نظرية تتعلق بالعلاقة بين الإنسان وبين الله رب العالمين ، انها تختفى فى اعماقه فلا يطلع عليها احد سواه جل علاه ، ولذا كانت اجزاء هذه العقيدة ثابتة مضطردة، يكمل بعضها الأخر ، وانفصالها انما هو فى طريقة التعبير عنها ، أما من الناحية الايمانية فلا تنازع بينها ولا تخالف فيها ، انها عقيدة واحدة متكاملة تقوم على :

---

(١٢) السؤال عن الاحسان من تتمة الأمرين السابقين .

(١٣) تطلق على يوم القيامة غالب .

(١٤) هى بعض الامارات وجاءت على سبيل الحصر .

(١٥) الحديث من طريق عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وقد أخرجه الامام مسلم .

[١] الايمان بالله رب العالمين خالقا وربا كريما والها عظيما له من صفات الجلال ، والكمال ، والجمال ، والاكرام ما لا يشاركه فيه أحد . "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[١٦].

[٢] الايمان بالملائكة ، وانهم من خلق الله ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ، ولا يولدون ، وانما يخلقون خلقا وأجسامهم نورانية[١٧] .

[٣] الايمان بالكتب المنزلة ، وانها من قِبل الله تعالى ، أنزلت على الانبياء والمرسلين ، لتعريفهم بخالقهم العظيم ، ووضع ضوابط لحياتهم ، ونماذج لما سيكون في أخراهم ، نورا وهداية[١٨] .

[٤] الايمان بالرسل . وأنهم من اكمل الناس خَلْقا وافضلهم خُلُقا ، وان الله اصطفاهم على غيرهم منحة منه تعالى وتفضلا وكرما ، وانهم بلغوا الرسالة ، وقاموا بالأمانة ، وتميزوا بالفطانة ، وأن الله منع عنهم كل ما يشين[١٩] .

[٥] الايمان باليوم الأخر ، بما فيه من موت ، ثم برزخ ، وبعث وحشر وحساب وميزان وصراط ، وجنة ونار ، ونعيم وعذاب وحور عين ،

---

(١٦) سورة الشورى الآية ١١ .

(١٧) عرفوا بانهم أجسام نوارنية لطيفة بأرواح ، قادرون على التشكل باشكال مختلفة فى اشكال حسنه ، راجع نور الظلام ص ١٥ ، ١٦ للشيخ محمد نووى الشافعى ط الحلبى ١٩٣٦م .

(١٨) وردت شعرا منها : اربعة من كتب تفصيلها ∴ توراة موسى بالهدى تنزيلها .
زبور داور انجيل على ∴ عيسى وفرقان على خير الملأ .
منظومة عقيدة العوام للشخ المرزوقى المالكى ص ٢١ .

(١٩) راجع كتابنا الايمان بالغيب ط ٤ ص ١١٧ ، وكتابنا : الغزاليات فى الألهيات ص٤٧ .

إلى غير ذلك ، مما هو متعلق باليوم الأخر ، على ما ورد به النقل المنزل فى القرأن الكريم والسنة النبوية المطهرة[٢٠]

[٦] الأيمان بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ،وان الأمور تجرى بمقادير الله ، ولن تجرى بغيرها ، كما ان القضاء حكم والقدر تنفيذ لما فى الحكم إلى غير ذلك مما يتعلق بأفعال الله تعالى " أو يجرى مجراها ، أو يحتاج اليها[٢١] .

من ثم نستطيع تعريف العقيدة بمعناها الفنى بأنها : ما انعقد عليه ضمير المرء فى علاقته بربه جل علاه قائما على النقل المنزل من قبل الله تعالى على النحو الذى بلغ به المرسلون أممهم[٢٢] ، من غير ان تصاب بغموض من الفلاسفةأو شطحات الصوفية أو جفاف المتكلمين . انها العقيدة الايمانية الصادقة التى يفطر المرء عليها .

جـ- سمات العقيدة الدينية .

ربما تسأل اذا كانت العقيدة الدينية هى ما انتهى الأمر اليه من قول سبق ذكره ، فما هى سماتها التى تميزها عن غيرها بحيث تعرف بها مباشرة ؟

والجواب :

أولا : أنها ما جاء به الوحى المعصوم ،وبلّغه الرسول الكريم ، فليس شىء فيها من وضع البشر .

---

(٢٠) راجع عقيدة المسلم للأستاذ الشيخ محمد الغزالى ص ٧٥ .

(٢١) ينظ[illegible]تيق المقام فى شرح كفاية العوام ص٢٨ .

(٢٢) راجع كتاب حفيف الأفنان ص ٦٣ .

ثانيا : ان مصدرها الوحى وليس فيها شىء من جدل أو سفسطة ، انها معصومة المصدر قابلة للنماء داخل الضمير والوجدان متى نظر اليها طالبها.

ثالثا : انها حق لأنها جاءت من عند الحق جل علاه ، ولها أنزل ، وليس لها واضع وهى فوق ذلك يتمكن منها كل الناس إنها سهلة ميسورة .

رابعا : انها اتباع داخلى لنداء علوى من الحق للخلق ، فما دام المرء عاقلا بلغ سن الرشد وسمع النداء بضرورة الايمان فانه سيفكر وحتما سيصل إلى ما يرجح لديه علاقته بربه . وليس فيها شىء من التفنن ، كما لا تخضع للغلبة والسلطان . بل يتساوى فيها الكل أمام الله تعالى ، والتمايز بالتقوى ، والعمل الصالح ، فى حدود العقيدة الايمانية ذاتها

خامسا : انها قديمة منذ خلق الله الكائنات وستظل حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، بل تصاحب أهلها فى دار الخلود وعند الله رب العالمين وتبقى معهم مادام لهم شىء من البقاء .

سادسا : أنها واجب على كل عاقل مكلف ، لانه اذا لم يكن مؤمنا كان كافرا ، والله طالب الخلائق ان يسلموا لله رب العالمين . فمن أسلم فقد أدى جزءا فما افترض الله عليه ، ولذا قرر الفقهاء ان النجاة فى الآخرة تعقب سلامة العقيدة ، أما العمل فلرفع الدرجات ، وانزال المكرمات .

سابعا : انها ذاتية تخص المرء ذاته من غيره تدخل خارجى بحيث لا يمكن التأثير فيها أو اللعب بها ، أو تغيير اتجاهها .

ثامنا : أنها نسبية فبعض الناس توجد لديه عقيدة قوية ، يبتلى فيصبر ، ويمتحن فيشكر ، تزول الدنيا ولا يتزحزح إنه أمن إلى جانب الله فغلب ايمانه كل من سواه .

تاسعا : أنها قابلة للتعديل زيادة أو نقصانا باعتبارها أمرا داخليا يصدر عنه سلوك واضح ، فنحن لا نلمس فى الناس عقيدتهم ، وانما نلمس فيهم مظهر العقيدة وهو الالتزام الحق ، والسلوك السوى .

عاشرا : فطريتها فى الاطفال ووجودها ووجدانية عقليه لدى أهل التميز .

حادى عشر : يصعب التعبير عنها بالمفردات من الكلمات ، فاذا اراد صاحبها اخفاءها امكن دون أن يجبر على غيره " الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان " .

ثاني عشر : أنها نظرية فى كل أجزائها فلا تحتاج مظاهر عامة أو سلوكا عمليا حتى تعرف به أو تظهر فيه .

ثالث عشر : ان صاحبها يوصف بها فصاحب العقيدة الصحيحة قائم عليها لا يرتضى لنفسه أن تهبط عنها منزلة أو ينزل فى أمر يقلل منها عند ربه ، ولذا يقال عليه صاحب عقيدة سليمة ، وهو المؤمن القوى الذى تهون الدنيا أمام عينيه فى سبيل أن تظل نقية عقيدته ، سليمة ديانته ، مقبولة عند الله أعماله .

رابع عشر : أنها غير قابلة للتعليم اذ ليست فَنًّا من الفنون ، ولا علما من العلوم له موضوع ومنهج ، وغاية ، وفيه أقوال وعليه ردود ، انها صفاء قلبى وسلوك داخلى لصاحبه فقط ، ليست علما يقبل ان يقاس بغيره أو ينقاس عليه غيره . انها بضمير المفرد تعتصم ، وبأعماقه تكون ،وفى سلوكياته الشخصية تبدو .

تلك كانت أهم صفات العقيدة الايمانية حسب ما يسر الله تعالى من أمر ، ووفق من فعل ، واعان للقيام بواجب نسأله جل علاه السداد والتوفيق انه نعم المولى ونعم النصير .

## ثانيا.علم العقيدة[٢٣] :

علم العقيدة له قواعد وموضوع ، ومنهج وغاية ، واتباع ومؤلفات وفيه دراسات وعليه اعتراضات وفيه أخذ ورد ، انه علم بكل ما تعنيه الكلمة المتعلقة بمفهوم العلم ، يتمكن منه المسلم ، وغير المسلم متى عرف قواعده ، وضبط نفسه في حدود منها ، بحيث يكون قد عرفها ، وتناول المؤلفات فيها ، وتعرف على اشهر رجالها ومدارسها .

اذن علم العقيدة غير العقيدة الايمانية التى لها سماتها والتى جاء بها الحديث الشريف بعد الآيات القرآنية الكريمة[٢٤] ولكن علم العقيدة يتغاير عن العقيدة بأمور منها .

١- تعريفه : فهو علم يقوم على تقرير العقيدة الايمانية ، وعرضها ودفع الشبه عنها وبيان ان الله واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، وانه ارسل رسلا ، وانزل كتبا وسوف يحاسب الخلق على ما كلفهم به ، فمن أوفى بما عاهد عليه الله فقد فاز ، ومن نقض خسر وكان مآله الخسران[٢٥].

٢- موضوعه : المعلومات الدينية المتعلقة بذات الله ورسله واليوم الآخر . كل فيما يخصه ويتعلق به[٢٦] على النحو الذى تقرر فى كتب العقيدة ، وتردد بين سطور المؤلفات فيها .

---

(٢٣) المقصود بالمعنى الفنى وليس الشرعى أو اللغوى .

(٢٤) راجع ما سلف ذكره عن العقيدة الايمانية .

(٢٥) لكون مسألة الثواب والعقاب مقررة فى الكتب المنزلة .

(٢٦) وهو غير علم الكلام لما سيأتى فى حينه .

٣- منهجه : تختلف الدراسات فى علم العقيدة بحسب المتناولين له وعلى النحو الذى تقودهم اتجاهاتهم الفكرية اليه :

- فمنهم : صاحب منهج استقرائى : يتتبع الكائنات المخلوقة حتى ينتهى بها إلى ضرورة احتياجها للخالق العظيم جل علاه .

- ومنهم : صاحب منهج تاريخى : يقوم على استقراء أحداث الدهر فيعرف أن من العقلاء أقواما صدقوا بالرسالات وامنوا بالنبوات ، وكانت لهم مع أممهم وقفات حتى قادوهم مع الانبياء إلى الخير أو تخلفوا عنهم وحاربوهم وكانوا عونا للشيطان عليهم[٢٧].

- ومنهم صاحب منهج نقلى تأخذه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية أخذًا حتى يقف به على عظمة الخالق وبيان قدرته جل علاه ، وحكمته ، وعلمه الشامل ، وأمره النافذ ، وان كل ما فى الكون من مملكته هو وحده لا يشاركه فيها أحد من خلقه . مع تمايز كل مخلوقاته تعالى " صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ[٢٨] وقوله تعالى " هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ[٢٩] " إلى غير ذلك من الأيات التى تتحدث عن عظمة الخالق واحكام الخلق .

- ومنهم صاحب منهج فى العلوم الطبيعية : تجذبه الطبيعة فيتعامل معها على أنها وحدات منفصلة لها قوانين وقواعد فيتصور أنها خلقت نفسها ، وصنعت أجزاءها ، فاذا تأملها جيدا وجد نفسه قد

---

(٢٧) راجع كتابنا عبدالكريم الخطيب وارائه الكلامية بين المثبتين والمنكرين للنبوات .

(٢٨) سورة النمل الآية ٨٨ .

(٢٩) سورة لقمان الاية ١١ .

انتهى به الأمر الى نقطة البداية ، فيقرر أن لها خالقا حكيما ربا كريما لا اله سواه[٣٠].

• ومنهم صاحب منهج نظرى جدلى . يقوم على الجدل وحده ، ومحاولة الغلبة ، حتى يتمكن من عرض عقيدته على الآخرين ، من خلال توليد الأفكار الجديدة من ارحام مفرادته القائمة ثم يظل هكذا مستخدما الجدل النظرى حتى يصل إلى حد الغلبة أو ابلاغ الأمر للآخرين وحينئذ ، يكونون قد تجادلوا فى العقيدة ، فإما ايمان أو كفر أو بقاء على حال الجدل[٣١] .إلى غير ذلك من المناهج العلمية والنظرية التى قام عليها أمر العقيدةقديما وحديثا .

مع ملاحظة أن علم العقيدة حادث فى الملة الاسلامية ، وليس الحال كذلك مع العقيدة التى تظل حية فى نفوس أصحابها ملازمة لهم لا تفارقهم انها تخالف علم العقيدة فى هذه الناحية تماما .

٤– غايته : عرض العقيدة الايمانية ، وتقرير شبهات الخصوم ، ودفع الشبه .

٥– سماته : لعلم العقيدة سمات كثيرة ، تحدث عنها العلماء ، وجاءت مطوية فى صفحات مؤلفاتهم نذكر منها[٣٢].

• السمة الأولى : أنه فن من الفنون وعلم من العلوم يتمكن منه كل عارف بقواعده ، يستوى فى ذلك المؤمن التقى والفاجر الشقى ،

---

(٣٠) راجع العلم يدعو للإيمان .

(٣١) كالمناهج التى سادت لدى الجدليين فى الماضى .

(٣٢) حيث لم أقف على كتاب يقوم بهذه المهمة ، وهى التفصيل بين علم العقيدة والعقيدة مثلا .

كالرياضة والفلك والطب ، فما دام علما فقد وضعت قواعده بين الناس حتى ان الكثيرين من المستشرقين كتبوا فى العقيدة أما على سبيل ترجمة الأفكار ، أو التأليف المباشر وهم يزعمون أنهم بذلك يخدمون العلم الذى اليه يهرعون وهى دعوى لم تبلغ الصحة ، لكنهم قادرون على تعلمه فقط[٣٣].

- السمة الثانية : انه علم فنى ، له قواعد ، وموضوع ، ومنهج وأصول كأى علم من العلوم . فمن سار فيها على ما شرطه أصحابها كانت نتائجه متطابقة مع مقدماته ، ومن لم يراع القواعد لم تسلم له نتائج ولا مقدمات.

- السمة الثالثة : انه علم تواضعى . تواضع عليه الناس ، حتى أَلَّفوا فيه قديما ، والاكثر قِدما ثم فى الحديث تجدهم يضعون قواعد جديدة ، بل ان بعضهم رفع شعارا مؤداه هيّا لبناء علم عقيدة جديد ، وهو يقصد التطوير فى القضايا وطرق المعالجة لما يتعلق بهذا العلم[٣٤].

- السمة الرابعة : انه يعتمد على مستوى معين من التفكير لدى من يقوم به ، مثل كفاءة العقل فى العمل ، والقدرة على الجدل ، والتمكن من شبهات الخصوم وكيفية ردها أو منعها ، وكيفية اعادة تصدير الشبهات للطرف الآخر ومحاولة اقامة الحجج على وجه

(٣٣) حيث لا نقبل استقاء العقيدة من مؤلفات لعب بها فكر أصحابها .

(٣٤) ظهرت ذلك فى الأونة الأخيرة ، وفى الجمعية المصرية الفلسفية فى دورتها الماضية .

مقبول . إلى غير ذلك مما يتعلق بمن يريد الانتساب بمجهوده الذهنى لقائمة العاملين فيه[٣٥].

- السمة الخامسة : قابليته للأُخذ والرد . فما دامت قضاياه من نتاج الفكر والنتائج القائمة فيه فهى ايضا من خصوصيات الغلبة والانتصار ، وحتما ستقع الغلبة لدى طرف مرّة ثم تعود للطرف الثاني آخرى ، وكلما تكررت المحاولات تعددت النجاحات فى الغلبة كما تعددت فى الفشل ، لأُنها طبيعة العلوم الظنية والنظريه معا[٣٦].

- السمة السادسة : انه يخضع للظروف النفسية ، فمن كان صحيح النفس سليم المزاج كانت أبحاثه على شاكلته ، ومن كان خبيث النفس كسلان جاءت أبحاثه على مصادرها ، وبالتالى فالهوى الشخصى والمزاج الطبيعي لهما دور فى كتابة علم العقيدة . ولذلك رأينا المفردات اليونانية تدخل العلوم العقلية من أمثال العلة ، المعلول ، الجوهر ، العرض ، الاسطقسات ، الدور ، التسلسل ، إلى غير ذلك مما لم يرد به شرع . ولا هو من قبيل المفردات اللغوية . بقدر ما هو اصطلاح لاصحابه نقل إلى البيئة فى جانب علم تقرير العقيدة الايمانية[٣٧].

- السمة السابعة : انها تابعة للقائمين عليها ، بمعنى أن كل كتاب مؤلف فيها يمثل وجهة نظر صاحبه فى المسائل المعروضة عليه ولا

---

(٣٥) اذ ليس كل من الف فى علم العقيدة من علماء المسلمين أو من اصحاب العقيدة الصحيحة .

(٣٦) لأن قواعدها تعتمد على الجدل والسفسطة غالبا ، وفيها نوع من اللولبية ، واستعمال الألفاظ بأكثر من معنى .

(٣٧) حيث ان هذه المفردات لم يردبها النقل ابدا وانما هى مرتجع فكرى عند اصحابه .

علاقة له بالوحى ، حتى وان حاول تأكيد موقفه بشىء منه ، بل أنها تحمل اسم مؤلفها دائما فهى صورة لفكره ، أو هى فكره فى سطور مكتوبة وعبارات مقروءة[٣٨].

- السمة الثامنة : قابليته للاختلاف والانفصال . اما كيف فلانه يختلط بمفردات غيره ، ويجاوره الموضوع ، وربما استفاد المنهج والشكل معا ، وربما فارقه بشىء آخر كالحال مع الفقه وأصول الفقه ، مثلا حيث كان الاختلاط ثم الانفصال ، و كذلك المفردات التى تقع فى كل منهما

ما مر كان ابرز سمات علم العقيدة ، ولا اظن أنى قاربت السلامة وان كنت أرجوها ، كما لا أدعى أنى ابحرت فى محيطات العلم بغير سفين ، أو قررت القول الفصل فى المسألة ، كل ما ادعيه أنها توفيقات من رب العالمين أرجوه قبولها ، وادعوه المغفرة والرحمة لصاحبها فذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما

(٣٨) فهناك فى البيئة الاسلامية – عقيدة المسلم ، عقيدة المومن ، العقيدة الطحاوية .

## ثالثا علم الكلام :

• الكلام لفظ له العديد من المعانى الواردة فى لغة العرب ، واصطلاحات القوم ، ولا يمكن ارادة احد هذه المعانى الا اذا وجد المرجح القوى الذى يصرفه إلى وجه مقبول ، دون سواه ، أما لماذا . فلان اطلاقات الكلام متعددة منها :

### ١- المعنى اللفظى :

وهو فى اصطلاح النحاة " ما تضمن كلمتين بالاسناد ، ولا يتأتى ذلك الا فى اسمين أو اسم وفعل[٣٩] كما يعرف عندهم ايضا بأنه المعنى المركب الذى فيه الاسناد التام " كقولنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقولنا بعث الله نبينا محمدا ، ويعنون بالمركب ما تركب منه :

[أ] كلمتين : وهما المبتدأ والخبر مثل محمد نبى ، وعيسى رسول ، وموسى الكليم .

[ب] فعل واسم : وهما الفعل وفاعله ، والفعل ونائبه ، مثل بعث الله محمدا وبُعِثَ محمدٌ ، فان هذه الامثلة تتعلق بالكلام اللفظى من غير منازعة ، وهو أحد أنواع الكلام ، واطلاقاته التى تطلق عليه .

### ٢- الكلام النفسى

• وهو الصفة القديمة القائمة بذات الله تعالى ، والمعبر عنها بالحروف والاصوات ، أو المفردات والمركبات ، أو الواضح من العبارات ، والموحى به من

---

(٣٩) العلامة ابن الحاجب / الكافية ص ٣٨١ - بمجموع مهمات المتون .

قبل الله لمن اصطفاه على سبيل النبوة منحة وتفضلا ، وقد أختلفت فرق المسلمين فى التعبير عن فهمهم لكلام الله تعالى النفسى ، ومعناه إلى فرق .

قال العلامة الفخر أعلم أن الامة متفقة على اطلاق لفظ المتكلم على الله تعالى ، الا أن هذا الاتفاق ليس الا فى اللفظ ، واما المعنى فغير متفق عليه[٤٠] " اذن الخلاف فى المفهوم من الكلام ، وليس حقيقة الكلام فكلهم اثبت الصفة النفسية من غير منازعة بينهم ، وهو الذى أثبته النقل المنزل ، لكن مفهوم هذا الكلام ، ومعناه هو الذى يحتاج نوعا من الفكر ، وكثيرا من الاجتهاد ، ولذا افترقوا إلى :

- الاشاعرة : ذهبوا إلى أن كلامه تعالى ليس بحرف ولا صوت ، بل هو المعنى القديم القائم بنفسه تعالى أى بذاته المعبر عنه بالعبارات المختلفة
- الحنابلة : ذهبوا إلى أن كلامه تعالى حرف وصوت يقومان بذاته تعالى ، وانه قديم ، وقد بالغوا فى قدمه حتى قال بعضهم جهلا ، الجلد والغلاف قديمان ، فضلا عن المصحف[٤١].
- المعتزلة : ذهبوا إلى أن كلامه تعالى أصوات وحروف ليست قائمة بذاته تعالى ، بل يخلقها الله تعالى فى غيره كاللوح المحفوظ ، أو جبرائيل ، أو النبى ، ومن هذه الناحية فهو حادث ...
- الكرامية ذهبوا إلى ان كلامه تعالى حرف وصوت يقومان بذاته تعالى ، وهو حادث ...[٤٢].

---

(٤٠) التعريفات باب الكاف ص ١٦٢ .

(٤١) الامام الفخر الرازى – الاربعين فى أصول الدين جـ١ ص ٢٢٧ – تحقيق د/ أحمد حجازى السقا .

(٤٢) المصدر السابق ص ٢٥٥ .

ومجمل الاراء يطلعنا على ان الكلام باعتباره صفة نفسية قديمة قائمة بذاته تعالى قديم عند كل من الاشاعرة والحنابلة مع الاختلاف فى التفصيلات الدقيقة ، كما أنه عند المعتزلة والكرامية حادث باعتبارين مختلفين ، مع ملاحظة أن اعتبار المعتزلة قائم على خلق الحروف فى غيره ، بينما عند الكرامية يقومان فى ذاته رغم حدوث الاصوات من حروف وكلمات ذلك لانهم يجيزون قيام الحوادث بذاته تعالى على ما يفهمون ، ونحن لا نوافقهم فيما ذهبوا اليه(٤٣).

٣- الكلام الصوتى : وهو المادة الصوتية المنقولة فى الفراغ الخارجى بسرعة الصوت ومقداره ١٧٩ الف ميل فى الثانية الواحدة ، وهذه المادة الصوتية تحمل إلى اذن السامع بنسبة لا تجاوز ٧٥٪ من جملة الحروف المنطوقة ، والكلمات التى خرجت ثم أن باقى النسبة تحملها الأذن من خلال ذبذبات صوتية إلى العقل فيقع الانحاء وتتم النسبة ، ومن هنا يتم السمع على الطريق المعتاد(٤٤).

ثم ان هذا الكلام الصوتى غير علم الاصوات التى تدرس أصوله وقواعده فى أقسام اللغة العربية بالجامعات تحت مادة علم الاصوات ، وهو كذلك غير علم الصوتيات الذى تدرس أسسه لطلاب المعاهد الموسيقية ، ويعرف لدى المدارس الفنية المتخصصة فى مجال الصوتيات والمرئيات من العلوم الطبيعية أو العلوم التطبيقية باعتبار الآلة التى تؤدى دورها فيه ، أو باعتبار الدراسات التى حوله ، لكنه من اطلاقات الكلام ايضا(٤٥).

٤ - الكلام الموحى به : وهو اللغة التى عبر بها النبى لقومه عن الالهامات التى ادخلها الله إلى روعه ، سواء جاء بها الوحى المباشر وهو جبريل الأمين ، أو

---

(٤٣) وفى هذا كلام سنعرض له فى حينه ان شاء الله تعالى .

(٤٤) د/ أ.ت شنابل حاسة السمع قوة لا عجز ص ١٩ ترجمة د/ أنور خليل – الثقافة للجميع العدد ٣٧ .

(٤٥) هناك فرق بين الموسيقى كفن ، وبين الموسيقى ١٩٦٩ كالة ، ولكل منهما قواعده ، واصوله وقوانينه المنظمه له .

وقعت فى مجريات الالهام الداخلى ، كالحديث النبوى مثلا ، باعتبار أن المعنى من عند الله تعالى ، واللفظ من عند النبى ، ولذا صحت روايته باللفظ والمعنى ، كما صحت روايته بالمعنى دون اللفظ ، على خلاف القرآن الكريم ، فان المعنى واللفظ من عند الله ولا تصح رواية القرآن الكريم الا باللفظ والمعنى معا ، وكلها تدور فيها اطلاقات الكلام من غير تحديد لعلم الكلام أو تخصيص به ، وهو ما سأحاول التعرض له فيما بعد ان شاء الله تعالى :

## رابعا علم الكلام :

وعلم الكلام غير الكلام تماما من حيث التعريف والاطلاق ، والمعنى المراد كما أن الغيريه قائمة على نواح أُخرى لكنا نركز على الحديث عن علم الكلام بالمعنى الفنى .

وهو الذى يعنى به علماء التوحيد فى مباحثهم ، وما يتعلق بـه من تعريف ، ومنهج ، وموضوع ، وثمرة ، وغاية نلمح اليها ، ونلمح فى بيانها .

### أ- تعريفه

عرف علم الكلام على الناحية الفنية بالعديد من التعريفات نذكر منها :

[١] انه علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته ، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الاسلام[٤٦] .

[٢] انه علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية ، بأيراد الحجج عليها ، ودفع الشبه عنها[٤٧]

[٣] انه علم باحث عن أمور يعلم منها المعاد وما يتعلق به من الجنة والنار والصراط والميزان ، والثواب والعقاب .

[٤] انه العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة عن الادلة[٤٨]، سواء كانت الادلة عقلية او نقلية او هما معا ، والملاحظ ان هذه التعاريف يصلح بعضها للاطلاق على علم الكلام من جهة ما ، وربما يصلح

---

(٤٦) التعريفات ص ١٦٢ .

(٤٧) نشر الطوالع ص ٤ .

(٤٨) التعريفات ص ١٦٣ .

البعض الاخر على الناحية الاخرى ، ولكنها في مجملها تعاريف عني بها علماء الفن انفسهم ، ولذا اعتبرت لهم ، معبرة عن رأيهم سواء في علم الكلام او علم التوحيد ، لكنها لا تصلح لتكون هي العقيدة الايمانية ، ولا ان تكون تعريفا لها ، لما سلف ذكره .

ب- منهجه .

يختلف المنهج في علم الكلام من ناحية ادلة الاثبات او النفي باختلاف المتناولين له . فأن كلا منهم يستخدم المنهج الذى يتفق مع نمطه الفكرى الذى ينسب له ، فان كان من اهل السلف ، التزم المنهج النقلى ، فى اقامة الادلة ، وان كان من اهل السنة والجماعة سلك المنهج النقلى والعقلى معا ، اما ان كان من اهل الاعتداد بالعقل فان المنهج العقلى هو الذى يسود الموقف الكلامى عندهم . ولذا يمكن حصر المناهج الكلامية فيما يلى :

[١] المنهج النقلى .

[٢] المنهج النقلى والعقلى معا .

[٣] المنهج العقلى وحده .

وهذه المناهج استعملت فى القديم ، وقد يسميها البعض طرائق الاستدلال على وجود الله تعالى او هي ادلة اثبات الذات والصفات ، وانها كانت مستعملة فى القديم بهذا المعنى ، غير أنى ارى انها وان تكن طرائق الاستدلال على وجود الله تعالى ، فهى فى ذات الوقت المناهج التى يمكن اعتمادها فى مباحث علم الكلام كلها . فمثلا .

١- الالهيات : يمكن استخدام المنهج العقلى فى اثبات الذات الالهية ، لكن اثبات الصفات الالهية وكونها تسعة وتسعين صفة فهذا مما لا سبيل للعقل فيه ، -

وانما اثباته يكون بالنقل المنزل ، وبالتالى نكون قد احتجنا الامرين معا ، امر النقل وامر العقل .

٢- النبوات : يمكن اثبات المعجزة والنبوة بالعقل لمن شاهدها ، اما من لم يشاهدها فطريقه النقل المتواتر وبالتالى بان لنا ان النبوات يمكن اثباتها بالنقل والعقل معا كذلك .

٣- السمعيات : قد يظن البعض ان طريق اثباتها النقل وحده ، وليس الامر كذلك فقد توصل عمانويل كانت إلى امكانية اثبات الثواب والعقاب بالعقل على نحو ما ، بل وكتب العقيدة عرضت هذه المسألة بشئ من التلميح مرة والاشارة او التصريح مرة اخرى ، اذن امكن اثبات السمعيات بالنقل والعقل معا .

من ثم نعيد القول : بأن المنهج الذى يفيد فى الاستدلال على اثبات مباحث التوحيد يمكن استخدامه ايضا فى عرض قضايا علم الكلام ، والبلوغ بها الهدف الذى يسمح بتقرير العقيدة الدينية ، والدفاع عنها ، ورد الشبه إلى غير ذلك مما هو من خصوصيات علم الكلام .

وهناك مناهج اخرى مستحدثة بعضها يسمى بأسماء الموضوعات التى تخصص فيها او طريقة الاستدلال التى يتمسك بها ، ومن هذه المناهج :

[١] المنهج النفسى .

[٢] المنهج الروحى .

[٣] المنهج الطبيعى .

[٤] المنهج الاجتماعى .

[٥] المنهج التاريخى .

وكلها مناهج مستحدثة ، بعضها مقبول ، وبعضها يحتاج نوعا من التعديل ، والبعض الاخر محل نظر ، ولسنا فى مجال عرضها فى هذا المختصر نظوا لظروف طارئة ، وضيق الوقت وحتى لا نكون مخالفين مسيرة مضى عليها العديد من القرون

نخلص مما سبق إلى ان

[١] الكلام غير علم الكلام .

[٢] العقيدة غير علم الكلام .

[٣] علم العقيدة وعلم الكلام بمعنى واحد . الا اذا انحصر علم العقيدة فى مباحث الميتافيزيقا وحدها ، ولم يجعلها شاملة للالهيات والنبوات والسمعيات(٤٩).

وكذلك الا اذا انحصر علم الكلام فى قضية الكلام فقط حينئذ يقع الانفصال ، وهو غير واقع ، والا فقد الوصف العنوانى (٥٠) قيمته ، وما عادت الموضوعات تتطابق مع العناوين ، وهو ما نستبعده فى الدراسات المتخصصة على الاقل .

## جـ - سماته .

لعلم الكلام سمات عديدة نذكر منها:

---

(٤٩) هناك بعض المؤلفات التى لا تتقيد بموضوع محدد ، ولذا فهى تشمل بعض قضايا العقيدة ، كما تحمل بعضا من مسائل الاخلاق وفى نفس الوقت تذكر شيئا من التكاليف الشرعية مثل : معارج القبول للشيخ حافظ الحكمى ، ومنهاج المسلم للاستاذ . ابو بكر الجزائرى وغيرهما من الكتب التى تنحو هذا المنحى .

(٥٠) الوصف العنوانى : ويعنون به عنوان البحث العلمى ، او القضية المبحوثة وانطباق الوصف على موضوعات البحث ومسائلة ، فأذالم ينطبق فقدت القيمة الخاصة به .

أولا : أنه علم وضعي من تأليف البشر سواء من السلف ، أو اهل السنة والجماعة أو غيرهم ، كالمعتزلة ، والفلاسفة .

ثانيا : انه قائم على الاجتهاد النظرى . اذ ان قضاياه نظرية ، غايتها تعليم المرء كيف يقرر العقيدة ، ويرد سهام الخصوم عنها .

ثالثا : أنه علم فن الدفاع عن العقيدة الاسلامية ويمكن أن يتعلمه البعض وحينئذ يكون فرض كفاية .

رابعا :انه خاضع للنزعة السائدة ، فان كان المؤلف فيه سلفيا صبغه بفكره ، وان كان أشعريا فعل فيه فعله ، أما اذا كان ما تريديا فقد يغير الكثير من أوضاع المباحث ، وكذلك اذا كان معتزليا .

خامسا : أنه علم تراكمي يقبس من الثّقافات ويضيف اليها متأثرا بالنواحى السياسية والاقتصادية ، والعلمية ، مادية أو نظرية . جدلية أو واقعية .

سادسا : انه ذو تقنية خاصة ، فمباحثه ، وأصوله ليس يتمكن منها كل الناس ، انه اقرب ما يكون شبها بالعلوم الوضعية فى كل نواحيها ،غير انه يختلف عنها بان الخلاف فيه ما يزال مستمرا وربما يظل فتلك طبيعتة وسمة مباحثه

سابعا : اقترابه من الجدل الدينامیکی ،والدیالکتیکی معا ، وان كان الأول يؤدى إلى استمرار الحركة الفكرية بينما الثانى يخضع المسألة للجدل الزميم ، والعنف المذهبى .

ثامنا : اضطراد البحث فيه ، وعدم وضع نهايات ثابتة لمناهجه ، أو النتائج التى انتهى اليهاعلى ذات الأصل الأول ، ولو التزم المفكرون المنهج السليم ما وقع هذا الخلاف الكبير بين المذاهب الكلامية ، والفرق الاسلامية ، بل والتيارات والجماعات التى تحاول ارتداء عباءة الاسلام ، والحديث نيابة عنه

، وما لهم فى قواعده من شىء ، ولا دراية لهم بالتعديد من قد
كيفية عرضها ، والاستفادة منها ، اللهم نجنا من الغم والكرب :
تحب وترضى . أمين

# المبحث الثاني

## أسماء علم الكلام

من المشهور أن كثرة الاسامى تدل على عظم المسمى ومنزلته فى نفوس أصحابه واحبائه والمهتمين به كما أنها تدل على أن المسمى بلغ منزلة عامة لدى الجميع[1] ، فاذا كانت هذه الاسماء محل اتفاق فى بعضها أو كلها فقد دل ذلك أن توافق الرغبات وتحقق الاسماء فى ذات المسمى أمر واحد .

وعلم التوحيد قد نال عناية من الموحدين ، ومن لهم ولع بالدراسات العقدية على وجه الخصوص و الدينية على وجه العموم ، وسواء كانت العناية بعلم التوحيد على الناحية الأولى أو الثانية فان الذى نعنى به ههنا هو تقديم دراسة بالاسماء التى أطلقت عليه ، ولماذا هذه الاسماء بالذات دون غيرها ، ثم ماهى دلالة هذه الاسماء على ذلك المسمى ، وذلك ما سوف نلتفت اليه[2].

لكن هذا العلم بجانب أن له أسماء فله كذلك تعاريف ، بعضها على ناحية الحد ، وآخر على ناحية الرسم ، وثالث باعتبار الموضوع ، ورابع باعتبار الفائدة ، وخامس باعتبار الغاية من دراسته[3] وقد مال البعض إلى تعريفه أولا ثم بيان أسمائه ثانيا ، ولكن ربما خالفت هذا الميل . أما لماذا ؟

فلأنى أرى أن ذكر الاسماء ربما أفادنى فى توجيه بعض التعريفات ، وليس العكس ، كما أنه لو سبق التعريف الاسم . فلسائل أن يقول ما هو الذى تعرفونه ؟ ما اسمه ، وما صفته ، أمّا كان الواجب أن تسموه ثم تذكروا التعريفات له ، ولهذا قدمت أسماءه على تعريفاته .

---

(١) من ذلك الاسماء الحسنى و لله المثل الأعلى فانها مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة ، كما جاء بها الحديث الشريف ، وكذلك اسماء الرسول سيدنا محمد ﷺ وصفاته فانها كثيرة ، وقس على ذلك اسماء القرآن الكريم ، بل اسماء سور القرآن الكريم .

(٢) هذا سنذكره فى حينه .

(٣) سأجعل التعريفات طبقا لقيمتها الفنية وربطا وبينها وبين التعاريف ذاتها .

## أسماؤه .

تسمى علم التوحيد بالعديد من الاسماء نذكرها اجمالا ثم نفصل القول فيها واحدا بعد الآخر :

[١] علم التوحيد .

[٢] علم الفقه الاكبر .

[٣] علم العقيدة الاسلامية(٤).

[٤] علم الكلام الاسلامى(٥).

[٥] علم اصول الدين .

[٦] علم التوحيد والصفات .

[٧] علم النظر والاستدلال .

[٨] علم المعرفة بالله والنبوات والسمعيات .

وما دمنا قد عرضنا لاسمائه اجمالا ، فلابد من التعرض لها من حيث :

[أ] توضيح الاسم .

[ب] علة التسمية.

---

(٤) تميزا عن علم العقيدة فى الديانات الآخرى التى يسميها أصحابها بالعقيدة أو علم العقيدة ، ويعنون بها مباحث تتعلق بالدين الذى يعتنقونه بغض النظر عن كونه صالحا أم فاسدا .

(٥) حتى لا يقع الخلط بين المايستيسم ويعنون بها الدراسات اللاهوتية فى المسيحية القانونية ، راجع ايمانى أو قضايا المسيحية الكبرى للقس لبيب مشرقى ، ومباحث فى علم الكلام للقس صموئيل مشرف ، ومباحث الالهيات للقس الياس مقار ، وغيرهم ، لذا رأيت أن الوصف فاصل بين العقيدة وعلم الكلام الاسلامى وبين غيرها مما يزعمه الزاعمون أو يتوهمه المتوهمون .

[ج] الباعث عليها[٦].

التسمية الأولى: علم التوحيد .

وهذه التسمية غلبت فى البيئة الاسلامية ، ومحل اتفاق بين الفرق الكلامية كلها من سلف ودعاته ، وأهل السنة والجماعة ، بل والمعتزلة حتى أنهم سموا أنفسهم أهل التوحيد[٧].

اما علة التسمية ، فهى أن الوحدانية صفة من الصفات الالهية ، وقد كثر القول حولها حتى ذادت الأدلة فى المسألة ، ثم أن التوحيد أو الوحدة هو طبيعة العقلية الاسلامية ، التى تتمتع بحس دينى شديد ، وعاطفة ايمانية تتجاوز العديد من الحدود ، كما أن التوحيد عرف به أهل الاسلام وأهل الايمان حتى قيل انهم أهل التوحيد والموحدة اذن العلة قائمة ، ومقبولة .

كما ان معنى التوحيد هو : اعتقاد أن الله تعالى واحد وسمى هذا العلم بعلم التوحيد تسمية له بأهم أجزائه التى هى صفة الوحدة[٨] " لله تعالى فى الذات ، والصفات ،والافعال ، بل الوحدة من كل ناحية ، وحدة تنفى التعدد ، وتنفى التركيب ، وتنفى الكثرة ، وما كان من هذا القبيل .

كما ان الوحدة الذاتية يقابلها الوحدة بأشكالها ، من وحدة العدد إلى وحدة التركيب ، إلى وحدة الفكر ،والله تعالى منزه عنها جميعا ، فهو واحد من

---

(٦) هذه الجوانب الثلاثة لا يقصد بها استغناء واحد عن الاخرين ، وانما عدم الانفكاك قائم ، وبالتالى فكلها يكمل بعضها الآخر .

(٧) وأصحاب هذه التسمية يتمسكون بها فيقولون أنهم أهل التوحيد ، والعدل ، راجع المغنى للقاضى عبدالجبار جـ١ ، ٢ ، وشرح الاصول الخمسة له ايضا .

(٨) الدكتور / على محمد جبر - محاضرات فى علم الكلام ص ٩ - الطبعة الفنية .

كل ناحية ، ليس واحدابـالعدد ، والا لزمت التشبية ولا واحد بالتركيب ، والا لزمت التجزئة ، ولا واحد بالاضافة ، والا لزمت مسألة الاحتياج .

أما عن الباعث لهذه التسمية ، فهو الشعور الداخلى بأن التوحيد أرق بلوغا للمشاعر ، وأقرب الطرق للاعتقاد الصحيح ، ولذا خص بانه علم التوحيد .

التسمية الثانية : علم الفقه الاكبر

وهذه التسمية عبارة عن مركب توصيفى من الموصوف - الفقه - والصفة التى هى الأكبر ، ومعنى الفقه الاكبر ، الفهم الاوسع للدين فى جانبه العقدى ، فاذا كان الفقه يطلق على فهم الاحكام الشرعية التى هى الفروع ، فأولى به أن يوصف بانه الفقه الأصغر ، حتى تتاح الفرصة للذى يطلق على الاحكام العقدية فيسمى بالفقه الاكبر على أساس أن موضوعه هو الاحكام العقدية وهى أصول . والفقه موضوعه الاحكام العملية وهى فروع فناسب كل ان يسمى بما وصف به[9].

وعلة التسمية قائمة فى مضمون الفهم الاكبر ، والتوسع فيه ، حتى يبلغ به صاحبه الاحكام العقدية ناحية مقبولة من النصوص الدينية ، ولذا يقال أن أول من استعمل هذا المصطلح هو الامام أبو حنيفة النعمان ﷺ بل انه خص أحد كتبه بهذا الاسم[10].

---

(٩) هذه التسميات توافقية ويمكن اعتبارها اصطلاحية خاصة ، وليست على سبيل الاصطلاح العام بدليل إختلاف العلماء أنفسهم فى قبول تلك التسمية وتزكيتها أو قبولها كمجرد تعريف .

(١٠) وهو كتاب الفقه الأكبر راجع الوصية .

أما الباعث على تلك التسمية فهو ورود مفرداته فى القران الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، والاثر كما تحدث عنها علماء المعقول بجانب شيوخ المنقول[11].

فمن ورودها فى القرآن الكريم قوله تعالى : فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ[12] فقد جاء فى الاية الكريمة الاصل لمادة الفقه وهو المشترك حيث جاء قوله تعالى " ليتفقهوا فى الدين ، واذا جاءت اصول الكلمة فمعناه وجودها كلها فى القران الكريم ، سواء فى اللفظ أو فى المعنى ، وكلها مرادة وعاملة ، لان كلمات الله كلها تامة عاملة .

ومن مجيئها فى السنة النبوية المطهرة قوله ﷺ . " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وانما أنا قاسم والله عز وجل يعطى ، ولن تزال هذه الامة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله[13] " وقوله ﷺ " حكماء فقهاء كادوا بفقههم ان يكون أنبياء[14].

اذن الباعث على هذه التسمية غير العلة ، لان العلة قائمة فى المضمون ، اما الباعث فقائم على انها تسمية نقلية قرآنية ، وما كان معتمدا على النقل فدليله أقوى ، كما أنه أولى بالقبول ، وأدعى للاعتناق ، فاذا قيل أنه علم الفقه الاكبر لاختصاصه بأمور العقيدة ، وذلك فى مقابلة علم الفقه الذى يبحث فى

---

(١١) شيوخ المعقول هم المتكلمون ، والفلاسفة ، وشيوخ المنقول هم أصحاب الحديث ، والتفسير . وربما نهم أن شيوخ المعقول هم أصحاب الرأى ، وان شيوخ المنقول هم أصحاب الاثر . ولكل وجهة .

(١٢) سورة التوبة الآية ١٢٢

(١٣) حديث صحيح وله طرق كثيرة كلها صحيحة .

(١٤) الحديث طويل ورواياته متعددة بعضها بزيارة فى صدر الحديث ، وبعض آخر زيادته فى عجزه .

العبادات والمعاملات ، والامور الجزئية المتعلقة بالدين[١٥] ، فربما كان هذا التعليل مقبولا كله ، لكننا نبحث المسألة مرة آخرى أيهما أسبق فى التأليف . هل الفقه أم التوحيد ، فان كان التوحيد الاسبق حكم بان التسمية ليست على بابها ، كما أن العلة ليست فى مكانها ، وان كان العكس فما الدليل على أن الاول سمى الاصغر ، حتى يدعى أن الثانى سمى الاكبر . اللهم الا ان يكون التوافق فى الاصطلاح والاطلاق .

وفى تقديرى ان هذه التسمية - بالفقه الاكبر - توفيقيه[١٦] ، من توفيق الله تعالى ، لاصحاب هذا الفرض جرت على السنتهم مجرى الاصطلاح ، وصارت مشهورة فى حدودها ، ليظهر أمر العقيدة مدونا فى الفقه الاكبر وأمر الشريعة مكتوبا فى الفقه الاصغر ، وحتى يكون ذكر احدهما مدعاة للسؤال عن الاخر ، فاذا قلت . ما الفقه الأكبر ، جاء الجواب انه الأحكام العقدية ، وفى نفس الوقت سيقال مادمت قد ذكرت الاكبر فما هو الفقه الاصغر اذن ؟، ويأتى الجواب أنه الاحكام الشرعية ، اذن كل منهما يذكّر بالاخر ، ويجعله فى معرض السؤال عنه ، والاجابات عليه ، وهو من توفيق الله تعالى كما مر ذكره .

ربما رجح أحد الباحثين هذه التسمية على غيرها لاسباب منها :

[١] أنها تسمية قرآنية ولغوية .

[٢] أنها تسمية تبين ارتباط هذا العلم بعلومه الشرعية الاسلامية ومكانته بين تلك العلوم .

---

(١٥) د/ عابد منصور عابد - درابسات فى العقيدة وعلم الكلام ص ١٨ ط وزارة الاوقاف - الادارة العامة للمراكز الثقافية .

(١٦) هناك فروق بين التوفيفية ، والتوقيفية ، فالتوفيفيه بتوفيق من الله تعالى كتسمية القرآن وسوره على الرأى القائل بانها توقيفه ، واما الثانية بفعل الناس لكن بتوفيق من الله تعالى للتسمية الصواب والفعل الاحسن ، اذن الفرق كبير جدا .

[٣] انها تتيح له التوسع والتفتح ليتضمن بحوث الاصول الفكرية لهذه الشريعة ، سواء كانت مما يلزم اعتقاده ، أو مما ينبثق عن هذه العقيدة ، أو يرتبط بها(١٧).

وسواء هذه أو تلك من العلة أو الباعث على التسمية فان – أمر الفقه الاكبر من التسميات الموافقة للنص ، وفى نفس الوقت فيها الكثير من التوفيق فى التأليف .

التسمية الثالثة : علم العقيدة الاسلامية

العقيدة : هى ما يعتقده المرء على وجه الصواب ، بأدلة يقينية ، فإن كان مما يتعلق بالدين فهو العقيدة الدينية ، وان كان مما يتعلق بالقتال فهو العقيدة القتالية ، وان كان من خصوصيات أخرى فهو يوصف بها على نحو مباشر بحيث تقال عليه ، ويوصف بها .

لكن تسمية هذا العلم بالعقيدة الاسلامية جعلته يختص بالمباحث الدينية فى ديانة خير البشرية سيدنا محمد ﷺ ، اذن الوصف للعقيدة بانها اسلامية افاد التمايز والتخصيص من جهتين :

الجهة الأولى : من ناحية المباحث التى يتناولها ، من كونها متعلقة بالعقيدة الدينية كالالهيات ، والنبوات والسمعيات على جهة الأجمال ، والتفصيل . وبالتالى تتمايز عن الأخرى التى تشاركها الاسم ، وتخالفها المعنى ، والغرض والمضمون .

---

(١٧) د/ شوقى ابراهيم على عبدالله – دراسات فى العقيدة الاسلامية ص ٢٨ – ط أولى [ ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ] دار الهدى للطباعة .

الجهة الثانية :من ناحية الوصف الذى توصف به ، فهى تتمايز عن غير الاسلامية . بما يعتقده من يزعمون نسبتهم إلى خبر صادق ، أو نبى كا م ؛ ولهذا وصف هذا العلم بأنه علم العقيدة الاسلامية .

التسمية الرابعة : علم الكلام الاسلامى :

وعلم الكلام الاسلامى - يوشك ان يكون الاسم الغالب على هذه المباحث فى بعض المناطق الاسلامية ، بينما يغلب غيره فى أماكن أخرى ، لكن معناه ، هو العلم الذى عنى بتقرير العقيدة الايمانية ، ورفع الشبه عنها ، ورد كيد الخصوم اليهم .

أما علة التسمية فقد وقع فيها كتير من الاجتهاد نحاول الالمام به فيما يلى :

[١] سمى علم الكلام من باب تسمية الكل باسم الجزء ، والجزء هو كلام الله النفسى ، والكل هو مباحث علم التوحيد من إلهيات ، ونبوات وسمعيات .

[٢] سمى علم الكلام . لان صفة الكلام بالنسبة لله تعالى ، وقع حولها الخلاف الكبير ، فمن قائل :

[أ] ان كلام الله صفة نفسية يعبر عنها بالحروف والاصوات والكلمات .

[ب] ان كلام الله هو نفس الحروف والكلمات .

[ج] ان كلام الله صفة نفسية قديمة لكن المفردات التى تعبر عنها من الحروف والكلمات غير قديمة ، وقد اشتد هذا الخلاف حول تلك المسألة ، وبخاصة بين المتكلمين من أهل السنة ، والمعتزلة والحنابلة ، حتى أنه لم يقع نفس الخلاف فى حدود الامة الاسلامية فى صفة من صفات الله تعالى ، بقدر ما وقع فى صفة الكلام ، ويذكر التاريخ أن هذا الخلاف قد أشتعلت ناره حتى سفكت دماء حرام ،

وأهدرت أموال فى حرام ، ولقى الكثير من العلماء من الهوان مـالقوا ، وكان المردود الطبيعى هو تناحر الامة الاسلامية ، وتنـاصر غيرهم عليهـم ، حتى ان البعض مـن هـول تلك الفاجعة اطلق علـى هـذه المباحث اسم الكلام(١٨).

[٣] لأن الكثيرين ممن كانوا يؤلفـون فى هـذه المبـاحث . مـا كـانوا يبدأون مباحثهم الابلفظة الكلام ، فيقولون الكلام فى اثبات وجود الله تعـالى ، والكلام فى صفات الله ، والكلام فى العلم الالهى إلى غير ذلـك مـن المباحث التى كانوا يقومون بها .

ولكن هذا الرأى ليس له شواهد تغلب غيره بل العكس ، فقد تعودوا ابتداء كل مؤلفاتهم وابحاثهم الكلامية وغيرها بنفس العبـارة ، فيقولون مثلا فى اصـول الفقـه : الكـلام فـى الحكـم الشرعى وانـه : خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين ، اقتضـاء أو تخيرا أو وضعا ، والخطاب هـو فى الحقيقة دليل الحكم ، وانما يسمى حكما لتضمنه اياه(١٩) ومن ثم لا تكون الدعوى قائمة وأكثر كتـب الاصـول عنـد الاشـاعرة جـاءت علـى هذا النحو(٢٠) .مبتدأة بعبارة الكلام فى كذا ، لا القول فى كذا ....

[٤] لانه يكسب صاحبه قدرة على الكـلام فـى تحقيـق المسـائل العقلية علـى الناحية الشرعية ، ويلزم الخصوم الحجة كالحال فى المنطق والفلسفة ، وسائر العلوم التى تقوم بنفس الدور

---

(١٨) راجع المنهـج الأحمد فى أصحاب الامام أحمد جـ١ ص ٢٩ ، راجع المسا ة على المسايرة ص ٩ .

(١٩) د/ على حسب الله : أصول التشريع الاسلامى ص ٣٧٥ - ط دار المعارف بمصر ١٩٧٦م .

(٢٠) راجـ الكافيه فى الجدل لامام الحرمين الجوينى تحقيق د/ فوقية حسين محمود .

[٥] أنه أول ما يجب أن يعلم فالكلام أطلق على هذا ولم يسم غيره من باب تميزه عن غيره ، بحيث لا يشترك معه فى المسألة غيره ، ومن ثم قيل ان علم الكلام هو السيد والعلوم الآخرى له خدم[٢١].

وذكر الامام محمد عبده أنه قد يسمى علم الكلام ، اما لأنه أشهر مسألة وقع فيها الخلاف بين علماء القرون الأولى وهى أن كلام الله المتلو حادث أو قديم .

واما لأن مبناه الدليل العقلى وأثره يظهر من كل متكلم فى كلامه ، وقلما يرجع فيه إلى النقل المنزل اللهم الابعد تقرير الاصول الآولى ، ثم الانتقال منها إلى ماهو أشبه بالفرع عنها وأن كان أصلا لها لما يأتى بعدها .

وأما لأنه فى بيان طرق الاستدلال على أصول الدين اشبه بالمنطق فى تبينه مسالك الحجة فى علوم أهل النظر وابدل المنطق بالكلام للتفرقة بينهما[٢٢].

[٦] لان هذا العلم تتحقق مباحثه بالمباحثة والمنافشة ، وادارة الكلام على نواحيه المختلفة من جانب أهل الاثبات أو جانب أهل النفى ، اذ كل منهما يحاول ابطال قول الآخر ، وتدعيم أدلة نفسه ، وحينئذ يتدرب

---

(٢١) وذكر أصحاب الرجز القول :

| | |
|---|---|
| ـ أيهـا المقـتدى لتطـلب علمـا ∴ | كل علم عبد لعلم الكلام |
| تطلب الفقه كى تصحح حكما ∴ | وقد أغفلت منزل الاحكام |

جوهرة التوحيد ص ٦ .

(٢٢) الشيخ محمد عبده – رسالة التوحيد ص ٥ .

على مطالعة قول الخصم والتأمل فيه حتى يكسب الجولـة ، ويفـوز فـي المسألة ، لذا سمى علم الكلام[٢٣].

[٧] انه اكثر العلوم العقلية استخداما للادلـة الشرعية والعقلية ، فـاذا اردنـا اثبـات صفـة العلـم لله مثـلا قلنـا ان الله عـالم ، لان العلـم صفـة أحاطـة وانكشاف فلو لم يكن عالما لكان جاهلا ، والجهل محال على الله تعـالى فثبت أنه عالم ، وهو ما يعرف بالدليل العقلى .

ثـم نقـول والدليـل مـن النقـل قولـه تعـال " إِنَّ اللّٰهَ عَلِيـمٌ خَبِـيرٌ[٢٤] " وان ربك ليعلم ما تكـن صدورهـم ومـا يعلنـون[٢٥] وهـو مـا يعـرف بـالدليل النقلى ، اذن هذا العلم يستخدم الدليـل النقلى والعقلى معـا . وهـو مـن أكثر العلوم فى هذه الناحية فسمى علم الكلام .

[٨] أنه من أكثر العلوم الشرعية نزاعا وخلافا ، فهو محتـاج إلى علـم الكـلام أكثر من غيره حتى يتمكن من الرد على المخالفين ، فسـمى بـه تسـمية للشيء عما يتوصل به اليه . أو تسمية للشيء بما ينشأ فيه ويلائمه ، أو تسمية للشيء باسم الغايـة والعلـة ، وكلهـا تسـميات مقبولـة مـا دامـت على هذه الناحية .

[٩] انه لقوة ادلته صار كأنه الكلام نفسه دون ما عداه ، كما يقال للعبـارة القوية ، والكلام البليغ هذا هو الكلام ، أما غيره فلا يعتبر كلاما من ناحية القوة والدلالة ، والقدرة على الدفاع وابراز الجوانب الآخرى

---

(٢٣) وهذا العلم من هده الناحية يفوق غيره من العلوم حتما .

(٢٤) سورة الحجرات الاية ١٣ .

(٢٥) سورة النمل الآية ٧٤ .

[١٠] لأنه ينبنى على الادلة القطعية المؤيدة فى غالب الاحيان بالادلة النقلية على اختلاف درجاتها وهو من هذه الناحية سمى علم الكلام ، ثم أن كلامه تعالى دال على وجوده ، ووحدانيته[٢٦].

[١١] أنه من أشد العلوم العقلية ، واكثرها قدرة فى التأثير على العقل والقلب ، وأكثر من غيره تغلغلا فيه فسمى علم الكلام به .

لهذه الوجوه التى سلفت ذكرها ، وغيرها مما عنى به الباحثون سمى علم الكلام .

- ولعلك تسأل اذا كان هذا عن علة التسمية[٢٧] فما هو الباعث ، أما ترى أنك أطلت فى الحديث عن علة التسمية ؟

والجواب :

أنه طالما كان بالامكان عرض المسألة بشىء من التفصيل فإنى أرى ذلك أمرا ضروريا ، وفى حدود ما تفرضه المسألة نفسها فعلم الكلام ما يزال الخلاف حوله دائرا ، من حيث الحل والحرمة وفى الاشتغال به ، وفى أدلته ، بل وما يزال الأمر القائم عند فتوى بعض الشيوخ قديما ، اذ البعض فى عصرنا يتمسك بالحرمة تقليدا لفتوى سابقة ، والآخر يتمسك بضرورة الاشتغال به ، لفتوى أيضا سابقة ، ولكل وجهة هو موليها ، اذن الاطالة فى موضعها ، والعرض مطلوب ، فاذا علمنا أن علم الكلام فى نظر أصحابه والذين لهم قدر فى المسألة

---

(٢٦) الاستاذ ؟ ابوبكر الجزائرى - منهاج السلم ص ١٠ ط دار الاقصى أول ١٩٩٠ م .

(٢٧) العلة للشىء هى ما يتوقف عليه وجود الشىء ، ويكون خارجا مؤثرا فيه " على سبيل العادة التعريفات للجرجانى ص ١٣٤ كالانجاب فان علته الزواج ، والشبع فان علته تناول الطعام ، والفهم فان علته المطالعة وتنمية القدرات العقلية ، والخلافات فان علتها ضيق الافق ، والجوع فان علته أفراغ المعدة من الطعام ، والاسهال فان علته الاخلاط وهكذا ... .

هو من اشرف العلوم منزلة وعليه تبنى سائر العلوم فى الاسلام تأكد لنا ان موقف الآخرين يحتاج مراجعة(٢٨).

أما الباعث على هذه التسمية فهو أحد امرين :

الأول : اما أمر التميز لهذه المباحث الكلامية عن الآخرى الفلسفية والفقهية ، وهذا أمر محمود وجريان طبيعى ، فكل علم له اسم ، وتلك مسألة لا خلاف حولها ، كما أن الباعث فى هذه التسمية واضح ، وهو التخصيص فى المسائل بتخصيص موضوعاتها(٢٩).

الثانى : الابتعاد عن الاتجاهات الفلسفية من حيث التسمية ، وهو ما يوقع العامة والخاصة فى نوع قبول ، لأن العنوان علم الكلام ، وليس الميتافيزيقا ، أو الطبيعية أو غيرها مما هو منقول فى اسمه من البيئات الآخرى ، وكان المسلمون الاول يتحرجون من التسمى به ، أو التشابه الاسمى ، خشية الأحكام المتعجلة والاراء المفزعة(٣٠).

وربما نستأنس له بأن التوحيد له معنيان :

الأول : المعنى الشرعى : الموجود فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، ومعناه توحيد الخالق ، وافراده بالعبادة وحده مع التمسك بضرورة الاعتقاد فيه ، وانه واحد ذاتا وصفات وافعالا .

---

(٢٨) راجع مقدمه ابن خلدون ، وجوهرة التوحيد ، وشرح العقائد النسفيه ، وغيرها من المؤلفات فى علم الكلام قديما وحديثا ستجد الرأى قويا .

(٢٩) بل هو سمة العلوم كلها أن تتمايز بالاسماء ، والموضوعات ، بل والغايات ، وليس علم الكلام وحده ، وقد اشتهر التأليف فى علم الكلام حتى سميت المؤلفات به ، فيقال : محاضرات فى علم الكلام ، اصول علم الكلام .

(٣٠) كان المسلمون يفعلون ذلك لاسباب عندهم من أهما تفادى سرعة الاحكام التى تصدر عليهم من خصومهم .

الثانى : المعنى الاصطلاحى ، وهو العلم المدون الذى يقتدر معه على اثبات العقيدة الدينية بابراز الحجج ودفع الشبه ...[31]

● وان شئت فقل الباعث هو مجموع الأمرين معا . ومن ثم فقد بان لنا اسم علم الكلام ، والعلة فى التسمية والباعث عليها ، لكن تبقى نقطة مهمة ، وهى هل وصل الأمر إلى تفادى الأخطاء الواردة ؟

والجواب :

أنه كلما كانت القضايا واضحة والعقول متفتحة والافاق أرحب سعة كانت الآمور طبيعية لأن الاختلاف فى الفكر أمر طبيعى ، حتى قيل : ان الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية .

أما اذا انقلبت الأمور وصار صاحب الرأى يملك سوط السلطان ، واستعمله على مخالفيه ، واستعدى السلطان وسوطه عليهم . فهذا دليل على ضعف الرأى ، وضيق الفهم ، والعجز عن اقامة الحجة ، حتى صار من الجليات ان الصوت العالى حجة الضعيف ، وسوط السلطان لسان الجبان . فاللهم اجعل قولة الحق على أفواهنا وثبت الحق فى قلوبنا ، حتى لا نقول الا ما نعتقد أنه حق مستمد من الحق جل علاه بأدلة النقل الصحيح ، وتطويع العقل السليم .

التسمية الخامسة : علم أصول الدين

يقول العلامة الاصفهانى : علم أصول الدين هو أعظمها موضوعا ، واكرمها أصولا وفروعا ، وأقواها اركانا وأوضحها برهانا مبنى على قواعد

---

(31) د/ سليمان سليمان خميس – محاضرات فى العقيدة – ص 8 ، 9 الطبعة الأولى 1963 – مطبعة عطايا .

الشرع وأساسها ، ورئيس معالم الدين ورأسها ، هو الكاشف عن آثار الالوهية المطلع على اسرار الربوبية[٣٢] .

والأصول جمع اصل ، وهو فى اللغة عبارة عما يفتقر اليه ولا يفتقر هو إلى غيره ، وفى الشرع عبارة عما ينبنى عليه غيره ، ولا ينبنى هو على غيره ، والاصل يعرف ايضا بانه ما يثبت حكمه بنفسه ، وينبنى عليه غيره[٣٣] وبعبارة أكثر تركيزا الاصل ما ينبنى عليه ولا ينبنى هو على غيره .

أما الدين فهو اسم لجميع ما يتعبد الله به[٣٤] " على وجه صحيح أت من طريق صحت نسبته إلى معصوم مبلغ عن الله تعالى إلى خلقه ما يعبّدهم به ويتجه بهم نحو ما يرضى ربهم .

وعرفه ابن الجوزى بقوله : الدين قول الهى رادع للنفس يقومها ويمنعها من الاسترسال فيما طبعت عليه[٣٥] ، وسواء عرف الدين بما سبق أو عرف بانه " وضع الهى شرع لاسعاد الناس فى معاشهم ومعادهم اى فى دنياهم وآخراهم التى يعودون فيها إلى الله[٣٦] " فان الذى نركز عليه هو أن علم التوحيد اذا أطلق عليه اسم أصول الدين ، فلا بد أن يكون المراد من هذا المركب الاضافى — أصول الدين — له معنى آخر غير المراد من أصول بعيدا عن الدين .

---

(٣٢) العلامة ابو الثناء شمس الدين محمد محمود الاصفهانى - مطالع الانظار على طوالع الانوار ص٣ وبهامشها حاشية الجرجانى .

(٣٣) التعريفات ص ٢٢ .

(٣٤) الامام الغيرو زابادى - بصائر ذوى التمييز فىلطائف الكتاب العزيز - ص ١١٣ ، تحقيق محمد على النجار .

(٣٥) الامام [illegible] الجوزى - منتخب قرة العيود النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم ص ١١٣ تحقيق محمد السيد الاصفطاوى ، ود / فؤاد عبدالمنعم ماجد .

(٣٦) مشيخة الازهر الشريف . بيان للناس جـ١ ص ١١٥ ، وراجع كتابنا حفيف الأفنان ١٧٢/١٣٥ .

● فما هو المعنى المركب ؟[٣٧]

والجواب :

أنه علم تقوم مباحثه على العقيدة الاسلامية التى هى أصل لغيرها بحيث تنبنى عليها الاحكام الشرعية والاخلاق والمعاملات . ولا شك أن هذا المعنى هو ما يمكن فهمه من الاضافة ، والمركب معا من كلمتى أصول الدين.

ونزيد الأمر ايضا فنقول علم أصول الدين هو الأصل الاسلامى الذى تنبنى عليه كافة الأحكام الآخرى والعلوم الإسلامية الآخرى فهو لها الاصل ، وهى عليه الفرع ، وهو الاساس ، وهى التى قامت على الاساس . فلولا الاصل ما كان فرع ولولا الاساس ما قامت القمة ، وعلم أصول الدين بهذه المثابة .

ولقد أحسنت جامعة الأزهر اذ جعلت هذا الاسم عنوانا على الطلبة التى تعنى بدراسة أصول الدين[٣٨] وقد انتشرت تلك الكليات على مستوى العالم الاسلامى ، وفى كل دولة من تلك التي حاولت تقليد الأزهر فى هذه الناحية .

● لكن ما هى العلة فى التسمية بأصول الدين ؟

والجواب :

أنه لما كانت مباحث هذا العلم هى العقيدة الدينية ، وهى الجانب النظرى ، والاصل الذى تنشأ عنه الأحكام الشرعية فكان من المناسب أن تقوم العلة عليه

---

(٣٧) من المعروف أن المفردات بالنسبة للمنطق تسمى تصورات فلذلك كلمة أصل مفردة ، وكلمة الدين مفردة فكلها تصورات لكن اذا ركبت الكلمة من أصول ، الدين صارت تصديقات ، والعلامة الأخضرى يقول :

ادراك مفرد تصور علم     ودرك نسبة بتصديق وسم

(٣٨) هي كلية أصول الدين ، وقد حذت حذو الأزهر جامعة الامام بن سعود الاسلامية فصنعت نفس الصنيع فهناك كلية أصول الدين بالرياض ، وذلك عكس الكليات الاوربية . فانهم هناك فى المسيحية يطلقون عليها الكليات اللاهوتية والفرق كبيرا جدا .

، بحيث يكون هو العلة المؤثرة فيها ، كما أنه الأصل الذى قامت عليه ،هى ايضا بأعتبارها علة .

● فما هو الباعث على هذه التسمية ؟

والجواب :

ان قلنا التخصيص فالأمر وارد حتى يتميز علم الأصول عن علم الفروع ، ولكن ما المانع أن نقول : ان هذه التسمية مقصودة والباعث عليها هو طلب المزيد من الاعتبار بها ، والاهتمام بمسائلها ، والدفاع عن وجودها واستمراره .

بل ان العلماء كثيرا ما وضعوا عناوين مؤلفاتهم فى هذه المباحث بنفس الاسم ، فسميت بعضها أصول الدين أو علم أصول الدين المسمى بعلم الكلام ، أو أصول الطالبين فى علوم الدين ، مما يدل على أن القوم عنوا به أيما عناية ، والفوا فيه بالقدر الذى تمكنوا منه ، ولم تقف صعوبة المشاكل التى يتناولونها عقبة فى وجوههم بل ربما كانت حافزا قويا لهم .

التسمية السادسة : علم التوحيد والصفات :

والمعنى أن هذا العلم هو الذى يشرح التوحيد ويبين الصفات الالهية ، ثم يقوم بالرد على غير الموحدين ، وكذلك عرض أدلة الاثبات على المنكرين ، ومناقشة المعطلين لصفات الله رب العالمين[٣٩].

● لكن ما هى العلة فى التسمية ؟

والجواب :

---

(٣٩) لسنا نوافق على القذف والتشهير فى جانب المسلمين . انما اذا قصد بالمعطلة أصحاب الفكر غير الدينى ولا جماعة المسلمين فلا مانع ، المسألة قائمة .

انه لما كان هذا العلم هو الذى يقوم بما مر ذكره دون سواه من العلوم الآخرى فقد ظهرت العلة ، وهى أنه الوحيد القادر على دفع الشبهات – ورد الاباطيل ، ودحر الخصوم من النصارى اصحاب التثليث ، واليهود أصحاب التجسيد ، والمجوس أصحاب التجسيم ، والتشبيه[٤٠] ، ومن ثم كانت العلة القائمة فى التسمية مقبولة على هذه الناحية .

أضف إلى ما سبق ما ذكر من أن اشهر مباحثه ، واشرف مقاصده " التوحيد والصفات " ولا شك أن هذه المباحث المتعلقة بالذات الالهية وصفاتها تكون أعلى المقاصد ، واشرفها منزلة ، كما أنها بجانب ما ذكر تعتبر أهمها جميعا ، ولذا رأينا اختلاف كل من :

[١] السلف الصالح .

[٢] المتكلمين : أشاعرة وما تريدية .

[٣] المعتزلة : متقدمين ومتأخرين .

[٤] الفلاسفة فى المشرق والمغرب .

[٥] أصحاب الاتجاهات الروحية والاخلاقية[٤١].

فمنهم من ذهب إلى الاثبات والزيادة على الذات ، ومنهم من تأول فى المسألة ، ومنهم من عطل ، ومنهم من حاول تحقيق الاقوال فى المسألة ، ولذا فان العلة قائمة فى التسمية والمعنى على ما مر ذكره[٤٢].

● لكن فما هو الباعث على تلك التسمية ؟

---

(٤٠) كل منهم حاول الاعتداء على العقيدة أما بالكتابة أو القول ، وكلها عقائد فاسدة وعبارات باطلة .

(٤١) هم وغيرهم ولكل وجهة .

(٤٢) راجع كتابنا الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى – الطبعة الثانية ص ٩١/٨٠ .

والجواب :

ان عناية المسلم باثبات وجود الله تعالى امر متفق عليه ، أما اثبات أن هذه الذات واحدة من كل النواحى فذلك أمر مقرر فى الافهام لكن ربما لا يتمكن من فهمه والتعبير عنه كل الناس ، وبخاصة متى روعى فىالأمر وضع الادلة الجلية موضع المناقشة ، أو وضعت الادلة النقلية موضع القبول والرد .

من ثم يبدو دور المسلم أكثر الحاحا ، وتخرج مسائله أكثر قوة ، انه يدافع عن عقيدته فى الله رب العالمين ، ولذا فقد كان هذا الأمر هو الباعث على تلك التسمية " بجانب التأكيد عليها ، ومحاولة اعادة صياغتها ، والتركيز على قضاياها فلا يترك ثغرة ينفذ منها شيطان أثيم ، أو انسان لئيم ، من هنا وقع التوفيق فى اختياز اسم علم التوحيد والصفات .

يقول العلامة الشريف الجرجانى : قواعد الشرع خمس : الكلام ، والتفسير ، والحديث ، والأصول كلها متفرع على علم التوحيد والصفات[٤٣].

التسمية السابعة : علم النظر[٤٤] والاستدلال[٤٥] :

ربما نشأت هذه التسمية لدى البعض أو ظهرت عندهم ، ولم تكن غالبة بذاتها غلبة علم الكلام ، أو علم العقيدة الاسلامية ، مثلا ولكنها من التسميات التى سادت فترة من الزمان ، وما زالت موجودة بباطن المصادر التى أحتفظت بها فلم تنلها يد التغيير ، ولا وصلت اليها عوامل الاهمال .

- ولكن ما هى العلة فى التسمية ؟

---

(٤٣) حاشية الجرجانى بهامش مطالع الانظار - ص ٣ .

(٤٤) النظر هو ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدى إلى استعلام ما ليس بمعلوم " نشر الطوالع " ص ٧ .

(٤٥) الاستدلال هو تقرير الدليل لاثبات المدلول ، سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر فيسمى استدلا لا انيا او بالعكس ، ويسمى استدلا لاليا ، أو من أحد الاثرين إلى الآخر التعريفات ص١٢ .

والجواب :

أن هذه المباحث لدى المتقدمين والمتأخرين على السواء من أهل السنة ، والجماعة ومن جاراهم كانت مبدؤة بالامور العامة كما يسمونها[٤٦] ومن هذه الأمور العامة النظر وهل معرفة الله تعالى واجبة به أم بغيره ، وهل النظر واجب أم غير واجب ، وهل هو أول الواجبات أم المعرفة بالله هي أول واجبات إلى غير ذلك من الموضوعات التي جعلت المسألة تنال حظا واسعا من الدراسة في هذه الناحية حتى أطلق عليها اسم علم النظر[٤٧].

لكن لما كان الأمر لا ينتهي عند حد النظر ، وانما يستمر حتى يستدل على وجود الله تعالى ويقدم طرائق عديدة للادلة من ناحية تراكيبها ، وصياغتها، وشروطها ، وكونها نقلية كلها أو عقلية كلها ، أو بعض نقلي والاخر عقلي حتى ان هذه الاستدلالات غلبت كافة تلك المباحث ، فصارت لا تعرف الا بها ، ولذا سميت هذه المباحث باسم علم النظر والاستدلال .

- لكن ما هو الباعث على تلك التسمية ؟

والجواب :

انه لما كان من غير المقدور التوصل إلى تلك المباحث العقلية في اثبات الذات الالهية ، واحكامها ، وما يتعلق بها ، الابالنظر والاستدلال ، فقد كان الباعث على التسمية هو ذلك الغرض ، ولذا رأينا البعض توسع في المسألة ، والبعض أوجز حسب الظروف التي سادت روح العصر الذي وجد فيه ، وروح الود أو العداء التي سادت ، ونوع السلطة التي قامت .

---

(٤٦) راجع مطالع الانظار ، وكذلك طوالع الأنوار ، والمواقف ، والمقاصد. فستجد ذلك جليا .

(٤٧) وقد عاب مدعو السلفية في العصر الحديث هذه البدايات بل وعدوها فلسفة غير مقبولة . راجع منهج الاشاعرة في العقيدة ص ٣٨ سفر بن عبدالرحمن الحوالي .

التسمية الثامنة : علم المعرفة بالله والنبوات والسمعيات

وهذه التسمية قائمة على الموضوعات التى يتناولها هذا العلم ، وهو من باب تسمية الشيء باجزائه ، اذ المعروف أن مباحث علم العقيدة الاسلامية هى :

[١] الالهيات .

[٢] النبوات

[٣] السمعيات .

ثم أن العلة والباعث على التسمية منطو فى صلب التعريف نفسه ، ولذا سأرجى الحديث عن التفصيل لوقت آخر . مع الاحاطه بان هذه التسميات ليست قرانية ولا من السنه النبوية ، انما هى اجتهادات فكرية فى ناحية اسلامية قد عرضتها حسب تيسير الله تعالى . فهو الموفق والمعين .

# المبحث الثالث

## تعريفه وموضوعه

## ا– تعريفه

علمنا ان التوحيد فى اللغة هو الحكم بأن الشئ واحد ، والعلم بأنه واحد ، كما علمنا انه فى الاصطلاح لدى اصحاب الحقيقة تجريد الذات الآلهية عن كل ما يتصور فى الافهام ، ويتخيل فى الاوهام والاذهان ، كما بان لنا أن التوحيد يقوم على :

[١] معرفة الله تعالى بالربوبية

[٢] الاقرار بالوحدانية .

[٣] نفى الانداد عنه جملة(١).

من ثم فقد حان ذكر تعريفات علم الكلام ، وتوجيه كل منها ، اذ أن بعضها راجع للموضوع ، وأخر راجع للغاية ، وثالث لشيء آخر ، سواء للحد التام أو الحد الناقص ، وسوف نذكر منها ما يمكن قطفه من ازاهير بستان العلوم والمعارف .

والملاحظ أن القوم شغلوا أنفسهم بتعريفات علم الكلام حتى أن بعضهم أطال بحيث يشمل كل الأنواع التى فى اطاره ، وتعرف بأنها تعاريف على ناحية الموضوع ، وبعضها اقتصد فى العبارة واوفى بالغرض لكن على ناحية المعلوم ، أو العلم ذاته ، أو على ناحية الغاية المترتبة عليه ، لذا فانى سأجعل هذه التعاريف مجموعتين :

### الأولى : التعريف بالموضوع :

---

(١) التعريفات باب التاء ص ٦١ ، ٦٢ .

أعنى بالموضوع الجزئيات التى يتناولها ، والقضايا التى يعنى بها ويدرسها ومن ثم فقد عرفه الأئمة الاعلام بتعريفات نذكر منها :

١- الأمام الغزالى :

عرفه بأنه علم ينظر فى ذات الله وصفاته وأحوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، والائمة بعدهم ، والموت والحياة ، والقيامة والبعث والحساب ورؤية الله تعالى[٢] ، وهو تعريف تناول جزئيات كثيرة شامله للمباحث الأصلية فى العلم نفسه .

٢- الشيخ المرعشى :

عرفه بانه " علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى ، وصفاته ، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الاسلام[٣] وبمثل هذا التعريف قال الكثيرون من علماء الكلام فى الاسلام .

٣- الامام محمد عبده :

عرفه بقوله التوحيد علم يبحث فيه عن وجود الله تعالى ، وما يجب أن يثبت له من صفات ، وما يجوز أن يوصف به ، وما يجب أن ينفى عنه ، وعن الرسل لاثبات رسالتهم ، وما يجب أن يكونوا عليه ، وما يجوز أن ينسب اليهم ، وما يمتنع أن يلحق بهم[٤].

وهذا التعريف أكثر تفصيلا من سابقه ، وأعم ، بل هو أصلح فى الاستخدام ، وبخاصة لاولئك الذين يحتاجون التفصيل الكثير ولا تكفيهم العبارات الموجزة ، بجانب أنه أضمر الحديث عن أمور الأخرة ، وهى جزء من

---

٢) الامام الغزالى - الرسالة اللدنية ص ٧ .

٣) العلامة المرعشى - نشر الطوالع ص ٥ .

٤) الامام محمد عبده - رسالة التوحيد ص ٤ ط المنار ١٣٨٦هـ .

السمعيات ، لذا وددت لو أضيف للتعريف الأخير وعن اليوم الآخر وما فيه ، وما يتعلق به على وجه لا يمكن للعقل التعرف عليه وحده ، من حيث الحقيقة ، وان أمكنه تصور بعض ملامحه على سبيل التوقع والظن ، والمعروف أن التوقع ، والظن لا يوصلان الى يقين ، ومن ثم بانت الحاجة إلى علم التوحيد .

٣- الشيخ حسين الجسر

- عرفه بقوله : علم يبحث فيه عن اثبات العقائد الدينية ، بالادلة اليقينية[٥] ، وهو تعريف ذكر امرين لا ثالث لهما :

الأول : أمر اثبات العقيدة الدينية .

الثاني : الأدلة التى تقوم عليها ونوعها ، من كونها أدلة ظنية أو قطعية .

٤- الشيخ محمود أبو دقيقه

عرفه بقوله : علم يبحث فيه عن المعلوم ، من حيث اثبات العقائد الدينية أو وسائلها[٦]، ولا شك أن مسألة الوسائل تحتاج نوعا من التحديد الضرورى .

٥- الدكتور على جبر :

عرفه بقوله التوحيد هو العلم الذى يبحث فيه عن وجود الله ، وما يجب أن يثبت له من صفات ، وما يجوز أن يوصف به ، وما يجب أن ينفى عنه ، وعن الرسل باثبات رسالتهم ، وما يجب أن يكونوا عليه ، وما يجوز ان ينسب اليهم ، وما يمتنع أن يلحق بهم ، وعن بيان الحياة الاخرة[٧].

---

(٥) الشيخ حسين محمد الجسر - الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الاسلامية ص ٧ - ط الحلبى الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

(٦) الشيخ محمود أبو دقيقه - القول السديد فى علم التوحيد ص ١٠ تحقيق الدكتور عوض الله حجازى ط مجمع البحوث الاسلامية جـ١ ١٩٩١ م

(٧) د/ على جبر - محاضرات فى علم الكلام ص٩ .

وهو نفس تعريف الامام محمد عبده مع زيارة القيد الذى رجونا ذكره هناك، وأعنى به بيان الحياة الاخرى ، ولذا فانه تعريف واف على هذه الناحية ، وان لم يكن عاما على الناحية الثانية ، ويبدو أن الشيخ رحمه الله اراد الجمع بين الطريقتين ، وذكر التعريف الخاص بالموضوع ، وهو الذى سلف ذكره .

ثم ذكر التعريف الثانى وقد عزاه إلى بعض الناس الذين عرفوه بانه " البحث عن المعلوم من حيث اثبات العقائد الدينية المنسوبة إلى دين سيد المرسلين محمد ﷺ ، وذلك انما هو بابراز الحجج الدالة على صدقها ، ونفى الشبه الواردة عليها[٨].

والملاحظ ان هذه التعريفات التى سلف ذكرها تجرى فى أغلب الدراسات الكلامية متى تعرضت لهذا الموضوع – التعريف –على ناحية الموضوع ، وليست العبرة بالعدد ، والاعددنا كل من ذكر تعريفا فى جملة المبتكرين ، وليس الأمر كذلك . لانهم جميعا اخذوا هذا التعريف ولم يضيفوا اليه الكثير مما فيه الجديد أو الجدة والابتكار ، وانما هو تقليد من ثم فما تم ذكره أغنى عن مثله واحسب أن كلا منهم آجره الله بعلمه ونيته .

نية : التعريف بالغاية :

يقصد بالغاية هنا الغرض الذى عليه قام التعريف ، والنتائج المترتبة عليه ، وقد توسع العلماء فى ذكره حتى ان الدارس قلما يجد كتابا من كتب علم التوحيد لم يعر هذا الموضوع التفاتا ، أو استشعارا فضلا عن ان يكون غرضا وغاية . ولذا سننقل منها ونعقب عليها .

١– صاحب الطوالع

---

(٨) المصد نفسه ص ٤.

ذكر ان علم الكلام هو علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية ، بايراد الحجج عليها ، ودفع الشبه عنها ، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل[9].

ولا شك ان عبارته جلية في كونه غاية اذ من عرفه واطلع على اساليبه أمكنه القيام بالعديد من المهام العقلية على الناحية الايمانية ومنها .

[أ] الاقتدار على اثبات العقيدة الدينية .

[ب] أقامة الحجج على صحة هذه العقيدة .

[جـ] دفع شبه الخصوم عنها ، وبيان أنها مجرد شبهات وظنون .

[د] تهيئة الرأى العام لتقبل العقيدة الصحيحة وطرح ما عداها[10] وبخاصه اذا كان حديث عهد بالاسلام .

● ولا شك ان تلك الغاية مهمة جدا لكن من الذى يتمكن منها ، هل الفقيه ، أم النحوى ، أوهو الأصولى والبليغ ، أم صاحب السير ورجل التفسير ، أم عالم الحديث وطريق الاثر ،

الجواب :

ان هؤلاء لايتمكنون الا اذا تعلموا قواعد علم الكلام واجادوها ، وتعرفوا على موارد الادلة وكيفية قياسها ، واعادة عرضها وحسن صياغتها ، ثم معرفة شبهات الخصوم ونزعات الزائغين ، حتى يمكن الرد عليها ، ولن يكون ذلك ممكنا الا لمن عرف علم الكلام وقواعده ، واقتدر بها على ما سلف ذكره .

---

(٩) نشر الطالع ص ٤ .

(١٠) تهيئة الشعور العام ، وتهيئة الرأى مما يقوم به الكاتب والواعظ والمفكر ، ورجل الدين ، والصحف ، وكل فى مجال عمله .

٢- صاحب المواقف :

عرفه بقوله ( الكلام علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية ، بابراز الحجج ، ودفع الشبه ، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل ، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد ﷺ ، فان الخصم ، وان خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام[١١] .

ولا شك ان عَجُزَ العبارة الآخيرة – فان الخصم وان خطأُناه لا نخرجه من علماء الكلام " دليل على أموركم حاول خصوم الاشاعرة الصاقها بهم ، بل ورميهم بها ، واتهامهم بالتكفير لغيرهم ، ومحاربتهم أخوانهم ، نذكر منها :

[١] التسامح : فليس الاشاعرة ممن لا يتسامحون ، وهل هناك تسامح أكثر من ان يخطأ الخصم فلا يحكم عليه بمجرد الخروج من زمرة علماء الكلام ، مع أن الكثيرين ليسوا متكلمين ، فاخراجه من علماء الكلام ليس قادحا فيه ، من كونه مسلما عالما بشيء غير علم الكلام ، فما بال من يخرجون الاشاعرة من ملة الاسلام لمجرد الخلاف فى الرأى .

[٢] احترام الآخرين ولو كانوا خصوما . طالما كانت الخصومة فكرية ، أما لماذا ؟ فلان صاحب الرأى له ان يلَزم لا ان يُلزم غيره . فمن خالفهم الفكر حتى وان أخطأ فهو فى نظر نفسه موضع الصواب ، ومن يدرى فلعل كل واحد فى نظر خصمه قد غرق فى الخطأ ، وفى نظر نفسه قد بلغ قمة الصواب .

---

١) الامام عضد الله والدين القاضى عبدالرحمن بن أحمد الايجى - المواقف فى علم الكلام ص ٧ مكتبة المتنبى بدون شرح .

[٣] امكانية الخطأ وتبادله بين أحد الاطراف ، لكن المهم من يعترف بانه أخطأ ، ويحاول بلوغ الصواب فيصلح ما أخطأ فيه ، بل ويعمل على تصويبه ، وذلك موقع العدل من النفس ومن الآخرين فليست العصمة الا لله ولرسوله ، ومن اصطفاه من خلقه . اما غير هؤلاء فمأخوذ منه ، ومردود عليه .

[٤] اغلاق ملفات الاتهام . فقد كان خصوم الاشاعرة يصورونهم بالعجلة فى القول ، والتسرع فى اصدار الاحكام ، حتى رسموا للآخرين ان الاشاعرة سارعوا إلى تكفير الناس وتفسيقهم والتبديع بل قال أحدهم ، الاشاعرة هم الذين كفروا وما يزالون يكفرون أتباع السلف ، بل كفروا كل من قال أن الله تعالى موصوف بالعلو ، وحسبك تكفيرهم واضهادهم لشيخ الاسلام ابن تيمية ، وهو ما لم يفعله أهل السنة بعالم أشعرى ابدا(١٢)

وما اظن الخصم قد وفق فى هذا الزعم اذ أن نصوص الاشاعرة دليل عليهم . فالشيخ الايجى ، وهو من متأخرى الاشاعرة ، يقرر فى صدر صفحات كتابه المواقف ان الخصم وان أخطأ لا نخرجه من علماء الكلام ، فهل يصح القول عليهم بأنهم أخرجوه من ملة الاسلام ، أو حكموا عليه بالكفر ، اين النصوص التى حكم الخصم بها . اللهم لا حول ولا قوة الا بالله .

٣- الشيخ السعد التفتازانى :

ذكر أن علم الكلام هو " العلم بالعقائد الدينية عن الادلة اليقينية(١٣) " وهوتعريف موجز مركز . وقد تأثر به الكثيرون من شراح الاشاعرة ومحققيهم

(١٢) الشيخ – سفر بن عبدالرحمن الحوالى – منهج الاشاعرة فى العقيدة ص [illegible] ط ١ ١٩٨٦م الدار السلفية الكويت .
(١٣) المقاصد جـ١ ص ٥ .

حتى أن الباجورى رحمه الله تمسك به على ما سيأتى ذكره . وان كنت ارى ضرورة توسعة التعريف على ان يكون سهلا لكل دارس ، ميسرا ذلولا لكل طالب .

الشيخ الباجورى[١٤] :

عرفه بقوله علم يقتدر به على اثبات العقائد الدينية ، مكتسبة من ادلتها اليقينية[١٥] وبعض التعاريف تذكر انه علم يقتدر به . وبعضها يذكر أنه علم يقتدر معه ، ولا شك أن به تعبير يفيد أنه وسيلة للغلبة والاقتدار على الخصوم ، اما التعبير بقولهم معه فدليل على ضرورة استصحاب قواعده فى كل المراحل التى يحاول المرء بلوغهاوالوصول اليها ، والا فما الفائدة من علم لا يقتدر معه على شىء ، ولا يتوصل به لشىء ، ولذا فان هذا التعريف ربما تمسك به أصحاب الفن أنفسهم قد يما وحديثا على هذه الناحية بل صار عمدة لبعضهم يتناقلونه بينهم .

المجموعة الثالثة : تعريف بالاثر :

وقد تبنى هذا الجانب الاحناف والماتريديه ، وابرز من تحدث عن هذا الجانب كتاب المسامرة فى شرح المسايره[١٦] حيث ذكر ان علم الكلام هو "

---

(١٤) هو شيخ الاسلام ابراهيم محمد بن عطية الجيزاوى الباجورى ، ولى الازهر وهو من باجور - منوفيه وهو غير شيخ الاسلام البيجورى اذ بينهما ما يربو على قرون ثلاثة .

(١٥) حاشية الباجورى المسماة تحفة الريد على جوهرة التوحيد ص ٨ وبهامشها تقريرات الشيخ أحمد الاجهورى ط أولى ١٣١٠ هـ .

(١٦) ذكر صاحبه ان الامام الغزالى كتب الرسالة القدسيه لأهل القدس يشرح لهم فيها العقيدة الاسلامية ، وان صاحب المسايرةساير الامام الغزالى فى قراءة الرسالة القدسيه ثم سايرها فى التأليف من حيث المنهج . لذا سماها المسايرة فى العقائد المنجية فى الآخرة ، والمسايرة صاحبه الشيخ زين الدين قاسم الحنفى ، ثم جاء العلامة الكمال بن الهمام فألف كتابه المسايرة أيضا ، ثم جاء الشيخ الكمال بن ابى شريف تالف المسامرة على المسايرة لكل منهما راجع ص ٧، ٨ من كتاب المسامرة بشرح المسايرة .

معرفة النفس ما عليها من العقائد المنسوبة الى دين الاسلام عن الادلة علما وظنا فى البعض منها[١٧] وركز على مفهوم الدين بانه وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود الى الخير بالذات[١٨] .

قال صاحب الاصول المنيفة للامام أبى حنيفة : أعلم أن الفقه فى الدين ، أفضل من الفقه فى الاحكام ، والفقه معرفة النفس مالها وما عليها أصل التوحيد ، وما يصح الاعتقاد عليه . وما يتعلق منها بالاعتقاديات ، هو الفقه الاكبر[١٩] .

وقال صاحب اشارات المرام : علم الكلام هو معرفةالنفس عن الادلة ، ما يصح لها ، وما يجب عليها من العقائد الدينية ، والمتبادر منها المعتقدات المنسوبة الى دين محمد ﷺ توقفت على شرعه أولا[٢٠] ، والملاحظ هو انفراد الماتريديه بالحديث عن الاثر الناشيء عن علم الكلام ، بجانب الحديث عن موضوعه وغايته ، ومن ثم أمكن القول بانهم عنوا بهذا الجانب عناية ربما لم تتيسر لغيرهم من مشاركيهم وصف أهل السنة والجماعة .

وربما مال اليهم العلامة ابن خلدون الذى قرر أن علم التوحيد علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانيه بالادلة العقلية ، والرد على المبتدعة فى الاعتقاد من مذاهب السلف ، وأهل السنة .وهو فى هذا الجانب أقرب ما يكون للتعريف بالغاية .

الا أنه يستطرد قائلا : المطلوب فى التكاليف كلها حصول ملكة راسخة فى النفس يحصل عنها علم اضطرارى هو التوحيد ، وهو العقيدة الايمانية ،وهو

---

(١٧) المسايرة ص ١٠ .

(١٨) المسامرة بشرح المسايرة ص١٠ .

(١٩) الاصول المنيفة للامام ابى حنيفة ص ٢٧ / ٣٠ بأصل كتاب اشارات من عبارات الامام .

(٢٠) العلامة البياضى - اشارات الرام من عبارات الامام ص ٣٠ .

الذى تحصل به السعادة[٢١] ويؤكد الحفيد الهروى وجود تفرقة واضحة بين ما ذهب اليه الاشاعرة ، وما انتهى اليه الأمر مع الماتريديه ، ورأى أن هذه التفرقة أساسها عند الاشاعرة قائم فى التعريف ذاته ، من عدم وجود قيد الاعتقادات الصحيحة او الاعتقادات الحقة ، الا ان يكون المراد عندهم " جميع الاعتقادات الحقة " ولو بحسب الزعم .

أما عن الماتريدية فالأمر يختلف فى تعريف علم الكلام ، أذ يرى الماتريديه أنه معرفة النفس ما هى عليه من العقيدة ولمن تنسب ، والادلة التى تؤدى الى هذه المعرفة سواء كانت معرفة يقينية برهانية أم كانت عن طريق الظن الغالب . لانه اذا تواردت الادلة أفاضت التواتر ، وان لم تقل به[٢٢].

---

(٢١) العلامة ابن خلدون – المقدمة ص ٣٨٢ – ط دار المعارف ١٩٧٩م .

(٢٢) العلامة أحمد بن يحى الهروى الحفيد – الدر النضيد ص ١٣٦ مطبعة الثقة .

## ب- موضوعه :

من المسلم به لدى الدارسين أن العلوم تتمايز بموضوعاتها ، أو أحوال أعراض موضوعاتها ، حتى قيل ان العلوم بموضوعاتها تتمايز ، ولما كان الأمر كذلك فان علم الكلام هو الآخر يدخل فى نطاق هذا الحكم ، أما لماذا ؟ فلما يلى :

أولا : أنه علم وهو من هذه الناحية لابد أن يتمايز ، ومن يزعم أن التوحيد ليس علما فلا التفات اليه[٢٣] لانه لا يعرف بدايات البحث العلمى من ناحية ، ولتواتر الاخبار بانفصال التوحيد ، وعلم الكلام - عن غيره من العلوم بمنهجه وموضوعه وغايته وثمرته[٢٤].

ثانيا :أنه فعلا تمايز من أحقاب بعيدة ، بالتدريس تارة ، والتأليف أخرى ، والهجوم عليه ، والدفاع عنه ، ومحاولة خلط قضاياه وموضوعاته بالمباحث الميتافيزيقيه ، أو المنطقيه ، أو الفقهية ، والأصوليه ، و نجاته ومؤلفاته من هذا الاختلاط ، أو تصفية مؤلفاته مما لا يتعلق به على طريق الاصالة ، وان تعلقت به على سبيل العَرَض[٢٥].

ثالثا : تواتر التأليف فيه منذ العمر الممتد بدءا من السلف الصالح ، والماتريدية ، واصحاب الاشعرى ، والمعتزلة ، ومن جاء بعدهم ، وسمى بعضهم مؤلفاته به كالامام الماتريدى الذى سمى كتابه التوحيد ، والامام أبى حنيفة الذى سماه الفقه الأكبر بل أن بعضهم ممن يزعمون نسبتهم للسلف الف

---

(٢٣) لأنه يخلط بين التوحيد كعقيدة ، والتوحيد كعلم ، والفرق بينهما كبير جدا .

(٢٤) راجع المواقف ص ٧ ، وما بعدها من الجزء الأول ، وكذلك المقاصد ، والمطالع ، والطوالع ، وغيرها مما هو مؤلف فى علم الكلام .

(٢٥) المؤلفات فيه شاهد على ما ندعيه ، وقد عرفها القاضى والدانى : فمنكرها لا يلتفت الى قوله .

فيه تحت مسمى : التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ، ناهيك عن الدراسات الطويلة التى كتبت باسم علم الكلام ، والاخرى التى دونت تحت اسم أصول الدين ، أو علم العقيدة الى أخر المؤلفات التى حملت اسماء علم الكلام على النحو الذى مر ذكر طرف منه[٢٦].

رابعا : أنه لو لم يكن علما متمايزا فماذا يكون اذن ، ولو لم يكن علما هل يمكن البحث فى مجهول أو عن مجهول أن العقول السليمة تنفر البحث عن المجهول ، وتستنكف الضرب فى الغيافى . اذن الزعم ، بانه ليس علما انما هو قول مردود .

خامسا : التسمية . لو لم يكن علم الكلام مستقلا وله وجود فعلى فى موضوعه . وغايته ، وثمرته ، وما يتعلق به فالى أى شيء تنصرف التسمية ، لابد أن تنصرف الى مسمى محدود له من الصفات ، والعوارض المشخصة ما يكفى ، لذا فان علم الكلام متمايز عن غيره من العلوم ، وله موضوعه الذى يميزه عن غيره .

سادسا : وقوع التمايز فى العلوم من اساسياتها التى تقف عليها أما لماذا ؟ فلأن موضوع كل علم هو مايبحث فيه عن عوارضه الذاتية كبدن الانسان لعلم الطب فإنه يبحث فيه عن أحواله من حيث الصحة والمرض .

وكالكلمات لعلم النحو ، فانه يبحث فيه عن أصولها من حيث الاعراب ، والبناء[٢٧] ، " وعلم الهندسة فانه يبحث فيه عن عوارضه الذاتية كالاطوال الاشكال والسطوح والاحجام ، وعلم الهندسية الوراثية ، فانه يبحث فيه

---

٢٦) راجع اسماء علم الكلام فيما سلف .

٢٧) التعريفات للجرجانى ص ٢١٢ .

عن ثبات الجينات وتطورها ، وامكانية تحسين السلالات ، واللعب بالخلية الحية[٢٨] ، الى غير ذلك مما هو مدون فى المؤلفات التى عنيت بتلك المسائل

- بيد ان علم الكلام استقل بموضوعه فى القديم ، حيث ظهرت بواكير المؤلفات فيه ، اذن فما هو موضوعه ؟ مادام قد انفصل كعلم عن غيره ؟

والجواب :

ان هناك اراء ثلاثة انحصر فيما بينها موضوع علم الكلام وهى :

الفريق الأول : للمتقدمين من المتكلمين

وقد ذهب هذا الفريق الى ان موضوع علم الكلام فى الاسلام هو ذات الله تعالى وصفاته ، اذ يبحث فيه عن صفاته تعالى ، وأفعاله[٢٩]. بعد اثبات ذاته عن طريق الادلة اليقينية العقليه والنقليه .

الفريق الثانى : لبعض المتأخرين :

وهوأن موضوع علم الكلام " الموجود من حيث أنه يوصل الى اثبات العقيدة الدينية[٣٠] فالاستدلال بالمخلوق على الخالق أحد الادلة القرآنية ، من قوله تعالى " قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السماوات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى"[٣١] والمعنى أن كان لديكم أى نوع من الشك فى الخالق الاعظم رب العالمين ، فمن الذى فطر السماوات والأرض ، حيث أنشأها من العدم ، ومن غير مشاركة أحد ، اليس الذى خلقها جميعا وما

---

(٢٨) [illegible]ع الهندسة الوراثية للجميع - تأليف ويليام بينز - ترجمة أحمد مستجير.

(٢٩) التعريفات ص ٢١٢ .

(٣٠) د/ سليمان سليمان خميس - محاضرات فى العقيدة ص ٢٧ .

(٣١) سورة ابراهيم الاية ١٠ .

بينها وانتم مما فى هذا البين جدير بان يكون هو الله الواحد الاحد المعبود بحق جل علاه . وحتما سيكون الجواب : انه الله رب العالمين .

الفريق الثالث : لبعض المتأخرين :

وهو ان موضوع علم الكلام "هو المعلوم من حيث ما يتعلق به اثبات العقائد الدينية تعلقا قريبا أو بعيدا[٣٢] ، وهذا أقرب ما يكون الى اعراض موضوع العلم وليس موضوع العلم ، على أنا نقول : أن راى المتأخرين قام اساسا على أعراض موضوع علم الكلام ، وليس الموضوع نفسه

- لكن ما الفرق بين الموضوع العلم ، واعراض الموضوع ؟

والجواب :

ان موضوع علم الكلام هو الذى يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته ، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الاسلام[٣٣] وهذا التعريف لا يدخل فيه الحديث عن الهيات الفلاسفة فانها على قانونهم وليست على قوانين علم الكلام .

كما ان اعراض موضوع علم الكلام هو الذى يبحث فيه عن صفات الله واحوال الممكنات ، وليس عن ذات الله كما هو الحال فى الموضوع على ما سبقت الاشارة اليه . واعراض موضوع العلم قد تستقل بذاتها ، وقد تأتى معها أحوالها ، وتسمى أحوال أعراض الموضوع .

اذن التعريف بالموضوع لا يخرج عن احوال ثلاثة :

---

(٣٢) التعريفات ص ٢١٢ .

(٣٣) نشر الطوالع ص ٥ .

الحالة الأولى : التعريف بموضوع العلم ذاته كتعريف علم الكلام بانه علم يبحث فى ذات الله تعالى وصفاته الى آخر التعريف الذى سلف ذكره .

الحالة الثانية : التعريف باعراض الموضوع ، كتعريف علم الكلام بانه يبحث فى صفات الله تعالى ...

الحالة الثالثة : التعريف باحوال اعراض الموضوع ، كتعريف علم الكلام بانه البحث عن الممكنات من حيث استنادها الى الله تعالى لاندراجها فى البحث عن الاعراض[٣٤] ، وهى نكته مستحسنة ، وفهم لطيف قد يعذر على غير اللبيب فهمه . فاللهم ارزقنا الفهم فى الدين واعنا على التبليغ ووفقنا لما تحب وترضى .

لكن مما يجب الالتفات اليه أن موضوع علم الكلام على اية ناحية من العلاقة التى مر ذكرها قد جذب اليه العديد من العلماء ، وصدرت به العديد من المؤلفات ، أشاعرة وما تريدية ودعاة سلف وغيرهم على ما هو مدون فى مؤلفاته

- وربما تسأل ماقيمة هذا الاختلاف ، سواء كان موضوع علم الكلام هوالموجود ، أم المعلوم ؟ أم غيرهما ؟

والجواب :

ان موضوع علم الكلام تتبعه مسائله التى تتفرع عنه ، فصاحب المواقف ومن معه مال الى ان موضوع علم الكلام هو المعلوم بحيث تصير مسائله متناولة للعقائد الدينية ، ولجميع ما تتوقف هى عليها ، من مبادئه القريبة أو البعيدة ،

(٣٤) نشر الطوالع ص ٦ .

كمسائل المنطق ، ومباحث الحال والوجود(٣٥) ووافق صاحب المقاصد صاحب المواقف واختاره جمع من العلماء .

لكن ذهب كثير من علماء الاسلام الى ان موضوع علم الكلام هو ذات الله تعالى وصفاته والممكنات من حيث الاستناد اليه تعالى " بأعتباره الخالق العظيم جل علاه ، واتاحة الفرصة للدليل العقلي القائم على امكانية الاستدلال بالخلق على الخالق ، من امثال قوله تعالى " أَمَّنْ خلق السماوات والأرض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون ۞ أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون ۞ امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض اءله مع الله تعالى الله عما يشركون ۞(٣٦).

وطريق هذا الاستدلال فيه ملحظ حسن . اذ انه يقوم على علاقة المؤثر باثره فما دام الاثر موجودا فلا بدله من موجد بداهة بل العقول السليمة تُقِرُّبهُ مباشرة ، اما عقول المرضى فلا وزن لها ولا اعتداد بها ، وكثيرا ما عرضت ايات القرآن الكريم هذا الدليل فى سياق الاستدلال على وجود الله تعالى ، سواء بطريق مباشر أو طريق غير مباشر(٣٧).

وسواء جاء الحديث عن خلق الكائنات ، من أرض وسماوات أم خلق ما فى هذه ، وتلك ، أو جاء على سبيل ذكر النعم التى تنسل الافراد ، وحفظ ذلك

---

(٣٥) الامام الحفيد الهروى – الدر النضيد من مجموعة الحفيد ص ١٣٦ العقد الخامس من المطلب الأول فى جواهر من علم العقيدة .

(٣٦) سورة النمل الايات ٦٠/٦٣ والايات وما بعدها تؤخذ فى الاستدلال بالاثر على المؤثر .

(٣٧) الدليل القرآنى أقوى الادلة علىوجود الله تعالى واجدرها قبولا لدى المسلم ، وهو دليل اقناعى اما غير المسلم فهوعنده الزامى والفرق واضح .

بما يقوم معه على اتم وجه وأكمله ، ويسمى دليل النظام ، كما يسمى الآخر دليل العناية ، وكلها من شواهد الاثر والاستدلال به على المؤثر الحكيم جل علاه

من ذلك قوله تعالى " نحن خلقناكم فلولا تصدقون ۞ أفرءيتم ما تمنون ۞ ءانتم تخلقونه أم نحن الخالقون ۞ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ۞ على ان نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لاتعلمون ۞ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ۞ أفرءيتم ما تحرثون ۞ ءانتم تزرعونه أم نحن الزارعون ۞ لونشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ۞ إنا لمغرمون ۞ بل نحن محرمون ۞ افرءيتم الماء الذى تشربون ۞ أءنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ۞ لونشاء جعلناه اجاجا فلو لا تشكرون ۞ افرءيتم النار التى تورون ۞ ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ۞ نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ۞ فسبح باسم ربك العظيم ۞ (٣٨).

نخلص مما سبق الى ان موضوع علم الكلام هو :

[١] ذات الله تعالى وصفاته .

[٢] الموجود من حيث استناده الى الله تعالى .

[٣] المعلوم من حيث انه يتعلق به اثبات العقيدة الدينية على وجه صحيح .

[٤] ذات الله وصفاته والرسل بما يجب لهم وما يجوز وما يستحيل ، واليوم الآخر وما فيه . وبمعنى آخر . الذات الالهية وصفاتها ، وكل ما يتعلق به جل علاه وجوبا فيما يجب له ، واستحالة فيما يستحيل عليه ، وجوازا فى كل ما يجوز له سبحانه وتعالى أو يجوز عليه جل علاه .

---

(٣٨) سورة الواقعة - الآية ٥٧ ـ ٧٤ .

فمما يجب له تعالى كل كمال الهى يليق بذاته تعالى المقدسة ، على ما هو مفصل فى المؤلفات التى عنيت بهذا الجانب من كتب علم الكلام والأخلاق ،والملل .

ومما يستحيل عليه جل علاه . كل نقص يخل بالكمال الالهى ، كالتعدد أو التركيب ، أو الحلول والاتحاد أو الابوة ،اوالبنوة أو العلة التى يستكمل بها فاعلها أمرا فى داخله أو خارجه .

ومما يجوز له سبحانه وتعالى : ان يحاسب الله الخلق على ما كسبت أيديهم وان لايحاسبهم ، وان يبعث الرسل أولا يبعثهم ، وان يجعل فى الناس عقلاء وبلهاء أو لا يجعل وان يجعل البركه تحل فى الشىء الصغير حتى يكون كبيرا أولا ، او ان يحقق للناس أدعيتهم فذلك كله مما يجوز له سبحانه وتعالى من غير منازعة لدى العقلاء ، ومن لهم تحقق بالدراسات العقديه فى الاسلام .

وبهذا نكون قد عرضنا موضوع علم الكلام . على النحو وفقنا الله اليه ، فإن أصبت الصواب، فذلك فضل من الله وان تكن الاخرى فارجو الله ان يهدينى للخير ، ويوفقنى لصالح العمل انه نعم المولى ونعم النصير .

# المبحث الرابع

## فائدته

سلف القول بأن النفوس القوية جبلت على القيام بالواجب الشرعى على النحو الذى يحقق فائدة شرعية ، تعبدية أو تعقلية[1] ، كما انها طبعت على البحث عن الأمور التى تعقب البحث فيها فائدة ، ويرجى من خلفه الخير ، فهى تأنف العبث ، كما تستنكف السير خلف المجهول ، حتى بات واضحا أن كل عمل لا تعقبه فائدة لا تقبل عليه النفوس الزكية الكريمة أبدا .

وعلم الكلام من العلوم التى ارهقت العقول ، ومازالت ، وأجهدت الأفئدة ، ويبدو أنه سيظل كذلك ، حتى أن المؤلفات فيه أو عنه ربما تجاوزت بمراحل ذلك الذى كتب فى غيره من العلوم[2] وما من ذلك الا للشعور العام بان هذا العلم له فائدة ، بل فوائد ، بعضها يرجع للناس فى دنياهم ، والآخر يعود معهم فى آخراهم .

فإذا قصرنا فائدة علم الكلام على مجرد اثبات العقيدة الدينية التى بلغ بها رسولنا محمد ﷺ ، وكان ذلك الاثبات قائما على الادلة التفصيلية بعد الاجمالية ، كانت تلك فائدة كبرى ، ومهمة عظمى ، واذا قصرنا الفائدة على مجرد دفع الشبه من غير تقرير العقيدة ، كان ذلك أمرا محمودا ، أو فائدة كبرى ، لان الدفاع عن العقيدة بعد تقريرها جانب من جوانب اثباتها[3] أما لماذا ؟

---

(١) الامر التعبدى هو الذى لا نعرف معناه ، وانما تعبدنا به الله تعالى كما أمر ، ككون الصلاة فى الصبح غير ما فى الظهر ، والصلاة السرية غير الجهرية ، وكون المرأة تحرم زواجها مع أختها ، وصيام رمضان إلى آخر ، هذه الأمور التى نؤديها طاعة لله من غير أن نلزم أنفسنا بالبحث عن اسرار فرضها ، لأنها اسرار علت على افهامنا .

(٢)صنع ذلك الامام الفخر - المطالب العالية ، والقاضى عبدالجبار - المغنى فى ابواب التوحيد والعدل ..

(٣) تقوم الجوانب على أ- تقرير العقيدة . ب- دفع الشبه عنها . جـ- تثبيتها فى النفوس ، التحصيل السعادة الدنيويه والآخرويه .

فلأن الخصم لو قدر له النيل منها ، ربما أخفقت عن بلوغ الصدور ، أو تدانت من عبدة القبور ، أو نأت عن ساكنى القصور ، وحينئذ لا تكون عامة ، من ثم فان الدفاع عنها يعطى الفرصة لابرازها ، كما يمكن من اعادة عرضها ، وابانة أوجه القصور فى مزاعم الخصوم ، وبهذا تثبت العقيدة ، وتزلزل الشبهات ، وتلك فائدة ليست قليلة(٤).

فإذا أضفنا إلى ما سبق الانتقال من دائرة التقليد عن غير الدليل إلى المعرفة اليقينية بالله رب العالمين فقد تجاوزت الفائدة حدود التقرير ودفع الشبهة إلى الانتقال من التقليد والانتشال من الحضيض ، وهو من الفوائد التى لا تتحقق الااذا بلغ صاحب العقيدة مبلغا كبيرا فى المعرفة اليقينية بالله رب العالمين(٥) وذلك لا يتأتى الا من الاشتغال بعلم الكلام على النحو الشرعى .

وقد جد العلماء والنابهون فى الحديث عن فوائد علم الكلام ، واقتنصوا من شواردها ، وقيدوا من هاربها وبينوا أنها كثيرة نقبس منها ما يلى :

## الفائدة الأولى :

معرفة الله تعالى بصفاته الواجب ثبوتها له تعالى مع تنزيهه عما يستحيل اتصافه به والتصديق برسله على وجه اليقين الذى تطمئن به النفس ، اعتمادا على الدليل ، لا استرسالا مع التقليد حسبما اشار اليه الكتاب العزيز ، فقد أمر بالنظر ، واستعمال العقل فيما بين ايدينا من

---

(٤) لان صاحب العقيدة الفاسدة .لا يمكنه الدفاع عنها ، كما يصعب عليه التمسك بها ، من ثم سيلجأ إلى غيرها .

(٥) فاذا تمكنت العقيدة الصحيحة من النفوس ارتفعت باصحابها حتى يسعدوا فى الدنيا والآخرة .

ظواهر الكون ، وما يمكن النفوذ اليه من دقائقه تحصيلا لليقين بما هدانا اليه ...

ونهانا عن التقليد بما حكى عن احوال الامم الماضية – فى الأخذ بما عليه اباؤهم ، وتبشيع ما كانوا عليه من ذلك واستتباعه لهدم معتقداتهم ، وامحاء وجودهم الملى ، وحَقَّ ما قال ، فان التقليد كما يكون فى الحق يأتى فى الباطل ، وكما يكون فى النافع ، يحصل فى الضار ، فهو مضلة يعذر فيها الحيوان ولا تجمل بالانسان[6] الذى رزقه الله العقل ، واعانه بالرسل .

اذن معرفة الله تعالى أولى الفوائد التى تتحقق من دراسة علم الكلام ، معرفة عن نظر سليم ، وفكر مستقيم ، واستعمال العقل فيما أمر الله تعالى استعماله فيه ، من نظر فى الكائنات ، وأقامة الدليل على استحالة وجودها من ذاتها ، وضرورة احتياجها إلى خالق عظيم ، رب كريم يخلقها ، ويحفظ عليها وجودها وصلاحيتها للعمل المدة التى قررها لها ، على الوجه الذى يريده جل علاه .

وهذه المعرفة بالله تعالى " وصفاته ورسله بالبراهين القطعية[7] لا يقوم بها غير هذا العلم ، بل هى ثمرة من ثمراته ، وفائدة من فوائده ، وعلم له هذه المنزلة ، ويؤدى تلك الفائدة حرى به أن يتمسك باصوله الصحيحة ، وان يكون فى دائرة الأعمال لا الاهمال .

كما ان معرفة الله تعالى بالبراهين القطعية[8] لا تدع الفرصة لمجادل ، ولا تمكن صاحب شبهة من بلوغ مأرب ، أما المعرفة التى تقوم على

(٦) رسالة التوحيد ص ٢٣ .

(٧) الحصون الحميديه ص ٧ .

(٨) تحفة المريد ص ٩ .

التقليد ، والظن فلا تعتبر قطعية والطعن عليها ميسور ، ولذا فان علم الكلام وحده هو الذى له ذلك ولا يستطيع علم آخر القيام به .

## الفائدة الثانية :

انها الأصول الأولى التى تبنى عليها فروع الدين ، والاسس التى يقوم عليها بنيانه ، والحصون التى لا بد منها لحماية عقيدة المسلم من أخطار الشك ، واعاصير التضليل والتزييف[9] ومن المعلوم أن الأصل اذا لم يكن موجودا فعلام تقوم الفروع اذن؟ ومن ثم بان لنا ان من فؤائد علم التوحيد كونه الاصل والاساس لغيره من العلوم الشرعية فى الملة الاسلامية :

## الفائدة الثالثة :

الترقى من حضيض التقليد إلى ذروة الايقان[10] قال تعالى " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات "[11] اذن التقليد فى الاصول لا ينجى صاحبه متى كان التقليد بغير برهان ، أو كان ببرهان مزعوم ، أو بدليل باطل فى ذاته ، فان التقليد يضر بصاحبه ، ولا يكون منجيا فى الدنيا ، ولا تتحقق له السعادة فى الآخرة بل أن المقلد يكون سريع الانتقال تبعا لمن قلده .

والتقليد مما اختلف فيه أهل الاصول واصحاب الكلام وغيرهما فى أفانين العلوم المختلفة ، لان التقليد هو اعتقاد المرء قولا من قولين فصاعدا .

- ثم أن المقلد فى الاعتقاد لا يخلو فى تقليده من أحد وجهين :

---

(٩) الاستاذ حسن ايوب – تبسيط العقائد الاسلامية ص ٢٠ .

(١٠) العلامة الايجى – المواقف ص ٨ ، ورؤس المسائل من الثانية إلى السادسة مقتبس منه .

(١١) سورة المجادلة الآية ١١ .

الوجه الأول : أن يكون ما اعتقده ببرهان صح عنده .

الوجه الثاني : ان يكون ما اعتقده بغير برهان صح عنده[١٢] وهو اعتقاد فاسد .

وكل وجه منهما لا يخلو من أمور لكننا نركز على الوجه الأول ، وهو ما كان اعتقاده عن تقليد ببرهان صح عنده ، اذن فقد وقع مع العلم تقليد . ولكن ليس أحدهما بمانع من الآخر .

- الوجه الأول :

ان يكون ما اعتقده ببرهان صح عنده لا يخلو من أحد أمرين :

[أ] ان يكون ما اعتقده ببرهان صحيح عنده حق في ذاته صحيح في ذاته .

[ب] أن يكون ما اعتقده بشي يظن أنه برهان ، ولكنه على سبيل الظن فقط ، وليس ببرهان على الحقيقة ، ولكنه شغب وتمويه موضوع وضعاً غير مستقيم .

والبرهان الصحيح الحق في ذاته الذى تتعلق به الديانه انما هو نص القرآن الكريم ، ونص السنة النبوية المطهرة ، اذ النتائج فيه مأخوذه من مقدمات صحيحة في ذاتها ، حق في ذاتها .

وقسم شيخ الاسلام ابن تيمية التقليد إلى قسمين :-

- القسم الأول : التقليد الباطل المذموم :

وهو قبول قول الغير بلا حجة معه ، وفيه اتباع الهوى ، والسير مع

---

(١٢) الامام ابن حزم - الاحكام في اصول الاحكام - المجلد الثاني حـ١ ص ٢٢٧ -ط دار الحديث بمصر ، وهذا الجزء قد استغرق الحديث عن التقليد ، وانواعه ، وموقف العلماء منه .

العادة أو اتباع النسب كاتباع الاباء تقليدا فى غير وجه صحيح ، أو تقليد السادة الاكابر والمتكبرين ، وهو بدعة ، وعدوان على العقل ، وصاحبه واقع فى الذم لا محالة .

● القسم الثانى : التقليد المباح :

وهوتقليد العلماء الذين استقرت البراهين عندهم ، وصحت فيهم وعرفوا بها ، ولم يعرف حق الا بهم ، فان تقليدهم يكون بمثابة اتباع الادلة الغالبة فى الادلة المتعارضة كما أن المقلد يغلب على ظنه اصابة العالِم الحقّ طالما كان ملتزما مجتهدا ، كما يغلب على ظنه صدق الخبر نفسه(١٣).

وعلى هذا ففائدة علم الكلام هى تقديم الادلة البرهانية من النقل المنزل بحيث تأخذ بيد الإنسان ، وعقله من درجات التقليد السفلى التى لو بقى صاحبها عليها ربما خرج عن دائرة الايمان ، فلما وصلته الادلة البرهانية انتقل إلى المعرفة والعلم ، ولم يعد مقلدا ، من ثم فانه ثبت على حاله ، لن يتزحزح عنها للخلف طالما بلغها عن يقين واقتناع ، وحينئذ يبلغ مرتبة العلم اليقينى الذى لا تصرفه عنها فيما بعد صوارف ، وبهذا يكون قد رقى درجات اليقين ، ولم يعد فى تقليد أبدا .

## الفائدة الرابعة :

ارشاد المسترشدين بايضاح المحجة ، والزام المعاندين باقامة الحجة(١٤).

فربما يأتى طالب بلوغ سبيل الرشاد فيما يتعلق بالاعتقاد الصحيح ، فيقوم بهذا الدور – علم الكلام – مستخدما ما يلى :-

---

(١٣) شيخ الاسلام ابن تيمية – مجموع الفتاوى – المجلد العشرون – أصول الفقه ص ١٥ ، ١٦ – ط دار الرحمة .

(١٤) المواقف جـ١ ص ٨ .

- الخطوة الأولى : الأخذ بيد طالب الرشد حتى يوقفه على ما يريده من مسائل الدين ، بعد تعريفه باصوله وفروعه ، ويتم هذا كله على سبيل عرض الاصول والفروع – مجرد عرض – فاذا وجد منه ميلا للحق سلك معه الخطوة التى تليها .

- الخطوة الثانية : اقامة البراهين التى لا تنازع على كل ما قدم له من معلومات تتعلق بالاصول الايمانية حتى تظهر له المحجة[١٥]، وهى الطريق المستقيم الذى قاده اليه وساقه نحوه وأخذ بيديه فى اتجاهه ، فاقامة البراهين هنا تجعل المقلد مفكرا ، والشاك موقنا ، والطريق المعتاص المعوج سالما نقيا ثم تعقبها خطوة آخرى .

- الخطوة الثالثة : دفع الشبه التى يثيرها المعارضون ، ببيان أوجه ضعفها والعيوب التى برزت فى مقدماتها والجدليات والخطابيات التى استغلها الخصم للايقاع بمن كان مقلدا ، ثم ها هو فى طريق المعرفة سالك فاذا بان لنا أن شبهات الخصم لا تنهض معه ، ولاتقوم له فقد الزمناهم التخلى عن ما يعتقدون ، فتأتى الخطوة التى بعدها .

- الخطوة الرابعة : الزام المعاندين اقامة البرهان على صدق ما يزعمون ، والدليل الصحيح على ما يدعون ، فان عجز المعاند عن اقامة البرهان فقد خاب مسعاه ، وكشف بنفسه عن مستواه ، وحينئذ نطالبه بالحجه[١٦]وهى الدليل بعد البرهان فمن عجز عن اقامة البرهان على ما يدعى فلا شك أنه متخل عن ما كان يعتقده حتى أنه ليكون مهيئا لما بعدها .

---

(١٥) المحجة : الطريق المستقيم وجمعها محاج ، المعجم الوجيز مادة ح ج ج ص ١٣٥ .

(١٦) الحجة هى الدليل والبرهان ، وجمعها حجج – المعجم الوجيز ص ١٣٥ .

- **اذن الفائدة الثالثة قائمة على جوانب عديدة تتلخص فى :**

[أ] تقرير العقيدة ارشادا للمسترشد .

[ب] ايضاح الطريق المستقيم .

[ج] الزام المعاند اقامة الدليل على صدق ما يدعيه .

وهذه الفائدة تقوم على التفكير " فى عجائب مصنوعات الله الباهرة ، وأثار قدرته الباطنة والظاهرة " ومابث فى الآيات من ملكوت الأرض والسماوات ، وهذا التفكير يزيد فى معرفتك بذات الله وصفاته واسمائه[١٧] ولا شك ان هذا الارشاد والتوجيه مع الاسترشاد واقامة الحجج ، وتوجيه اللوم للمعاند المعارض ، والزامه تقديم الدليل على ما يدعيه ، له فائده عظيمه وتلك الفائد من فوائد علم الكلام ، التى لو لم تكن الا هى لكفت .

**الفائدة الخامسة :**

حفظ قواعد الدين عن ان ترلزلها شبه المبطلين[١٨] .

ان للدين قواعد هى الاصول التى قام اليها ، والاسس التى يعتمد عليها ، وقد جاء بها النقل المنزل فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وما تركنا الرسول ﷺ الا بعد ان أتم الله الدين على المسلمين ، قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا[١٩].

---

(١٧) السيد الشريف عبدالله بن العلوى بن محمد الحداد الحسينى - رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين فى سلوك طريق الآخرة ص ١١ مطبعة الحلبى ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .

(١٨) المواقف ص ٨ .

(١٩) سورة المائدة الآية ٣ .

و ما ترك الرسول ﷺ أمته الا على المحجة البيضاء ، وهى الطريق السليم المستقيم الذى وضعت له كل الأصول ، ونهضت عنده الاسس جميعا ، فقال ﷺ " تركت فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى ابدا ، كتاب الله وسنتى[٢٠]. ، وقال ﷺ " القرآن حبل الله ، طرفه بيد الله وطرفه بيد الخلق ، فمن أخذ به نجا ، ومن تركه هلك[٢١] ، وقال ﷺ " الا انى اوتيت الكتاب ومثله معه[٢٢].

اذن قواعد الدين جعل الله حفظها فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واضحة ثابتة ، لكن قد يجىء المبطل فيتناول نصا منها فيحاول تأويله بما يخرجه عن حد الاستقامة ، أو يلقى به إلى دائرة الهلاك ، فمن ذا الذى يرده إلى صوابه ، أو يعيده إلى صمته حتى تستمر للنص قدسيته ، لابد من علم الكلام ليقوم بهذه المهمة ، فيكشف عن أن المتشكك مبتدع ، وانه يعتمد على مجرد شبه وظنون ،ومن ثم لا يقبل له قول ، ولا ينظر إلى ما يلقيه من شبه .

- يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب " أصل دين الاسلام ، وقاعدته أمران

- الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه ..

الثانى : الانذار عن الشرك فى عباده الله ، والتغليظ فى ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من نقله ، فلا يتم مقام التوحيد الا بهذا ، وهو دين الاسلام والرسل قد انذروا قومهم عن الشرك واخافوهم من الهلاك[٢٣]

---

(٢٠) أخرجه الشيخان .

(٢١) مسند ابن ماجه جـ٢ ص ٤٢٠ .

(٢٢) مسند الامام أحمد ص ٢٢١ .

(٢٣) الشيخ محمد بن عبدالوهاب – كتاب التوحيد ص ٣٣ ، ٣٤ نشر رئاسة .

ولما كان علم الكلام هو الذى يقوم بهذا الدور ، من حفظ لقواعد الدين وأصوله سمى به[٢٤] فقيل عليه علم اصول الدين . ولما كان يستخدم اللغة المعبرة فى زلزلة شبه الملاحدة ، وهدم ظنون المبطلين ، عرف بعلم العقيدة ، ومن ثم فان الذى يحفظ قواعد الدين هو علم الكلام ، ويكون ذلك من فوائده التى لا تحصل من علم غيره ، وربما يراودك سؤال مؤاده .

ان قواعد الدين محفوظة فى النقل المنزل ، والله تعالى قال فى قرآنه الكريم " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون[٢٥] "

- فهل يحفظ قواعد الدين غير النقل المنزل ؟ أم أن النقل المنزل يحفظ شيئا ، وعلم الكلام يحفظ شيئا آخر من قواعد الدين ؟

- والجواب :

ان النقل المنزل يحفظ النص الدينى من داخله إنه يحفظه ويصونه ، ويثبت صلاحيته ، واستمرارها ، كما يثبت أنه من عند الله منزل بجانب الاهداف والغايات التى يقوم عليها ، من كونه قرآنا يتلى ويتبع ، وسنة تهدى وتبين ، وترشد ، وتوضح عبادة الله ، واحكامه إلى خلقه على النحو الذى يرضيه .

أما علم الكلام فيقوم بدور الحفظ للنص المنزل من خارجه ، ، انه أقرب ما يكون شبها بالمؤسسات العسكرية والثكنات الحربية ، فهى تحشد بداخلها وسائل عديدة ، لاستعراض القوة ، واثبات الكفاءة ، والتذكير بقدراتها على الغلبة ، واستعدادها الدائم ، بل وقيامها المستمر بهذا الدور ، وهو القوة الذاتية الموجودة بداخل القوات نفسها وهى محفوظة من داخلها بمالها من امكانيات وخصائص .

---

(٢٤) راجع اسماء علم الكلام والتى منها : علم اصول الدين .

(٢٥) سورة الحجر الآية ٩ .

وفى الخارج أسوار عالية ، تمنع التعرف على الاسرار الداخلية ، ويقف على الاسوار العالية جنود مدربون فى ابراج المراقبة ، مهمتهم الأولى : المحافظة على ما بداخل تلك الثكنات من اسرار ، ومعلومات ، ووسائل ، وادوات ، وتقنية وامكانيات ، فان العدو اذا تمكن من الاطلاع عليها ، وعرف أماكن تواجدها وحجم قوتها الذاتية ، ساورته نفسه التسور عليها ، والضرب من خلف حماتها ، حتى يدمرها عن أخرها .

اذن هناك فرق بين حفظ الدين فى نصوصه التى يقوم بها النقل المنزل من ذاته ، وبين حفظ قواعد الدين من المتربصين ، والفضوليين ، أو من أصحاب الأعين السوداء ، والنفوس المريضة ، والشبهات التى تعيش فى داخلهم أكثر مما تمر بهم المرور العابر، أو تهم هَمّ المسْرَاع إلى الملجأ خوفا من صوت السبع ، والفرق كبير جدا .

## الفائدة السادسة :

تبنى عليه العلوم الشرعية . فإنه أساسها ، واليه يؤول أخذها ،واقتباسها[٢٦]

سبق القول بان علم الكلام هو العلم الذى يعتبر الأصل للعلوم كلها[٢٧] ، وانه أصل العلوم الدينية وأفضلها لكونه متعلقا بذات الله وذوات رسله عليه الصلاة والسلام ، وشرف العلوم بشرف المعلوم[٢٨] ، لكن هنا يقف علم الكلام موقف العارض للأصول المنبه للفروع ، المقدر لكل منها دوره ، ونصوصه، واهدافه والغايات .

---

([٢٦]) المواقف ص ٨

(٢٧) الفائدة الثانية من هذا المبحث

(٢٨) الحصون الحميديه ص ٧ .

وكما ذكرنا أن المراد من لفظ العقائد في علم الكلام ، هو ما يعتقد في نفسه ، ويقصد به هذا الجانب وحده " ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل ، لما هو مقرر من أن الاحكام المأخوذة من المشرع قسمان :

- الأول :ما يقصد به نفس اعتقاده ، كقولنا : الله عالم قادر سميع ، وتسمى هذه الاحكام ، احكام اعتقادية ، كما تسمى أحكاما اصلية ، وكذلك تسمى عقائد ، وقد دوّن لها علم الكلام .

- الثاني : ما يقصد به العمل ، كقولنا : الوتر واجب[29] ، والزكاة فريضة ، وتسمى هذه الأحكام أحكاما عملية كما تسمى فرعية ، وكذلك يطلق عليها أنها أحكام ظاهرية وقد دوّن علم الفقه لها[30].

اذن الفائدة السادسة تقوم على مفهوم بناء العلوم الشرعية على العقيدة الاسلامية ، وهى مغايرة للفائدة الثانية التى تعتمد على مفهوم النقول الدينية باعتبارها الاصول التى تبنى عليها العقيدة الاسلامية ، ثم تأتى الفروع فتصح العبادة ، وتلك فائدة عظيمة لمن تأمل الفرق بين الفائدتين ، وتنبه لما بين المفهومين .

## الفائدة السابعة :

انه ينبنى عليه صحة الاعتقاد اذ بها يرجى قبول العمل[31] ومن المعلوم أن صحة العبادة تابعة لصحة العقيدة ، فاذا صلحت الأولى سلمت الثانية ، واذا لم تصح الأولى ضاعت الثانية ، والمسألة بينها قائم فيها الطرد

(٢٩) الوتر سنة عند الشافعية ، ودليلهم ما روى عن ابى هريره ﷺ قال أوصانى خليلى بثلاث لا ادعهن حتى اموت ، صلاة التراويح ، وصلاة الضحى ، ونوم على وتر ، أما غيرهم فمنهم من رآه فرضا ، ومنهم من يراه واجبا ، وكل حكم منها متعلق بالمسالة التى تصيبه - راجع الفقه على المذاهب الاربعة .

(٣٠) العلامة المرعشى - نشر الطوالع ص ٤ .

(٣١) المواقف ص ٧

والعكس ، فكلما صحت العقيدة ، صحت العبادة ، وكلما لم تصح العقيدة ، لم تصح العبادة .

وسأضرب مثالا توضيحيا عله يفيد طالب العلم ، تظهر فيه علاقة صحة العقيدة بصحة العبادة ، والعكس .

وسأجعله فى صورتين حتى يكون الأخذ والرد عليه وحده ، وسأتقيد بالنقل المنزل ما تمكنت إلى ذلك من سبيل .

● <u>الصورة الأولى</u> : سلامة العقيدة وسلامة العبادة .

لما فرض الله الجهاد على المسلمين ، تهيأ اصحاب العقيدة السليمة للجهاد " وكان الأكابر من المهاجرين ، والانصار يقولون أن ربنا قد فرض علينا الجهاد ، وندبنا اليه مرة بعد الآخرى ، من ثم فقد صار واجبا علينا حضنا الله عليه وبينه لنا رسول الله ﷺ ، فكانوا لا يقعدون عنه ابدا ، وهم على يقين من أن الجهاد ربما وقعت لهم فيه الشهادة فكانوا يفرحون بها ويهرعون اليه .

بل انه كان يشق عليهم القعود عنه ، بحيث لو امرهم الرسول بالقعود لشق عليهم ذلك ، الا ترى أن على بن ابى طالب لما امره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يبقى فى المدينة شق عليه ذلك ، ولم يرض ، إلى ان قال له الرسول صلى الله عليه وسلم " انت منى بمنزلة هارون من موسى[٣٢] " فرضى وقعد تنفيذا لامرالله ورسوله بقعوده ولولا الأمر الآلهى ما قعد ، فقد كانت الشهادة احب اليه من كل شيء .

---

(٣٢) الامام الفخر الرازى - مفاتيح الغيب جـ١٥ المجلد الثامن ص٢٣ ط دار الفد العربى

وقال الله تعالى فيهم وامثالهم " لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الأخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين[٣٣] " فكانت العقيدة السليمة هى الاصل الصحيح الذى قامت عليه صحة العبادة فانطلقوا للجهاد بأموالهم مستخدمينها فى شراء السلاح ، وتجهيز العتاد العسكرى ، وتربية الملكات ، والتدريب بوسائله العديدة ثم كانت أنفسهم أرخص عليهم من عقيدتهم ، وكانت أرواحهم محمولة على أكفهم ، فالسيف والرمح والسهم ، والقوس تخطف منهم وتحصد فيهم ، وما تراجعوا بل كانوا الأشد اقداما ، حتى أن بعضهم ترك عرسه ، وهب للجهاد ، ولم يعد الا شهيدا تغسله الملائكة وتزف له الحور العين ، وقال الله تعالى فيهم وأمثالهم "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما[٣٤].

ومظاهر سلامة العقيدة الاسلامية التى كان لها تأثير فى الاحكام الشرعية وردت فى القرآن الكريم كثيرا ، وفى السنة المطهرة ، ومن تتبع المسألة فسيجد ما يكفى لاصدار مؤلفات عديدة[٣٥] فى هذا الجانب ، ومع ذات الناحية التى سلفت الاشارة اليها .

- الصورة الثانية : عدم سلامة العقيدة مع عدم سلامة العبادة

واذا أنعكس العنوان صحت العبارة هكذا ، عدم سلامة العبادة لعدم سلامة العقيدة .

---

(٣٣) سورة التوبة الاية ٤٤ .

(٣٤) سورة الاحزاب الآيتان ٢٣ ، ٢٤

(٣٥) أود ان يقوم باحث جيد بقسم العقيدة ببحث هذه المسألة . تحت عنوان أثر العقيدة الاسلامية على الناحية السلوكية .

لما فرض الله الجهاد ، هب الضعفاء فى الجسم والمال ، والصحة اليه ، كما هب الأقوياء فى العقيدة من المسلمين لكنّ فريقا آخر تخاذل ، ونظر للمال والنفس نظرة الخائف ، فهو ان مات فقد ذهب ولا عودة إلى دياره فى الدنيا ، وان فقد ماله فقد اضاع ما أوقف عليه عمره ، والمال والنفس من أهم الأمور بالنسبة لأصحاب النفوس الضعيفة الذين يتمسكون بالمال مهما كانت مصادره محرمة ، والحياة مهما كانت رخيصة .

من ثم لجأوا إلى حيلة الاستئذان فى الانصراف عن الجهاد إلى غيره من أعمالهم الدنيوية ، ولو اذن لهم الرسول الكريم لوقعت مفاسد كثيرة ، منها اسقاط فريضة الجهاد عن القادر عليها ، ومن ثم فقد كانت رغبتهم فى الانصراف دليلا على ان عقيدتهم غير صحيحة ، ولما انصرفوا عنه تأكد أن عبادتهم أيضا غير مستقيمة ، حتى أنهم كانوا قاعدين عن القتال من عند انفسهم ، فَعُرِفوا بالقُعود حتى ولو لم يأذن لهم رسول الله ﷺ، ووصفوا بالمتخلفين عن الفرض ، كما عرفوا بانهم أصحاب الاعذار الكاذبة ، والنفاق القائم والضمائر الخربة .

قال تعالى " انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون[٣٦] " ولو سلمت فيهم العقيدة لصحت معهم العبادة ، وسلمت لهم الدنيا ، ووقعت السعادة فى الآخرة ، ولكن كل ذلك لم يكن ولن يكون [٣٧] .

---

(٣٦) سورة التوبة الآية رقم ٤٥ .

(٣٧) وفى سورة التوبه صور عديدة ، ومظاهر كثيرة لهذا النوع من اختلال العبادة لعدم سلامة العقيدة ، والموفق من حصلت له المعرفة بالله ،وفهم ما ترمى اليه الايات الكريمة .

ومن اراد المزيد فليطالع فى سورة التوبة على سبيل المثال الايات الكريمة التى ذكرت هذه الصور فسيجد المظهرين جميعا [٣٨] .

الفائدة الثامنة :

تحقيق السعادتين فى الدنيا والاخرة[٣٩]

اذ المعروف أن كل عبادة صحيحة تقوم على عقيدة سليمة ، ومن ثم تحصل له " الاعتقادات الحقة والادراكات المطابقة التى يجنيها بنو البشر ان شاء الله تعالى من دراستهم لعلم التوحيد[٤٠] فتحصل لهم معرفة تدفع المرء الذى يعرف ربه إلى خشيته ، بل ويخاف عقابه " فيدفعه ذلك إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهى ، والجد فى العمل والطاعات ، والبعد عن السيئات ، والمنهيات ، فيفوز بالسعادة فى الدنيا والآخرة[٤١].

أما كيف تحصيل السعادة الدنيوية فالجواب ، ان مراعاة قواعد علم التوحيد تسوق للمرء منفعة فى الدنيا ، وهى انتظام أمر المعاش على وجه لا يؤدى إلى الفساد[٤٢] اذ كل سوف يراعى علاقته بربه فينصلح للناس حالهم ، فلا يقع الخلاف ولا يشتجر ، ولا تقع المعاندة بل تتم المعارضة والمعاوضة ، وفى هذا صلاح لأمور الدنيا كلها .

واما فى الآخرة فتحصيل السعادة فيها بالنجاة من العذاب المرتب على الكفر ، وسوء الاعتقاد [٤٣] ومن صلحت له عقيدته صحت عبادته ،

---

(٣٨) من قوله تعالى " انفروا خفافا وثقالا إلى آخر السورة .

(٣٩) المواقف ص ٧ ، تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٩

(٤٠) د/ سامى عفيفى حجازى - مدخل لدراسة علم الكلام ص ٤٨ .

(٤١) د/ عوض الله حجازى - دراسات فى العقيدة الاسلامية ص ١١ .

(٤٢) التفتازانى - مقاصد الطالبين ص١١ .

(٤٣) المصدر السابق ص ١١ .

ومن سلمت دنياه ، وفق لآخراه ، ولا يغربن عن ذى بال أن هذه الفوائد حسب ما تيسر لى بتوفيق الله وفضله ، فمن وفق للمزيد فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولا يقطع أحد على اخوانه الطريق زاعما بلوغه الغاية فى علم من العلوم فالمعارف الانسانية يكمل بعضها الآخر ، وبزواج بينها العلم ، فمن ادعى غير ذلك فعليه تحمل وزرما ادعاه .

أما انا فمازلت اردد قول الحق العلام ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٤٤)

## دراسة آخرى عن فوائد علم الكلام

- بالبحث تبين أن فوائد علم الكلام باعتبار آخر يمكن تقسيمها إلى :

[١] فوائد راجعة لدارس علم الكلام .

[٢] فوائد راجعة لعلم الكلام نفسه .

وهناك بعض التفاصيل لكل من القسمين السابقين :

القسم الأول : الفوائد العائدة لدارس علم الكلام .

وهذا القسم ليس على ناحية واحدة وانما على جهات منها :

- الجهة الأولى :

بالنسبة للمتعلم الذى يقوم بدراسة هذا العلم فلا يخلو حاله من :

[أ] أن يكون مسترشدا ، وفى هذه الحال فان علم الكلام يقدم له الوسائل التى تعينه على استيضاح الطريق المستقيم حتى يسير فيه بنفس مطمئنة ، وعقل متفتح ، وقلب فيه السكينة والهدوء

---

(٤٤) سورة طه :الاية ١١٤ .

[ب] أن يكـون معـاندا ، وحينئـذ تلزمـه الحجـة باظهـــار البرهـــان الصحيح والدليل المستقيم على صحة ما يزعمه أو يدعيه .

[ج] ان يكون دارسا لـذات الدراسـة ، وفـى هـذه الحالـة فـان فـائدة علـم الكلام تخرجه من التقليد إلى اليقين ، ومن الشك إلى العلـم ومن الظن إلى سلامة النية وصحة الاعتقاد .

[د] أن يكـون مـن طـالبى العلـم فيـه ، فتقـع لـه القـدرة على تفهـم مسـائله ، وعـرض موضوعاتـه ومشـاكله حتـى يتمكـن مـن الوقوف فى وجه المنحرفين

- الجهة الثانية :

بالنسبة لمناهضى هذا العلم الذى يحاول ابطاله ، واثبات انه لا علـم ، ولا فائدة له ، ولا يخلو حاله من :

[أ] أن يكـون جـاهلا بقواعـد العلـم وفنونـه ، فيبصـر بهـا ، ونـدلـه عليها ، ونطالبه اعادة النظر فيما قرر من اراء ، وما اعتنـق مـن احكام ، وما وعاه عقله من مفردات ، واحكام مسبقة .

[ب] أن يكون مجادلا وهنا نوقفه عند جدله ، فنثبت له وجـود علـم الكلام ، كما نثبت له الفوائد المترتبة عليه .

القسم الثانى : الفوائد العائدة لعلم الكلام نفسه

[أ] حفظ قواعد العلم فى نفوس المسلمين .

[ب] اقامة فروعه على اسس سليمة .

وقد وضع شيخنا الاستاذ الدكتور عوض الله جاد[٤٥] دراسة مركزه عن فوائد علم الكلام يحسن بنا ان نذكرها لما فيها من جدة مع الوجاهة . حيث ابتدأها فضيلته بسؤال جعلها اجاب له . يقول فضيلته " هل لدراسة علم العقيدة فائدة تعود على دارسه ؟

- والجواب :

بالايجاب نعم ان لهذه الدراسة فوائد متعددة .

أولا : بالنسبة للمتعلم الذى يقوم بدراسة هذا العلم ، فإنه ينتقل فى عقيدته من حال خاصة هى تقليده لما يكون عليه اباؤه ، وأجداده إلى حال آخرى هى حال اليقين والايمان ، والتصديق التام عن دليل وحجة وبرهان[٤٦].

ثانيا : بالنسبة إلى العلم نفسه ، وهو علم العقيدة ، فهو حفظ هذا العلم ، وحفظ قواعده ، ومسائله فى نفوس المسلمين فلا تذهب بها الاهواء ، ولا تنسى بمضى الازمان والدهور ، ولا تضعف بسبب شبه الضالين والمغرضين .

ثالثا : بالنسبة إلى العامة من غير المتعلمين فانه يكون فى قدرة المتعلم المثقف ، انفاهم لمشاكل هذا العلم ان يرشد المسترشدين وان يهدى الضالين والمنحرفين ، ويقف أمام التيارات الالحادية ، يصدها ويدفعها عن الدين ، ويبطلها بالبراهين الساطعة والحجج القوية ويرد على المنكرين والمعاندين .

---

(٤٥) هو الاستاذ الدكتور / عوض الله حجازى رئيس جامعة الازهر الاسبق بارك الله فيه وأمد فى عمره .

(٤٦) دراسات فى العقيدة الاسلامية ص ١٠ .

رابعا : بالنسبة لفروع الدين فان العلوم الشرعية تبنى عليها ، فانه اذ لم يثبت اله عالم ، مرسل للرسل ، منزل للكتب لم يتصور علم تفسير وحديث ، ولغة وآخلاق .

خامسا : الفوز بسعادة الدارين ذلك ان الشخص الذى يعرف ربه معرفة حقيقية يخشاه ، ويخاف عقابه فيدفعه ذلك إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهى ، والجد والعمل فى الطاعات ، والبعد عن المنهيات ، فيفوز بالسعادة فى الدنيا والآخرة[٤٧] »

ما مر ذكره عبارة عن مجمل لفائدة علم الكلام ، ولعل الذين ينظرون له نظرة شك وارتياب أن يراجعوا مواقفهم ، كما يعاودوا النظر فى الاحكام التى اصدروها ، والقرارات التى اتخذوها ، حتى لا يقال عليهم من جهل شيئا عاداه ، ومن عادى شيئا انكره ، اللهم فقهنا فى الدين ، وعلمنا التأويل .

---

(٤٧) الاستاذ الدكتور / عوض الله جاد حجازى - دراسات فى العقيدة الاسلامية ص ١٠ ، ١١ - ط أولى ١٩٩٢م - دار الطباعة .

# المبحث الخامس

# حكم الاشتغال به

شغلت مسألة العمل بالعلوم العقلية مساحة كبيرة من أفكار الامة الاسلامية ، بعضهم تعلق بها إلى حد الامتاع والاقتناع بعد المتابعة والاستمتاع ، وبعضهم نظر اليها نظرة عدو يخاف منه . ويخشى على عقيدته من بأسه وسلطانه ، وشملت تلك النظرة العلوم العقلية على وجه الأجمال ، علم التوحيد ، وعلم المنطق ، وعلم الفلسفة الالهيه على وجه الخصوص .

اذ كان السلف الصالح رضوان الله عليهم من صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم حتى المائة الأولى يهتمون بالنقل المنزل ، فالقرآن الكريم يتلى عليهم ، ويتدارس فيما بينهم ، وتقوم أحكامه فى الناس مقام الآمر الناهى رب العالمين ، وفى ذات الوقت كانت السنة النبوية المطهرة تؤاخى القرآن الكريم ، تفهيما ، وتدريسا ، وعملا وتنفيذا ، بل أن السلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا صورة من ذلك الوحى الالهى ، ومظهرا من مظاهره ، ونعم ما كانوا .

لقد أخذوا العقيدة الاسلامية صافية نقية من مصادرها الأولى لا تشوبها شابة ، من ثم حافظوا عليها ، وبلغوها لمن بعدهم من غير تأويل مسرف ، أو تعطيل مخل ، "ولم يكن للناس من الفراغ ما يخلون فيه مع عقولهم ليبتلوها بالبحث فى مبانى عقائدهم ، وما كان من اختلاف قليل رد اليهما - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - وقضى الأمر فيه بحكمهما[1] .

على ان هذا الأمر قد تبدلت أحواله مع مطالع القرن الثانى الهجرى ، حيث ظهرت بواكير التأليف فى علم الكلام ، لكن تحت مسميات العقيدة

---

(١) الامام محمد عبده - رسالة التوحيد ص ٩٥ .

الاسلامية ، دون أن يذكر اسم علم الكلام ، ثم زادت آثار الفتوحات الاسلامية مرتجعا على المجتمعات الاسلامية ، وبخاصة أولئك الذين حملوا ثقافاتهم السابقة إلى البيئة الاسلامية ، وكانت لها بعض الآثار فى مجريات الأمور السياسية التى انعكست على الناحية الدينية .

تطورت الأمور وبات من المؤكد وجود ثقافات متباينة ، وأفكار متباعدة ، أبتعدت عن الفعل إلى القول وتركت العمل إلى الجدل ، حتى كثرت المفردات ، وتباعدت المفهومات ، وبات من اليسير وجود العديد من الخلافات التى لم تقف عند حد معين ، وانما أمتدت لتشمل كلا من :

[١] صورة المجتمع الاسلامى . بالبحث فى أحواله ، وكشف بعض عوراته ، بقصد النيل من الحكومة السائدة ، فاذا انقضت فقد نال غرضه من تفرق الأمة الاسلامية كلها ، ولذا حرص العلماء فيما بعد على اضافة مبحث الامامة إلى علم العقيدة ، ورغم أنها أمور سياسيه لكنى تبنى عليها مصالح الأمة فى انعقاد الامامة على شخص واحد يأخذ بالركب السائر إلى شاطئ الآمان .

[٢] العقيدة الاسلامية : فبدأت العقول المترفة ، تخرج ثقافاتها للناس على أنها ومضات عقلية بينما هى فى ذات الوقت تمس التناول الذاتى للعقيدة الاسلامية ، فى اركانها ، والأسس التى قامت عليها بغرض النيل منها ، أو اظهار عدم موائمتها للموقف القائم ، أو من باب استعراض القوة فظهرت أفكار غير صحيحة مما حدا بالعلماء اعادة النظر فى الاستماع اليهم ، وتناول شبهاتهم ، والرد عليها حتى تظهر الحقيقة وتموت الفتنة .

[٣] الشريعة الاسلامية : حيث ظهرت أفكار سيادية زعم اصحابها انهم عبدوا سنوات طوال ، وقد رفعت عنهم التكاليف الشرعية كلها أو بعضها مما دفع الكثيرين من أهل العلم إلى تدوين العلوم الشرعية ، وعرض شبهات هؤلاء وبيان كذبها ، والرد عليها . حيث ظهرت طائفة الفقهاء وكان لهم مجهود وافر ، ولا يقال أن ظهور الفقهاء راجع إلى وجود الخلافات فى تطبيق الأحكام الشرعية ، فلا علاقة له باصحاب اسقاط التكاليف الشرعية . أما لماذا ؟

فلأنا نقول : ان هناك فرقا بين التشريع الاسلامى ، والفقه الاسلامى ، حيث يقوم هذا الفرق على ان التشريع فى عهد الرسول ﷺ ، كان يعتمد على الوحى بقسميه الكتاب والسنة ، ولم يكن هناك مجال للنظر والأجتهاد .... أما الفقه ، وهو النظر والفهم ، فكان موضعا للاجتهاد والاختلاف بين العلماء والفقهاء ، ولذا ظهرت مدارس الفقه المختلفة بعد وفاة الرسول ﷺ وانبثقت عنها مذاهب الأئمة المجتهدين[٢].

اذن الخلاف حول تطبيق الاحكام العملية بعد انتقال الرسول ﷺ كان أحد الاسباب التى أدت إلى ظهور المذاهب والمدارس الفقهية التى ظلت آثارها قائمة حتى الآن ممثلة فى التراث الفقهى العظيم ، وعلماء الفقه الذين كانوا علامة مضيئة فى تاريخ الفكر الاسلامى فى جانبه المتعلق بالاحكام العملية والشرعية والأخلاقية على السواء .

من ثم ظهرت أفكار عديدة ، وبرزت مسائل جديدة ، ماكان لها من وجود قبل هذا ، وراح كل فريق ينتصر لرأيه ويحاول التأكيد عليه ، ويعمل على اضعاف الاراء الآخرى ، حتى بعدوا عن النقل المنزل فى

---

(٢) الدكتور محمد مصطفى أمبابى - الحركة الفقهيه الاسلامية ص ٦ - ط أولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤ م مطبعة السباعى .

مفهومه ، بل ومحاولة جذب بعض النصوص لتؤيد ما ذهب اليه كل منهم .

هنا ارتفعت الثقة ومثلها ارتفعت الاصوات ، وعلت الهتافات ، وراح كل منهما يصدر حكمه على الآخر ، فلم يجدوا غير الأحكام الاسلامية ، وبخاصة أحكام الايمان أو الكفر التى أطلقت من المسلم على المسلم الذى يؤاخيه العقيدة ، ويكاتفه العبادة ، ويعتمد عليه فى التبادلات المفروضة كالزكاة والكفارة ، وغيرها مما يتعلق بأحكام الاسلام .

فى مثل هذا الجو المشحون بالعواطف الثائرة يصعب ضبط المشاعر ، واختزال الشبهات ، وانما تزداد المسألة عنفا وضراوة حتى بدأت النار تشتعل فأكلت التقى والفاجر ، والصالح والطالح ، وبات من المؤكد وجود أصحاب نوايا غير طيبة يوقدون نار الفتنة بين أفراد المجتمع الاسلامى الواحد وقد ظهرت آثارهم فى العديد من المواقف حتى كانت بين الفقهاء خلافات ، وبين المتكلمين المنازعات ، وبين الصوفية الانزلاقات ، وفى هذا الجو بدأت عملية الخلاف تتسع وتأخذ طابعا دينيا هو الحكم على الافكار والمفكرين بالايمان أو الكفر .

## الاراء فى المسألة :

لم يكن علم الكلام بعيدا عن ميدان تلك الخلافات الشديدة ، والتيارات العنيفة ، بل ربما كان أحد المطروحات الأولى فى الخلاف ، وبخاصة بعد أن استخدم المتكلمون بعض المفردات التى تجرى على السنة

الفلاسفة الذين سبق اتهامهم بنفس الاتهامات ، وحكم عليهم بمثل تلك الأحكام من التفسيق والتبديع والتكفير[٣] .

والناظر فى مجمل الاراء حول علم الكلام من حيث الأحكام التى صدرت فى الاشتغال به يراها ترجع إلى اراء ثلاثة :

- الرأى الأول : أصحاب التحريم :

وهم يرون أن الاشتغال بعلم الكلام على أى نحو كان بدعة محرمة ، والمال الذى ينفق فيه أو يجلب منه حرام ، كما ان الوقت الذى يقضى مع المتكلم حرام ، بل وصل بهم الأمر إلى طلب استتابة المتكلم والاصار مهدر الدم ، مستحل القتل[٤] .

- الرأى الثانى :

وهم يرون الاشتغال بعلم الكلام واجبا شرعيا ، سواء فى تعلمه او تعليمه ، بل وصل بهم الرأى إلى طلب تعلمه كله على سبيل الوجوب العينى لا الكفائى ، حتى اندفع الكثيرون اليه يتعلمونه ، ويجادلون به ، ويناظرون فيه ، وربما لم تتوفر لبعضهم أسبابه على وجه صحيح[٥] .

- الرأى الثالث :أصحاب التفصيل فى المسألة .

وهم يرون أن الاشتغال بعلم الكلام الذى احتوى على كلام الفلاسفة ، وشبهات المتحذلقين من غير ردود عليهم ، لبيان الصواب من الخطأ فيه ، والحق من الباطل مما فيه ، يعتبر حراما لأنه لا يحمل الا الشبهة

---

(٣) يبدو أن الاتهامات فى الكلام سبقت الفلسفة ، اذ أن التفكير فى الكلام سبق التأليف فى الفلسفة التى لم تعرف الا فى عصر الترجمة ابان حكم المأمون .

(٤) ولهم شبهات متناثرة فى بطون الكتب .

(٥) ولهم أدلة بعضها نقلى والآخر عقلى .

وكان الاولى أن تنقل معه الشبهة والرد عليها أما وقد تَخَلِيَ من هذا فهو حرام لذلك[٦].

لكن اذا احتوى على ادلة وجود الله وكيفية اثبات العقيدة الدينية بالادلة العقلية والنقلية من غير تجاوز ، ورد الشبه ، وابطال مزاعم الخصوم حتى تظل العقيدة الاسلامية سالمة نقية فذلك أمر واجب ،ويكون تعلمه من هذا القبيل بغير منازعة .

وكذلك اذا القى لمتمكن من الشبه ، عارف بها ، قاصدا بذلك ابراز الحجة البيضاء ، ورد الفتنة والبغضاء مع امكانيات فيه ، واستخدام الأصول الصحيحة للجدل المباح شرعا فذلك أمر مستحب وقد يجب ، أما اذا كان غير متمكن من عقيدته ، أو كان ممن يغترون بالفلسفة ويهيمون بكلام الفلاسفة ، أو ضعيف العقل ، أو بليد الحس فهذا يصرف عن علم الكلام رحمة به وشفقه عليه[٧]

والملاحظ ان الاراء متشعبة والردود متكاثرة ، وكان بودى القيام بمزيد من الفحص للمسالة على كل جوانبها ، وهو الذى دعوت الله أن يوفقنى اليه ، وفى نفس الوقت بدت لى مفردات فيها القدح ، والقبح وقعت بين أهل القبلة الواحدة تمنيت تجاوزها ، وابعادها عن لغة التحاور ، ووسيلة التعاور ، وهو الذى سأحاول التنبيه عليه[٨] .

---

(٦) ربما كانوا الأكثر قبولا من غيرهم .

(٧) والف الامام الغزالى كتابا سماه " المضنون به على غير أهله ، وآخر اسماه الجام العوام عن علم الكلام ، وفى الثانى بيان الموقف باكمله .

(٨) من أمثال من تكلم فقد كفر و : قول الشاعر :

عاب الكلام اناس لاخلاق لهم ∴ وما عليهم اذا عابوه من ضرر
ماضر شمس الضحى فى الافق طالعة ∴ أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

## منهجى فى عرض الاراء

الحق أنى ترددت كثيرا فى طريقة العرض التى أقوم بها هنا اذ بدت لى مناهج كلها يعمل بها الناس فى مثل هذه المواقف الفكرية .

● الأول : منهج السرد

وهو يقوم على ذكر شبهات الخصوم وحدها حتى وان وصلت العدد الكبير ، ثم يتبعها بذكر الردود عليها ، مهما بلغت اذ لكل شبهة من دفع ، ولكل دعوى من منع . وبهذا يكبر حجم الكتاب وتزداد الصفحات ، ثم يعقب عليها ، وبالتالى تكون الشبهة الواحدة قد ذكرت ثلاث مرات ألاولى عند عرضها ، الثانية عند ردها ، الثالثة عند التعقيب والمناقشة ، وهذا تطويل وحشو ، بجانب أن الفكرة تكون قد بعدت ، والشبهة نأت ، فارجاع العقل اليها فيه نوع من بذل المجهود اذا لم تكن قد نسيت أو عن القارئ قد غربت .

● الثانى : منهج المتابعة .

وهو يقوم على عرض الشبهة ثم الرد عليها مباشرة ، وهو أمر قريب من الأفهام ، وفيه عنصر الموائمة القائم بين الحركة الفكرية والموضوع الذى هو صورة الفكر نفسه ، وهى طريقة قريبة المنال وتجعل الشبهة وردها فى ذهن القارىء تمثلان على نحو مقبول .

لذلك سيكون طريقى هو عرض الشبهة عند أصحاب التحريم ، والرد عليها من أهل الوجوب ، أما الفريق الثالث فقد جعلتهم منفصلين نظرا لوجود العديد من التفاصيل عندهم وربما أوجزت فيهم على أمل العودة مستقبلا للتفصيل عندهم .

## الشبهة الأولى :

### ورود النهى عن الاشتغال بعلم الكلام فى القرآن والسنة :

يتمسك أصحاب التحريم بأن النص الشرعى قد ورد فيه النهى عن العلوم العقلية على العموم ودراسة علم الكلام على الخصوص ، لأن دراسة علم الكلام تقوم على الجدل ، والمنازعة ، والتفكر فى الذات الالهية ، وكلها أمور منهى عنها شرعا ، وما كان النهى عنه شرعا ، فالعمل به بدعة ، والقائم به مرتكب لحرام شرعا .

[١] فمن القرآن الكريم قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا[٩] .

وقوله تعالى " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا[١٠] إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى ورد فيها التمسك بالقرآن الكريم فى الأمور كلها متى وقع التنازع أو اشتجر الخلاف ، وان يكون الرجوع إلى النقل المنزل فهو المعوَّل عليه وحده .

[٢] ومن السنة المطهرة : قوله ﷺ ذروا المرء لقلة خيره[١١] ، وأخرج من

---

(٩) سورة النساء الآية ٥٩ .

(١٠) سورة النساء الآية ٦٥ .

(١١) ولاحديث طويل ،أخرجه ابو داود وأبوأمامه وأنس بن مالك وغيرهم ممن ذكر الحيث إلى ان قال ذروا المراء لقلة خيره، وذروا المراء فان نفعه قليل ، ويهيج العداوه بين الاخوان " الحديث صون المنطق جـ١ ص ٧٠ ، ٧١ تحقيق / سعاد عبدالرازق .

حديث ابى هريره مرفوعا " انما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم[١٢] .

وقوله ﷺ : أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان مازحا ، وزعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا[١٣] والأحاديث فى هذا الشأن كثيرة .

وقد استدل بها القائلون بتحريم النظر فى علم الكلام ، بل وأنشأوا عليها أحكاما شرعية ، حتى انتهوا إلى أن الذى يتكلم بشىء من علم الكلام يكون كافرا أو فاسقا ، ويستحق الاستتابة كما يستحق العقاب بالحد الذى ينطبق عليه .

[٣] ومن الأحكام التى صدرت على المشتغلين بعلم الكلام ما روى من طريق أبى ثور قال : سمعت الشافعى يقول حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الأبل ويطاف بهم العشاء والقبائل ، وينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على البدعة .

وأخرج من طريق أخر عن الشافعى قوله : مذهبى فى أهل الكلام ، تقميع رؤسهم بالسياط وتشريدهم فى البلاد وقد دل نصه على ان مما يعلل به تحريم النظر فى علم الكلام ، كونه أسلوبا مخالفا لاسلوب القرآن الكريم والسنة أو لكونه سببا فى ترك الكتاب والسنة ونسيانهما[١٤] .

---

(١٢) الحديث له طرق كثيره ، ورواياته متعددة راجع صون المنطق ص ٦٨ / ٧١ .

(١٣) المستدرك على ما فى الصحيحين .

(١٤) صون المنطق والكلام ط١ ص ٦٥ وما بعدها

وقد كثرت الأحكام على دارسى علم الكلام والمشتغلين به من جانب المحرّمين، حتى ان البعض منهم ألف كتبا باكملها فى هذا الشأن أدلتها قد حذفت من أصولها لتؤدى نفس الغرض الذى أعتنقه أصحابها أولاً ثم استدلوا عليه ثانيا ولو عكسوا فربما سلموا .

## مناقشة الشبهة الأولى :

- أولا : أن القرآن الكريم وهو الأصل الشرعى الذى نتمسك به قد نبه إلى تعلم علم الكلام ، وندب لدراسته وتعلمه فى العديد من أياته القرآنية الكريمة ، من ذلك قوله تعالى " فَلَوْلاَ نَفَرَ مِّن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ[١٥] فالتفقه فى الدين أمر واجب ، مقرر فى الأفهام على الناحية الشرعية .

ومن التفقه فى الدين معرفة أحكامه ، وطرق الدفاع عنه ، بل أن من أهم واجبات التفقه فى الدين هو معرفة الله تعالى ، وطرق الاستدلال عليه وكيفية عرض هذه الاستدلالات ، والدفاع عنها ، وتقريرها على الوجه الذى يصل بالمرء لمعرفة ربه جل علاه معرفة صحيحة ، عن أدلة يقينية ، ولا يكون ذلك ممكنا الا لمن عرف علم الكلام على الناحية الشرعية ، وعرف كيف يعرض الدليل ، ويقرره ، ثم يكرره بصور عديدة حتى يثبت فى الآذهان ، ويستقر فى الأفهام .

ثم ان المسلم ليس فى حاجة إلى هذه الادلة العقلية لأنه أعتقد فعلا ، وباشر ما يترتب على اعتقاده من قيام بالواجبات الشرعية على النحو الذى

---

(١٥) سورة التوبة الآية ١٢٢ .

أمر به الله تعالى فى كتابه الكريم ، وعلى لسان رسوله الأمين فى السنة النبوية المطهرة وثبت عنده الأمر العقدى على ناحية شرعية فقد صار علما.

أما غير المسلم الذى يريد معرفة الاسلام ، فكيف نثبت له قضايا الالوهيه ، بل كيف نقررها له ثم نعرضها عليه ، ان كان بالنقل المنزل فيكون الأمر من باب اثبات المتكلم باثبات كلامه ، وبالاستدلال على الموصوف بوجود صفته وهو دليل ضعيف يمكن نقضه بسهولة .

أما الاستدلال العقلى القائم على البديهات والضرورة العقلية فلا يتمكن منه الا عالم الكلام ، ولذا فان التفقه فى الدين على ناحية تقرير الادلة ، وبيان العقيدة الدينية ودفع الشبهة عنها يكون فرضا عينيا بالنسبة له واجبا كفائيا على ما صرح به الذين يعتد بهم فى هذه الناحية .

قال العلامة ابن حجر الهيتمى فى شرح المشكاة : أنه آكد فروض الكفايات ، بل هو فرض عين اذا وقعت شبهة توقف حلها عليه ، فالمحاجة فيه ليس مما وراء قدر الحاجة المكروه كما ظن[16] .

ومن ثم فدعوى أن النقل المنزل نهى عنه غير مقبولة ، بل الوارد الأمر به لا النهى عنه ، مع الفرق بين علم الكلام الاسلامى الذى خلى من شبهات أهل الكفر ، والزيغ ، وبين الذى هو منها أو ارتضع البانها ، ونحن لا نقربه ولا نطالب المسلم تعلمه .

- ثانيا أن السنة النبوية المطهرة أمرت بمقاتلة أصحاب الأهواء ومحاربة أهل البدع ، باظهار شبههم ، وبيان ضلالهم ، وتحذير العامة والخاصة منهم ، والتنبيه إلى ان محاربة البدعة ، وكشف الضلالة نوع من المحافظة على الدين اذ متى انكشف الباطل ظهر الحق ، ومتى

---

(١٦) اشارات المرام من عبارات الامام ص [illegible] .

خفى الضلال برز الصواب ، وتلك مهمة قَلَّ أن يقدر على القيام بها الا القليل من العلماء ، وهم أهل علم الكلام الاسلامى القائم على اسس شرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، ويعرف به أهل الحق .

من ذلك ما روى من أنه ﷺ قال : لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة[١٧] والمقاتلة التى من أهل الحق لغيرهم ، انما هى مقاتلة حسية ، ومعنوية معا ، حيث تكون الحسية بالسيف والجواد وآلات الحرب المستخدمة كالصواريخ والطائرات وغيرها ، وسائر التكنولوجيا الحديثة وما يستجد من أدوات قتال تناسب العصر الذى يقع فيه القتال ، وهى فى هذه الحاله حسية بكل ما تعنيه كلمة الحسية من معنى ومدلول .

ثم هى معنوية يقوم بها أهل الحق من أمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ودفع بأهل الزيغ إلى بيان ضلالهم وتحقير شبهاتهم ، وازالة أوجه الشك والريبة فى نفوسهم وكشف كل غامض فى عباراتهم وأقوالهم ، وبيان اغلاطهم التى تقوم على الجدل والتلبيس ، وهى فى كل الحالات مقاتلة بالقلم ، والعقل واللسان ، وهى لذلك كانت مقاتلة معنوية ، وقد جاء بهما الحديث الشريف نفسه .

وقد حُمِلَ الحديث والمقاتلة فيه على العلماء الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، والمقاتلين مقاتلة معنوية كما فى شرح البخارى فيشمل الناهين عن الاهواء بالطريقة الأَوْلَى لأنها أنكر الاشياء أو يعمهم ، فيشمل المقاتلين مقاتلة حسية أيضا كما فى شرح مسلم للنووى[١٨].

---

(١٧) رواه الشيخان .

(١٨) اشارات المرام ص ٣٥ .

وعلى هذا يكون الحديث الشريف بعد القرآن الكريم قد نبه إلى ضرورة تعلم علم الكلام ، وضرورة دراسة مقاتلة لأهل الباطل ، دفاعا عن الحق ، وتقريرا للعقيدة الايمانية على وجه يسلم من شبهات الضالين أينما كانوا .

● ثالثا : الأحكام التى صدرت ذامة للكلام وأهله مثلها صدر عن نفس الأئمة ، أو من يماثلهم فى الاجتهاد العلمى ، والرتبة لكن فى جانب مدح الكلام ، ومدح القائلين به ، وفى نفس الوقت امكانية تأويل أقوال أهل الذم اذ نحن مع الاحكام بازاء موقفين .

* الأول : أن تحمل أحكام الذم على علم الكلام المختلط بالشبهات الفلسفية ، ويقوم به غير مسلمين غرضهم الطعن فى دين الاسلام والتشكيك فيه ، وتتبع ما تشابه ، والجدل فى المحكم منه وحينئذ لا تكون للكلام غاية الا الهدم ، والتشكيك ، وأقتباس الشبهات حتى تبلغ ثم تنطلق من عقالها بقصد زعزعة العقيدة الاسلامية والاطاحة بالفكر الاسلامى كله ،وهو غرض غير طيب ، وهدف غير نبيل ، ومثله يذم هو كما يذم صاحبه[19] وهو ذم للمدروس .

* الثانى : أن نحمل أحكام الذم على الدارس ، وليس على المدروس ، فمتى كان طالب علم الكلام ممن يتبعون أهواءهم بغير علم ، ويتبعون فى عقيدتهم أحكام الظن ، فهو أن تمكن من علم الكلام أفرغ فيه الماء غير المأمون الذى أمتلأ بها داخله ثم يفرغها باسم علم الكلام فى الاسلام

(١٩) وعلى يحمل كتاب الهروى فى ذم الكلام وفتاوى الامام الشافعى والأئمة من بعده .

، وما هى الا ظنون علقت بروس أصحابها وشبهات أستقرت فى أعماقهم ، ومثلهم يذم فعله . ويقبح، كما تهمل نتائجه وتقدح[٢٠]

ثم ان الجدل المنهى عنه شرعا هو الذى يقصد منه السوء ، ويقع به صاحبه من الناس موقع الارهاب أو القلق والأضطراب ، ولذا جاء النص القرآنى بالموافقة على الجدل لكن بالحسنى ، والتى هى أحسن ، اما غيرهما فهو الداخل فى عموم النهى .

من ذلك قوله تعالى " أُدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ[٢١] فالأمر فى الآية الكريمة مبنى على الدعوة إليه تعالى والتعريف بسبيله المراد ، وصراطه المستقيم ، وفى مثل تلك الأمور يجب أن يكون الجدل ذا طبيعة هى أحسن الطبائع فى الجدل ، أو هى أرقى صورة ومن صوره التى يراد بها عرض الدعوة على المدعوين بلغة قريبة المنال ، وعبارة فيها الجمال ، ولذا وصف بأفعل التفضيل بالتى هى أحسن .

قال العلامة الصاوى " سبيل الله هو دين الاسلام ، وسمى سبيلا لأنه الموصل لدار السعادة الأبدية ، والسعادة السرمدية ، والحكمة هى القرآن الكريم وهو علم نافع مشتمل على الموعظة الحسنة ، والتى يقصد بها الترغيب والترهيب ثم قال :

---

(٢٠) وفرق بين اطلاق الحكم على الدارس من اطلاقه على المدروس ، لوجود الفرق بين العلم والمعلوم ، والدرس والمدروس ، فاذا انصب الحكم على الدارس فماذا يلحق المدروس ، والعكس بالعكس اذ المقرر أن حاكى كلام الكفرة ليس كافرا بالضرورة ، ان يمكن أن يكون مسلما وهو يذكرها ، لاحبا لها واحتراما ، وانما على سبيل التقرير فقط بخلاف من يعتقدها .

(٢١) سورة النحل الآية رقم ١٢٥ .

والحكمة فى ذكر الموعظة الحسنة التشويق للعبادة والنشاط لها ، وسهولة البعد عن المخالفات ، وأما الجدال بالتى هى أحسن فقائم على الدعاء إلى الله تعالى بآياته والوقوف بهم على حججه ، وبراهينه ودلائله ... ثم انتهى إلى القول بان الناس ثلاثة أقسام :

- القسم الأول : العلماء الراسخون فى العلم وهم المشار اليهم بقوله تعالى " ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ "، أى العلم النافع لينتفعوا به وينفعوا الناس " ولا يتمكن منه على هذا الوجه الا الراسخون فى العلم من العلماء .
- القسم الثانى : الذين لم يبلغوا حد الكمال ، وكانوا دون الأوائل ، وهم المشار اليهم بقوله تعالى " وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ " .
- القسم الثالث : وهم الكفار أصحاب الجدال والخصام ، وهم المشار اليهم بقوله تعالى وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ "، ينقادوا للحق ويرجعوا اليه[٢٢] وعلى هذا فالجدل فى القرآن الكريم اذا قصد به معرفة الله تعالى بآياته ، والاستدلال عليه بحججه ودلائله كالذى يقوم بها علماء الاسلام أهل السنة والجماعة فيكون مأمورا به غير منهى عنه لما سبق بيانه ونحن نلتزم به ، ونركز عليه .

اذن ما بنى عليه اصحاب القول بالتحريم شبهتهم الأولى تهاوى ، فاذا قيل ان الحديث الشريف نهى عن التفكر فى الذات الالهيه ، وأمر بالتفكر فى آلائه تعالى ومخلوقاته ، وعلم الكلام يقوم على التفكير فى الذات الالهيه . كان الجواب ان الدعوى غير مستقيمة . أما لماذا ؟

---

(٢٢) حاشية العلامة الصادى على تفسير الجلالين ج٢ ص ٣٣٣ .

فلان الحديث الشريف " تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا[٢٣] قد ورد بالعديد من الصيغ التى منها تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذاته فانه لا تحيط به القدر[٢٤] " وتفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق ، فانكم لا تقدرون قدره[٢٥] وغيرها من الأحاديث فى هذا الشأن قد أمرت ونهت فى ذات الوقت ، وهنا لابد من بيان الأمرين وهما :

- الأمر الأول : الأمر بالتفكر فى خلق الله ، ونِعَمِهِ وأَنْعُمِهِ ، وهو الذى يقوم عليه فى جانب الالهيات ، علم الكلام الاسلامى .
- الأمر الثانى : النهى عن التفكر فى الذات الالهية لأنه لا يعرف الله على الحقيقة الا الله سبحانه وتعالى ، ولا يقوم بهذا الجانب علم الكلام فى الاسلام لدى أهل السنة والجماعة أبدا ، وانما يقوم به أصحاب التشكيك من غير أهل الاسلام .

ثم أنه يمكن القول بأُن المنهى عنه فى الآيات القرانية والأحاديث النبوية من حيث الظاهر هو علم الكلام المختلط بالشبهات ، والفلسفات الممتلئ بالخصومات ، لذات الخصومات والمناظرات التى لا يراد بها وجه الحق بل تقوم على ارادة الغلبة واظهار القدرة على الجدل لذاته من غير فائدة أخرى .

كما انه ربما حمل النهى المفهوم من كلام أهل التحريم ، الوارد فى النقل المنزل بأُنه نهى عن وضع الظاهر محل المضمر ، وجعل المحكم فى

---

(٢٣) ابو نعيم الحلية ، ورواه الاصفهانى فى الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه .

(٢٤) رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب التفكر ، وابو الشيخ فى العظمة .

(٢٥) قال العلامة السخارى الحديث ورد بألفاظ يتفق معناها ، وتعدد هذه الروايات واجتماعها يكسبها قوة والمعنى صحيح . المقاصد الحسنة ص ٢١٦ .

موضع المتشابه ، والانسياق خلف سراب العقل الخادع الذى يطمئن صاحبه اليه من غير اختبار لقدراته أو كبح لجماحه ، حين يلِجّ فى الخصومة ، ويحاول الدخول إلى حقيقة الذات الالهية التى لا حيلة له فى معرفتها على الحقيقة .

نقل السبكى عن ابى القاسم القشيرى أنه قال فى رسالة الرد على الكرامية ، والعجب ممن يقولون ليس فى القرآن علم الكلام وأيات الاحكام الشرعية تجدها محصورة ، والايات المنبهة على علم الأصول تربوا على ذلك بكثير ، فلا يجحد علم الكلام الا مقلد ، أو ذو مذهب فاسد(٢٦) .

وذهب العلامة ابن حجر الهيتمى إلى أن محل الذم البليغ ، والزجر الأكيد ما يؤدى الخوض فيه إلى زيغ ، أو ارتكاب شبهة لا مخلص له منها ، وغير ذلك من المفاسد التى كانت من أهله فى زمن أولئك الأئمة ، وأما بعدهم فقد تخلص أهل السنة من أهل البدع ، وحرروا كتبهم فيه ، وأجتهدوا فى قمع البدع ، فلا مساغ فى ذمه ، بل هو آكد فروض الكفايات(٢٧) .

مما ذكر تبين لنا أن النقل المنزل فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة داعيان للنظر العقلى منبهان للتفكير فى مخلوقات الله تعالى ، وانهما يحثان على القيام بتقرير العقيدة الايمانية ، ودفع الشبه عنها واليوم الآخر وما يتعلق به ، والنبوات والسمعيات ، وهى مباحث علم الكلام فى الاسلام اذن النقل المنزل دعا لتعلم علم الكلام ، والاشتغال به من الأمور المباحة أو الواجبة ، .

---

(٢٦) اشارات المرام ص ٤٨ .

(٢٧) اشارات المرام ص ٤٨ ، وراجع – فتح الاله شرح المشكاة للامام ابن حجر الهيتمى .

## الشبهة الثانية : أنه لم يمارسه أحد من الصحابة أو التابعين

تقوم الشبهة الثانية على أن الصحابة رضوان الله عليهم ماتوا ولم يعرفوا الجوهر والعرض[٢٨] ، بل ان أول الخلفاء الراشدين ، وثانيهم حتى الخليفة الرابع ماتوا ولم يمارسوا علم الكلام ،بل ولا فكروا فيه ، فضلا عن أن يتعلموه ، وهم مَنْ هُمّ فى الصحبة والسبق فى الجهاد .

كما أن الصحابة كأبى عبيدة ، وخالد بن الوليد ، وابن مسعود ، وغيرهم لم يتعلموه ، ولم يسمعوا به لا تعليما أو اشتغالا بل نقل عن ابن فورك قوله : لو لم يدخل الجنة التى عرضها السموات والأرض الا من يعرف الجوهر والعرض لبقيت خالية[٢٩] .

ثم أنه لوجاز البحث فىعلم الكلام ومارسه الصحابة والتابعون لنقل الينا فيما نقل عنهم ، فقد نقلت اجتهاداتهم الفقهية ، وقضاياهم والاحكام العملية التى كان لهم فيها النصيب الأوفى ، وما دام لم ينقل الينا شىء من هذا عنهم ، ولم يثبت أنهم مارسوا الاشتغال بعلم الكلام فقد صار أمرا محرما والمشتغل به مرتكبا لمنهى عنه ، وعلى هذا فعلم الكلام حرام ، والمشتغل به مبتدع[٣٠]

واذا كان الحديث الشريف قد أوصى المسلمين التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وذلك ، " فيما روى عنه ﷺ تركت فيكم ما ان

---

(٢٨) شيخ الاسلام العلامة ابراهيم الباجورى - تحقيق المقام على كفاية العوام ص ١٨ ط الحلبى .

(٢٩) العلامة السنوسى - شرح السنوسة الكبرى ص ٢٦ تحقيق د/ بركات دويدار ، و د/ عبدالفتاح بركه .

(٣٠) العلامة البياضى - اشارات المرام من عبارات الأمام ص ٣٢ ط الحلبى - تحقيق الشيخ يوسف عبدالرازق

تمسكتم بـه لـن تضلـوا بعـدى ابـدا ، كتـاب الله وسـنتى[٣١] ، ومـن السـنة كذلك ما جاء عن الخلفاء الراشدين نذكر منها :

" روى عن ابى نجيح العرباض بن سارية ﷺ قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يارسول الله كانها موعظة مودع فأوصنا : قال أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد فاطيعوه ، وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كبيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عَضّوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة[٣٢] .

والتمسك بسنة الخلفاء الراشدين أمر مهم شرعا وما دام الصحابة والخلفاء الراشدون لم يتعلموا علم الكلام ولم يشتغلوا به ، وقد أُمِرّنا باتباع سنتهم فالمخالف لها ممن يتعلمون علم الكلام يكون مخالفا للسنة الصحيحة مهملا الأخذ بها ، ومن كان هذا شأنه فلا عبرة به ولا اعتداد بقوله بل فعله حرام كله مردود عليه .

ثم أن الصحابة هم خير القرون ، وهم المميزون بشرف الصحبة ، وهم أعرف الناس بربهم بعد نبيهم ، وأكثرهم حرصا على نصوص الدين ، والدفاع عنها لم يشتغلوا بعلم الكلام ولا بشيء من العلوم العقلية ، ولم يصرفون شيئا من هممهم أو وقتهم فضلا عن قوتهم للأشتغال به ، وهم فى ذات الوقت اشتغلوا بالفقه والاحكام الشرعية ، فدل ذلك على ان الاشتغال بعلم الكلام بدعة حرام .

(٣١) رواه أبوداؤد والترمذى وقال حديث حسن وراجع شرح الفشنى ص ٨٥

(٣٢) رواه أبوداؤد والترمذى .

ومادام النص لم يرد بقبول الاشتغال بعلم الكلام ، ولا وجد عن السلف البحث فيه ، وليس الاشتغال بتعلمه مما اباح الشارع ولا استباحة أحد الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين(٣٣) فقد بان ان الاشتغال به حرام على هذه الناحية ، فاذا ضُمّ اليها ما سبقها كانت جهة التحريم أقوى . بل الأكثر قبولا والأجدر بالاعتبار .

## مناقشة الشبهة الثانية :

اذا كان أصحاب القول بتحريم الاشتغال بعلم الكلام قد بنوا احدى شبهاتهم على ان الصحابة لم يمارسوا علم الكلام لا اشتغالا أو طلبا وتعليما ، وانتهوا بعد ذلك إلى ان الاشتغال به حرام ، فإن غيرهم يؤكدون ههنا وجود نقول عديدة تفيد ان الخلفاء الراشدين اشتغلوا به ، وان الصحابة والتابعين لم يهملوه بل تكلموا فيه ، وكانت لهم مؤلفات عديدة فى ذلك الفن . وذلك على النحو التالى :

[١] الصديق ﷺ :

هو أول الخلفاء الراشدين ، وصاحب الايمان الواثق، وورد الحديث الشريف بفضله من ذلك " لو وزن ايمان ابى بكر بايمان الأمة لرجح " وقد اثر عنه انه مارس الكلام ، فقد روى الحافظ ابوبكر البزار فى مسنده عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله عن أبيه عن جده " أنه تناظر ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم ، فى القضاء والقدر ، وتحاكموا إلى

(٣٣) صون المنطق والكلام جـ١ ص ٦٤ ط بجمع البحوث - فصل علة فى تحريم الكلام للشافعى ، وقد حاول العلامة السيوطى حشد كل الاراء القائلة بتحريم علم الكلام ، والمنطق والفلسفة فى الجزء الأول كله فليراجعه من شاء .

رسول الله ﷺ فقضى ﷺ بأن القدر كله من الله تعالى ، كما قال ابوبكر رضي الله عنه (٣٤)،

وهو دليل على ان الصديق أول الخلفاء الراشدين قد تكلم فى علم الكلام واشتغل به على نحو ما ، وكانت له تساؤلات فيه ، ولم ينهه رسول الله ﷺ عنه .

[٢] الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

تحدثنا عن ما وقع بين الصديق والفاروق من تناظر فى القضاء والقدر ، لكن الخليفة الثانى لرسول الله ﷺ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مارس الكلام ، بل وتكلم فيه ، سواء مع الصديق على ما مر ذكره ، أو مع ابن صبيغ كما ذكرته الكتب المعنية بهذه المسألة ، وهو الذى صح عنه .

وايضا ابنه عبدالله بن عمر رضي الله عنه (٣٥) الف رسالة فيه ، وكذلك فعل الامام مالك فالف رسالة فى علم الكلام واستحسانه ، قبل أن يولد الاشعرى . ومن ثم تكون الدعوى بان أحدا من الصحابة لم يمارسه على غير بابها ، وقد بان أن أَجِلَّةَ الصحابة كأبى بكر ، وعمر وغيرهما قد تكلموا اذن لزم احتياج الدعوى إلى دليل جديد أو تعتبر كأن لم تكن فتسقط من حساب أهل القول بالتحريم .

[٣] الامام على كرم الله وجهه :

أما الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ورضى الله

---

(٣٤) اشارات المرام من عبارات الامام ص ٢٤ .

(٣٥) العلامة الأمير حاشية محمد الامير على شرح عبدالسلام للجوهره ص ٣٧ ط١ الحلبى .

تعالى عنه ، فقد كان له فى علم الكلام دور مهم ، اذ كشف شبهة الخوارج فى مسألة التحكيم ، والوعد والوعيد ، وحاجّهم فيه ،ولما أصروا وتحزبوا بالنهر وان استأصلهم بالافناء .

كما حاجّ ابن سبأ لما قال بالحلول لله فى الامام ، واستتاب القائلين بالقدر ، وبكون الاستطاعة من العبد(٣٦) فلو لم يكن له علم بأفانين الكلام ، وفهم الاتجاه الذى يرمى اليه أصحاب الفرق لما كشف عوراتهم وأصاب أخطاءهم وبين للناس الاراجيف التى يعتمدون عليها .

[٤] كما أن المؤلفات ذكرت مناظرة بين أبى موسى الأشعرى وأحد أصحاب الجدل حين قال له مناظره : كيف يقدر على شيئا ثم يعذبنى عليه ، حيث قال له : قدر حيث علم ، وعذب حيث لم يظلم ، وابو موسى الاشعرى معروف تاريخه فى الاسلام ، ودوره فى الصحبة مما لا ينكر .

وكذلك تكلم الحبر العلامة عبدالله بن عباس ﷺ حبر الأمة ، وهذا ثابت فى مناظرته لكل من القدرية والحرورية حيث قال: " كلام القدرية كفر وكلام الحروريه ضلال ، وكلام الشيعة هلاك ، أما كلام غيرهم فمقبول عنده ، وهو كلام أهل الحق الذى عليه الصحابه رضوان الله عليهم وسلف الأمة(٣٧)

---

(٣٦) اشارات المرام ص ٣٣ ، وقد أحال على التبصرة البغدادية ، والملل والنحل للشهرستانى ، والمواقف للأيجى وتاريخ ابن عساكر ، والجامع الكبير للسيوطى .

(٣٧) اشارات المرام ص ٣٣ ، وكذلك شرح جمع الجوامع للأمام ولى الدين العرافى ، والملل والنحل للشهرستانى والسير التتار خانية .

بيد أن الأمر لم يقتصر على مجرد التكلم من الصحابة والتابعين والخلفاء الراشدين ، وانما أضيف اليه الرد على المخالفين ، بابطال شبههم ، واسقاط حججهم ، وقد ألّفُوا فى ذلك رسائل بعينها فى الرد عليهم ، مُعَنْوَنَةً بهم ، مقيدة اسئلتهم ، والاجابة عليها ، على النحو الذى يكشف أمرها .

- فالامام الحسن بن الامام على كرم الله وجهه ألّف فى علم الكلام ، وله رسالة فى رد القدرية والتعريف بشبهاتهم وبيان مواطن الخطأ فيها ، واثبات تجاوزاتهم التى لا تتفق مع الشرع ، ولا مع العقل السليم ، وكان له فى هذا المجال دور بارز ، وقد عنى بنشرها علماء الشيعة وأشاروا اليها فى مؤلفاتهم .

- وكذلك عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ ألف رسالة فى هذا الفن ، وهى ذات صبغة خاصة فقد قامت بعرض شبهات أهل الزيغ والضلال ، ثم الرد عليها ، وبيان أنها مجرد شبهات من قبيل الظنون والتوهمات ، على ما هو مدون فى المؤلفات المعنية بهذا الفن[٣٨]

- أما فى عصر التابعين فقد ظهر متكلمة من نوع جديد ، نوع يعرض المسائل ، والفِرَقَ والمذاهب ، ثم يتابع هذه وتلك بغية تقويمها ، واظهار صحتها من باطلها وكيفية تفادى أخطارها،

- فظهر زيد بن على بن الحسين بن على كرم الله وجهه ، وله رسالة فى الرد على القدرية ايضا ، ثم عمر بن عبدالعزيز أعدل خلفاء بنى امية ، خامس الخلفاء الراشدين ، وله رسالة فى الرد

---

(٣٨) اشارات المرام ص ٣٣ & ٣٤ ، وكذلك أوائل شرح المشكاة للشيخ على القارى ، والتبصرة البغدادية .

علـى القدريـة كذلـك ، اذ أن شـوكتهم كـانت مرفوعـة ، ودولتهم أخذة فى النمو ، وشبهاتهم عنيفة وهو الذى يفسر عناية اهل العلم بالرد عليهم ،

- حتى ان الامام جعفر بن محمد الصادق الف رسالة فى الرد على القدرية والخوارج والروافض[٣٩] اذن دعوى ان الصحابة والتابعين لم يمارسوا الاشتغال بعلم الكلام لا تنهض معها الادلة ، بل العكس فإن الحق مع غيرهم القائلين باباحة علم الكلام فى الاسلام .

[٥] أما الزعم بان الصحابة أبا بكر وعمر ﷺ ماتا ولم يعرفا الجوهر والعرض ، وكذلك سائر الصحابة فهو زعم مردود عليه بان هذه مصطلحات والمعروف ان الالفاظ الاصطلاحية خاصة باصحابها ولا يُحكم بالمصطلح على اصحابه بشيء من الايمان أو الكفر ، فهم لم يعرفوا التنازع والاشتغال كما لم يعرفوا الفاعل والنائب ، اذن لفظ الجوهر والعرض من الالفاظ المصطلح عليها ، ولا مدخل لها فى شيء من ادلة الاعتقاد حتى يلزم الجهل بها الجهل بالادلة[٤٠] .

نعم لوثبت ان الصحابة رضوان الله عليهم ماتوا ولم يعرفوا الله تعالى بل قلدوا وأعرضوا عن النظر لكان ذلك دليلا على صدق مُدَّعَى هذا القائل وثبوت هذا منهم مما يأباه كل مؤمن لا سيما مع وقوع الحث على النظر فى ازيد من ستمائة موضع فى القرآن العظيم[٤١] .

---

(٣٩) اشارات المرام ص ٤٣ - التبصرة البغدادية ، شرح السنة للبغوى ، والملل والنحل للشهرستانى .

(٤٠) العلامة الباجورى - حاشية تحقيق المقام ص ١٨ .

(٤١) المصدر السابق ص ١٨ .

نعم "أنا أعجب ان يذكر مثل هذا دليلا على التقليد وهجر علم الكلام ، وترك النظر ، من له ادنى تميز ، فاى مدخل للألفاظ المصطلح عليها فى شىء من ادلة العقائد حتى يلزم من الجهل بشىء منها الجهل بشىء من الادلة ، وما أشبه هذا بقوله من يقول :

ان الصحابة رضوان الله عليهم كانت تجهل المقصود من علم العربية ، لانهم ماتوا ولم يعرفوا حقيقة الفاعل ، ولا المفعول ، ولا الحال ، ولا التمييز المصطلح عليها عند علماء العربية أو كانوا يجهلون المقصود من فن البلاغة لأنهم كانوا يجهلون الفاظا فيها أحدثها من بعدهم اصطلاحا ، وهل هذه الاقوال تصدر من عاقل[٤٢] .

ولقد نقطع ان أكابر علمائنا لم يحصل لهم من العلم بالدليل ما حصل لأدنى أمَةٍ من اماء الصحابة أو صبى مميز من صبيانهم ، وكذلك التابعون ، وتابعوهم باحسان[٤٣] اذ ان أصغر أنثى من بنات الصحابة أو زوجة من زوجاتهم ، كان لديها من العلم ما يفوق الكبار من علماء هذا العصر ، وكيف لا وهن قد وقع لهن العلم أما عن الرسول ﷺ أو عن الصحابة الذين تلقوا عن رسول الله ﷺ فقد جاءهم صافيا رقراقا ، وقد وجدمنهن صحابيات فقيهات .

بل ان اى صبى من صبيان الصحابة كان لديه من العلم ما يفوق علم أكابر هذا العصر ممن ننسبهم للعلم أو ننسب العلم اليهم ، والأمر معروف فهؤلاء الصبيان ارتضعوا العلم عن ابائهم الصحابة الذين كان لهم القدر الاعلى فى القرب من رسول الله ﷺ والتلقى عنه فمن ذا يماثلهم فى العلم الذى حصلوه ، والمعرفة التى وقعت لهم ،

---

(٤٢) شرح السنوسية الكبرى ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٤٣) تحفة المقام ص ١٨

وطبقا لما مر فانا نستطيع القول بان الصحابة مارسوا علم الكلام ، واستباحوا القيام به ، وكان بينهم شيء منه ، والنقول الواردة عنهم فى تحريم الاشتغال به يمكن حملها على علم الكلام المختلط بشبهات الفكر الذى صاحب أهله قبل اعتناقهم الاسلام ، فلما دخلوا الاسلام انتقل معهم فكرهم ، فلما ارادوا التعامل به داخل البيئة الاسلامية رفضه الصحابة ونهوا عنه ، واصدروا الاحكام عليه .

كما ان بعض من دخلوا الجماعة الاسلامية الذين كانوا فرسا وثنيين أو رومان معددين أو حبشا مثلثين لما دخلوا فى الاسلام ظنوا الأمر واحدا ، والفرق النطق يالشهادتين من ثم سمحوا لانفسهم باتباع المتشابه ، وتحريك العصبية ، والتنادى بالشعوبية ، من هنا وقف لهم الصحابة وحرموا عليهم الكلام وذموه ،

● <u>من ثم فقد بان لنا</u> :

[١] اشتغال العديد من الخلفاء الراشدين بعلم الكلام على سبيل رد الشبة ودفعها ، وتقرير العقيدة وبيان وجه الحق فيها وأنه أمر مقرر وقد ذكرنا طرفا منه ، فدعوى أن الخلفاء لم يمارسوه لا صحة عليها .

[٢] اشتغال العديد من الصحابة رضوان الله عليهم به ، وفيهم السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ، يرد شبه القدرية ، ورد الخوارج ، وكشف شبهات غيرهم هذا ثابت بالنقل الذى صحت نسبته اليه.

كما ان الصحابة قد اشتغلوا بعلم الكلام بأوسع معانيه ، بدفع شبهات المبتدعة ، وضلالات أصحاب الفرق المنتزعة فى مسائل العقيدة ، وكان مستندهم النصوص الدينية والادلة العقلية ، فكلما كان النص بحاجة إلى مزيد فهم بذلوا فيه المزيد من الجهد .

[٣] ظهور متكلمة من التابعين كزيد بن على الحسين بن على ، وعمر ابن عبدالعزيز ، وغيرهما ممن تابعوا الأمر فى بيان العقيدة الصحيحة لمن دخلوا فى الاسلام ، ومعهم ثقافاتهم ، والتعرض لدفع الشبهات التى تناثرت حول العقيدة مستخدمين طريقة الحوار الهادىء والموعظة الحسنة بل والتاليف الجاد الهادف .

[٤] ظهور النباتات التأسيسية لعلم كلام تكون قاعدته النقل المنزل ، والاستناد إلى قواعد العقل السليم حيث الأخذ بالنقل والعقل مما مهد لظهور ائمة الكلام ، الذين كانت عنايتهم بالتاليف تعاضدها رغبتهم فى الوعظ والنصح والتوجيه على سبيل التأزر ، ونصرة دين الحق .

الشبهة الثالثة : نقل عن بعض السلف النهى عنه :

من ذلك أن بعض السلف قال : عليكم بدين العجائز ، ولو كان علم الكلام مأمورا به لقال عليكم بدين أصحاب الكلام ، وعن عمر بن عبدالعزيز ﷺ أنه قال لرجل سأله عن الاهواء ، واصحابها ، عليك بدين الصبى الذى فى الكتاب ، ودين الأعرابى ، ودع ما سواه(٤٤).

وأخرج عن بن عمر ﷺ منها أن رسول الله ﷺ قال : اياكم والركون إلى أصحاب الأهواء فانهم بطروا النعمة ، واظهروا البدعة ، وخالفوا السنة ،ونطقوا بالشبهة ، وتابعوا الشيطان(٤٥) وبالتالى فان اتباع أصحاب الكلام مخالفة للرحمن واتباع للشيطان ، ومن هنا يحرم الاشتغال به .

وأخرج عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه أنه قال : يخرج فى آخر الزمان أقوام يتكلمون بكلام لا يعرفه أهل الاسلام ، ويدعون الناس إلى كلامهم ، فمن لقيهم فليقاتلهم فإن قتلهم أجر عند الله .

واخرج عن ابن عباس فى قوله تعالى " اذا رأيت الذين يخوضون فى اياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، قال هم أصحاب الخصومات ، والمراء فى دين الله تعالى(٤٦)

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال : يفتح القرآن على الناس ، حتى تقرأه المرأة والصبى والرجل فيقول الرجل أوقد قرأت القران فلم اتبع ، والله

(٤٤) تحقيق المقام ص ١٨ .

(٤٥) صون المنطق والكلام جـ١ ص ٨٥ .

(٤٦) صون المنطق والكلام جـ١ ص ٨٨ .

لأقومن به فيهم لَعَلّي اتبع ، فيقوم به فيهم فلا يتبع ، فيقول قد قرأت القران فلم اتبع ، وقمت به فيهم فلم اتبع .

ثم يقول لاحتظرن في بيتي مسجدا لعلي أتبع ، فيحتظر في بيته مسجدا فلا يتبع ، فيقول : والله لآتينهم بحديث لا يجدونه في كتاب الله ، ولم يسمعوه عن رسول لعلي اتبع قال معاذ فاياكم وما جاء به ضلالة واخرج عن معاذ انهقال : اعلم انَ الحق نور ، واياكم ومغموضات الأمور

وعن ابن مسعود ﷺ انه قال : من كان مؤتسيا فليأتس بأصحاب محمد ﷺ ، فانهم كانوا أبر قلوبا ، وأعمق علما ، وأقل تكلفا ، واقوم هديا ، واحسن اخلاقا ، اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في اثارهم ، فانهم كانوا على هدى مستقيم(٤٧)

وطالما قد انتهى السلف عن الكلام وأصحابه ، ونبهوا إلى عدم الخوض فيه أو الاشتغال به ، فان القائمين عليه قد أخطأوا الطريق واستباحوا ما حرم الله من الاشتغال بعلم الكلام ، والقيام على تدريسه والاعتناء به ومدارسته . واذا كان المستباح حراما ، فان المشتغل به مستبيح للحرام ، وعلى هذا فعلم الكلام والاشتغال به حرام ، وينسحب الحكم على المشتغل به ايضا .

## مناقشة الشبهة الثالثة :

يبدو ان اصحاب التحريم لما جمعوا شبههم وشعروا بعدم كفايتها للقيام بما طمعوا فيه ، لجأوا إلى النقول العزوة لبعض السلف الصالح رضوان الله عليهم .

---

(٤٧) صور المنطق والكلام جـ١ ص ٩٠ .

وهم يحاولون ان يؤخذوا من ظاهرها تحريم الاشتغال بعلم الكلام ، ولو اعادوا النظر فيما نسب للسلف فربما تبين لهم ان عمر بن عبدالعزيز ﷺ وقد نسب اليه القول بالتحريم ، هو نفسه الذى الف فى علم الكلام بقصد الرد على القدرية[48] .

وعلى هذا يمكن حمل النهى الوارد عنه على ان المقصود هو علم الكلام الذى قصد به الفتنة ، واظهار الغلبة ، واحياء الافكار الضالة ، وليس علم الكلام الاسلامى الذى عنى به السلف الصالح ، واهل السنة والجماعة والفرق بينهما كبير جدا .

لكن هناك ردود مركزة على كل ما اثاره اصحاب القول بالتحريم ، وهى من جانب اهل الوجوب والاباحة نذكر منها :

أولا : ان المراد من القول " عليكم بدين العجائز ، التمسك بما اجمع عليه السلف الصالح حتى وصل إلى من ليس أهلا للنظر كالعجائز والصبيان ، واهل البدو بسبب اعتنائهم بالدين حيث كانوا يعلمونه للاهل ، والولد ، والعبد ، والأمة ، امتثالا لقوله تعالى " يا آيها الذيم آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم[49] .

وقوله تعالى " يا آيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون[50] .

---

(٤٨) راجع حاشية الأمير ص ٣٧ .

(٤٩) صورة المائدة الآية ١٠٥

(٥٠) سورة التحريم الآية ٦

وهو نفسه مراد عمر بن عبدالعزيز بما قاله جوابا للسائل عن الاهـواء ، فكأنه قال : عليك بما كان عليه السـلف الصالح ، وأجمعوا عليه ، ودع ما ينـاقض ذلـك مما أحدثته المبتدعة ، ولهذا اختار الفخر الدعاء به في مواطن الموت ، فهو دعاء بصفاء المعرفة والحفظ مما يكدرها ، كما هو شأن عجائز تلك الازمنة ، وهذا مراده والله اعلم(٥١)

قال العلامة السنوسى رحمه الله وأما ما حكاه القائل بتحريم علم الكلام – عن بعض السلف من قوله عليكم بدين العجائز ، فلا دليل فيه ايضا على صحة التقليد – وترك النظر الذى هو علم الكلام الاسلامى – لان مراد القائل هو الأمر بالتمسك بما اجتمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين حتى وصل علمه إلى من ليس أهلا للنظر كالعجائز والصبيان فى الكتاب ، والاعراب واهل البدو ، وترك ما احدثته المبتدعة من القدرية والمرجئة والجبرية ، والروافض وغيرهم ممن لا وجود له فى اعصار السلف الصالح خاصهم وعامهم(٥٢)

وقد احدث المبتدعة الكثير كالحديث عن ارادة الله جل علاه بالطاعة ، وان الكفر والمعاصى لا تقعان مرادة لله تعالى ، وانما لعباده الذين فعلوها ، وبقدراتهم أوقعوها ، رغم ان الله لم يردها ، وهى من البدع والمعلوم من الضلالات التى لا مستند لها سوى نقصان المعرفة ، وقلة الايمان بالله رب العالمين .

والمعلوم لدى اصحاب الايمان الحق ، والاعتقاد الصحيح ، ان كل شىء يقع فى الكون انما هو بارادة الله تعالى وان الله تعالى متى شاء وقع ، وما لم يشأ لم يكن .

---

(٥١) تحقيق المقام ص ١٨ .

(٥٢) شرح السنوسية الكبرى ص ٢٩ .

وقد اشتهر هذا عند الصحابة رضوان الله عليهم ، وعرفه الصغير والكبير وحمله الخلف عن السلف ، ونقله القريب للبعيد ، والذكر للأنثى ، وتناجى به العبد والحر ، لانه من المعلومات البدهية ، وقرره علماء المسلمين على مدى العصور حتى صار ضرورة عقليه وشرعية معا .

حتى ان الجهلة من العصاة ربما اعتذروا عن معاصيهم بارادة الله تعالى ذلك منهم ، ولو اراد الله بهم خير لما عصوا ، ونحو هذا مما انكره المعتزلة من جواز العفو عمن مات مصرا على المعاصى ، وانكار الشفاعة ، وانكار خلق الجنة والنار ، ومثل هذا كثير فى العقائد(٥٣) وهو بعيد تماما عن علم الكلام الذى قام عليه أهل السنة والجماعة ، فانكار الاول ضرورة ، وتجاهل الثانى مكابرة .

قال العلامة الباجورى " وذم بعضهم علم الكلام ، وقال بحرمة النظر فيه ، وهو فى غاية من الضعف ، بل لا يشك عاقل فى فساده ونسب إلى بعض المبتدعة كالحشوية وغيرهم من أن النظر فى علم التوحيد حرام ، وهو قول لا يخفى فساده ، وضلال معتقده لكل عاقل ، اذ هو مصادم للكتاب والسنة واجماع المسلمين الذين يُعْتَدُّ بهم .

وأما ما يخلطون به من أن الصحابة رضى الله عنهم لم يتكلموا به فكذب وافتراء ، وانشد القاضى أبوالطيب

عاب الكلام أُناس لاخلاق لهم ∴ وما عليهم اذا عابوه من ضرر
ماضر شمس الضحى فى الافق طالعة ∴ أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر(٥٤)

اما اذا حمل مراد اهل التحريم على علم الكلام المخلوط بشبهات أهل الزيغ

(٥٣) شرح السنوسيه الكبرى ص ٢٩ .

(٥٤) تحقيق المقام ص ١٧ .

، وكلام أهل الضلالة فليس هناك محل للتنازع بل هو الذى عليه أهل الحق والسلف الصالح ، والصحابة والأئمة من أهل الاجتهاد من ان علم الكلام المختلط بالشبهات والضلالات حرام شرعا ، والمشتغل به يستتاب ويضرب تعزيرا[٥٥] وربما مال بعضهم لاقامة الحد عليه .

- ثانيا : مرتجع السؤال دال على ان الكلام المحرم هو كلام أهل الأهواء ، وليس كلام أهل الحق أهل السنة والجماعة ، وهذا التأويل مقبول يدل عليه اتيان عمر بن عبدالعزيز بمثل هذا جوابا للسائل عن الاهواء ، فكانه قال له عليك فى الدين بما كان عليه السلف الصالح ، وتلقاه منهم الخلف ، ودع ما يناقض ذلك مما أحدثه المبتدعة[٥٦].

ثم ان المبتدعة فى مفهوم خامس الخلفاء الراشدين ، هم الذين احدثوا فى الدين مالم يأذن به الله ، ولانبه اليه رسول الله ﷺ ، وكأنهم المعنيون بالحديث الشريف " من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد عليه[٥٧] لايعود الا اليه .

فلانه صاحب بدعة ولا يعود إلى دين الاسلام فى شىء ، ومعنى ماليس منه انه لا يرجع إلى اصل من اصوله أو قاعدة من قواعده ، لا فرق ان يكون محدثا للبدعة على سبيل التقليد أو الاتيان بها على سبيل الاستقلال ، لان كل فعل لم يكن على اصل الشرع ففعله حرام ، وفاعله آثم .

---

(٥٥) صور المنطق جـ١ ص ٦٩ .

(٥٦) شرح السنوسية الكبرى جـ١ ص ٣٠ .

(٥٧) رواه الشيخان وفى رواية المسلم " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ، وهو من رواية أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

وقد نستشهد لما ذهبنا اليه بالحديث الشريف من قولهﷺ " من أحدث حدثا وأوى محدثا فعليه لعنة الله " ودخل فيما تناوله الحديث كل من العقود الفاسدة ، والحكم مع الجهل ، والجور ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع[٥٨] وعليه يحمل امر النهى عن تعلم الكلام والنهى عن الاشتغال به على ما سلف بيانه .

ثالثا : مفهوم البدع :

وقع الخلاف فى مفهوم البدعة فاهل التحريم أخذوا البدعة على معنى واحد وهو الذى لم يكن ثم كان . بينما هى لفظ حمّال أو جه ، وفى نفس الوقت تقع فى الاحكام الشرعية بين ذات الاحكام مما يجعلنا نفرد حديثا لها حتى يتبين للناظرين الفرق بين ما يعرفون ، وبين ما يطلقون من أحكام أو يقيدون .

أ- البدعة فى اللغة :

هى ما استحدث فى الدين وغيره[٥٩] على غير مثال سبق ، وصورة لم تكن موجودة ، وهو المراد في اللغة أو هى الأمر المحدث الذى لم يكن عليه الصحابة والتابعون ، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعى[٦٠] وهو التعريف الشرعى الاصطلاحى .

اذن تعريف البدعة العام : هو كل ما استحدث على غير مثال سبق ، فاذا جئنا اليه لمسنا اشياء كثيرة لم تكن موجودة كالطائرات والسفن فى

---

(٥٨) شرح الفشنى على الاربعين النووية ص ٢٢ .

(٥٩)المعجم الوجيز ص ٤١ .

(٦٠) التعريفات باب الباء ص ٣٧

المواصلات ، والصواريخ والقنابل العنقودية فى المهلكات ، والهاتف والانترنت وغيرها مما يقرب المسافات .

فهذه كلها وأمثالها لم تكن موجودة لكنها استحدثت فهى بدعة بمعناها العام ، وتدخل فيه المقبولة شرعا مما فيه صلاح الدنيا والاستعداد للآخرة ، ومما فيه فساد الدنيا والآخرة وهى البدع المنهى عنها شرعا لكنها داخلة فى المفهوم العام للبدعة .

ب- البدعة من حيث الايمان والكفر :

قسم العلماء البدعة من هذه الناحية إلى قسمين هما :

[١] بدعة مكفرة :

كاعتقاد الثالوث والتجسد فى الذات الالهية ، والتركيب والاحتياج والحلول أو الانقسام والابوة والبنوة بالمعنى الحقيقى فهذا كله صاحبه مبتدع ، لان الأصل الفطرى هو توحيد الله على كل نواحيه ، فاذا جاء من ينسبه - تعالى - للثالوث أو غيره مما مر ذكره فقد جاء بشىء لم يسبق اليه على سبيل البدعة المكفرة .

[٢] بدعة مفسقة :

كاعتقاد البعض ان الصلاة والزكاة ، وغيرها من العبادات مما ينتفع به الله تعالى ،وان الزنا والمكاره وارتكاب الحماقات مما يتضرربه سبحانه وتعالى .

وهذا اعتقاد خاطىء لان الله لا ينتفع بطاعات أحد ، كما لا تضره معاصى كل البشر . للحديث القدسى " يا عبادى أنكم

لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى أنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه(٦١)

جـ - تقسيم البدع باعتبار الاحكام الشرعية:

قسم الشيخ العز بن عبدالسلام الحوادث - البدع - إلى الاحكام الخمسة ، فقال فى تعريفها :

- البدعة هى : كل فعل لم يعهد فى عصر رسول الله ﷺ ، وهى :

[١] بدعة واجبة :

كتعلم النحو ،وغريب الكتاب والسنة ، ونحوهما مما يتوقف فهم الشريعة عليه " وكتابة القرآن وجمعه فى مصحف واحد حتى لا يضيع وكتابة كتب العلم حتى لا يضيع العلم .

[٢] بدعة محرمة :

كمذهب القدرية والجبرية والمجسمة " فانهم ابتدعوا فى الدين ما خالف صحيح النقل المنزل ، واثبتوا لله ما لم يثبته لنفسه .

[٣] بدعة مندوبة :

كاحداث الرُّبط والمدارس ، وبناء القناطر ، وكل احسان لم يعهد فى العصر الأول ، وبناء المستشفيات الخيرية وجمع الصدقات للأيتام ، ودور ايواء الفقراء .

[٤] بدعة مكروهة :

---

(٦١) جزء من حديث قدسى طويل . ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى .

كزخرفة المساجد ، وتزويق المصاحف ، وكتابة الايات القرانية داخل المساجد على الجدران بخطوط ذات الوان متباينة .

[٥] بدعة مباحة :

كالمصافحة عقب صلاة الصبح ، والعصر ، والتوسع فى المأكل والمشرب والملبس ، وغير ذلك[٦٢]

اذن البدعة ليست على جهة واحدة ، حتى يمكن التعامل معها على تلك الجهة ، انما لابد من التمايز بين البدعة واستخدامها ، وبيان ما اذا كانت على ناحية عقدية ، أم على ناحية لغوية أو على جهة شرعية على ما سلف بيانه[٦٣] .

من ثم فقد بان لنا أن اختلاف المتحاورين راجع لاستعمال كل منهم لفظ البدعة بمفهوم عنده مخالف للذى لدى الآخرين .

ولو أحسنوا الحرورا محل النزاع ، واتفقوا على ان يكون المراد بالبدعة هو المفهوم المعين بذاته ، وحينئذ ستجد الجميع قد اتفقوا على ان البدعة بمعنى المخالفة فى العقيدة يرفضها كل مسلم ، وبالمعنى الشرعى فهى واقعة فى الاحكام الخمسة ، أما بمعنى اللغة فهو قاسم مشترك يستخدمه كل المتناولين لها ولا شيء فيه عند الاختلاف.

ثم هل يرضى مسلم أن يترك الاتباع ويذهب إلى الابتداع المراد به الوقوع فى الاخطاء العقدية ، أو الوقوع فى مخالفة شرعية ما اظن مسلما يرضى به ابدا .

---

(٦٢) شرح الفشنى ص ٢٢

(٦٣) قد تكون البدعة على ناحية العقيدة ، ويتعلق بها الايمان والكفر ، وقد تكون على ناحية اللغة فيتعلق بها الأمر الذى لم يكن ثم كان ، ولكن اذا جاءت على ناحية شرعية فهى داخلة فى حدود الاحكام الخمسة .

قال سيدنا سهل بن عبدالله " من داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ، وقال الدقاق ، من استهان بادب من آداب الاسلام عوقب بحرمان السنة ، ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة ، ومن استهان بالفرائض قيض الله له مبتدعا يذكر عنده باطلا فيوقع فى قلبه شبهة(٦٤) .

- مما سبق أتضح لنا ما يلى :

[١] ان السلف مارسوا علم الكلام ، ولم يحرّموا الاشتغال به .

[٢] ان الاقوال المنسوبة اليهم فى ذم علم الكلام وأهله يمكن حملها على :

(أ) الكلام الذى لا يراد به تقرير العقيدة الدينية ، ودفع الشبهات عنها ، بل يراد به فتح أبواب الجدل ، والدخول فى المزاعم والظنون .

(ب) الكلام الذى يراد به التشكيك من اتباع المتشابه، ونقل الثقافات الآخرى للبيئة الاسلامية .

(جـ ) المتكلمين الذين لم يلتزموا النقول الشرعية ، وانما التزموا جانب الشطط ، وركبوا سفن الضلال والهوى .

[٣] ان البدعة ليست ذات مفهوم واحد ، وانما تحمل على جهات ويجب صرف كل منها إلى الجانب التى يمكن حمله عليه من غير تبادل للمواقع التى تنصرف اليها حتى لا تختلط المعانى أو تتشابه .

[٤] ان الخلط بين علم الكلام الاسلامى ، والكلام غير الاسلامى مرفوض ولا يدل على شيء من الموضوعية بقدر ما ينم عن الرغبة فى ادانة أحد الأطراف مهما كانت براءته .

---

(٦٤) شرح الفشنى ص ٢٢

## الشبهة الرابعة : نهى الأئمة ومجتهدى الأمة تلاميذهم ومن يحبون عن الاشتغال بعلم الكلام :

يتمسك أصحاب القول بتحريم الاشتغال بعلم الكلام بنقول نسبت للأئمة الأعلام ، ومجتهدى الأمة الكرام فيها نهى تلاميذهم والمقربين اليهم واجابات الاسئلة الواردة عليهم من تحريم الاشتغال بعلم الكلام ، أو الجلوس إلى أصحابه ، فضلا عن الخوض فيه ، وتعدّى الأمر هذه الخطوة بأصدار الفتاوى ، والاحكام على من يقومون به ، أو يقعون فى دائرة الاشتغال به ، من ذلك :

[١] الأمام الأعظم أبوحنيفة النعمان :

وهو النعمان بن ثابت بن زوطى الأمام الفقيه الكوفى ، مولى تيم الله ابن ثعلبة كان خزازا يبيع الخز ، وجده لأبيه من أصل غير عربى بل هوأفغانى استرق ثم أعتق بالكوفة ، ولد رحمه الله سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م ، وتوفى عام ١٥٠هـ/ ٧٦٧م ، وعاش سبعين عاما هى عمره المبارك[١] ، اذن هو كوفى المولد حيث ولد بالكوفة وفارسى الأصل ، وبغدادى الموطن ، ومسلم سنى الاعتقاد .

كان عالما زاهدا عابدا ورعا تقيا ، كثير الخشوع ، والتضرع إلى الله ، وهبه الله تعالى إلى جانب علمه فراسة ، وذكاء ومقدرة على الاستدلال ، ومعرفة الحجة .... ،وكان فى أحكامه مجتهدا ، ولكنه يستمد أجتهاده من الكتاب ، والسنة ، ولا يعتمد الا على الاحاديث الصحيحة ، فهو يعتبر أمام أهل الرأى ، قام منهجه على :

---

(١) المستشار عبدالحليم الجندى - أبوحنيفة بطل الحرية والتسامح فى الاسلام ص ١٠ / ط دار المعارف بمصر .

(أ) الأخذ بكتاب الله تعالى – فان لم يجد .

(ب) الأخذ بسنة رسول الله ﷺ ما صح منها . فان لم يجد .

(جـ) الأخذ بقول أصحاب رسول الله ﷺ ثم آخذ بقول من شئت منهم ، وادع من شئت منهم ، ولا اخرج من قولهم إلى قول غيرهم[2] واليه ينسب المذهب الحنفى .

وعقيدته فى أصول الدين هى الأصل الذى انبنت عليه أصول العقائد عند مدرسة أهل السنة والجماعة من الماتريدية فى بخارى ، وسمرقند ، كما أنها اساس مذهب أبى جعفر الطحاوى فى التوحيد[3] حتى قيل : اغلب الماتريدية أحناف .

كان ورعا تقيا بلغ من كثرة عبادته وورعه وتقواه أنه ظل يصلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة[4] ، وهو ما بين العشاء والفجر فى عبادة لا تنقطع ، وتدبر وتأمل ، ومدارسة لأحكام الشريعة الغراء ، وتأليفات فى العقيدة الاسلامية المنيرة .

ولما اسس ابو جعفر المنصورى مدينة بغداد أستقدم اليها كثيرا من أعيان العلماء فى المدن المختلفة ، وكان أبوحنيفة ممن استقدمهم ، فعرض عليه القضاء عدة مرات فابى حتى عوقب عليه وظل ياباه حتى مات رحمه الله[5] .

وكان فى أول عهده يتجر فى تجارة الخز وقد عرف فيها بصدق

---

(٢) سلسلة الفقه على المذاهب الاربعة – المجلد الأول ص٨ ، ٩ – ط دار الغد العربى بمصر .

(٣) معجم أعلام الفكر الانسانى ص ٣٨٠ – المجلد الأول – الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ٩ – ١٩٧٠ .

(٤) ابن خلكان – وفيات الاعيان جـ٣ – ص ٧٨ .

(٥) الشيخ محمد الخضر حسين – تاريخ التشريع الاسلامى ص ١٧١ – المطبعة التجارية ط٩ سنة ١٩٧٠م .

المعاملة ، والنفرة من الغش والمماكسة . ثم تحول إلى طلب العلم فنال حظا من علم الكلام والحديث والفقه ....... [6]

ونسب المذهب الحنفى إلى الامام أبى حنيفة النعمان ، وهو أسبق المذاهب الأربعة التى اصطلح على تسميتها اسم مذهب أهل السنة ، وكان ظهوره فى الربع الأول من القرن الثانى الهجرى[7] فلا عجب أن تراه متكلما فقيها محدثا......

نسب للأمام أبي حنيفة القول بالنهى عن الكلام وأهله حين سأله سائل قائلا له . ما تقول فيما أحدثه الناس من الكلام فى الأعراض والاجسام ؟ فقال : مقالات الفلاسفة ، عليك بالأثر وطريقة السلف وأياك ، وكل محدثة فانها بدعة[8]

كما نسب اليه كراهية الخوض فى علم الكلام ، وانه نهى حمادا ابنه عن الاشتغال به والخوض فيه ، واحتج القائلون بالتحريم بهذا النهى قائلين لو لم يكن الاشتغال بعلم الكلام حراما ما نهى أبوحنيفة ابنه حمادا عن الخوض فيه ، بل لقال له عليك بالكلام وأهله .

ولانه يخشى على ابنه الهلكة ، لقوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة "، ومن ثم فقد نهاه عن الخوض فيه فدل ذلك على ان الاشتغال به حرام ، بل روى عنه كراهيته الخوض فى علم الكلام بمجلسه ، ومن ثم فقد تأكد أن الاشتغال بعلم الكلام حرام ، والا فعلام وقع النهى ؟

---

(٦) عبدالكريم زيدان - المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ص ١٥٦ دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية .

(٧) د/ محمد مصطفى أمبابى - الحركة الفقهية الاسلامية ص ٢٢٩ ط أولى حـ١ مطبعة السباعى ١٩٨٤م .

(٨) صون المنطق والكلام حـ١ ص ٦٦ .

وكذلك صنع صاحبه أبو يوسف ، حيث نهى عن الخوض فى علم الكلام ، وذم المتكلمين بل وأخلى مجلسه منهم ، فدل ذلك على التحريم عنده .

● والجواب :

ان الأئمة لم ينهوا عن النظر ، ولم يرفضوا الاشتغال بعلم الكلام ، كما أن مجتهدى الأمة كان لهم دور بارز فى الدفاع عن العقيدة الاسلامية وتقريرها ، ورد الشبه عنها ، والتأليف فى علم الكلام على النحو الذى يوافق القرآن والسنة النبوية المطهرة ، وهاك التفصيل :

[١] ان ما نسب للأمام ابى حنيفة من النهى عن الكلام ، واهله مردود بفعل الامام نفسه ، فانه الف فيه كتابه الفقه الأكبر ، وهو مشتمل على القواعد الأصلية التى هى العقائد الايمانية ، فكيف يؤلف فيه ، وفى نفس الوقت ينهى عنه . اذن الدعوى بانه نهى عنه لا تقاوم ما ثبت له من كتاب الفقه الأكبر ، ولا عبرة بما زعمه المعتزلة من أن الكتاب منسوب اليه فما ثبت بالدليل لا يرده الظن .

كما أن كتاب الوصية له ايضا ، وقد قام بشرحه الشيخ أكمل الدين البابرتى : قال فى مقدمته : لما رأيت كتاب الوصية المنسوب إلى الامام الأعظم ابى حنيفة وافيا لما يحتاج اليه فى الدين ، كافيا لما يجب الاعتقاد به للمسلمين ، جمعت له من كلام المشايخ فوائد تبين ميامن فوائده ، وتعين مكامن فرائده .

تفصح بمعاقد القواعد، وتوضح وجه الاستدلال على العقائد مجيبا على ما يرد على ما فيه ، مشيرا إلى مذاهب مخالفيه[9] " اذن الامام الاعظم له أكثر من كتاب فى علم الكلام .

وقد حاول الآب جورج قنوانى التشكيك فى ان الوصية لأبى حنيفة وزعم انها منسوبة اليه[10] ، وهو شك ليس فى موضعه أما لماذا فلأ نها لو كانت محل شك ما عنى بها الماتريدية ، كيف والامام ابو منصور الماتريدى نفسه له كتاب شرحها به سماه الجوهرة المنيفة فى شرح وصية الامام أبى حنيفة[11] . اذن دعوى عدم اشتغاله بعلم الكلام مردودة على اصحابها ، والشك بان الوصية له قائمة على الشاك لا على المشكك فيه .

[٢] ان نهيه ابنه حمادا عن المناظرة فى الكلام ، فانما كان عن المناظرة بطريق التخطئة والالزام ، فانه لما قال رأيتك تتكلم ، فلم تنهانى ، قال الامام لولده كنا نتكلم ، وكل واحد منا كأن الطير على رأسه مخافة أن يزل صاحبه ، وانتم تتكلمون وكل واحد منكم يريد أن يزل صاحبه ويكفر ، ومن اراد فقد كفر .

[٣] ان ما وردُ عنه من نهى عن الاشتغال بعلم الكلام أو الخوض فيه ، فانه محمول على هذا الوجه المراد منه التخطئة والمناظرة[12] واظهار الغلبة ،

---

(٩) د/ ربيع خليفة - كتاب شرح أكمل الدين على وصية الامام أبى حنيفة ص ٣٢٠ ماجستير ودراسة مخطوط اصول الدين - القاهرة ١٩٩٣م .

(١٠) الاب جورج قنواني - تراث الاسلام جـ٢ ص ٧٥ وما بعدها .

(١١) الكتاب مطبوع بحيدر اباد الدكن ١٣٢١هـ .

(١٢) اشارات المرام ص ٣٥ وتراجع الكردية ، وشرح المنهاج للسبكى - شرح جمع الجوامع ، التبصره البغدادية

وتشجيع الفتنة لا تقرير العقيدة الايمانية على وجه مشروع ودفع الشبه عنها ، وهو الذى يقوم عليه علم الكلام فى الاسلام كذلك ما نسب لصاحبه ابى يوسف فانه محمول كذلك على علم الكلام الممتلىء بالاهواء ، وكلام المخالفين من اهل البدع المكفرة سواء فى أصولهم المقررة ، أو قواعدهم التى يقومون عليها ، ولذا فان قول ابى يوسف عن الكلام ان الجهل بالكلام هو العلم وانه زندقة إلى غير ذلك من الأوصاف الذميمة محمول على الكلام المنهى عنه شرعا ، وليس علم الكلام الاسلامى الذى غايته التمكن من ازاحة الشبه ، والزام المنكرين وارشاد المسترشدين[13] وتعريفهم بالله رب العالمين .

وكذلك يمكن حمل النهى عن الخوض فيه ممن لا يملك هذه المقدرة ، ولا يتمكن منها ، ويخشى عليه أن هو دخل ذلك الميدان لَجَّ فى الخصومة ، وسقط فى الضلال ، ومثل هذا ليس له الحق فى الجدل ، ولا يصح ادخاله إلى ميدان علم الكلام بحال من الاحوال .

حتى ان الامام الغزالى الف كتابه الجام العوام عن علم الكلام ، خشية عليهم منه لعدم تمكن قدراتهم من الوصول إلى ما فيه ، أما اذا تمكنت قدراته فهو امر غير منهى عنه بل مطلوب شرعا ، وعليه يحمل قول الامام ابى حنيفة وصاحبه ﷺ ، وهو الذى يشهد له انشغالهم بلون من الكلام يتفق مع الكتاب والسنة والعقول الصحيحة والذى الف فيه الامام ابو حنيفة على ما سبقت الاشارة .

(١٣) الكمال بين ابى شريف كتاب المسامرة بشرح المسايرة ص ١١ ط أولى ١٣١٧هـ .

٢- الأمام مالك - ٩٣/١٧٩هـ :

امام دار الهجرة ، واحد أصحاب المذاهب الفقهية الاربعة المشهورة ، ولد بعد أبي حنيفة بثلاث عشرة سنة ، وأسمه مالك بن انس بن مالك بن ابى عامر الاصبحى اليمنى ، ابوه من رواة الحديث وجده مالك من كبار التابعين ، وجد أبيه وهو ابو عامر بن عمرو من أصحاب رسول الله ﷺ شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ خلا بدرا [١٤] .

والامام مالك هذا مدنى الدار والمولد ، والنشأة فانه ذو مروءة حملت اليه من اعمال المدينة المنورة[١٥] ، وكان عالما بالحديث والفقه ومشاركا فى كل الفنون العلمية وعالما بالقرآن والتفسير وقراءة القرآن وتجويده وكان خبيرا بعلم الكلام ، وله فيه رسالة فى القدر والرد على القدرية[١٦]

بلغ من اكباره وحبه لرسول الله ﷺ وتوقيره له انه كان لا يركب دابة فى المدينة حتى بعد ان كبر وشاخ وسئل فى ذلك فقال : لا اركب فى مدينة ضمت جسد رسول الله ﷺ ، وكان لا يرضى عن المدينة بديلا ، بنى مذهبه الفقهى على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وكان يعتمد بعدهما على أقوال الصحابة لأنهم كانوا اقرب إلى رسول الله ﷺ ، وكان يعتمد بعد ذلك على الاجماع كما كان يقدم عمل أهل المدينة على غيرهم ، لانهم ابناء أولئك الذين صاحبوا رسول الله ﷺ ، فعملهم ناشيء عن علمهم .

انتشر مذهبه فى كثير من البلاد الاسلامية ولاسيما المغرب العربى نشره ادريس بن عبدالله مؤسس دولة الادارسة هناك ، ومازال منتشرا بها

---

(١٤) د/ محمد بن علوى المالكى - امام دار الهجرة / مالك بن انس ص ١٠ .

(١٥) المصدر نفسه ص ١١ .

(١٦) المصدر السابق ص ١٨ .

حتى يومنا هذا[١٧] ، ويوجد فى القطر المصرى بعض المالكية فى صعيد مصر ، وهو مذهب فقهى فيه الكثير من روح الامام مالك رضى الله تعالى عنه ، وحكى أنه كان يصلى الفجر بوضوء العشاء من شدة ورعه وتقواه ، وكثرة انشغاله بالعلم .

. احتج القائلون بتحريم الاشتغال بعلم الكلام بما نسب للأمام مالك من انه كره الخوض فى علم الكلام ، اخرج الهروى من طريق عبدالرحمن ابن مهدى قال دخلت على مالك ، وعنده رجل يسأله فقال له مالك ، لعلك من اصحاب عمرو بن عبيد لعن الله عمرا فأنه ابتدع هذه البدع من الكلام .

ولو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا فى الاحكام والشرائع ، وهذا النص من مالك يصرح بالعلة فى تحريم النظر والاشتغال بالكلام وانه لم يعمل به السلف الصالح ، كما لم يتكلموا فيه[١٨].

بل ان الامام مالكا رحمه الله تعالى نهى عن الخوض فيه وأمر بطرد السائل واخراجه من مجلسه حين جاء يسأل عن معنى الاستواء . فقال له الامام مالك :

الاستواء معلوم ، والكنه مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، ولا أراك الا ضالا ثم أمر باخراجه ، كماروى عنه انه قال فى نفس السؤال : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة . قم عنا حتى لا

---

(١٧) د/ حمزه النشرتى وآخرون - الفقه على المذاهب الاربعة ص ١٠ ، ١١ .

(١٨) صون المنطق جـ١ صـــ ٦٧ .

نعذب بك ثم أمر باخراجه ، وكان أبعد الناس من مذاهب المتكلمين ، والزمهم لسنة السلف الصالح من الصحابة والتابعين(١٩) .

فلو كان الخوض فى علم الكلام أمرا مستحبا لخاض فيه الأمام مالك ، وتوسع فى الاجابة ، حتى تبرأ علة السائل ، أو يشفى غليله مما يعانيه بل كان مالك ﷺ ينهى عن الجدال فى الدين ، ويقول :

المراء والجدال فى الدين يذهب بنور العلم من قلب العبد ، ورأى قوما يتجادلون عنده فقام عنهم ونفض رداءه ، وقال انما أنتم فى حرب ، وقيل له رجل له علم بالسنة ايجادل عنها قال لا . ولكن ليخبر بالسنة فان قبل منه والا سكت(٢٠) فدل ذلك على عدم استحسانه الخوض فى علم الكلام بل وتحريمه الاشتغال به .

● والجواب :

[١] أن ما نسب للأمام مالك من تحريم النظر بالاشتغال فى علم الكلام مردود عليه بما يلى :

أ- أنه الف رسالة فى علم الكلام عنيت بالرد على القدرية(٢١) فكيف يُدَّعَى أنه نهى عن علم الكلام جملة ، وهو فى نفس الوقت قد سبق له التأليف فيه ان الكلام لا يستقيم الا اذا كان على جهة الاثبات فقط أو النفى فقط ، وقد ثبت انه الف فيه فيستحيل ان يكون قد نهى عنه ذاته ، لكن قد ينهى عن غيره .

---

(١٩) دأ محمد بن علوى المالكى / امام دار الهجرة أنس بن مالك ص ٨٤ .

(٢٠) المصدر السابق ص ٣٣ .

(٢١) راجع امام دار الهجرة مالك بن انس - د/ محمد علوى المالكى ص ١٨ .

ب- أنه استعمل الاجتهادات العقلية والفكرية في منهجه ، ولم يهمل الجانب الكلامي لانه مبنى على الاتجاهات والامكانيات العقلية ، ولذا نراه لما اشتدت الخلافات بين بنى أمية سارع للأجتماع باصدقائه من أهل العلم والدين وفكروا فى الخروج على الامام ومبايعة الأصلح ، رغم أن الامامة أحد المباحث المتعلقة بالعقيدة[٢٢] فلو لم يتكلم بعلم الكلام ما كان قد سمح لنفسه بالتفكير فى الخروج على القيادة القائمة حتى لو كانت ظالمة .

جـ- أنه متكلم على لغة الشرع ، فالاستواء معلوم فى لغة العرب ، ولكنه مجهول الحقيقة بالنسبة لله تعالى ، فكان جوابه الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، ولو لم يكن متكلما لقال للسائل مثلا : الرحمن على العرش استوى ، وكفى أو لقال له لا تسأل عن الاستواء أنما بين للسائل أمرين :

- الأول : حقيقة الاستواء فى اللغةوانها معلومة ، لانها لغة عربية ، تخاطب عربا يفهمونها ومدلولاتها .
- الثاني : حقيقة الاستواء الذاتية فى المعنى من حيث وصف الله تعالى به ، وهى غير معلومة أبدا ، لأن الاستواء يناسب المستوِى ، ولما كان المستوى غير معروف على الحقيقة الذاتية التى لا يعلمها الا هو فكذلك الاستواء المتناسب معه .

[٢] ان ما نسب للأمام مالك محل أَخْذٍ وَرَد ، فعلى حين أثبت البعض أنه الف رسالة فى الرد على القدرية ، يُدّعَى أنه كان ابعد الناس من

(٢٢) راجع المواقف ، والمقاصد ، والاقتصاد فى الاعتقاد سترى مبحث الامامه جاء ملحقا بها كجزء من العقيدة الدينية ، وان لم يكن منصوصا عليه لكن فى ضمانها سلام للدين والامة ، ولذا الحقت بالمباحث العقدية .

مذاهب المتكلمين[٢٣] والحاكى واحد ، والكتاب واحد ، والمحكى عنه شخص مشهور هو الامام مالك صاحب الموطأ والمذهب الفقهى الشهير . والمعروف انه اذا تضاربت الاقوال تساقطت . وثبت أنه متكلم وهو الغرض المقبول .

[٣] ان النهى الوارد عن الامام مالك محمول على كلام أهل البدع ، والتسمية دالة على المسمى ، وهو انصباب النهى على كلام أهل البدع[٢٤] ، وليس كلام أهل الحق اهل السنة والجماعة :

[٤] قبول النهى عن علم الكلام ، وحمله على غير المتمكن منه ، الذى يكون بليد العقل ، خامل الملكات يقنع من المسألة بالتقليد ، ولا يصلح معه الارتقاء إلى مستوى الادلة ، بل ربما أفاد عنده الدليل الفطرى وهو ليس فى حاجة للدليل العقلى ، أما غيره فلا ، ومن ثم فحمل كلام الامام مالك على اطلاقه غير مقبول وثبت انه تكلم عن لغة اهل الحق ، وانه لم ينه عن هذا النوع من الكلام ابدا .

٣- الأمام الشافعى ١٥٠ / ٢٠٤ هـ

هو ابو عبدالله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى من بنى المطلب بن عبد مناف ، ويلتقى مع رسول الله ﷺ فى بنى عبد مناف القرشى ، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ ، وهى السنة التى توفى فيها الامام الأعظم ابو حنيفة وعاصر مالكا ،وكانت ولادته قبل الامام أحمد باربعة عشرة سنة ، فتعاصرا فيما بعد .

---

(٢٣) راجع صفحات ١٨ ، ٨٤ من كتاب أمام دار الهجرة انس بن مالك للدكتور / محمد بن علوى المالكى ستجد الموقفين مما يوكد وجود اضطراب فى الروايتين .

(٢٤) اشارات المرام من عبارات الامام ص ٣٦ .

وهب الله الشافعي روحا وثابة ، ونفسا عالية وذكاء حادا ، وفراسة صادقة ، وحافظة واعية ما تمر عينه على شيء الا يحفظه فورا ، وقد حفظ القران الكريم وهو ابن خمس سنين .

تتلمذ على الامام مالك ، وتتلمذ عليه الامام أحمد ، فهو قد تأثر بالامام مالك ، وأثر في الامام أحمد حتى قال الامام أحمد فيه ، ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق الا وللشافعي في رقبته مِنّة[٢٥] كان بحرا في العلوم والمعارف ، وقد صاحبته رؤيته الواسعة في التجوال داخل الفكر الاسلامي فما ترك فرعا الا وضرب فيه بسهم ، وقد الف العلماء والائمة في سيرته كتبا كثيرة ، وفي مذهبه الفقهي كذلك ، بل وفي مآثره ومؤلفاته ، وما يتعلق به ، وفقه الشافعي جامع بين فقه أهل الرأى وفقه أهل الحديث مع ظهور شخصيته المستقلة .

ولد رحمه الله بغزه سنة ١٥٠هـ ومات ليلة الجمعة بمصر ودفن يوم الجمعة بعد العصر آخر يوم من رجب ٢٠٤هـ - ١٩ يناير ٨٢٠م[٢٦] وقد قضى قرابة الاربعة والخمسين عاما هي عمره المبارك ، فرغم قصره نسبيا (٥٤سنه) الا انها كانت مباركة فتح الله عليه فيها فالف مذهبه الفقهي القديم في العراق ، ثم الف مذهبه الفقهي الجديد بمصر رحمه الله رحمة واسعة .

ومذهبه منتشر في اغلب بلاد المشرق الاسلامي ، ومعروف بفقه الشافعي ، وله ضريح عامر بالزائرين بالقاهرة ، بل ومسار للمواصلات الغامة بالقاهرة الفاطمية معروف بالامام الشافعي ، وهناك مدافن باسمه ايضا تسمى مدافن الامام الشافعي .

---

(٢٥) الفقه على المذاهب الاربعة جـ١ - ص ١٢ - ١٣ .

(٢٦) الرسالة ص ٨ .

وفى مصر ظهرت مواهب الشافعى حال حياته ومقدرته الكلامية ، فأملى على تلاميذه المصريين كتبه الجديدة التى يعبر عنها بالتول الجديد فى مؤلفاته الفقهية ويحملها كتاب الام .

وسبب هذا التغيير أنه لما قدم إلى مصر وخالط علماءها وسمع ما عندهم من حديث وفقه ورأى عادات وحالات اجتماعية تخالف ما سمع وما رأى فى الحجاز والعراق تغير وجه الاجتهاد عنده فى بعض المسائل ، وعرف ذلك بالمذهب الجديد(٢٧) .

تمسك القائلون بتحريم الاشتغال بعلم الكلام بمانسب اليه من نقول فيها ذم وتحريم للمشتغلين بالكلام ، وقد جمع العلامة السيوطى أغلبها فى كتابه صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام ، وذكر اسباب تحريم الشافعى الاشتغال بعلم الكلام ومجالسة أهله نذكر منها :

١- ما يخشى منه من إثارة الشبه والانجرار إلى البدع ، وذلك أن المتكلم فى نظره إنما يقوم على المتشابه من النصوص ، فينتهى به الأمر إلى الانجرار بمخالفة الكتاب والسنة إلى غيرهما ، فيوقع فى قلبه الشبه ويسقطه فى البدع ، لما أنه متولد من علم الحكمة الدهرية الذى يصرف الناس عن الكتاب والسنة(٢٨) .

٢- انه لم يرد به الأمر فى القرآن الكريم ولا السنة النبوية المطهرة ، ولا وجد عن السلف بحث فيه ، اذن فالاشتغال بتعلمه أو تعليمه مما لم يبحه الشارع بل هو حرام على هذه الجهة(٢٩).

---

(٢٧) الدكتور / محمد مصطفى امبابى - الحركة الفقهية الاسلامية ص ٢٤٩ .

(٢٨) صون المنطق جـ١ ص ٥٢ .

(٢٩) صون المنطق جـ١ ص ٦٤ .

٣- كونه مخالفا فى اسلوبه وطرق معالجته أساليب الكتاب والسنة ، ولذا قال الشافعى فيهم - حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الأبل ، ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ، وينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام[٣٠].

٤- انه محدّث وبدعة حيث قال الشافعى : كل من تكلم بكلام فى الدين أو فى شىء من هذه الاهواء ليس فيه امام متقدم من النبى ﷺ واصحابه فقد أحدث فى الاسلام حدثا ، وقد قال النبى ﷺ من أحدث حدثا أو آوى محدثا فى الاسلام ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرفا ولا عدلا .

ومن طريق حرملة قال سمعت الشافعى يقول اياكم والنظر فى الكلام فان رجلا لو سئل عن مسألة فى الفقه فأخطأ فيها أو سئل عن رجل قتل رجلا فقال ديته بيضة ، كان أكثر شىء يضحك منه ، ولو سئل عن مسألة فى الكلام فأخطأ فيها نسب إلى البدعة

فهذا كلام الشافعى فى ذم الكلام والحث على السنة والالتزام ، وهو الامام الذى لا يجارى ، والفحل الذى لا يقاوم فلو جاز الرجوع اليه ، وطلب الدين من طريقه لكان بالترغييب فيه اولى من الزجر عنه ، وبالندب اليه اولى من النهى عنه ، فلا ينبغى لأحد أن ينصر مذهبه فى الفروع ثم يرغب عن طريقته فى الاصول[٣١] وبهذا نقرر أن علم الكلام حرام فى الاشتغال به ، حرام فى تعلمه وتعليمه ، وصاحبه مبتدع والمؤيد له مثله .

● والجواب :

---

(٣٠) المصدر السابق جـ١ ص ٦٥ .

(٣١) المصدر نفسه ص٢٠١ .

ان الامام الشافعي رحمه الله لم يحرم الاشتغال بعلم الكلام فى الاسلام ، ولم ينه عنه بل له فيه دور يتناسب مع ما ندب نفسه اليه ، فانه يقول : " الناس في العلم طبقات موقعهم من العلم بقدر درجاتهم فى العلم به ، فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم فى الاستكثار من علمه ، والصبر على كل عارض دون طلبه ، واخلاص النية لله فى استدراك علمه نصا واستنباطا ، والرغبة إلى الله فى العون عليه فانه لا يدرك خيرا الا بعونه .

فان من أدرك علم أحكام الله فى كتابه نصا واستدلالا ، ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه ، فاز بالفضيلة فى دينه ودنياه ، وانقضت عنه الريب ، ونورت فى قلبه الحكمة ، واستوجب فى الدين موضع الامانة[٣٢]

ولست ادرى فائدة للنص على الاستدلال الذى ذكره الامام الشافعي سوى انه الاستدلال على العقيدة الدينية من النصوص الشرعية . وسنذكر ما يدل على ان الامام الشافعي كان متكلما .

١- ناظر الشافعي حفصا الفرد فى القرآن ، ولما كان حفص من أكابر الجبرية ، والقول بخلق القرآن عندهم جزء من تراثهم الفكرى قال له الامام الشافعي كفرت بالله العظيم " لان حفصا كان ممن تتبع الأهواء ، بل هو من متكلمة أهل الباطل .

قال فيه الامام الشافعي لو علم الناس ما فى الكلام من الاهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد ، ولان يلقى الله تعالى العبد بكل ذنب الا الاشراك خير له من ان يلقاه بشيء من الكلام[٣٣] اذن الشافعي متكلم على مذهب أهل السنة والجماعة .

---

(٣٢) الامام الشافعي - الرسالة ص ١٨ ، ١٩ تحقيق الاستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر .

(٣٣) اشارات المرام ص ٣٦ .

٢– قال الحافظ ابوالقاسم بن عساكر : كان الشافعي يحسن الكلام ، وقد قال قد أحكمنا ذلك من قبل هذا أى الكلام قبل الفقه ، وتكلم مع غير واحد ممن ابتدع ، واقام الحجة عليه وقطع على ابراهيم ابن علية المعتزلى ، وبين للحميدى الاحتجاج على المرجئة ، ولا بن هرم الاحتجاج على منكر الرؤية ، والف فيه كتابين كما صُرّح به فى التبصرة البغدادية[٣٤] .

٣– يمكن حمل الذم الصادر من الشافعي للكلام وأهله بانه ينصرف إلى كلام أهل البدع والاهواء ، وليس متكلمة أهل الحق أهل السنة والجماعة ، فانه منهم .

٤– كما يمكن فهم الأمر يان التحريم لمن يخلط فى فهمه بين ما نزل به القرآن وما تلفظ به غيره ، ومثلهم لا يؤمن الحال معهم ، وانما اذا تكلموا حجبوا عنه ، ومنعوا منه ، أما لماذا ؟

- فالجواب : أن الايمان أقسام خمسة :
- القسم الأول : الايمان عن تقليد ، وهو الايمان الناشيء عن الأخذ بقول الشيخ من غير دليل ، انما دليله شيخه وهو ايمان العوام .
- القسم الثانى : الايمان عن علم : وهو الايمان الناشيء عن معرفة العقائد بادلتها اليقينية وهو لاصحاب الأدلة .
- القسم الثالث : الايمان عن عيان وهو الايمان الناشيء عن مراقبة القلب لله بحيث لا يغيب عنه طرفة عين ، وهو لأهل المراقبه ويسمى مقام المراقبة .

---

(٣٤) اشارات المرام ص ٣٧ .

- القسم الرابع : الايمان عن حق ، وهو الايمان الناشىء عن مشاهدة الله تعالى بالقلب وهو للعارفين ويسمى مقام المشاهدة .

- القسم الخامس : الايمان عن حقيقة ، وهو الايمان الناشىء عن كونه لا يشهد إلا الله ، وهو للواقفين ويسمى مقام الفناء لأنهم يفنون عن غير الله ولا يشهدون الا اياه .

وهناك قسم خاص هو الايمان عن حقيقة الحقائق ، وهو للمرسلين ، وقد منعنا الله من كشفها فلا سبيل إلى بيانها[٣٥]، وعلى هذا فالقول بان الامام الشافعي ذم الكلام وأهله لا يقبل على اطلاقه حتى يكون دليلا للقائلين بتحريم الاشتغال بعلم الكلام ، وانما ينصب على كلام أهل البدع والأهواء لا كلام اهل الحق .

## ٤- الامام أحمد بن حنبل ١٦٤هـ / ٢٤١ م

امام فى الفقه والقرآن ، والحديث ، واللغة ، والفقر ، والزهد ، والورع ، امام فى الاصول والفروع ، بحر زاخر موج متلاطم ، أمام المحدثين ، والناصر للدين ، والمناضل عن السنة والصابر فى المحنة ، ومن لم تر عين مثله علما وزهدا وديانة وأمانة الامام الذى لا يجارى ، والفحل الذى لا يبارى[٣٦]

هو الامام ابو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد بن ادريس بن عبدالله بن انس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن مصعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب

(٣٥) حاشية الباجورى على الجوهرة ص ٢٥ وبالهامش تقريرات الاجهورى .

(٣٦) المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الامام أحمد جـ١ ص ٦ - تأليف ابى اليمن مجير الدين عبدالرحمن العليمى ، تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبدالحميد .

، بن أقصى بن دعمى بن جديلـه بن أسـد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن اددبن الهميسع بن حمل النبيت بن قيدار بن اسماعيل بن الخليل بن ابراهيم صلوات الله وسلامة عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين .

وهذا النسب فيه منقبة عظيمه ، ورتبة جليلة من وجهتين :

- أحدهما : انه يلاقى فيه نسب رسول الله ﷺ فى نزار لأن نزارا كان له اربعة أولاد منهم مضر ونبينا ﷺ من ولده ومنهم ربيعة وأمامنا ابو عبدالله أحمد من ولده .

- ثانيهما : انه عربى صحيح النسب وقد قال النبى محمد ﷺ أحبوا العرب لثلاث ، لأنى عربى ، والقرآن عربى ، ولسان أهل الجنة عربى[٣٧] .

ولد رحمه الله فى ربيع الأول سنة ١٦٤هـ ، وذلك ببغداد ، كان أمام المحدثين فى عصره ، وكان من أصحاب الشافعى ﷺ ، وما زال مصاحبا له حتى ارتحل الشافعى إلى مصر ، وقال الشافعى فيه . خرجت من بغداد وما خلفت بها اتقى ولا أفقه من ابن حنبل[٣٨]

وبالرغم من كونه فقيها محدثا عالما بالسنة والقرآن فقد كانت نفسه تتوق إلى الحياة الروحية حتى انغمس فى بحار التصوف النقى الذى ظهر بوضوح فى مناجاته لربه بقوله :

اللهم ان كنت تعلم أنى أحبك خوفا من نارك فعذبنى بها ، وان كنت تعلم انى أعبدك طمعا فى جنتك فاحرمنيها ، وان كنت تعلم أنى أعبدك حبا لك ، وشوقا إلى وجهك الكريم فمتعنى برؤية وجهك الكريم

---

(٣٧) المصدر السابق ص ٦ ، ٧ .

(٣٨) طبقات الحنابلة جـ١ ص ٢٢١ .

مرة واصنع بى بعد ذلك ما شئت[٣٩] " لقد كان على يقين من ان من نظر الله اليه نظرة لا يشقى بعدها ابدا ، ولذا كان يرجوها .

بلغ من ورعه وتقواه انه كان يرفض الجلوس على الحصير لأنها تُسرق ، وكان يجلس على التراب . وهو صاحب مذهب فقهى مشهور يقوم على منابع الدين الصافية ، وهى كتاب الله عز وجل ، والسنة النبوية الصحيحة ، ولا يعترف بالقياس أو الرأى ، ويقول ان القياس فى الدين باطل والرأى مثله وابطل منه ، وأصحاب الرأى والقياس فى الدين مبتدعون الا ان يكون فى ذلك أثر عن سلف من الأئمة .

توفى رحمه الله سنة مائتين وأحدى واربعين ببغداد واسلم يوم وفاته كثير من النصارى واليهود والمجوس[٤٠] .

نسب اليه القول بتحريم الاشتغال بالعلوم العقلية ومنها علم الكلام ، بل ان بعض النقول تمادت فنسبت اليه القول بتكفير أصحابه ومن يعملون به ، بل ان من يدعون نسبتهم اليه ، يقومون بالدعوة لمحاربة الكلام وأهله ظنا منهم أن الامام أحمد رحمه الله قال بتحريمه بل تصوروا اسباب التحريم عنده على النحو التالى .

[١] انه لم يرد الأمر به فى القرآن والسنة ، فهو بدعة .

[٢] أنه مخالف لاسلوب القرآن والسنة ، فهو بدعة .

[٣] انه يفتح باب الفتن على مصراعيها ، فهو حرام .

---

(٣٩) د/ مصطفى الشكعة اسلام بلامذهب ص ٤٦١ ، وقد نسب مثل هذا القول للسيدة رابعة العدوية ولا مانع ان يكون دعاء لكل منهما .

(٤٠) الفقه على المذاهب الأربعة حـ١ ص ١٤ ، ١٥ واسلامهم راجع لفتح الله عليهم ولما رأوه من عظم جنازة الشيخ وكرامته حيث قدر شيعو جنازته بثمانمائة الف رجل وستين الف أمرآة .

[٤] أنه لا يؤمن على متعاطيه من الوقوع فيه . وماجر إلى المعصيةفهو معصية .

[٥] رجوع أغلب المتكلمين عنه فى أخر حياتهم . كما نسب للأمام الفخر وغيره .

[٦] أنه معتمد على مفردات من كلام اليونان كالجوهر والعرض .

ويبدو لى ان اصحاب هذا الاتجاه لديهم الرغبة فى حشد كافة الظنون ،والشبهات بغرض التأكيد على وجهة نظرهم دون مراعاة لا بسط الحقوق وهو الموضوعية ، وتحرير محل النزاع .

اذ يجب الفصل فى المواقف الفكرية ، وعدم تكرار الشبه التى سلف الرد عليها ، وتحريك الجديد من الاستشعارات ان كان هناك من جديد ، أما استمرار الدفع لمركب واحدة سبق لها العمل ، وتم الاستغناء عنها فما أظنه مقبولا .

● والجواب :

ان اصحاب هذا الاتجاه يكررون شبهاتهم مع كل امام مرة . ويمكن الرد عليها اجمالا بما يلى :

[١] ان الامام أحمد كان صاحب وراثة بالكلام ، والا كيف ازاح البدعة لدى المتكلمة ان لم يكن قد عرفهم وتعرف عليها .

[٢] ما روى عنه ﷺ من قوله أنه بدعة ، وانه لا يفلح صاحب الكلام ابدا محمول على ان المراد كلام أهل الاهواء ، وقد فصله هو فى التسمية فسماهم وكلامهم بالبدعة والمبتدعة . وقد ذكر القاضى

عباض في الشفاء ان السلف والخلف حاربوا أهل البدع ، ونقضوا تلك الشبه ، وردوا هذا الباطل .

[٣] أجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفر . والملحدين فى كتبهم ومجالسهم ليبنوها للناس ، وينقضوا شبهها عليهم ، وان كان قد ورد لأحمد بن حنبل أنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد فقد صنع أحمد مثله فى رده على الجهمية والقائلين بالخلق[٤١] .

بل ان الناظر للأسئلة التى وجهت إلى الصحابة وعلماء السلف والتابعين والاجابات التى وردت عليها لتؤكد أن القوم كانوا من ارقى المتكلمين وأرقهم فى التعبيرات ، واختيار المفردات من ذلك .

أ- سئل ابوبكر الصديق ﷺ :

بم عرفت ربك ؟ قال عرفت ربى بربى ، ولولا ربى ما عرفت ربى ، فقيل هل يتأتى لبشر ان يدركه ، فقال العجز عن الادراك ادراك[٤٢]

ب- سئل الامام على كرم الله وجهه :

بم عرفت ربك ؟ قال عرفته بما عرفنى به نفسه ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالقياس ، ولا يشبه بالناس قريب فى بعده ، بعيد فى قربه فوق كل شيء ، ولا يقال تحته شيء ، وامام كل شيء ولا يقال أمامه شيء ، وهو فى كل شيء لا كشيء فى شيء . فسبحان من هو كذ ولا

---

(٤١) اشارات المرام من عبارات الامام ص ٣٧ والقاضى عياض - الشفا .

(٤٢) حاشية على شرح الخريده البهية ص ٢٥ .

هكذا أحد سواه .[٤٣]

جـ – سئل بعض العلماء عن الله تعالى فقال :

ان سألت عن اسمائه فقد قال : و لله الاسماء الحسنى فادعوه بها .

وان سالت عن صفاته فقد قال : " قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " .

وان سئلت عن اقواله فقد قال : " انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون " .

وان سألت عن أفعاله فقد قال : " كل يوم هو فى شأن "

وان سالت عن نعته فقد قال : " هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم "

وان سألت عن ذاته فقد قال : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[٤٤] "

[٤] وعلى الرغم من تصريح الامام أحمد بأنه ليس بصاحب كلام ، وكراهيته الشديدة للجدل فيما ليس تحته عمل ، فقد أثر عنه كثير من الاراء فى أهم مسائل العقيدة ، كمسألة الايمان وحقيقته ، والقدر ، وافعال الإنسان الاختيارية ، والذنوب وأثرها فى الايمان ، ومرتكب الكبيرة ،

---

(٤٣) الشيخ أحمد الصاوى – حاشية على شرح الخريدة البهية ص ٣٥ ، وبها مشها شرح الخريدة البهية لسيدى أحمد الدردير .

(٤٤) المصدر السابق ص ٣٥ .

وأخيرا مسألة الصفات ، ومسألة خلق القرآن والرؤية ، وهذه المسائل تكّون فى مجموعها أهم مسائل علم الكلام(٤٥) .

[٥] ايما كان الأمر فان لغة التحريم لم تنل قبولا ، ولم يقم لها أجماع بل انها وقفت باصحابها عند منتصف الطريق فلاهم أباحو الاشتغال به طبقا للشروط التى يجب توافرها فى الدارس والمدروس ، ولاهم قدموا ادلة على ما ذهبوا اليه لا يتطرق اليها الاحتمال .

على ان ما ننبه اليه هو ضرورة فتح الباب للعفو والصفح فلا يقدح مسلم فى مسلم ، وانما يلتزم صاحب الرأى ما ذهب اليه ما دامت الادلة قد ثبتت عنده ، أما ان يلزم غيره بها فهذا تحكم منه .

فاذا اعتدى بما التزم به على عقيدة أخيه أو شكك فيها أو حاول النيل من دينه ، فذلك مما لا يقربه الدين الحق الذى نحن من اهل الانتساب اليه والدفاع عنه ، لقوله ﷺ كل المسلم على المسلم حرام ، ماله وعرضه ، ودمه .

نسأل الله السلامة فى الدين والدنيا لنا واخواننا وعلمائنا ،ووالدينا واصحاب الحقوق علينا ، " ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم"(٤٦) .

---

(٤٥) د/ محمد عبدالستار أحمد نصار - المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق ، وعلم الكلام ص ٥٢٢ مطبعة دار الانصار طبعة أولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، وراجع الصفحات من ٥٢٢ - ٥٣١ لترى الظواهر الكلامية للأمام أحمد غاية فى الوضوح . وارجع إلى المصادر التى ذكرت بهامش الصفحات ذاتها أمثال - مناقب الامام أحمد لابن الجوزى ، وأحمد بن حنبل للشيخ محمد أبوزهره ، وحركة الحنابلة فى بغداد لمحمد محمود ، وعقيده الامام أحمد لمحمد بن تميم الحنبلى بذيل جـ٢ طبقات الحنابلة - مقالات الاسلامين للأشعرى .

(٤٦) سورة الحشر الآية ١٠ .

الشبهة الخامسة : انه مظنة الوقوع فى الشبه والضلال(٤٧)

ذلك ان الاشتغال بعلم الكلام ربما ظن أن قضاياه يقينية ، وربما وقع على شبهة فاعتبرها دليلا وهى ليست بدليل ، وحينئذ يقع فى الشبه ، فربما كان مؤمنا مقلدا لشيخه وصح له ايمانه فلما نظر فى علم الكلام وقع فى الشبه فاعتقدها ، وهنا يسقط فى الضلال ، فكانت حاله الأولى بتقليده الصحيح أفضل من دخوله علم الكلام والسقوط فى شبهه ، ودعاوى اصحابه فان الكلام لا يأتى بخير .

كما ان بعض الناس قد لايتمكن من دقائق الشبه التى تحتاج الغوص فى بحر عظيم ، وبخاصة اذا كان جامد القريحة ، بحيث يخشى أن يرسخ منها شىء فى نفسه فيعجز عن دفعه(٤٨) كالبحث فى مسائل الصفات وزيادتها على الذات ، ومبحث الرؤية ، والقضاء والقدر فان البحث فيها لا يسلم من الوقوع فى شبهها طالبها ، وبالتالى فهو حرام .

مناقشة الشبهة :

يبدو ان اصحاب الشبهة أقرب حالا بمن حرم على الناس شرب الماء الروى لمظنة الوقوع فى الموت ، أو لان واحدا شرب الماء فمات ، أو يحرم العلاج لأن أحد المرضى استخدمه فمات ، وكمن يحرم استعمال الطعام لأن واحدا تناوله فلم ينج من الهلاك ، ومن يحرم السباحة مظنه الغرق .

فهذه الأمثلة ونحوهاحالات فردية ، فكل الناس يشربون الماء ولا يموتون فاذا مات واحد منهم فقد انقطع أجله لا لأنه شرب الماء مثلا وانما لأن

(٤٧) العلامة ابو البركات الوردير - شرح الخريدة البهية ص ٢٤ ط الحلبى ١٩٤٧ بهامش حاشية الصاوى .
(٤٨) شرح السنوسية الكبرى ص ٤٤ .

أجله قد انتهى ، ومن غرق فى البحر لا يعتبر قاعدة حتى يمتنع الناس عن ركوب البحر والسباحة فيه .

أما الموت الذى وقع على صاحبه فى البحر فإما لأنه لا يجيد السباحة ، واما أنه لا يقدر امكانيات التيار ، وقديما قيل قد يموت المرء من غير عطش بشرقة ، وهو سباح ببركة بغرقة .

● ثم ان القائلين بالاباحة اشترطوا شروطا منها :

[١] ان يكون سليم العقيدة بالمعرفة والدليل لا بالاتباع للأهل والتقليد فالمعرفة تزيل الشبه . فكيف توقع فيها ؟

[٢] أن يكون ذكي النفس حاضر الذهن ، قوى الحافظة ، وتلك شروط ضرورية فمن لم يتقنها لا يجوز له ان يشتغل فى علم الكلام ، والا سيكون مصيره كصاحبهم الذى نزل البحر من غير أن يعرف شيئا عن السباحة ، وهو يريد قطع عرض البحر على الواح الأمل ، وسفن الخيال . ومثله لا تقع له النجاة .

[٣] ان يكون لديه المام بقواعد القوم والمصطلحات التى يديرونها حتى لا يضع واحدا مكان الأخر على سبيل التبديل أو يستخدم واحدا مكان الآخر على سبيل الاستعارة .

ثم ان المقارنة بين تحريم علم الكلام والوقوع فى الشبه غير قائمة على اصول سليمة أذ يجب تحرير محل النزاع فى المسالة أولا . ثم الاتفاق على الالفاظ المستعملة ثانيا ثم الرغبة فى الوصول للحق ثالثا . فاذا لم يتم ذلك على وجه الكمال فلا عبرة بما سلف .

نعم تصح المقارنة لو قدرنا تعليم علم الكلام وعدم الوقوع فى الشبه ، وحينئذ نقول : ان تعليم علم الكلام ، والاشتغال به ينقذ من الوقوع فى

الشبه ،وليس الاشتغال به هو الموقع فى الشبه والفرق كبير اللهم الا ان يراد بالشبه التى تحتاج مزيدا من المجهود الذهنى والعقلى ، وحينئذ نطلب أن يكون المستعمل لها قد بلغ درجة فى القدرات العقلية ، والمعلومات الذهنية تعادلها ، أو يتخلى عنها لفقدان أحد شروطها .

ثم أن المعروف هو أن النظر المفيد الذى هو الاشتغال بعلم الكلام ينتقل بصاحبه من التقليد إلى المعرفة فهو يزيل الشبه فكيف يوقع فيها ولوردو الامر به[٤٩] اذن تحريم الاشتغال به لمظنة الوقوع فى الشبه والضلال[٥٠] ليست قوية فى الاستدلال ، بل هى ليست بشىء أصلا .

كما ان المطلوب هو معرفة طرق الاستدلال على العقيدة الدينية بأدلة يقينية ، فضلا عن دفع الشبه عنها ، ومثل هذا لايوقع فى شبه ابدا ، اذ معرفة الله تعالى من حيث ذاته لا يمكن الوصول اليها على الكنه والحقيقة الذاتية ، وكذلك ما كان ملازما لها .

● قال العلامة الشريف المقدسى فى مفاتيح الكنوز :

ظننت جهلا بان الله تدركه ∴ ثواقب الفكر أو تدريه ايقانا
أو العقول أحاطته بديهتها ∴ أو هل أقامت به لولاه برهانا
الله أعظم قدرا ان يحيط به ∴ علم وعقل ورأى جل سلطانا
هذا اعتقادى فان قصرت فى عملى ∴ فاسأل الله توفيقا وغفرانا[٥١]

وذكر ابن العربى أقسام الايمان من حيث التقليد والاعتقاد وانها خمسة أقسام :

---

(٤٩) حاشية العلامة الصاوى على شرح الخريدة البهية ص ٢٤ .
(٥٠) شرح الخريدة هامش ص ٢٤ .
(٥١) نقلا عن حاشية الصاوى على شرح الخريده البهيه ص ٢٥ .

[١] ايمان تقليد وهو من أخذ العقائد عن شيخ وجزم بها من غير معرفة دليل .

[٢] ايمان علـم : وهـو معرفـة العقـائد بادلتهـا وهـذا مـن أهـل علـم اليقين وصاحب كل منها محجوب[٥٢] .

[٣] ايمان عيان وهو معرفة الله بمراقبة القلب ، فلا يغيب ربه عن خـاطره طرفة عين بل هيبته فى قلبه كأنه يراه ، وهو مقام المراقبة وعين اليقين

[٤] ايمان حق : وهو رؤية الله بقلبه ، وهو معنى قولهم العارف يرى الله فى كل شىء ، وهو مقام المشاهدة وحق اليقين ، وصاحب هذا المقام ، والذى قبله يستدل بالحق على الخلق .

[٥] ايمان حقيقة ، وهو الفناء بالله عما سواه ، والسكر بحبه فـلا يشـهد الا اياه ، كمن غرق فى بحر ولم ير له ساحلا ، وهـذا ليس لـه دليـل ولا مدلول .

فالواجب على الشخص أحد القسمين الأولين – ايمان تقليـد ، ايمـان علم ، واما الثلاثة الآخر فعلوم ربانية يخص بها من يشاء[٥٣]

من ثم تبين لنا أن علم الكلام القائم على القواعد الشرعية لا يوقع فى الشبه والضلال ، والاشتغال بـه مـن المباحـات ، والقـائل بـالتحريم اعتمـادا على الوقوع فى الشبه لا يجد دليلا قويا يعتمد عليه .

---

(٥٢) حاشية الصاوى ص ٢٤ .

(٥٣) حاشية الصاوى على شرح الخريدة البهية ص ٢٤ ، وقد سبق الاشارة اليها مفردا عند صاحب حاشية الباجورى ، لكنه فى هذا بسط لا يستغنى عنه المقام ولذا ذكرته .

الشبهة السادسة : انه يحى شبهات غفل الناس عنه (٥٤)

والفتنة نائمة لعن الله من ايقظها ، أما انه يحى الشبهات فظاهر ، واية ذلك ان ابن صبيغ لما سأل عن المتشابه ضربه عمر . ولما عاد السؤال ظل يضربه حتى أدمى رأسه فقال كفى يا أمير المؤمنين . فقد ذهب والله الذى كنت أجده فى رأسى .

فعلم الكلام أحى تشبهه السؤال عن المتشابه ، ولكن ليس بيننا عمر حتى يضرب القائلين والمشتغلين بمسائله كما أن مسائل القول فى القرآن دفعت إلى جلد الامام أحمد بن حنبل وكاد يهلك بسببها ، وما تراجع وعلم الكلام يتحدث عن هذه المسألة ، والف قدم تزل ، والف قلم يغل والف عقل يخل .

ولو لم يكن علم الكلام ما عاد القول فى هذه المسالة حتى تحى فى النفوس الالام الماضية ، والقسوة والحرمان ، وتعيد للأذهان صورة السلطان القاسى ، والسوط الذى لا يفرق بين العلماء الاتقياء ولا الظالمين الاشقياء .

وقس على ذلك مسائل رؤية الله فى الآخرة ، والمعاد الأخروى من حيث الشكل الذى سيتم عليه ، وبالجملة فما من مسألة تتعلق بعلم الكلام الا وهى تحى بدعة وتميت سنة أو تعيد للأذهان صورة شبهة وبالتالى فتعلمه حرام ودراسته والاشتغال به كذلك :

(٥٤) العلامة محمد الامير - حاشية الأمير على شرح عبدالسلام على جوهرة التوحيد ص ٢٧ .

## مناقشة الشبهة :

أجل الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها ، لكن أين هي الفتنة في الاشتغال بعلم الكلام ؟

ان كانت في أحياء شبه ماتت فلا دليل عليه ، وان كانت في ايقاظ شبه نامت فلا دليل عليه ايضا ، أما لماذا ؟ فلما يلي :

- أولا : ماهي الشبهة ؟
- والجواب :

أن الشبهة مشترك لفظي يطلق على :-

[١] ما اشتبه أمره على الناظر اليه فلم يدر وجه الصواب فيه ، ومنه قوله تعالى : وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا(٥٥) .

وفيه ابهام واشتباه بغيره وتلبيس ، وفي المعجم : الشبهة الالتباس ، وفي الشرع ما التبس أمره فلا يدرى أحلال هو أم حرام ، وحق هو أم باطل (٥٦) .

[٢] مالم يتيقن كونه حراما أو حلالا ، وفي الحديث الشريف الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات(٥٧) وفي رواية آخرى متشابهات . والمعنى أمور ليس وجه الحل أو الحرمة فيها على وجه الوضوح والبيان لكل الناس

---

(٥٥) سورة النساء الآية ١٧٥ .

(٥٦) المعجم الوجيز باب الشين ص ٣٣٤ .

(٥٧) حديث صحيح .

[٣] الشبهة فى الفعل : وهو ما ثبت بظن غير الدليل دليلا ، كظن حل وطء أمة أبوبه وعرسه[٥٨] .

[٤] الشبهة فى المحل : وهى ما تحصل بقيام دليل ناف للحرمة ، ذاتا كوطء أمة ابنه ، ومعتدة الكنايات لقوله ﷺ انت ومالك لأبيك ، وقول بعض الصحابة ان الكنايات رواجع أى اذا نظرنا إلى الدليل مع قطع النظر عن المانع يكون منافيا للحرمة .

[٥] شبهة الملك ، وهى ان يظن الموطوءة أمرأته أو جاريته . وكلاهما ملك له

[٦] شبهة العمد فى القتل . أن يعتمد الضرب بما ليس بسلاح ، ولابما أُجرى مجرى السلاح كالخشبة العظيمة والحجر الكبير الذى لا يطاق أن ضرب به أحد .

[٧] شبهة شبه العمد ، أن يتعمد الضرب بما لايقتل غالبا كالسوط والعصا الصغيرة والحجر الصغير[٥٩] .

تلكم كانت أهم اطلاقات الشبهة ، ولا شك ان القائل باحياء الشبه لا ينصب كلامه الا على النوع الأول فيها ، وأعنى به ما يشتبه امره على الناظر اليه فلا يستقين وجه الصواب فيه . ولو أحسن فى العبارة لقال : تحى الشبه الفكرية حتى يتميز بين تلك الجارية فى العلوم الشرعية والتى مجراها العلوم العقلية . والفرق بينهما كبير جداً .

● ثانيا : هب أنه يحى الشبه التى غفل الناس عنها لكن لماذا هو يذكرها ؟

---

(٥٨) التعريفات للجرجانى ص ١١٠ .

(٥٩) التعريفات ص ١١٠ .

● **والجواب :**

أننا لو لم نذكرها لنفسدها ، لذكرها الخصم ليفسدهم بها[٦٠] ولا عبرة بقول الشيخ الأكبر[٦١] ان المتكلمين يطيلون المشاغبة فى اللوازم ، ولازم المذهب ليس بمذهب ، فيخترعون أمورا ، ويزعمون أنهم يردون على خصوم وانما نزاعهم مع أنفسهم . فان لازم المذهب ، وان لم يعد مذهبا صريحا فهو معول عليه فى المناظرات اجماعا ، والا لا نسّدبابها[٦٢] .

فابن عربى يكرر ما ذكر على المتكلمين من خصومهم ، وليس هو المنشىء لتلك الشبهة ، كما أن قوله محمول على المتكلمين من أهل الأهواء والبدع ، ولا يقدح فى تمسك متكلمى أهل السنة والجماعة بعلم الكلام الحق الذى هم عليه .

● **ثالثا :**

أن المسائل التى ضرب المثل بها من سؤال ابن صبيغ عن المتشابه ، والقول بخلق القرآن ، ورؤية الله تعالى فى الأخرة والمعاد كلها مما للعقل فيه مجال ، ليس فى تصوره ، وانما فى ضرورة الايمان به ، وكلما عرضت للعقل حاول بحثها .

ثم هى موجودة بذاتها فى النقل المنزل ، والمسلم يقرأ القرآن الكريم ، ويتدبره ، والسنة النبوية ، ويحاول تدبر ما فيهما ، وهذه المسائل مما هو متعبد بتلاوته ، ممتدح بتدبره ، ثم هى حتما ستواجه العقل كفاحا ، فاما

---

(٦٠) العلامة الأمير - حاشية الأمير ص ٢٧ .

(٦١) هو الصوفى المشهور محى الدين بن عربى ومن كتبه الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم ، والجواهر واليواقيت ، وهو غير ابن العربى صاحب أحكام القرآن أبو بكر .

(٦٢) حاشية الأمير ص ٢٧ .

يؤمن بها من غير تفكير فيها ، فيكون مردداً ومقلداً تزل به القدم ، ويسقط معه القلم ، واما متدبر يحاول معرفة باقى النقل المنزل حتى تستقيم له عقيدته ويثبت معها ايمانه ، ويقوى فى حدود منها يقينه .

اذن لا وجه لهذه الشبهة إلا مجرد الذكر فقط ، أمّا ان تكون عاملة فى مجال تحريم الاشتغال بعلم الكلام فلا تكفى ، من هنا ينتهى الأمر بان الاشتغال بعلم الكلام على الناحية الشرعية مباح ، وهو تقرير العقيدة الايمانية ، ودفع الشبه عنها ، على وجه يصل بطالبه للحق ، وبصاحبه للصواب .

الشبهة السابعة : ان بعض المقلدين قد يكون أقوى اعتقادا ممن نظر فى علم الكلام (٦٣)

أما كيف . فلان بعض المناظرين تزل به قدمه فيكفر بينما من لم يشغل نفسه بعلم الكلام ما يزال قائما على حالة من ايمان صحيح وان كان قائما على التقليد . اذن ايمانه أقوى فى هذه الحال من ايمان من اشتغل بعلم الكلام .

كما أن بعض اهل المعرفة يحصل لهم الايمان من غير حاجة إلى الاشتغال بعلم الكلام ، بل بنور قذفه الله فى قلوبهم ، وصحت لهم به معرفة ، فتحقق لهم صريح الايمان .

مناقشة الشبهة :

[١] اننا نعطى أحكاما عامة وليست ظروفا استثنائيه فان صح وجود مقلد قوى الاعتقاد فانه لا يقدح فى الاشتغال بعلم الكلام فضلا عن أن يكون دالا على تحريم الاشتغال به اذ القاعدة لاتنقض بالاستثناء .

[٢] كون المقلد أقوى أعتقادا ممن سلك طريق معرفة الادلة ، مما لا يدخل تحت فهم عاقل ، فكيف يدعى رجحانه (٦٤) :

لأن جمهور الأئمة يرون وجوب النظر العقلى ، وتحريم الاقتصار على التقليد ، وبعضهم يرى ان لا ايمان للمقلد أصلا (٦٥) فاذا ادعى رجحان ايمان المقلد يكون مخالفا لبدهيات العقول ، ولا يصدق به

(٦٣) شرح السنوسية جـ١ ص ٢٦ .

(٦٤) حاشية تحقيق المقام ص ١٩ .

(٦٥) شرح السنوسية ص ٢٦ .

عاقل كما أن المعرفة الناشئة عن تقليد مجرد ، تقبل التغيير إلى النقيض ، لأنه يسير خلف قائده ، وكلما تحول مزاج قائده اتبعه سيره المقلد ، أما العارف بالاصول العقدية من خلال المعرفة الحقة فانه لا يميل إلى غيرها الابدليل يكون أقوى ، ولا يوجد دليل أقوى من المعرفة اليقينية تستوعبه العقول .

[٣] نعم قد يحصل لأصحاب المعرفة الالهية نوع من الفيوضات والالهامات ، فتحصل معارف لصاحبها لم يطرق لها باب النظر وهم أولياء الله تعالى ، وليس هذا هو محل النزاع[٦٦] .

لأن العارف أعلى من الناظر والمعرفة الالهامية فوق العقلية ، وقد ذكر القرآن الكريم صورة لها فى قوله تعالى : فوجدا عبدا من عبادنا أتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما[٦٧] .

ثم ان أولياء الله ينظرون على ناحية آخرى لكن ربما جاءت المعارف أعلى من نظرهم الذى قاموا به ، فمن لم ينظر من أولياء الله تعالى وخرقت فى حقة العادة ، وهب له من المعارف مالا يتوصل اليه بالنظر حتى صارت علوم الناظرين بالنسبة إلى ما أعطى من العلوم كلا شيء[٦٨] فهذا يكون ايمانه قويا ، لكنه لا يكون مقلدا وانما يكون عارفا معرفة ارقى مما سواها ، انها المعرفة التى لا تحتاج أدلة وافيسة أنها آتية من قبل المنح الالهى ، والنور الربانى .

وقد أجرى الله العادة فى تحصيل العلم الارتباط بين الاجتهاد ، وطرق العلم ، وكان الأجلة من العلماء على هذا الفهم الدقيق من

---

(٦٦) تحقيق المقام ص ١٩ .

(٦٧) سورة الكهف الآية ٦٥ .

(٦٨) شرح السنوسية جـ١ ص ٢٧ .

اجتهاد فى طلب العلم ، وبحث عن طرق تحصيله . من تعليم أصوله ، والقيام بالترحال اليه ، ومداومة السهر والتعب فى الدرس والتحصيل ، والرغبة الدائمة فى التطلع للمزيد من الفوائد ، ورحلات المحدثين والمفسرين والمتكلمين فى طلب العلم مشهورة .

[٤] كما أن أهل المعرفة هم الذين يتمكنون من رد الشبهات ، واظهار أوجه الضعف فيها ، وبيان الحق الذى يجب اعتقاده ، ولا يقدر على ذلك من كان مقلدا ابدا ، وقد تحدث أهل العلم نثرا وشعرا للدلالة على تمكنهم من تقرير العقيدة الصحيحة ، ودفع الشبهات عنها :

من ذلك ما أجاب به الامام الغزالى عن سؤال حول معنى الاية الكريمة الرحمن على العرش استوى(٦٩)

قال الشيخ اذا استحال ان تعرف نفسك بكيفية ، أو انية . فكيف يليق بعبوديتك ان تصف الربوبيه باين أو كيف ، وهو مقدس عن الاين والكيف . ثم جعل يقول :

قل لمن يفهم عنى ما أقول ∴ قصر القول فذا شرح يطول
ثَمّ سر غامض من دونه ∴ ضربت والله أعناق الفحول
انت لا تعرف اباك ولا ∴ تدرى من انت ولا كيف الوصول
لا ، ولا تدرى صفات ركبت ∴ فيك حارت فى خفاياها العقول
اين منك الروح فى جوهرها ∴ هل تراها فترى كيف تجول ؟
وكذا الانفاس هل تحصرها ∴ لا . ولا تدرى متى عنك تزول
اين منك العقل والفهم اذا ∴ غلب النوم فقل لى ياجهول
أنت آكل الخبز لا تعرفه ∴ كيف يجرى منك أم كيف تبول

---

(٦٩) سورة طه الآية ٥

فــاذا كـــــانت طوايـــــالئ التى ∴ بــين جنبيــك كــذا فيهــا ضلــول
كيف تدرى من على العرش استوى ∴ لا تقـل كيـف اسـتوى كيـف الـنزول

**********

كيف يحكى الرب أم كيف يــرى ∴ فلعمــــرى ليـــس ذا إلاّفضــــول
فهــو لا ايــن ، ولاكيــف لــه ∴ وهــو رب الكيــف والكيــف يحــول
وهــو فــوق القــوة لا فــوق له ∴ وهــو فــى كــل النواحــى لا يــزول
جــل ذاتــا وصفـــات وسمـــا ∴ وتعـــالى قـــدره عمـــا يقـــول (٧٠)

اذن لا يكون المقلد أقوى أعتقادا ممن نظر فى الادلة الشرعية ، وتمكن من صياغتها فى اعماقه حتى يعيدها وسيلة لهداة الحائرين ، ودليلا من أدلة السائرين .، وهو الذى قام به أجلة المحققين ، وزعماء المذاهب الشرعية الآولين .

[٥] نعم قد يوفق المقلد للعمل الصالح ، بينما يخفق صاحب النظر من الوصول اليه ، ولكن هذا لا يكون دليلا على قوة التقليد أو ضعف النظر العقلى ، للفرق بين الايمان والاعتقاد من ناحية ، ولان الانتفاع بالعلم من فيوضات الله تعالى لقوله على ﷺ " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وانما أنا قاسم والله عزوجل يعطى ، ولن تزال هذه الامة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله(٧١) فالتوفيق من الله تعالى على ماهو رأى المحققين من العلماء

ثم أن المخالفة من العالِم لا تقدح فى شرف العلم ، وانما هى تقدح فى سلوك المنتسب للعلم ، وقد عاب الله أصحاب هذا السلوك الذى لا

---

(٧٠) العلامة أحمد الصاوى – حاشية على شرح الخريدة البهية ص ٤٣ .

(٧١) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين كتاب العلم ص ٤٤٩ ، والحديث متفق عليه .

يعوف الاستقامة ، قال الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون[٧٢] .

وفى الحديث الشريف " اذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فتندلق أقتابه فى النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه فيقبل عليه أهل النار ، فيقولون له مالك يا فلان . الست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ يقول لهم كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر وآتيه[٧٣] .

كما أنه ليس شرف العلم هو الذى حمل العالم على المخالفة حتى يقدح فى شرف العلم ، ولا التقليد هو الذى حمل المقلد على الموافقة حتى يدعى شرف التقليد، انما يحمل العلم فى الحقيقة لو صاحبه التوفيق على الموافقة ....

اضف إلى ما سبق أن قليل العمل مع العلم ، أفضل بكثير من العمل الكثير بلا علم ، بل لا أثر للعمل الخالى من العلم أصلا ، وقد شدد رهبان النصارى ، ومن فى معناهم من الجهلة على أنفسهم فى الدنيا تشديدا عظيما ، ومع ذلك لا ينفعهم شيئا فى الآخرة[٧٤] .

[٦] انبأت حوادث الايام ان المحاسن . والاعمال الخيرة والعلوم النافعة التى قام بها علماء المسلمين ، واتصف بها ائمتهم من شيوخ أجلاء ، وأولياء صلحاء ، كانوا قدوة فى التقوى والعلم الصالح ، ومحاربة البدعة ، ونشر الفضيلة ، ودحض الشبهات ، وبيان

---

(٧٢) سورة الصف الآية ٢ ، ٣ .

(٧٣) الحديث مشهور وله طرق كثيرة ، والمعنى متفق عليه .

(٧٤) شرح السنوسية الكبرى جـ١ ص ٢٨ .

المكرمات فاقت كل تصور ، بل وغلبت كل ما زعم من أعمال صالحة لعامة المسلمين .

[٧] ان المعرفة لا تتساوى مع الجهل أبدا ، والعلم لا يقف مع الظلام على قدم واحدة ، والله تعالى قال فى قرآنه الكريم " قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب[٧٥] ، وقوله تعالى " وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور[٧٦]

اتضح لنا مما سبق أن شبهات القائلين بتحريم الاشتغال بعلم الكلام ليست على جهة واحدة بل ان أوجه ضعفها أكثر من مناحى قوتها بجانب أن نزعة التعجل فى الحكم والسيطرة السيادية على عقائد الآخرين عبرت عن الرغبة القوية المختفية بين ضحايا تلك الشبهات .

كما بان لنا أن الخلاف بين الشبهة وعرضها قائم ، وان أصحاب الشبهات وضعوا رؤسها ثم راحو يتلمسون ما يمكن أن يتصوروه منطبقا عليها أو مندرجا تحتها .

وقد يبلغ الظن مرتبة أعلى من لغة التحاور ، ومحاولة شنق الأفكار ، وتحميل المفردات ما لا تحتمله الكلمات ، حتى ينتهى الأمر بالقوم إلى تكفير الآخرين ، ومحاولة اخراجهم من دين الاسلام ، وملة المسلمين بينما أدلة القائلين بالاباحة أقوى ، وردودهم على الفريق الأول أحرى بالقبول ، ولولا خشية الاطالة لذكرت نماذج لم تذكر . ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير[٧٧] .

---

(٧٥) سورة الزمر الاية ٩ .

(٧٦) سورة فاطر الآيات ١٩/٢٢ .

(٧٧) سورة الممتحنة الاية ٤ .

## ثانيا : القائلون بوجوب الاشتغال بعلم الكلام :

عرضنا فيما سبق موقف القائلين بحرمة الاشتغال بعلم الكلام ، وذكرنا شبهاتهم ، وأعطينا الفرصة لابراز الرأى بكل ماله من أدلة وشبهات ، ثم جعلنا موقف القائلين بالاباحة يلاحق الرأى الأول ، حتى كانهما فقط الموجود ان على الساحة ، والنزاع بينهما فقط . وهى صورة قريبة من المنهج الذى سرت عليه ، من ذكر الرأى عند أصحابه ، وتعقبه برأى المخالف حتى يتعرف الدارس على ما فى كل منهما من قوة أو ضعف . أو خلافه .

بقى موقف القائلين بوجوب الاشتغال بعلم الكلام ، وله جمهرة من العلماء يقفون معه ويطالبون به لكن هذا الفريق ينقسم إلى :

القسم الأول : أصحاب الوجوب العينى .

القسم الثانى : أصحاب الوجوب الكفائى .

ومن هنا سنحاول التعرض لمعنى كل منهما ، وعرض موجز لاتجاه كل منهما . اذن نحن بحاجة إلى الحديث عن كل من :

[١] معنى الوجوب العينى والكفائى .

[٢] متى يكون العينى كفائيا ، متى يكون الكفائى عينيا .

[٣] عرض موجز عن كل منهما ؟

● النقطة الأولى : معنى الوجوب العينى والكفائى :

تحدث الأصوليون عن الوجوب العينى والكفائى فتلك من دقائق المباحث الاصولية عندهم ، وهو الذى نقتفى أثره لنفس الغرض :

أولا : الوجوب هو تحتم الفعل على المكلف على نحو يشعر بالعقوبة على تركه ، ويكون ذلك بما يدل على الالزام ، بمادته أو هيئته[٧٨] وهذا الوجوب أحد أقسام الحكم التكليفى الذى يقع عند الجمهور فى أقسام خمسة هى :

[١] الوجوب .

[٢] الاستحباب ، وهو ترجح جانب الفعل على جانب الترك من غير الزام ، ويكون هذا بكل طلب لا الزام فيه كمكاتبة السيد عبده فانها مستحبة لا واجبة.

[٣] الحرمة : وهى تحتم ترك الفعل على نحو يشعر بالعقوبة على الفعل ، ويكون ذلك بما يدل على التحريم بمادته ، أو صيغة ، وهى أما حرمة ذاتية ، حكم بها الشارع ابتداء لما يترتب عليها من مفاسد كحرمة الزنا ، واما حرمة عارضة ، وتكون فيما ثبت له حكم غير الحرمة ثم عرض ما يقتضى تحريمه كالصلاة فى أرض مغصوبة ، والتزوج بالمطلقة ثلاثا لا حلالها للأول

[٤] الكراهة – التنزيهية ، وهى تَرَجُّح جانب الترك على جانب الفعل من غير الزام وتكون بما يدل على طلب الترك من غير تحتيم سواء كان بلفظ الكراهه ، أم بالنهى مع قرينة تصرفه عن الحرمة ، وكل ما دل الدليل على أنه مندوب فتركه مكروه ، وكما تتفاوت درجة الندب تتفاوت درجة الكراهة ويعرف حكم المكروه من حكم المندوب[٧٩] .

---

(٧٨) د/ على حسب الله – أصول التشريع الاسلامى ص ٣٨٣ ط ٥ – سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م دار المعارف بمصر .

(٧٩) المصدر نفسه ص ٣٨٤ .

[٥] الاباحة : وهى تساوى الفعل والترك ، وعدم ترجح أحدهما على الآخر ، ويكون ذلك بالنص على نفى الحرج أو الجناح أو الأثم وللمكلف فى الاباحة حق التخيير فى أن يفعل أو يترك ولا ثواب ولا عقاب ولا عتاب على واحد منها ، الا اذا اقترن بفعل المباح الاستعانة على القيام بالواجبات واداء السنن فانه يثاب عليها لاستصحابه القصد مع ذات الفعل المباح[٨٠] ثم ان الوجوب عند الاحناف ينقسم إلى :

(أ) الفرض : وهو ما ثبت بدليل قطعى الثبوت والدلالة معا .

(ب) الواجب : وهو ما ثبت بدليل ظنى الثبوت أو الدلالة ، ويسمى فرضا عمليا[٨١].

وقد جرى الوجوب عليهما معاو يطلق عليه الواجب ، وحكمة : الثواب والعقاب الثواب على الفعل ، والعقاب على الترك فلا بد من الاتيان به ، ثم ان كان ثابتا بدليل قطعى الثبوت والدلالة كان منكره كافرا ، وتاركه متأولا فاسقا[٨٢] .

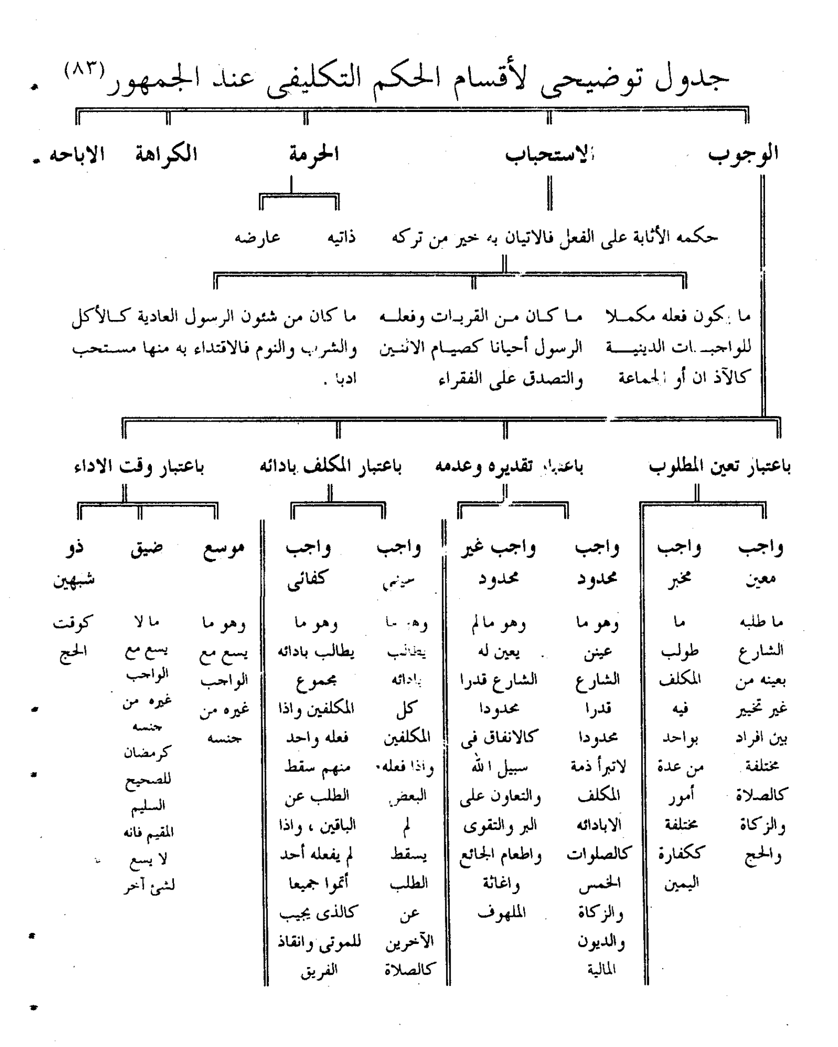
---

(٨٠) المصدر السابق ص ٣٨٣ .

(٨١) الامام الشاطبى الموافقات جـ٣ ص ١٣٥ .

(٨٢) شرح التوضيح جـ٢ ص ١٢٤ ، وما بعدها .

## جدول توضيحي لأقسام الحكم التكليفي عند الجمهور[٨٣] .




---

(٨٣) راجع :

الأحكام فى الاحكام للآمدى - الموافقات للأمام الشاطبى - بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ففى المسألة كلام كثير ، وأراء متعددة . وقد وضعته فى جدول لتسهيل معرفته ، والله حسبى ونعم الوكيل .

اذن الوجوب العينى هو ما يطالب بادائه كل المكلفين فردا فردا بحيث اذا فعله البعض لم يسقط عن الآخرين ، كفرض الصلاة فانه يقع ركنا للاسلام فاذا صلى محمد عن نفسه فقد أدى ما افترضه عليه ربه ، لكن لايسقط فرض الصلاة عن حازم ابنه ، ولا بدر الدين ما دام مكلفا لأنه وجوب متعين على فرد معين وعبادة معينة .

وكالصوم فإنه فرض على كل مسلم اجتمعت فيه شروط وجوبه ، فاذا صام البعض اثم من لم يصم لأنه أهدر ركنا من اركان الاسلام فما هو مفروض عليه متعين ليس له الحق فى الافلات منه أو التخلى عنه وقس على ذلك سائر الامور المتعلقة بالواجب العينى(٨٤) .

كما أن الوجوب الكفائى : هو ما يطالب بأدائه مجموع المكلفين فاذا فعله بعضهم سقط الطلب عن الباقين ، لأن المصلحة تحققت ، والمفسدة زالت فاذا لم يفعل أثم الجميع ، كالذى يجب للموتى من غسل ، وتكفين وصلاة جنازة وموارة فى القبر . فاذا مات واحد من أهل القرية ، فان ما يستحق له صار واجبا عليهم لكنه على سبيل الكفاية فاذا فعله بعضهم سقط الاثم عن الجميع(٨٥) .

اذ ليس المطلوب من أهل القرية جميعا وهم الآلاف المؤلفة أن يقوموا كل فرد فيهم بتغسيله ، وتكفينه ، وادخاله قبره والا لحقت الهلكة جسد الميت ، وربما وقعت له المثولة ، من ثم أوجبها الشارع حقوقا له عند أخوانه على سبيل الوجوب الكفائى لا العينى لما سبق(٨٦)

---

(٨٤) متى اجتمعت فيه شروطه .

(٨٥) لانه تحققت المصلحة وسقطت المفسدة .

(٨٦) راجع المرافقات جـ٣ ، وكتب أصو ل الفقه القديمة .

وانقاذ الغريق ، واطفاء الحريق ، وطلب العلم المعين ، ورد السلام ، والتبرع بالدم لطالبه مع وجود كثرة من المتبرعين فان هذا الواجب الكفائى اذا قام به البعض وتحقق سقط الاثم عن الآخرين ، والا وقع فوات المطلوب ، وضاعت الحكمة من الواجب نفسه ، وهذا لا يوجد فى الشريعة الاسلامية[٨٧] .

● ثانيا : متى يكون العينى كفائيا ؟

اذا مات ولم يوجد معه الا فرد أو ثلاثة أو اربعة فقد صارت الأمور الخاصة به واجبة على كل فرد منهم ، وصارت هذه الحقوق واجبا عينيا ، ولكن قبل الاستعداد للقيام له بحقوقه أقبلت جماعة من المسلمين وحلوا معهم بالمكان فقد صارت حقوقه واجبا كفائيا على الجميع يتحقق بان يقوم به البعض فقط وليس بلازم أن يقوم الجميع له بواجب غسله ، وواجب تكفينه ، وواجب حمله إلى لحده ، وواجب ادخاله القبر على سبيل الافراد ، وانما يكفى فيه القيام بالبعض[٨٨] فإذا اقام به البعض مسقطا الوجوب عن الآخرين ، والا أثموا جميعا .

● ثالثا : متى يكون الكفائى عينيا ؟

اذا ظهرت البدع ، واحتاجت متميزين فى قدراتهم العقلية ، وامكانياتهم الذهنية ، فقد صارت مقاومة تلك البدعة واجبا عينيا عليهم بخصوصهم ، لوجود الملكات فيهم دون غيرهم ، وكجماعة عند المحيط سقط أغلبهم فى الماء ، وبات الغرق من حولهم يطاردهم ويقترب منهم

(٨٧) لان الشريعة قائمة على ما فيه مصالح العباد ايضا .

(٨٨) وعلى هذا يكون العينى كفائيا .

فقد وجب على القادرين من الواقفين بالشاطىء الانهاض لانقاذ هؤلاء المعرضين للفرق ، وصار واجبا عينيا لا محيد عنه ولا مفر منه[٨٩]

وعلى هذا فالاشتغال بعلم الكلام واجب عينى أو كفائى عند القائلين به ، باعتباره واجبا شرعيا ، لذا سنقسم أصحاب هذا الاتجاه إلى قسمين :

● الأول : أصحاب الوجوب العينى .

قالوا أن تعلمه واجب عينى على كل مسلم مكلف من ذكر وأنثى ولو بأدلة أجمالية ، وأما معرفته بأدلته التفصيلية فهى فرض كفاية اذا قام به البعض سقط الطلب عن الباقين[٩٠] .

وقال العلامة ابن حجر الهيتمى أنه آكد فروض الكفايات ، بل هو فرض عين اذا وقعت شبهة توقف حلها عليه[٩١] فصار واجبا عينيا على صاحبه طالما تمكن منه ، واستطاع رد الشبهة ودحضها ، واعادة الأمور إلى نصابها كما نقل عنه القول :

بأن محل الذم البليغ والزجر الأكيد ، ما يؤدى الخوض فيه إلى زيغ أو ارتكاب شبهة لا مخلص له منها ، وغير ذلك من المفاسد التى كانت من أهله فى زمن اولئك الأئمة ، واما بعدهم فقد تميز أهل السنة من أهل البدع وحرروا كتبهم فيه ، واجتهدوا فى قمع البدع فلا مساغ فى ذمه ، بل هو آكد فروض الكفايات[٩٢] .

---

(٨٩) ومن ثم يكون الكفائى عينيا .

(٩٠) الحصون الحميدية ص ٧ .

(٩١) اشارات المرام من عبارات الامام ص ٣٥ .

(٩٢) المصدر السابق ص ٤٨ .

وفرق الشيخ الشرقاوى بين الدليل الجُمَلِي[٩٣] والدليل التفصيلى ، وذكر أن المطلوب من المكلف مطلق الدليل حتى يشمل الاجمالى والتفصيلى ، فقال ، واعلم ان معرفة الدليل التفصيلي واجبة على أهل كل قطر على سبيل فرض الكفاية فاذا قام بها واحد منهم سقط الحرج عن الباقين ، فيجب أن يكون فى كل مسافة قصر عالم بذلك ، وببقية الأحكام الشرعية ، وفى كل مسافة عدوى قاض لكثرة الخصومات[٩٤]

اذن صار الاشتغال بعلم الكلام فرض عين على كل من قدر عليه ، متى وقعت الشبهة ، وتوقف حلها عليه وحده ، بحيث اذا لم يشتغل بعلم الكلام ، اتسعت الشبهة ، وكثرة الخلافات ، ووقع الناس فى خلط شديد ، لأن ما يتوقف عليه الواجب فهو ايضا واجب ، ويكون عينيا اذا كان المتوقف عليه عينيا كذلك .

- الثاني : أصحاب الوجوب الكفائى :

صرح بفرضية الاشتغال بعلم الكلام على سبيل الوجوب الكفائى أمام الحرمين فى النهاية ، والحليمى والبيهقى ، والغزالى والرافعى واليافعى والنووى ، وأين عساكر فى العزيز والروضة ، والمحرر ، والارشاد والتبين ، وصرح به الطيبى فى شرح المشكاة والمحلى فى شرح جمع الجوامع[٩٥] .

فاذا اعددنا من ذكرنا والمؤلفات التى نسبت اليهم وجدنا أن قضية الاشتغال بدراسة علم الكلام صارت أمرا شرعيا ، والقائل بالتحريم لا يجد سندا قويا يعتمد عليه ، وبغض النظر عن العدد ، فالعبرة بقوة الادلة .

(٩٣) الدليل الجملى يقصد به الاجمالى

(٩٤). شيخ الاسلام الشيخ عبدالله الشرقاوى - حاشية الشرقاوى على شرح العلامة الهدهدى ص ٤٥ ط الحلبى ١٩٩٥ .

(٩٥) اشارات المرام ص ٣٥ .

بيد أننا لا نعدم فى العصر الحاضر من مُطالب بالغاء علم الكلام ، وحذفه من المؤلفات العلمية ، وترديد الشبه التى سبقت اثارتها من غير ذكر للردود عليها، محاولا احياء فتنة نامت ، ثم يدعى أنه سلفى ، أو انه من انصار السنة أو عضو بجامعة التوحيد إلى غير ذلك من الانسال التى لا يقرها الاسلام " فالانتساب للاسلام يقطع ما عداه .

ولو أنصف لكف عن الترديد والتكرار ، فهو لا يعرف عن العلم الا اسمه ، ولا من الشريعة الا بعض السلوكيات التى يمارس بعضها تقليدا ، وبعضها مما فهمه ممن ليست لديه اسباب الفهم فى هذا العلم الذى هو بحر عميق كم غرقت فيه جماعات ، وذلت به اعناق الرجالات ، ثم ان الادعاء يتقليد عالم فى القدح أمر منتهى عنه شرعا ، فربما كان بينهما من حسد .

الأقران أو التناجى بما بين المحب الولهان ، أو ان هذه القدوحات مما نسب اليهم زورا وبهتانا ، ولم يكن لهم قولا وبيانا . فقد ذهب كل إلى ربه ، وصارت آخرته مرهونة بما قدمت يداه .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، واقدر لنا من الخير ما ترضى به عنا ، وما يبلغك أمالنا ، وارفع عنا من غضبك ، وانزل علينا رحمتك انك جل علاك ، وعدت ، " ورحمتى وسعت كل شىء " . فاجعلها تسعنا بفضلك وكرمك ومنّك وجودك يا ارحم الراحمين .

# المبحث السادس

## نشأة علم الكلام وتطوره

## أولا : التوحيد بين الاطلاق والاصطلاح

تقرير العقيدة الدينية أمر قديم جدا ، فما من نبى الا وقرر العقيدة لقومه على وجه يعرفهم بخالقهم العظيم جل علاه ، وما يجب عليهم نحوه ، والقضايا التى لا بد منها حتى يعرفوا ما لهذا الخالق العظيم من جلال وكمال وجمال واكرام ، وهذا مما لا جدال فيه ، وعليّه جاء الانبياء وبلغ به اممهم المرسلون

أما علم الكلام فى الاسلام فيختلف عن العقيدة ذاتها من حيث العوامل التى ادت إلى ظهوره والدوافع التى انطلقت به حتى صار عِلْمًا له موضوعات ، وقواعد ، وقضايا ومسائل ، ولدراسته مناهج ، بل وله بجانب ذلك كله خصوم وأصدقاء ، لذا لزم التنويه إلى وجود كل من :

١- التوحيد بمعناه اللغوى

وهو الحكم بأن الشىء واحد ، والعلم بأنه واحد[1] ، كما يطلق على الايمان بالله تعالى وحده لا شريك له [2] ، وهذا التوحيد بالمعنى اللغوى لا يحتاج إلى نشأة أو تطور أكثر من أنه مفهوم ثابت فى اللغة ، سواء بمعنى العلم بأن الشىء واحد ، أو الحكم بأن الشىء واحد .

كل ما فى الأمر أنه فى مسألة العلم بان الشىء واحد ، داخل فى مفهوم التصور ، وهو ادراك المفردات فقط من غير حكم عليها بنفى أو اثبات أنه مجرد ادراك مفرد ، والمفردات لا حكم فيها سوى أنها الفاظ مفردة ، دلالتها محددة .

---

(١) التعريفات للجرجانى ص ٦١ ط الحلبى .

(٢) المعجم الوجيز باب الواو ص ٦٦٢ مادة و ح د .

أما فى مسألة الحكم بأن الشىء واحد فقد دخل فى مفهوم التصديق ، وهو ادراك الشىء مع الحكم عليه بالايجاب أو السلب بالنفى أو الاثبات ، وتلك طبيعة التصديقات على ما قرره المناطقة ، وهذا لا يحتاج أكثر من وجود فى الكتب العربية ، والمؤلفات التى عنيت بها ، وهو ليس داخلا فى العلم الذى نتحدث عنه الامن ناحية اللغة فقط .

٢- التوحيد بمعناه الشرعى :

وهو أفراد المعبود بالعبادة ، مع اعتقاد وحدته تعالى ذاتا وصفات وأفعالا[٣] وهو علم شرعى بمعنى أن كل شريعة جاءت ، ومن عند الله عرفت ، نبهت إلى التوحيد ، وقرره الأنبياء والمرسلون من توحيد الله تعالى وابطال الشريك ، ونفى الاحتياج والتركيب والتعدد ، وكل ما يوضح التوحيد الشرعى .

وهذا التوحيد الشرعى جاء الحديث عنه فى النقل المنزل من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وتقرر فى نصوص كل منهما ، مع التركيز عليه ، وبيان اصوله الأولى التى يعتمد عليها .

فقد اتفق الأنبياء والمرسلون جميعا على دعوة أقوامهم إلى توحيد الله تعالى توحيد الالوهية ، وتوحيد الربوبية ، واخلاص العبادة والخضوع له تعالى واليوم الآخر وما فيه من البعث والجزاء على الأعمال ، والحث على التحلى بمكارم الأخلاق ، والتحذير من العادات الخبيثة والأعمال السيئة[٤] .

---

(٣) الدكتور / سليمان سليمان خميس محاضرات فى العقيدة ص ٩ .

(٤) الدكتور محمد الطيب النجار - تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ص ١٩ ط٣ دار الاعتصام ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

من ثم فان التوحيد بمعناه الشرعي هو العقيدة وهي كلمة " فان الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء ، وأطيب الكلام والعقائد : كلمة التوحيد ، واعتقاد أن لا اله الا الله ، وأخبث الكلام والعقائد كلمة الشرك ، وهو اتخاذ اله مع الله ، فإن ذلك باطل لا حقيقة له[٥]

- وهذا التوحيد الشرعي نوعان :

- الأول : توحيد في المعرفة والاثبات : وهو توحيد الربوبية والاسماء والصفات .

- الثاني : توحيد في الطلب والقصد : وهو توحيد الالهية والعبادة .

- يقول شيخ الاسلام ابن القيم :

وأما التوحيد الذي دعت اليه الرسل ، ونزلت به الكتب فهو نوعان : توحيد في المعرفة والاثبات ، وتوحيد في الطلب والقصد ، :

- فالأول : هو اثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ، وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده ، واثبات عموم قضائه وقدره وحكمته ، وقد أفصح القرآن الكريم عن هذا النوع جَدّ الافصاح كما في أول سورة الحديد ، وسورة طه ، وآخر سورة الحشر ، وأول تنزيل السجدة ، وأول آل عمران ، وسورة الأخلاص بكمالها ، وغير ذلك[٦] ..

---

(٥) شيخ الاسلام ابن تيميه – مجموع الفتاوى – المجلد الرابع – كتاب مفصل الاعتقاد ص ٧٤ ط دار الرحمة .

(٦) الامام ابن القيم – مدارج السالكين جـ١ ص ٦٥ .

• الثاني : ما تضمنته سورة " قل يا أيها الكافرون " ، وقوله تعالى " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون[٧] .

وأول سورة تنزيل الكتاب[٨] وآخرها ، وأول سورة المؤمن ووسطها وآخرها ، وأول سورة الأعراف وآخرها وسورة الانعام ، وغالب سور القرآن ، بل كل سورة فى القرآن الكريم فهى متضمنة لنوعى التوحيد شاهدة به داعية اليه[٩]

كما ان حديث القرآن الكريم عن التوحيد جاء من عدة نواح ايضا :

[١] التوحيد العلمى الخبرى : وهو ما جاء فى القرآن الكريم خبرا عن الله واسمائه ، وصفاته ، وأفعاله وأقواله .

[٢] التوحيد الارادى الطلبى : وهو ما ورد فى القرآن الكريم داعيا لعبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يعبد من دونه ، وأهماله .

[٣] حقوق التوحيد ومكملاته : وهو ما جاء فى القرآن الكريم ، من الزام بالأمر والنهى ، والزام بطاعته جل جلاله وأمره ونهيه .

[٤] جزاء التوحيد : وهو ما جاء فى القرآن الكريم عن اكرام الله أهل التوحيد ، وما فعل بهم فى الدنيا ، وما يكرمهم به فى الآخرة فهو جزاء توحيده .

---

(٧) سورة آل عمران – الآية ٦٤ .

(٨) سورة الزمر

(٩) ابن القيم – مدارج السالكين جـ١ ص ٦٥ .

[٥] جزاء من خرج عن التوحيد : وهو ما جاء فى القرآن الكريم خبرا عن أهل الشرك ، وما فعل بهم فى الدنيا من النكال ، وما يحل بهم فى العقبى من العذاب ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد[١٠] .

- قال صاحب معارج القبول : التوحيد نوعان :

- الأول : التوحيد العلمى الخبرى الاعتقادى : وهو المتضمن اثبات الكمال لله عز وجل ، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل ، وتنزيهه عن صفات النقص ، وهو توحيد الربوبية ، والاسماء والصفات .

اذن هذا النوع ينقسم إلى :

[١] توحيد الربوبية .

[٢] توحيد الاسماء .

[٣] توحيد الصفات .

ولكل منها تعريفه عند القائلين بها .

- الثانى : التوحيد الطلبى القصدى الارادى : وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وتجريد محبته ، والاخلاص له ، وخوفه ورجاؤه ، والتوكل عليه والرضا به ربا والها ووليا ، وان لا يجعل له عدلا فى شىء من الاشياء ، وهو توحيد الالوهية[١١]:

---

(١٠) الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ١٥ - تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى ط دار الاستقامه .

(١١) الشيخ حافظ بن أحمد حكمى - معارج القبول بشرح الوصول إلى علم الأصول فى التوحيد جـ١ ص ٥٤ دار الكتب العلمية - بيروت ، وقد استوفى الجزء الأول منه فى شرح وتقديم نماذج لكل من توحيد العقيدة ، وتوحيد العبادة .

• اذن هذا التقسيم الشرعى للتوحيد انما يقوم عى جانبين :

الأول : توحيد العقيدة : وهو توحيد الربوبية والاسماء والصفات .

الثاني : توحيد العبادة : وتوحيد الالوهية .

وهو تقسيم شائع لدى مؤلفات دعاة السلفية[١٢] ، ومن اراد المزيد فليراجعه فى مصادرهم التى تحمل اسماءهم [١٣] أما علماء أهل السنة والجماعة فانهم لا يعرفون الا نوعا واحدا من التوحيد ، انه التوحيد الشامل لله ذاتا وصفات وأفعالا انه توحيد يتناسب مع الموحَّد جلت ذاته وتعالت صفاته ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

لذا رأينا بعض من ينسبون أنفسهم للسلفية يقفون فى المسألة حتى انتهى بهم الأمر إلى أن التوحيد أول الأمر وآخره واحد هو توحيد الالهيه الذى يتضمن الأنواع الثلاثة .

• الأول : توحيد الكلام فى الصفات .

• الثاني : توحيد الربوبية وبيان ان الله وحده خالق كل شيء .

• الثالث : توحيد الالهية : وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له [١٤]

---

(١٢) راجع مثلا : مفصل الاعتقاد لابن تيمية ، مدارج السالكين لابن القيم - معارج القبول الحافظ حكمى ، كتاب التوحيد للشيخ محمد عبدالوهاب ، وكل من نسب نفسه للسلفية قام على هذا التقسيم رغم ان السلف رضوان الله عليهم لم يقوموا بهذا ابدا ولا ثبت عن واحد من الصحابة .

(١٣) كتاب الالوهية جـ١ ، كتاب الربوبية جـ٢ من مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، العقيدة الطحاوية .

(١٤) العلامة أبو العز الحنفى - شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٨ ط المكتب الاسلامى .

وهى كلها وجهات نظر لم تسلم من النقودات ، وقد ذكرتها لتعلم جانبا من المجهود الذى بذل فى هذه المسألة وحتى تدرك أن علماء الاسلام ما ناموا عن بحث هذه المسائل الكلامية ، بل خاضوا فيها بكل ما أمكنهم ، وسوف نعقب عليه فى حينه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

[٣] التوحيد بالمعنى الاصطلاحى .

ويعرّف بأنه " العلم الذى يبحث فيه عن وجود الله تعالى ، وما يجب أن يثبت له من صفات ، وما يجوز أن يوصف به ، وما يجب أن ينفى عنه ، وعن الرسل ، باثبات رسالتهم ، وما يجب أن يكونوا عليه ، وما يجوز أن ينسب اليهم ، وما يمتنع أن يلحق بهم ، وعن بيان الحياة الآخرة[١٥] .

والتوحيد بهذا المعنى هو الذى يطلق عليه اسم علم الكلام ، كما يطلق عليه اسم علم أصول الدين ، إلى غير ذلك من الاطلاقات التى ذكرنا طرفا منها فيما مضى من هذا الكتاب[١٦] فليرجع اليها من شاء .

- والتوحيد بالمعنى الاصطلاحى نوعان :

- الأول : الشفوى : وهو الذى قام على تقرير العقيدة الدينية ، ودفع الشبه ، وايراد الحجج ، ومحاربة أهل الأهواء والبدع ومناظرتهم ومحاورتهم عن طريق الخطابة والوعظ ، والمناظرة والدرس من غير تدوين فى كتاب أو تحرير فى صحف .

كالذى حدث فى مناظرة الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وابن صبيغ وابن الخطاب ، وما كان من هذا القبيل الذى

(١٥) الدكتور / على محمد جبر - محاضرات فى علم الكلام ص ٩ .

(١٦) راجع اسماء علم الكلام - المبحث الثانى من هذا الكتاب .

اعتمد على المناقشة والحوار بعيدا عن التدوين والكتابة ، وما كان من هذا القبيل ، يسمى شفهيا لانه تقع فيه المشافهة ، وهو خروج الكلام من الشفاه تسمية للشيء باسم محله .

اذن المشافهة هى الحديث المجرد البعيد عن الكتابة ، ومنه القول : شافهه يعنى ، خاطبه متكلما معه ، كما ان شفة الإنسان هى الجزء اللحمى الظاهر الذى يستر الاسنان ، وهما شفتان ، وبنت الشفة هى الكلمة لانها تخرج من الفم أعنى من بين الشفتين .

ويقال لم ينبس ببنت شفة ، يعنى لم يكلم كلمة واحدة ، والنسبة اليها تصح فيقال شفهى ، وشفوى ، والنسبة فى كل منهما صحيحة لكن فى الأولى على الأصل الذى هو شَفَة ، وفى الثانى على الأصل الأخر وهو شَفَو[17] .

والتوحيد بهذا المعنى الاصطلاحى الشفوى قديم ، فقد أنزل الله القرآن مقررا تلك العقيدة ، ذاكرا أجزاءها على ناحية تفصيلية مما أفاضت فيه آيات الذكر الحكيم ولا ينكر هذا الا من لا مسحة له من ذكاء وتفكير ، والا فعلى أى وجه يفسر الآيات المتعلقة بالعقيدة ، وهى كثيرة فى القرآن الكريم ، بل والحديث الشريف ايضا[18] .

نعم كانت أجزاء علم أصول الدين ، او علم الكلام شفوية لخلو العصر نفسه من جموع أهل البدع ، كما لم تكن الكلاميات قد تداخلت ، وراحت الشبه تقف معها ، ولما كان الأمر كذلك فلم تكن أدلة علم

(17) وفى المعجم الوجيز أن المشافهة هى الخطاب الشفوى . راجع المعجم الوجيز مادة ش ف هـ ص - ٣٤٧.

(18) راجع مناقشة الشبهة الثانية فى المبحث الخامس حكم الاشتغال بعلم الكلام من هذا الكتاب .

اصول الدين مدونة هذا التدوين[19] " الذى سنلاحظه فى العصر الذى يليه ، إلى يومنا هذا وبالتداخلات الكثيرة التى تمت فى المسألة .

وربما هو نفسه الذى يفسر لنا فيما بعد أنّ ذم علماء الحديث والسنة قد اقتصر على علم الكلام المشحون بالفلسفة والتأويلات الشاذة ، وصرف الآيات القرآنية عن معانيها الظاهرة[20] .

- الثانى : التأليفى : وهو الذى قام على تقرير العقيدة الدينية ، وايراد الحجج ، ودفع الشبه والبحث عن ما يجب لله وما يجوز وما يستحيل ، وعن اليوم الآخر وما فيه من بعث وحشر كتابة وتدوينا ، تحريرا وتأليفا ، اجمالا وتفصيلا ومن ثم برزت أهمية علم الكلام التأليفى الذى سوف نتحدث عنه .

وعلم التوحيد التأليفى هو نفسه علم الكلام الاصطلاحى ، بحيث اذا قيل علم الكلام انصرف إلى التأليفى منه بحيث صار علما له موضوعه ومنهجه ، ومسائله وغاياته التى ربما تعددت ، وتشعبت ، ثم هو فوق ذلك يعنى بذكر شبهات الخصوم ، ومناقشتها وردها .

كما يهتم بعرض القضايا ذاتها مستخدما المفردات التى تمكن منها ، والتى كانت فى بداية التأليف فيه نقلية فى أغلبها ، فلما دخلت ثقافات عديدة إلى البيئة الاسلامية ، ومعها مفردات كثيرة لجأ علماء الكلام إلى استخدام تلك المصطلحات لكن بعد تفريغها من مضمونها فى تراثها الأصلى ، ثم تعبئتها بما يتلائم مع الفكر الاسلامى ، بالصورة التى تؤدى إلى فائدة فيه .

---

(١٩) شرح عقيدة السفارينى جـ١ ص ١٥ ط المنار ١٣٢٣هـ بمصر .

(٢٠) شرح عقيدة السفارينى جـ١ ص ٦١ .

وهذا النوع من التوحيد هو الذى حدثت له النشأة ، وقام معه التطور ، وواكبت ظروف التأليف فيه تداخلات كثيرة بعضها مفردات لغوية ، وبعضها نواح فنية ، وثالث من هذه وتلك وهو الذى نوليه العناية اثناء الحديث عن النشأة والتطور .

## ثانيا نشأة علم الكلام – التوحيد التأليفى :

الدارس لعلم الكلام يجد العديد من الأسئلة التى ترد عليه فى كل مسألة من مسائله ، وربما تركها الأولون لمن يأتى بعدهم ،وربما هى من توفيقات الله التى تفيض على الآخرين ، لكنها فى خدمة العلم ذاته ، والتأكيد على استمرار فاعليته ، بل وضرورة الحاجة اليه .

من هذه الأسئلة ما يتعلق بنشأة علم الكلام الاصطلاحى فى جانبه التأليفى ، وربما يظن متعجل أن النشأة لم تعد مجهولة حتى تقع فيها الأسئلة ، وتأتى حولها الاستفسارات ، ولكن هذا الظن ليس له ما يبرره بل العكس هو الصواب ، أما لماذا ؟

فلأن للنشأة جانبين : وكل منهما ينتج عنه صواب نوضحه فيما يلى :

- الأول : كيف نشأ علم الكلام فى الاسلام ، سواء فى عهد الخلفاء الراشدين والصحابة ، أو التابعين ومن بعدهم إلى يومنا هذا .
- الثانى : متى نشأ علم الكلام فى الاسلام والتطورات التى لاحقته تاريخيا والفرق كبير بين السؤال بكيف والآخر بمتى .

وأرى الأغلب الأعم فى الدراسات التى عنيت بهذا الجانب – النشأة – تجعل الأمرين واحدا ، أما لضيق الوقت ، أو العجلة فى

اصدار المؤلفات ، أو أشياء آخرى يعلمها الله تعالى ودليل ما ادعيه وجود خلط شديد لدى القائلين بإباحته اشتغالا ، والقائلين بتحريمه ، والقائلين بوجوبه .

كما أن التفصيل بين النشأة بالكيفية والآخرى التاريخية يعطى الدارس فرصة التعرف على سائر الجوانب المتعلقة بالأمرين ، لذا سأعنى بفصل كل من الجانبين .

كيفية النشأة ، وتاريخ النشأة حتى أكون أديت بعض ما رجوت الله جل علاه التوفيق اليه .

الجانب الأول : كيف نشأ علم الكلام – التوحيد التأليفى؟

أ– فى عصر الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين .

ذكرنا أن الخلفاء الراشدين تكلموا فى علم الكلام الشفوى ، وأن بعضهم اشتغل بالكلام التأليفى كما فعل الامام على كرم الله وجهه ، وأن الصحابة اشتغلوا به على الناحية التأليفية كما فعل الامام عبدالله بن عمر ابن الخطاب ﷺ اذ ألف رسالة فيه[٢١] .

ومن أقدم من ألف فى هذا العلم الأمام عبدالله بن عمر بن الخطاب والامام الحسن بن على كرم الله وجهه ، ألف رسالة فى الكلام وآخرى فى الرد على القدرية[٢٢] وكذلك ألف الامام زيد بن على بن الحسين بن على كرم الله وجهه رسالة فى الرد على القدرية .

(٢١) راجع حاشية الأمير على شرح عبدالسلام للجوهرة ص ٣٧ .

(٢٢) راجع اشارات المرام ص ٣٣ ، ٣٤ .

ثم ان عمر بن عبدالعزيز فعل ذلك ، وله رسالة فى الرد على القدرية والأمام جعفر بن محمد الصادق ألف رسالة فى الرد على كل من القدرية والخوارج والروافض[٢٣] " بحيث يمكن القول بان هؤلاء الصحابة الآجلاء ، والتابعين النبلاء وضعوا الأسس الأولى لعلم الكلام التأليفى على قاعدة شرعيه ، تقوم بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من غير اضافة شيء اليهما .

- وكان للتأليف فى هذا العلم أبان تلك الفترة مظاهر منها :

[١] التزام النقل المنزل فى عرض الشبهة والرد عليها ، بمعنى تقريرها على الوجه الذى لا يوقع فى فتنة ثم ردها بالأدلة النقلية - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - وفى حدود فهم النقل المنزل نفسه .

[٢] الابتعاد عن الايهام والابهام فالعبارة الموهمة ينبه عليها أو تحذف والعبارة المبهمة توضح حتى لا يبقى شيء من الشك أو الريبة ، وكذلك عرض القضية لدى أصحاب الشبهة نفسها وكيفية دفعها من خلال فهم الصحابة الآجلاء والتابعين النبلاء ، من غير تجاوز فى هذه أو تلك . .

[٣] عدم الاسراف فى عرض الشبه أو الردود ، فبقدر الشبهة يكون الرد من غير تشقيق فى الشبه أو محاولة الدخول إلى أعماق أصحابها ، واستنطاق داخلهم بمالم تجر به السنتهم ، بل ما قالوه يحاسبون عليه ، وهو المعروف بالاقتصاد فى الفكر ، والقصد فى الوصول للهدف .

---

(٢٣) المصد السابق ص ٤٣ ، وما بعدها .

[٤] الاستماع للنقل المنزل والاستمتاع بما فيه ، حيث كان استمدادهم لمعرفة قضايا علم التوحيد من كتاب الله تعالى ، فهم قد عرفوا وحدانيته ، وكيفية اثبات صفاته ، كما عرفوا الانبياء وقصصهم مع أممهم .

وقفوا على خلق آدم وابليس وعداوة ابليس لآدم ، كما عرفوا الملائكة والجن ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وحتما نالهم شيء من التدير والتفكير في مثل هذه الأمور فلما رأوا مخالفيهم يريدون التسور عليهم ارجعوهم إلى الصواب ، وكشفوا لهم طريق الجادة ، كتابة ، وتحريرا ، تدوينا وتأليفا .

- ويرى العلامة الزركشى أنهم فعلا استمتعوا بالنقل المنزل الذى تدرج معهم حتى في حجاجهم مع غيرهم وبين ضرورة وجود أمور ثلاثة :

- الأول : التوحيد : وهو الذى تدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق باسمائه وأفعاله ، ودليله قوله تعالى " والهكم اله واحد "[٢٤] وفيه التوحيد كله ، في الذات والصفات والأفعال .

- الثانى : التذكير : ، وهو الذى يعرف من الوعد والوعيد ، والجنة والنار ، وتصفية الظاهر والباطن ، ودليله قوله تعالى " وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين[٢٥] .

---

(٢٤) سورة البقرة الأية ١٦٣ والآية بتمامها : وآلهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم .

(٢٥) سورة الذاريات الآية ٥٥

- الثالث : الأحكام الشرعية : والتى منها التكاليف وكلها تبين المنافع والمضار ، والأمر والنهى والندب ودليله قوله تعالى : " وإن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وأن كثيرا من الناس لفاسقون [٢٦] .

[٥] التمسك بالسنة المطهرة مع القرآن الكريم ، ففيها الرشد والاستنارة ، وكلما كان المسلم على علم بهما – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة – كان على صواب فى سلوكه ، وهو الذى ينطبق على الصحابة رضوان الله عليهم ومن تلاهم من آجيال قامت على الاستمساك بالنقل المنزل .

وفى نفس الوقت كانوا " لا ينتصرون الا لقوله ﷺ " ولا يضافون الا اليه ، وهم أعلم الناس بسنته وأتبع لها[٢٧] حتى صار من معالمهم فى معرفة الدين أصوله وفروعه التمسك بالكتاب والسنة ، ومن اراد التكلم فى الكلام أو يتدبر فى النقل المنزل او يدافع عنه ، أو يرد الشبه ، فما عليه الا الاتباع لما فيه من الفائدة والصدق مع الصحة والثبات وهو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ب– عصر من تلاهم :

وقد بدأ هذا العصر بالرسائل التى بدأ تدوينها للرد على القدرية ، والخوارج ، والرافضة ، ولكنها ردود على ناحية خاصة وتأليف أشبه ما يكون بالمقالات اليومية ، اذ لم تكن هناك شبه تشمل كل قضايا علم

---

(٢٦) سورة المائدة الآية ٤٩

(٢٧) شيخ الاسلام ابن تيمية – منهاج السنة جـ٣ ص ٤٦ .

الكلام ، كما أن علم الكلام لم يكن قد انتصب على قواعده بالشكل المعروف لدى الاشعرى ، ومن قبلهم المعتزلة .

انها تأليف خاصة وردود مقتصرة فيها القصد إلى الشبهة مباشرة وردها إلى الصواب ، وبيان أوجه الخطأ والتقصير فيها ، حتى أنه يمكن القول بانها أقرب شبها بالتى دونت فى عصر الخلفاء الراشدين لكنها تميزت بالطول النسبى والمجهود الفكرى الأطول من سابقه ، بحكم استفادة اللأحق من السابق وزيادته على ما عنده .

حتى اذا جاء الأمام الأعظم ابو حنيفة النعمان[٢٨] وجد نزاعا لا ينتهى ، وخلافا لا يجتمع وأخوانا متحاربين بدلا أن يكونوا متحابين فلم يَرُقْ له هذا الأمر وأنما قام بالتأليف فى العقيدة الاسلامية مقررا اياها بمنهج عقلى ونقلى معا وبغض النظر عن كون الامام أحد الأئمة الأربعة فى الفقه فان هذا لا يقلل من دخول الشيخ إلى ميدان التأليف فى العقيدة الاسلامية شرحا لها وتوضيحا ، ودفاعا عنها وتأليفا ، وهو ما فعله وقام به خير قيام .

بل أنه من الممكن القول بان الامام ابا حنيفة هو الواضع الأول لأصول المنهج العقدى لمدرسة أهل السنة والجماعة ، وانه بذلك كان أول متكلم سنى يذب عن حمى السنة ، وقد ألف فى ذلك ، الفقه الأكبر و الرسالة ، والفقه الأبسط ، وكتاب العالم والمتعلم ، والوصية ، وكلها فى

---

(٢٨) الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى ولد فى الكوفة سنة ٨٠ من الهجرة وعاش حتى سنة ١٥٠هـ ، تلقى الفقه عن شيخه حماد بن أبى سليمان ، وسمع كثيرا من علماء التابعين ، وادرك تحول الأمر من بنى أمية إلى بنى العباس ، الشيخ محمد الخضر حسين - تاريخ التشريع الاسلامى - ص ١٦٨ - ط٩١ سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠ م .

نصرة السنة ضد الحركات المتطرفة التى بدأ ظهورها على يد المعتزلة وغيرهم[٢٩] .

وقد حرص تلاميذه على شرح مؤلفاته الكلامية والفقهية والحديثية فقام الشيخ أكمل الدين البابرتى بشرح الوصية فى كتاب سماه كتاب شرح أكمل الدين على وصية الأمام ابى حنيفة[٣٠] ، وبالتالى فقد صار الامام أحد أعلام التأليف فى علم الكلام بالمعنى الاصطلاحى غير أنه يمكننا القول بان واصل بن عطاء الغزال " الألثغ " [٣١] ، كان تلميذا للحسن البصرى ، يقرأ عليه العلوم والأخبار .

وكأن قد سبق ابا حنيفة إلى التأليف فى علم الكلام ، لكن على ناحية مذهب المعتزلة الأوائل ، فعلى الرغم من أن واصلا وأبا حنيفة قد ولدا فى عام واحد سنة ٨٠هـ ؛ آلا ان اتجاه كل منهما كان مخالفا لاتجاه الآخر اثناء التأليف فى علم الكلام[٣٢] .

- فقد الف واصل فى علم الكلام كلا من :

[١] المنزلة بين المنزلتين .

[٢] الفتيا .

---

(٢٩) الدكتور محمد عبدالستار نصار - المدرسة السلفية ص ٥٦٢ .

(٣٠) قام بتحقيقها الدكتور / ربيع خليفة ونال بها درجة الماجستير فى العقيدة والفلسفة فى كلية أصول الدين - جامعه الازهر بالقاهرة .

(٣١) ولد فى ٨٠هـ سنة إلى ١٣١هـ وقد عاش قرابة الواحد والخمسين عام ، ولقب بالغزّال لأنه كان كريم اليد ويخشى أن تذهب صدقته فى غير مكانها فكان يلازم أهل الغزل ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن - راجع الكامل للمبرد جـ٣ ص ٩٢١ وواصل هو مؤسس فرقة المعتزلة ورئيسها الأول .

(٣٢) فتأليف واصل لاثبات أراء فرقته ومحاولته الغلبة لكل من سواهم ، أما ابو حنيفة فكان غرضه اظهار الحق والتمسك بما انتهى اليه أمر السلف الصالح أهل السنةوالجماعة .

[٣] التوحيد

وكانت كلها لخدمة مذهب الاعتزال ، والرد على القدرية والجهمية والروافض وغيرها ، لكن بطريقة المعتزلة الأوائل الذين توصلوا مع واصل فى بناء المذهب .

- على حين الف الامام ابو حنيفة فى علم الكلام كلا من :

[١] الفقه الأكبر .

[٢] الرسالة .

[٣] الفقه الأبسط .

[٤] العالم والمتعلم .

[٥] الوصية .

ويمكننا اعتبار الامام ابى حنيفة بداية التأسيس لمنهج أهل السنة والجماعة فى علم الكلام ، والذى سيشب عن الطوق على أيدى الماتريدية والأشاعرة ، ويخرج من دور المفردات إلى الكتب والمؤلفات ، ومن نطاق الأفراد إلى دائرة المؤسسات الدينية والعلمية على ما هو عليه الآن .

بل أن الرد على كل من معبد الجهنى[٣٣] ، وغيلان الدمشقى[٣٤] كان القاسم المشترك لدى الامام الأعظم ، وواصل غير أن واصلا عاد عن

(٣٣) معبد الجهنى توفى عام ٨٠هـ وهو أول من تكلم عن القدر فى الاسلام ، ويحكى أنه استقى تلك المعلومات الشاذة من صديق نصرانى كان يعرفه فلما صرح بها فى الاسلام لم تكن على قواعده وأصوله الشرعية .

(٣٤) نفى القول بالقدر وبالغ فيه ، ولم يتمكن أحد من ولاة بنى أمية من رده حتى جاء هشام بن عبدالملك فاسبابه لكنه لم يتب فحكم عليه العلماء بالقتل حدا ، فامر به هشام فقتل وصلب على باب دمشق ليكون عبره لمن مثله .

الرد إلى التأثر بكل من معبد وغيلان فـى القـدر ، والجبر ، حتى انتهى إلى أن الله تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يضاف اليه شر ولا ظلـم ، ولا يجـوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ....

فالعبد هو الفاعل للخير والشر والايمان والكفر والطاعة والمعصية ، وهو المجازى على فعله ، والرب تعالى أقدره على ذلك كله ، وأفعال العباد محصورة فى الحركات والسكنات والاعتمادات والنظر والعلم[٣٥] .

اذن التأليف فى علم الكلام بدأ فى مرحلة متقدمة جدا ، ابتداء من عصر التابعين ، لكن كانت له سمات معينة طابعها الالتزام ، فى حدود العصر الذى تلاهم فقد خرج التأليف فى علم الكلام عن الحد الذى كان قائما ، وبدأ فى استعمال مفردات ذات طابع غير معروف فى البيئة الاسلامية ، ولا هو من مفردات الفكر الاسلامى لكنهم اضطروا لاستخدامه والتعامل معه حتى يردوا القائلين به بنفس سلاحهم .

ومن المقرر أن علماء المعتزلة الأوائل لما وجدوا أعداء الاسلام تسلحوا بالمنطق والعلوم العقلية ليهاجموا الاسلام فى نصوصه وقواعده ، واحكامه وأركانه ، نهض القوم لتراث الأعداء يراجعونه ويتعرفون عليه حتى اجادوه فتمكنوا من رد شبهات الخصوم بنفس سلاحهم ، وهدموا كل ما اعتمد عليه خصوم الاسلام بنفس المنطق الذى استخدموه ، ومن هنا كان المعتزلة الآوائل فرسانا فى هذا الميدان وقد ابلوا فيه البلاء الحسن .

والخطأ الذى أودى بواصل فيما بعد هو تحكيمه العقل فى النقل المنزل ، وتسليطه حاكما على اصحاب الجمل وموقعة صفين ، وحكمه بان أحدهما مخطىء لا محالة ، وكذلك حكمه فى قتل عثمان بن عفان ﷺ

---

(٣٥) الشهرستانى - الملل والنحل جـ١ ص ٤٧ .

وبدأ قلمه يزل به في أعلام الصحابة وأئمة العترة الطيبة آل البيت ، وتبعه عمرو بن عبيد[٣٦] رغم أنه من رواة الحديث ، معروف بالزهد وواصل نفسه كان مشهورا بالفضل والآدب عندهم[٣٧]

اذن حدث تلاحم بين القضايا الفكرية والنصوص التى تحملها حتى أن البعض تمسك بالنقل وحاول تفسيره بما يوافق النقل نفسه وهو التفسير بالمأثور، بينما تمسك آخرون بالنقل ، وحاولوا تحكيم العقل فيه ، مع اعلانهم انه خادم له ، لكن الدعوى لم تكن مساوية للنتائج .

من ثم يمكن القول بأن الازدياد فى التأليف فيما يتعلق بعلم الكلام قد تواكب عند الامام ابى حنيفة واتباعه مع واصل بن عطاء واتباعه ، حيث ان اتباع ابى حنيفة لم يتوقفوا عن كتابة الشروح على فقهه الأكبر فى الاعتقاديات والوصية ، بل أن بعضهم لجأ إلى الاشتغلال فى التأليف على النمط الذى اتبعه ابوحنيفة نفسه ، حتى بات الاحناف متكلمة فى الاصول[٣٨] بعد أن كانوا فقهاء فى الفروع[٣٩] فقط .

وكذلك صنع الامام مالك بن انس ٩٣هـ / ١٧٩هـ صاحب المذهب الفقهى المعروف بامام دار الهجرة ، وصاحب الموطأ وعالم الحجاز ، وهو غير الصحابى الجليل انس بن مالك الذى خدم النبى عشر سنوات اذ ان

(٣٦) عمرو بن عبيد من رؤساء المعتزلة وكان صديقا لواصل بل ولد فى ذات السنة التى ولد فيها ولكن الأجل امتد به أكثر من واصل ٨٠هـ / ١٤٤ هـ .

(٣٧) الملل والنحل جـ١ ص ٤٩ .

(٣٨) من المؤسف ان الاتجاه الكلامى عند الماتريديه مازال غير معنى به بل انه لا يدرس الاعرضا ، رغم مجهوداتهم لا تنكر .

(٣٩) راجع مقدمة اشارات المرام من عبارات الامام

مالكا هذا كان جده ابو عامر من اصحاب رسول الله ﷺ وشهد المغازي كلها خلا بدرا[40] .

فقد الف رسالة فى الكلام ، رد فيها على القدرية ، وناقش شبه الخصوم ، بل إنه فى كتابه تفسير غريب القرآن ألمح إلى المسائل الكلامية ، وعرض لبعضها حسب ظروف المقام ، لكن المالكية من بعده كانت لهم فى علم الكلام اراء ومجهودات ، وفى المغرب أكثر منها فى المشرق الذى تفرد بذكر ارائه الكلامية فيها والاضافة عليها .

والشيخ أحمد بن المعذل بن غيلان العبدى الفقيه المتكلم . كان من العلماء الادباء الفصحاء النظار فقيها بمذهب مالك ذا فضل وورع ، ودين وعبادة ، لم يكن لمالك بالعراق ارفع منه ولا أعلى درجة ولا أبصر بمذهب أهل الحجاز منه ، وهو الذى انتشر عنه مذهب مالك ببلاد المشرق[41] .

وكذلك اراؤه الكلامية التى صحت نسبتها اليه ، وعلى النحو الذى الف فيه مالك من استمساك بالنقل المنزل ، والفهم الجاد له والابتعاد عن التشبيه والتجسيم والتأويل المسرف الذى يبلغ حد التعطيل ، وانما المقبول الذى يؤدى إلى اثبات الكمالات لله رب العالمين مع نفى المثلية بكافة اشكالها على ما هو مذهب الامام مالك رحمه الله .

غير ان النشاط التأليفى عند المعتزلة كان أوسع ، وتناول القضايا اتخذ صورة بعدت به عن ما كانت عليه ايام واصل وهو ما يمكن تسميته بالنشاط الكلامى عند متأخرى المعتزلة ، فقد اكتسبوا قدرة على الجدل ، ورغبة فيه وبعدوا كلية عن الالتزام بالمنهج العقلى أو الاسترشاد به حتى

---

(40) الشيخ محمد الخضر حسين - تاريخ التشريع الاسلامى ص 175 .

(41) المصدر نفسه ص 182 .

جعلوا العقل هو مناط التكليف وليس الشرع وقرروا ان القران مخلوق ، وانه يجب على الله اثابة الطائع وعقاب العاصى إلى غير ذلك مما هو ضلال بين .

بل انهم جعلوا عناوين كتبهم علم الكلام أومباحثه وأجزاءه على سبيل الاستقلال كما فعل العلاّف والجاحظ ، وعمرو بن عبيد والخياط وغيرهم ، حتى بعد علم الكلام عن اصوله وصار لديهم حاكيا مذهب المبتدعة ، تاركا المذهب الحق الذى عليه سلف الامة ومجتهدوها .

واستمر التأليف عندهم ومن شاركهم على نفس المنوال إلى أواخر القرن الثالث الهجرى ، مما جعل المجتهدين من الأئمة يذمون علم الكلام ، وقد استمر التأليف فى تلك الحقبة من الزمان قاصرا على حكاية مذاهب المبتدعة من متأخرى المعتزلة والجهمية والقدرية والشواذ فى الفكر المنتسبين للأسلام .

وبهذا عُلم أن الذى ذمه الشافعى وغيره من الأئمة هو علم الكلام الحاوى لمذهب المخالفين الذين ادخلوا فى قضايا الاسلام اشياء خالفت ما كان يعتقده المتقدمون من الصحابة والتابعين ، وجمهور الأئمة ،

أما علم الكلام الذى بدأ التأليف فيه من أوائل القرن الرابع إلى اليوم فليس يذمه أحد من أئمة المسلمين ، بل يوجبون الأخذ به ، حيث هو أصل الشريعة ومناط التكليف[٤٢] .

- ولا يغيبن عن دارس ان التأليف فى علم الكلام سلك طريقين :
- الأولى : طريقة الاعتدال والاستقامة[٤٣]

---

(٤٢) الدكتور / على محمد جبر - محاضرات فى علم الكلام ص ٢١ .

(٤٣) طريقة الاعتدال فى التأليف الكلامى هى التى توازن بين الاراء والمسائل وترجح منها ما تجد أدلته أقوى مع تغليب النقل على غيره عند التساوى فى الأدلة ، وابعاد اللغو والجدل لذات الجدل عن ميدان علم الكلام الاسلامى .

وابتدأها السلف الصالح والصحابة والتابعون ، وظلت هذه الطريقة تسير مرة يفسح لها الطريق فيزداد التأليف والشروح ، وأخرى يضيّق عليها فيلجأ القائمون عليها إلى الحواشي والتقريرات ، وبخاصة اذا كان الحاكم عَجُولا ، أو يوجه مسيرته خصوم الحق أو أهل الهوى واصحاب الغلبة .

وما تزال هذه الطريقة من ابن عمر رضى الله عنهما إلى الامام على وابنائه من بعده إلى الاحناف والمالكية والشافعية والحنابلة طريقة الالتزام بالمنهج النقلى والعقلى ، مع تقديم النقل على العقل فى المسائل التى لا مكان للعقل فيها ، وتقديم العقل على النقل فى المسائل التى تركت ليختبر العقل ملكاته فيها ، أو تآخى العقل والنقل فى المسائل التى يحتاج كل منهما الآخر .

وكان لكل من أئمة الهدى فى المسألة اتباع ، فغالبية الاحناف فى الفروع هم الماتريدية فى الاصول ، وغالبية الشافعية فى الفروع هم أكثر الاشاعرة فى الاصول وكهذا تلاقى الأصل مع الفرع ، حتى وقع التلاقى للأمة الاسلامية كلها .

وليست هذه قاعدة ضابطة بل كان بعض الاشاعرة حنابلة ، كما كان بعض الشافعية ماتريديه ، كما كان بعض الاشاعرة حنابلة أو مالكيه فقد كان الاشعرى مالكى المذهب الفقهى ، وكذلك القاض ابوبكر الباقلانى والاستاذ ابواسحاق الاسفرايينى[٤٤] ،

ومن ثم فان القول بان المالكية لم تكن لهم جهود فى علم الكلام غير مقبول لانه ليس له سند صحيح ، بل الصواب انه كان للمالكية مذهب فقهى ومنهج كلامى التزم ما عليه السلف الصالح ، وما قرره علماء أهل

---

(٤٤) حاشية الأمير ص ٣٧ .

السنة والجماعة وكيف لا ، والامام مالك نفسه كان متكلما على نحو ما ، وله فيه رساله :

كما ان الحنابلة بقيادة الامام أحمد بن حنبل كانت لهم اتجاهاتهم في فهم العقيدة والمسائل المتعلقة بها ، لكنهم عالجوا تلك المسائل بمنهج خاص مستمد من ظاهر النص الدينى ونجح فى معالجة قضاياه به ، واستمر الحنابلة من بعده على نفس الطريقة المعتدلة فترة طويلة .

" من هنا نبين أن مدرسة أهل السنة والجماعة كان لها جناحان متعاصران :

أحدهما يمثل الجانب المحافظ التفويضى : ولا يباشر علم الكلام الا فى نطاق النصوص الدينية ، والثانى يمثل الجانب المدافع عن المذهب بمنهج كلامى يتخذ من العقل اساسا للدفاع عن النص ، ويمثل الجناح الأول الأمام أحمد ومن سار على نهجه فى هذا المجال ويمثل الجناح الآخر ابن كلاب والقلانسى والمحاسبى ، وهذا الجناح يمثل السلفية المتطورة التى تدعم النقل بالعقل فى دفاعها عن العقيدة ، وقد وجدت صورة هذه المدرسة بجناحيها لدى الأمام الأشعرى(٤٥)

بل ان الامام الأشعرى رحمه الله مؤسس مذهب الأشاعرة كان امتدادا لمالكية . الأمام أحمد نفسه ، واذا كان الاعتراف سيد الأدلة فان الأشعرى يقرر الأصول التى يعتمد عليها فى عقيدته الدينية فيقول :

قولنا الذى نقول به ، وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل ، وبسنة نبينا ﷺ ، وما روى عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، ثم يقول :

---

(٤٥) المدرسة السلفية ص ٥٦٢ ، ٥٦٣ .

وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، واجزل مثوبته قائلون ،ولما خالف قوله مخالفون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذى أبان الله به الحق ودفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفهم(٤٦) .

ومن المؤسف له ان يأتى فى القرن الخامس عشر الهجرى من يشكك فى نسبة الأشعرى للحنابلة ، اعتمادا على أن من خاض فى شىء من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنة وإن أصاب بكلامه السنة ناسبا هذا القول للأمام أحمد بن حنبل وابن المدينى ، إلى أن يقول .

والأشاعرة تلقوا واستمدوا من غير السنة ولم يوافقوها فى النتائج فكيف يكونون من أهلها(٤٧) .

وما درى المشكك أن الكلام المنهى عنه هو المختلط بالشبهات والضلالات ، والمتبع لأهل الأهواء والبدع ، وكل الأئمة قد حرموه ، كما تناسى أن الأمام أحمد كان متكلما وله أراء عديدة فى سائر قضايا العقيدة .

كما أن حكمه باخراج الأشعرى من أتباع الحنابلة لا يقوم على قواعد أصيلة فى الحوار أو المناظرة بل يقوم على المعلومات المستقاة من أقوال الخصوم وليس هذا هو المنهج الذى يعتمد عليه فى الدراسات العلمية أو يحتج به عند مقارنة الأدلة .

---

(٤٦) الامام ابو الحسن الاشعرى – الابانه عن اصول الديانه – تحقيق د/ فوقيه حسن محمود ط دار الكتاب .
(٤٧) سفر الحوالى . منهج الأشاعرة فى العقيدة – ص ١٦ ، ١٧ .

ولست أدرى هل عرف المشكك المتنسب للحنابلة أن شيخ الاسلام ابن تيمية أمتدح الأشعرى والاشاعرة ، وذكر أن حسناتهم نوعان :

١- أما موافقة أهل السنة والحديث ، وأما الرد على من خالف السنة والحديث ببيان تناقض حججهم ، ثم قال :

ولم يتبع أحد مذهب الأشعرى ونحوه الا لأحد هذين الوصفين ، أو كلاهما ، وكل من أحبه وانتصر له من المسلمين وعلمائهم فانما يحبه وينتصر له بذلك .

من ثم ينتهى إلى أن الأشعرى امتاز بما يوجب حفظ قدره وهو أنه ، وافق السنة والحديث فصار له من القبول والأتباع ما صار[48] .

بل ماذا يقول المشكك فى الأشاعرة محاولا تجريح شيخهم بعد أن رأى من شيخ الاسلام ابن تيمية هذا المدح فى ألاشعرى ومن تبعه ، ثم ما فائدة هذا الخروج السافر في هذا الزمان بالذات على الأشاعرة والماتريدية ، وأهل الاسلام فى كل مكان ؟

انه لا فائدة من ورائه ، بل الخسارة الكبيرة التى تلحق بالاسلام وأبنائه ، وتمزقهم في كل مكان حتى يتمكن عدوهم من السيطرة عليهم والتخلص منهم ، وأنى له ذلك .

بل أن الذى يراجع مؤلفات الأشعرى كالابانة واللمع ، وبخاصة فى مسائل الايمان والقضاء والقدر سيدرك حتما ان الرجل سلفى ما فى ذلك أدنى شك ، وليس عليه أن يتحمل تبعات من انتسبوا اليته ان هم خالفوا المنهج الذى سار عليه . . . .

---

(٤٨) شيخ الاسلام ابن تيمية - مجموع الفتاوى - جـ٤ - مفصل الأعتقاد ص ١٢ ، ١٣ .

على كل انقضى عصر الأمام أحمد بن حنبل الذى كان امتدادا للمنهج السلفى فى العقيدة الدينية ، وكذلك انقضى أغلب المتابعين للمذهب الحنبلى والسلفى نظرا للخصومات التى كانت بين المنتسبين للمذاهب الفقهية أو الصوفيه واستطاعوا ضم الحاكم اليهم حتى خلى الطريق لهم وازاحة غيرهم .

ثم جاء بعدهم من انتسب اليهم ، فادخل على منهج الحنابلة ماليس منه ، ونسب للأمام أحمد ما لم يقل به ، حتى انتهى الأمر معهم من التنزيه إلى التعطيل ، ومن الاثبات إلى التجسيم ، وبخاصة فى النصوص التى يقع فيها المتشابه ، وتعرف به ، ويكون مجالها التفويض أو التأويل .

فقد كان رأى الأمام أحمد فيها غاية الوضوح فلم يلجأ إلى تأويلها كما فعل غيره ، أو تأويل المنحرفين ، ولم يجرها على ظاهرها بالمفهوم الانسانى ، بل أمَرَّها كما جاءت دون تعمق فيها ، أو بحث فى معانيها ، اعتمادا على قصور العقل الانسانى عن ادراك الكيفيات الالهية[٤٩] لكنهم غيروا بعده وبدلوا ، مما يجعلنا لا نحكم عليهم بأنهم حنابلة ، وان انتسبوا إلى المذهب نفسه أو دعوا اليه .

كما أن من ينسبون أنفسهم للسلفية قد خرجوا عن نطاقها ، وظهرت مؤلفاتهم الكلامية بعيدا عن منهج السلف تماما ، اذ فرضوا أفهامهم من النقل المنزل ، وتحركوا بعقولهم داخل المتشابه من النقل المنزل نفسه وربما توسع بعضهم فوقع فى التجسيم بعد التشبيه ، والتعطيل بدل

(٤٩) شيخ الاسلام ابن تيمية - مجموع الفتاوى حـ٤ مفصل الاعتقاد . ص ١٢ ، ١٣ .

التنزيه ، وفرق بين الادعاء والواقع . فهم ليسوا سلفية ، وان انتسبوا اليهم[٥٠]

وقد بين شيخ الاسلام ابن الجوزى هذا الموقف ورسمه بريشة فنان يراقب الأحداث عن كثب ثم يرسمها كما شاهدها ، فبين أنهم أهملوا العقل الذى به يثبت الأصل وهو معرفة الله تعالى ، كما كشف عن تجاوزهم مذهب أمامهم ، فلم يمروا النصوص كما جاءت دون التعرض لها ببحث أو تعمق مع التفويض فيما يوهمه الظاهر ..

ولكنهم حملوها على الظاهر ، وبهذا ادخلوا فى المذهب السلفى ما ليس منه ، حتى أكسبوه شيئا قبيحا ، وصار لا يقال عن جنبلى الا مجسم ، وصدق فيهم قول بعض أئمتهم المعتدلين[٥١] ، لقد شان هؤلاء المذهب شينا قبيحا لا يغسل إلى يوم القيامة[٥٢] .

- الثانية : طريق التجاوز والاعوجاج والتخبط :

وهذه الطريقة أبتدأها القدرية ، والجبرية ، والمرجئة والخوارج وبعض المعتزلة والشيعة ، ووجد أعداء الاسلام فيها الفرصة المتاحة حتى دخلوا اليها ، وتحدثوا فى الاسلام بها ، وحاولوا ادخال معتقداتهم الفاسدة فيها ، بل زعم المجسمة أن الله يأكل ويشرب .

---

(٥٠) بعض الدراسات الحديثة زجت بالاعلام فى ميدان الانتساب للسلف من عدمه ، فمثلا ظهرت رسالة ابن تيمية السلفى للدكتور / محمد خليل هراس ، ثم ظهرت فى نفس الوقت آخرى بعنوان ابن تيميه ليس سلفيا للشيخ منصور عويس وكلاهما عالم وكان الأولى الابحار بعيدا عن هذا الميدان ، الذى قل أن يسلم داخل فى قوله أو نيه أو عقيدة أو عمل .

(٥١) الدكتور / محمد عبدالستار نصار - المدرسة السلفية ص ٥٧٣ .

(٥٢) شيخ الاسلام ابن الجوزى - دفع شبهة التشبيه ص ٨ .

بل تجاوز أحدهم كل حدّ فقال : داود الحوارى " اعفونى عن الفرج واللحية ، واسألونى ، عن ما وراء ذلك ، قال ان معبوده جسم ولحم ودم ، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعينين واذنين ، ومع ذلك فهو جسم لا كالاجسام ، ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء وسائر الصفات(٥٣) .

وهى طرائق فيها التجاوز والاعوجاج ، بل والتخبط الشديد ، ومن يراجع المؤلفات فى الملل والنحل سيجد ذكر حكاياتهم ، والدعوات التى قاموا عليها ، والظنون التى اندفعوا اليها ، مما لا يمكن قبوله أو التصديق به ، بل أن الحكم الدقيق عليهم ومؤلفاتهم هو انها لا تمت لعلم الكلام بصلة الا الكلام .

وعقيدة هؤلاء وأمثالهم مما لا يمكن قبوله ، بل حكم عليهم العلماء بالكفر ، سواء كانوا من المشبهة أو المجسمة قال نعيم بن حماد :

من شبّه الله بشيء من خلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه .

وقال اسحاق بن راهويه .

من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله ، فهو كافر بالله العظيم(٥٤) وبالتالى فان كلام المشبهة والمجسمة ، والفِرَق التى التزمت طريق التجاوز والاعوجاج ، والتخبط والانحدار لا يعتد به ولا قيمة له ، وانما هو تجاوز غير مقبول أبدا .

- وربما تسألنى ما الفرق بين المشبهة والمجسمة فى التعريف والوصف ؟

---

(٥٣)الامام الشهرستانى – الملل والنحل جـ١ ص ١٠٥ – تحقيق عبدالعزيز الوكيل .

(٥٤) الامام ابن أبى العز الحنفى – شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٧ المكتب الاسلامى ص ٨ .

• **والجواب :**

ان المشبهة هم الذين يشبهون الله تعالى بغيره من المخلوقات على وجه العموم ، وانه يحل ويحتاج ويتركب ويفعل لغاية تكمله .. إلى أخر هذه الاوصاف التى تنطبق على المخلوقات الحادثة(٥٥) .

أما المجسمة فهم الذين يزعمون أن الله تعالى جسم ، وله أعضاء من عين ورجل وحجم وخلافه مما هو من ملازمات الجسمية(٥٦) وكل منهما تمخضت عنه فرق ، بعضها استمد أصوله وقواعده من اليهودية السياسية وبعضها راجع لدعاة السبئية ، وبعضها من أصول مختلفة ، وانماط سلوكية شاذة(٥٧)

على ان طريقة التجاوز لم تقف عند حد وانما أمتدت فشملت أغلب المذاهب الكلامية ، ويبدو أن بعض المتأخرين لم يكونوا على مستوى فهم المذاهب كالمتقدمين ، فلما حاولوا شرحه ضل بعضهم فى متاهات الأنا الذاتى ،وصب كل ثقافته التى حصلها فى كتاب تحت اسم علم الكلام(٥٨) ،والتى مازلنا نعانى من آثارها حتى اليوم .

---

(٥٥) قال العلامة الشريف " المشبهة قوم شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ، ومثلوه بالحوادث - التعريفات ص ١٩٢ .

(٥٦) الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى - حبو الوليد فى علم التوحيد ص ٢٩١ ط أولى ١٩٩٦ م .

(٥٧) يراجع التبصير فى الدين وبيان الفرقة الناجية ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى والفرق بين الفرق للبغداد " والملل والنحل للشهرستانى ، وغيرهما من المولفات فى الفرق والاديان والمذاهب .

(٥٨) مثال ذلك : عقيدة فى التوحيد للشيخ محى الدين ابن عربى حتى انه يقول : ان سر التوحيد الجامع مظهره محمد ﷺ فمن أحبه فقد احب الله ، رد المتشابه إلى المحكم لابن عربى ص ٢٥٠ ط عالم الفكر شرح وتغليق عبدالرحمن حسن الخولى .

أجل ظهرت طرائق عديدة لتوجيه الأفكار لعلم الكلام من جديد ، أولعلم كلام جديد ، يبتعد عن القضايا النظرية ويسلك الاتجاه العملى فى الاستلال علىالقضايا العقدية ، وربما يُقَدّر له بعض التوفيق فى الجوانب التى يمكن الاستشهاد به فيها ، أما الجوانب الآخرى فأغلب الظن أن الاتجاه العملى ربما كان وسيلة للأستئناس ،وليس دليلا للأستشهاد به .

فالاستشهاد بخلايا النبات أو خلايا الإنسان والحيوان انما هو من دلالة الأثر على وجود المؤثر وهو قديم لكن لغته فى الماضى كانت نظرية أُما فى الحاضر فهى معملية ، وقد سلك الفلاسفة المسلمون المنهج الرياضى فى الاستدلال على تناهى الكون حتى ينتهى إلى احتياجه إلى خالق رازق مهيمن . وهى كلها محاولات فى سبيل تحقيق هدف أسمى فنأمل لها التوفيق ما دام القصد ، تقرير العقيدة ، والدفاع عنها ، ورد الشبه التى تَرِدُ عليها .

## الجانب الثانى : تاريخ نشأة علم الكلام .

من المقرر أن كل نبى جاء بالعقيدة الدينية لقومه حتى يعرفهم بالله تعالى ، وهو الذى يُعّرف بتقرير العقيدة الدينية ، ودفع الشبه عنها ، ومعلوم ان هذه العقيدة غير علم الكلام الاصطلاحى ، ونحن نذكر هنا تاريخ نشأة علم الكلام بالمعنى الاصطلاحى ، لكن لا يمنع من الاشارة إلى نشأة العقيدة قبل الأسلام ثم نتحدث عن نشأة علم الكلام فى الاسلام .

### أولا: العقيدة قبل الاسلام

جاء الأنبياء والمرسلون لأممهم حتى يعرفوهم خالقهم العظيم ، فما من نبى الا وقد جاء بالعقيدة الصافية النقية إلى قومه حيث يقررها لهم ، ثم يشرح أجزاءها التى تتكون منها ، كما يعرفهم بالغاية التى تعقبها حتى تتضح فى الأذهان وتمثل فى الأفهام ، بما يحقق المراد من الرسالة والرسول

لكن متى بَعُد الرسول عن قومه بانتقاله ، وترك الناس رسالة السماء إلى فكر الأرض ، ظهر فيهم من يتوسمون فى ملكاتهم القدرة على اصطناع عقيدة لأتباعهم تقوم معهم مقام الكتاب الأصلى ، ويقوم هو بين أتباعه مقام النبى .

وهنا تقع الاضطرابات ، ويحصل الخلل ويقع فى الناس ما لا تحمد عقباه فى العقيدة والشريعة والأخلاق .

- اذن نحن أمام اتجاهين :
- الأول : الاتجاه القائم على تقرير العقيدة مع النبى ( اتجاه النقل )
- الثانى : الاتجاه المؤلف لعقيدة مع " غير نبى اتجاه العقل "

ولابد من التعرض لكليهما اذ من الصعب قبول فكرة أن تقع رسالة سماوية فى مسائل عقدية موقع السقوط أو تنزل مزال السوء ، والا كان تكذيبا لها وللرسول معا وهو محال .

فالله تعالى لا يصدق الكاذب ، ولا يؤيده ، ومن ثم فلا يرسله ، وسوف نولى الأمرين بعض عناية على النحو التالى :

الاتجاه الأول : العقيدة فى ظل الأنبياء والمرسلين .

من المعلوم أن " رسالات الأنبياء إلى الناس قديمة ، ودعوتهم إلى الله تعالى تالدة خالدة ، تمتد جذورها إلى الإنسان الأول ، وهو أدم أبو البشر ، وتنتهى فروعها بانتهاء هذا الجنس البشرى ، وقيام الناس لله رب العالمين .

ولما كان سيدنا محمد بن عبدالله صلوات وسلامه عليه هو خاتم الأنبياء والرسل ، فان رسالته لا تزال ممتدة إلى يومنا هذا ، وسوف تظل ممتدة إلى يوم القيامة يحملها خلفاؤه والعلماء من أمته على توالى الأجيال[٥٩] ، وسنقدم نماذج لها فى ظل الأنبياء والمرسلين .

نبى الله ادم عليه السلام

نبى الله أدم هو أول البشرية ، وأول نبى فيها ودليلنا ان الله تعالى خاطبه " بلا واسطة ، وشرّع له فى ذلك الخطاب ، فامره ونهاه ، وأحل له وحرم عليه ، بدون ان يرسل اليه رسولا من جنسه ، وهذا هو كل معانى النبوة ، فمن هذه الناحية نقول أنه نبى ، وتطمئن أنفسنا بذلك ، .

---

(٥٩) الدكتور محمد الطيب النجار - تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - ط دار الاعتصام ط ٣ سنه ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه ، وشأننا أن نفوض علم ذلك إلى الله تعالى[٦٠] .

والمسلم يلمح هذا الارسال فى قوله تعالى " وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤنى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون "[٦١].

من ثم فإن تعليم الله آدم الأسماء نوع من الأخبار بأنه نبى ، واما كون الأسماء دالة على مسمياتها عنده وحده ، فهو دليل على الأصطفاء والأختيار ، وأما معرفة كون الأسماء كلها ودلالتها كلها فدليل على أنه رسول أيضا ، اذن هو نبى ورسول مصطفى والا فما قيمة أن يعرف الأسماء ولا يعرف مسمياتها الدالة عليها ، حتى تتمايز عنده عن غيرها ! .

ثم أن نداءه تعالى لآدم : " يا آدم أنبئهم بأسمائهم " قد دل على أن المنادى مرسل لبنى جنسه ، وأن رسالته لهم بأعيانهم ، والا فما فائدة الأمر بالنداء أنبئهم بأسمائهم ، وهى كافة الأشياء الأرضية والسماوية التى تتعلق بصلب رسالته وحاجات المرسل اليهم حتى تتحقق لهم المصلحة وتتم فيهم المنفعة .

وقد جعل الله تعالى عِلم آدم بالاسماء ، وعجز الملائكة عن ذلك " علامة على آهلية النوع البشرى لخلافته فى الأرض دون الملائكة ، لأن الخلافة فى الأرض هى خلافة الله تعالى فى القيام بما أراده من العمران

(٦٠) الشيخ / عبدالوهاب النجار – قصص الأنبياء – ص ٢٤ ط دار التراث

(٦١) سورة البقرة الآيات ٣١ / ٣٣ .

بجميع أحواله وشعبه بمعنى ان الله تعالى أناط بالنوع البشرى اتمام مراده من العالم ، فكان تصرف هذا النوع فى الأرض قائما مقام مباشرة قدرة الله تعالى بجميع الأعمال التى يقوم بها البشر(٦٢) .

وعلم الله لآدم قد تلقاه عن تعليم الله مباشرة والحكمة يعلمها جل علاه ، ولذا فهو مطابق للواقع قطعا ، ولا يخشى على صاحبه أن يزل عن سبيل الاصلاح ، لأنه علم عن الله ومن الله ، ومن ثم فهو مأمون العواقب .

وآدم لهذا وغيره مما خلقه الله له ، تهيأ للخلافة فى الأرض ، فكان أول نبى يحمل أول رسالة ، وأول رسول يحمل إلى قومه نبوة ، بل وأول نبى ينقل تعاليم الهية إلى بنى جنسه من البشرية .

كما أن علم آدم لما كان مستمدا " من تعليم الله له ، وان الامداد بالعلم قد استمر ، فدل ذلك على أنه محاط من الله تعالى برعاية صافية ، ثم ان العلم الذى يصل عن طريق النظر والفكر قد يعتريه الخلل ، ويحوم حوله الخطأ ، فيقع صاحبه فى الأفساد من حيث يريد الأصلاح "(٦٣) وليس كذلك العلم الآلهى ، ولا العلم عن الله مباشرة الذى علمه الله لآدم عليه السلام .

على أنا لو انعمنا النظر العقلى ، وأمعناه ، فإنا ندرك على سبيل الحتم بعث آدم عليه السلام لقومه ، وتقريره عقيدته الايمانية باللغة التى يفهمونها ، والمفردات التى جرت على ألسنتهم واستوعبتها أفهامهم ، وبالتالى يمكن

---

(٦٢) الاستاذ الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور - تفسير التحرير والتنوير جـ١ ص ٣٩٧ ط الحلبى الأولى سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

(٦٣) الدكتور / أحمد السيد الكومى ، د/ محمد سيد طنطاوى - التفسير الوسيط للقرآن الكريم - القسم الأول - سورة البقرة - ص ١٢٢ - ط أولى ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م - مطبعة قاصد كريم .

القول بان تقرير العقيدة الايمانية أمر قديم جدا من آدم عليه السلام . سواء كان على ناحية شفوية أو تحريريه ، اذن آدم رسول ونبى وبلغ لقومه رسالة الله اليهم .

• وقد أحسن الناظم حين قال :

حتم على كل ذى التكليف معرفة[٦٤] ∴ بانبياء على التفصيل قد علموا
فى تلك حجتنا[٦٥] منهم ثمانية ∴ من بعد عشر ويبقى سبعة وهموا
ادريس هود شعيب صالح وكذا ∴ ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا[٦٦]

• وقال العلامة المرزوقى

هم آدم ادر يس نو ح هو د مع ∴ صا لح وابرا هيم كل متبع
لو ط واسما عيل ا سحق كذا ∴ يعقو ب يو سف وايو ب اهتدى
شعيب هار ون ومو سى واليسع ∴ ذو الكفل دا ود سليما ن اتبع
اليا س يو نس زكر يا يحى ∴ عيسى وطه خاتم دع غيا[٦٧]

نخلص مما سبق إلى أن آدم نَبِى وأنه عـرّف قومه اسس العقيدة ، واركانها ، وقررها لهم بالشكل الذى تمكنوا منه ، وكذلك جاءت معه

---

(٦٤) هم الذين تجب معرفتهم تفصيلا ، وهم خمسة وعشرون نبيا .

(٦٥) سورة الأنعام قال تعالى : " وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين " الآيات ٨٣/ ٨٦ وهم ثمانية عشر نبيا .

(٦٦) شيخ الاسلام ابراهيم الباجورى - حاشية الباجورى على الجوهرة ص ٢٦ وبهامشها تقريرات العلامة الأجهورى .

(٦٧) الشيخ / أحمد المرزوقى المالكى - منظومة عقيدة العوام ط الحلبى ص ٦ .

شريعة تعرفهم طرق العبادة ، وتصف لهم اسباب الفلاح فى الدنيا حتى يظفروا بالرضوان فى الآخرة لقوله تعالى " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا "[٦٨] .

٢- نوح عليه السلام .

ذكرت بعض كتب السير أن بنى آدم بعد أبيهم تفرقوا شيعا وتناحروا أمما ، ولم يبق منهم على التوحيد الذى تركه آدم عليه الا القليل ، ثم تلاشى هذا القليل ، وشاع فيهم أمر الجحود والنكران ، حتى أنهم لجاؤا لغير الله تعالى وعبدوا سواه .

واراد الله تعالى ارسال نوح عليه السلام تفضلا منه تعالى ورحمة ، وكان نوح قد نشأ فى بلاد العراق التى عكف أهلها على عبادة آلهة آخرى ، صنعها لهم خيالهم ، وعضدها فيها مزاج متقلب ، مع سوء طوية ، وفوق ذلك كله اغراق بالمعاصى .

حتى اذا بعث الله فيهم نوحا عليه السلام وهو من أُسَرِهم التى نشأت بينهم وقد اصطفاه الله من قومه ليكون رسولا لهم بلسانهم . قال تعالى : " وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم[٦٩] وقد قرر نوح لهم العقيدة الدينية بأجزائها التى نُلِمح اليها فيما يلى :

أولا: قرر نوح لهم أنه نبى

قال تعالى " كذبت قوم نوح المرسلين . اذ قال لهم أخوهم نوح آلا

---

(٦٨) سورة المائدة الآية ٤٨ .

(٦٩) سورة ابراهيم عليه السلام الآية ٤ .

تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله واطيعون[70] ،

وقد عرفهم بأنه نبى مرسل اليهم من قِبَلِ الله تعالى ، وانه أمين فيما يبلغ ، أمين فيما يَدَّعِي ، أمين فى كل ما يستحقه وصف الآمانة .

ثانيا : أنه يدعوهم لتوحيد الله تعالى

قال تعالى : " أن أعبدوا الله واتقوه واطيعون[71] " وقال تعالى : " ولقد أُرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدو الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون "[72] .

ثالثا : أخذهم للأستدلال عليه تعالى

قال تعالى " فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم أخراجا . والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا[73] .

رابعا : عرفهم برسالته وانه لا يطالبهم بأجر عليها

فقال تعالى : " قال يا قوم أرءيتم ان كنت على بينة من ربى وأتانى رحمة من عنده فَعُمِّيَت عليكم انلزمكموها وأنتم كارهون . ويا قوم لا

---

(٧٠) سورة الشعراء الآيات ١٠٥/١٠٨ .

(٧١) سورة نوح الآية ٣ .

(٧٢) سورة هود الآية ٢٣ .

(٧٣) سورة نوح الآيات ٢٠ / ٣٠ .

أسئلكم عليه ما لا إن اجرى الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى آراكم قوما تجهلون[٧٤] .

وقوله تعالى : " أوَ عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون[٧٥] .

خامسا : قيامه بالدعوة اليها فى كل وقت

قال تعالى : " قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا . فلم يزدهم دعائى الا فرارا . وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم انى دعوتهم جهارا . ثم انى أعلنت لهم واسررت لهم اسرارا . فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا[٧٦] .

سادسا : اخبارهم بما يترتب على الكفر والمعاصى

قال تعالى : " ولقد ارسلنا نوحا إلى قومه انى لكم نذير مبين . ان لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم آليم[٧٧] " " لقد أُرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدو الله ما لكم من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم[٧٨] .

فلما لم ينفع فيهم تقرير الدليل ، ولم ترهبهم من الله رهبة ، وسخروا من نوح ودعوته ، وتنادوا بالمؤمنين بالله تعالى معه ، وهددوه بالطرد

---

(٧٤) سورة هود الايات ٢٨ / ٢٩ .

(٧٥) سورة الأعراف الآية ٦٣ .

(٧٦) سورة نوح الآيات ٥ / ١٠ .

(٧٧) سورة هود الايات ٢٥ / ٢٦ .

(٧٨) سورة الأعراف الآية ٥٩ .

والرجم بالحجارة بعد التكذيب بالنبوة والرسالة لجأ إلى الدعاء عليهم ، حتى ينتصر الحق على الباطل .

قال تعالى : " قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ، قال رب ان قومى كذبون . فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين . ان فى ذلك لأية وما كان أكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم[٧٩] .

سابعا : بيان نهاية كل مكذب

لقد قرر لهم العقيدة الدينية بكل أجزائها فلم يجد فيهم قلبا يفهم ، أو عقلا يعقل ، أو نفسا تقترب من الحق ، ومع أنه خوّف وحذّر العواقب وأنذر ، فما ازدادوا الا كفرا وعنادا ، وتكبرا وعصيانا ، فلما جاء الدعاء عليهم كان بمثابة النهاية لهم .

" قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا . ومكروا مكرا كبّارا وقالوا لا تذرن ءالهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا . وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا . مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا . وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا[٨٠]

وهكذا أرتنا آيات القرآن الكريم أن نبى الله نوحا عليه السلام قد قرر لقومه عقيدتهم الدينية ، على النحو الذى ورد ذكره فى الآيات القرآنية ، من تعريف بالنبوة ، وتذكير بوحدانية الله تعالى . وضرب المسالك

(٧٩) سورة الشعراء الآيات ١١٦ / ١٢٢ .

(٨٠) سورة نوح الآيات ٢١ / ٢٧ .

للأستدلال على وجوده تعالى وتفرده وحده بالخلق والايجاد ، والرزق والاعدام .

ثم التأكيد على الثواب المنتظر للطائع ، والعذاب الذى سيخلد فيه الكافر والعاصى ، مع بيان عموم قدرته تعالى وصفاته العظمى ، وانها جميعا عاملة على النحو الذى لا يعلمه الا الله جل علاه . ومثل هذا التقرير للعقيدة الدينية كان الطابع العام لكل رسالة الهية .

أجل عاش نوح عليه السلام عمرا مديدا منه " ستمائة سنة قبل الطوفان ، ثم عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عاما " ، وقد ذكر القران الكريم هذا العمر الأجمالى . قال تعالى " ولقد ارسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون "[81] .

قال العلامة الزمخشرى : ان الاستثناء فى الآية الا خمسين عاما — يدل على التحقيق ، وتركه قد يظن به التقريب ، فان من قال عاش فلان الف سنة يمكن ان يتوهم ان يقول الف سنة تقريبا لا تحقيقا ، فاذا قال إلا شهرا أو إلا سنة فلا شك ان هذا التوهم يزول ، ويفهم منه التحقيق[82] .

وقد يقال أن العمر الطبيعى لدى المعمرين لا يزيد فى الغالب الأعم عن مائة وخمسين عاما ، فلماذا كان هذا العمر الطويل مع نوح ، بل ربما يتوهم البعض فيقع فى عمر سيدنا نوح مستبعدا طوله ، فيكفر بالنقل المنزل .

• والجواب :

(٨١) سورة العنكبوت الآية ١٤ .

(٨٢) الفخر الرازى – مفاتيح الغيب – المجلد ٢ ، الجزء الرابع والعشرون ص ٣٥٩ ط دار الغد العربى .

أن هناك فرقا بين العمر الطبيعى ، وهو عمر الخليـة ، وبين العمر الـذى هـو عطـاء الهـى فانـه يطـول مـا شـاء لـه الله مـن مـدة .
يقول العلامة الفخر :

لا نزاع بيننا وبينهم - اصحاب القول بالعمر الطبيعى الانسانى - لانهم يقولون العمر الطبيعى لا يكون أكثر من مائة وعشرين سنة ، ونحن نقول هذا العمر ليس طبيعيا ، بل هو عطاء الهى ، واما العمر الطبيعى فلا يدوم عندنا ولا لحظة واحدة ، فضلا عن كونه مائة سنة أو يزيد[٨٣] .

على ان الذى نتمسك به هو أن النص المنزل عندنا يجب التمسك بظاهره ، واذا استحال ايراد الظاهر على وجه مقبول فلا محيص من الأنتقال إلى وجه من أوجه التأويل المقبولة له .

وعليه فان آدم عليه السلام كان نبيا لقومه ، وأن نوحا عليه السلام كان نبيا لقومه ، وأن كلا منهما قد قام على تقرير العقيدة الايمانية ، واثباتها ، والوقوف فى وجه المخالفين وبيان ان مخالفتهم لها ليست له اصول تعضده .

٣- نبى الله هود عليه السلام :

نبى الله هود وُجد فى أرض تسمى الأحقاف[٨٤] ، كبر وفيها ترعرع وكانت الأحقاف تسكنها العديد من القبائل المختلفة منها قبيلة يمتد نسبها إلى سام بن نوح عليه السلام ، وهى قبيلة عاد التى تنسب

(٨٣) المصدر السابق جـ ١٢ ص ٣٥٩ .

(٨٤) الأحقاف ، جمع حقف وهو ما استطال واعوج من الرمل ، وجمعه احقاف - المعجم الوجيز ص ١٦٣ مادة ح ق ف . وهى ارض تقع فى الجزيرة العربية ، فى الشمال من حضرموت ، وفى الجنوب من الربع الخالى ، وكان يسكنها العديد من القبائل .

لمؤسسها الأول ، الذى هو والد القبيلة والذى كان اسمه عادا فنسبت القبيلة اليه . وصار اهلها يقال عليهم أهل عاد ، وقبيلة عاد .

لكن القبيلة تلاشت اصولها وتداعت اسسها وبادت آثارها ، ومحيت معالمها فى التاريخ الذى انزل فيه القرآن الكريم ، فكان الحديث القرآنى عنها نوعا من الأخبار بالغيب الماضى اذ لم يكن الرسول الكريم سيدنا محمد حاضرا بينهم حتى يعرفهم ، فإخباره عنهم من الأدلة على صدق نبوته .

وكانت مساكن عاد فى أرض الأحقاف . وتقع شمال حضرموت وفى شمالها الربع الخالى ، وفى شرقها عُمان ، وموضع بلادهم اليوم رمال ليس بها انيس بعد ذلك العمران ، والنعيم المقيم(٨٥) وتلك سنة الله فى خلقه . فمن أقام على الهدى مكنه الله فى الأرض ومكّن له ، ومن أقام على الضلال كانت نهايته الخسران .

فى بقايا قبيلة عاد بعث الله هودا عليه السلام ، وسواء كان هود أبوه شالح وجده سام بن نوح ، أو كان هود ابن عم ابى عاد بن عوص ، وجده سام بن نوح ، أو أن والده عبدالله بن رباح بن الخلود وينتهى إلى سام بن نوح ، فان هذا مما ضرب أهل السيرة فيه ، ونقبوا عنه وفتشوا ، ولسنا نجاريهم اذ تعنينا رسالته لا نسبه فى هذا المقام(٨٦) .

---

(٨٥) الشيخ عبدالوهاب النجار – قصص الأنبياء .

(٨٦) راجع الروض الأنف للسهيلى – وسيرة ابن هشام ، والبداية والنهاية ، فقد أسهمت فى المسألة باراء عديدة

ومه هذا فاننا ننوه إلى وجود اكثر من عاد فى الزمن الماضى ، وجاءت الاشارة اليها فى القرآن الكريم ، وفى قوله تعالى " وانه أهلك عاداً الأولى[٨٧] " فبان أن هناك ما يتلوها من ثانية وثالثة مثلا .

- قال العلامة البروسوى :

وصف الأولى يدل على ان لها ثانية .

- فالأولى : هى عاد بن ارم قوم هود ، وجاء ذكرها بالقرآن الكريم ، على سبيل العذاب الذى وقع بهم ، قال تعالى : " الم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد[٨٨] .

- والثانية : هى من ولدها وهى التى قاتلها موسى . باريحاء ، كانوا يتناسلون من الهَزيلة بنت معاوية وهى التى نجت من قوم عاد مع بنيها الأربعة ، عمر ، وعمرو ، عامر ، والعتيد ، وكانت الهزيلة من العماليق[٨٩]

على ان الله قد بعث نبيه هودا إلى عاد الأولى ، وهى القبيلة التى تنسب لرئيسها عاد بن ارم ، يدعوهم إلى توحيد الله ، ويقرر لهم العقيدة على وجهها الصحيح ، اذ انهم حاولوا تقليد قوم نوح الهالكين ، فعبدوا الأوثان وصنعوا التماثيل ، بل بلغ بهم الأمر أنهم ظنوا قدرتهم على الكون ، وأن قوتهم لا تغلبها قوة وان ترفهم لا

---

(٨٧) سورة النجم الآية ٥٠ .

(٨٨) سورة الفجر الآيات ٦ /٨ وأقرأ إلى قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد .

(٨٩) الشيخ اسماعيل حقى البروسوى - تنوير الاذهان من تفسير روح البيان المجلد الرابع جـ٢٧ ص ١٨٧ ط دار الصافوى ، ويذكر الشيخ عبدالوهاب النجار ان عاد الثانية هم سكان اليمن من قحطان وسبأ ، ثم ذكر رأيا آخر موده ان عاد الثانية هم ثمود - راجع قصص الأنبياء ص ٧٤ .

يصيبه جدب ، وان أجسادهم لا تنال منها الأوبئة ، ولكنهم صدوا غيرهم عن الاستماع للحق ، ومنعوا أنفسهم من قبوله .

- وقد سلك هود عليه السلام معهم فى تقرير العقيدة المسالك الأتية :

- الأول : مسلك التوحيد للآله الحق جل علاه فى العقيدة والعبادة .

قال تعالى : " والى عاد أُخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون[٩٠] وقال تعالى : " والى عاد آخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون[٩١] ، فهو عرفهم بالله تعالىوانه واحد وانه الذى يجب ان يتوجه اليه وحده فى العقيدة والعبادة معا ، فهو الاله والرب ، الخالق الرازق الذى لا اله سواه

- الثانى : مسلك الإخبار بأنه نبى الله اليهم ولا يتقاضى على النبوة منهم آجرا .

قال تعالى : " كذبت عاد المرسلين . اذ قال لهم اخوهم هود ألاَ تتقون . انى لكم رسول امين . فاتقوا الله واطيعون[٩٢] فاتهمه القوم بالسفاهة لا ستبعادهم ان يكون هود نبيا لهم ، فرد عليهم بما حكاه القرآن الكريم " قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين . ابلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح امين[٩٣] .

ظن السفهاء انه يريد ان ينال منهم رقابا ، أو يعلو عليهم أكتافا ، أو يطالبهم على ما يقوم به من نصح وارشاد ووعظ واصلاح آجرا ،

---

(٩٠) سورة الأعراف الآية ٦٥ .

(٩١) سورة هود الآية ٥٠ .

(٩٢) سورة الشعراء الآية ١٢٣/١٢٦ .

(٩٣) سورة الأعراف الآيتان ٦٧/ ٦٨ .

لكنه قطع عليهم بأنه مرسل من قِبل الله اليهم ولا يتقاضى على شيء من ذلك آجرا من أحد انه مرسل من ناحية الله تعالى وأن أجره عنده سبحانه وتعالى .

قال ما حكاه القرآن الكريم " يا قوم لا أسئلكم عليه آجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى . افلا تعقلون[٩٤] " " وما اسئلكم عليه من أجر ان اجرى الا على رب العالمين[٩٥] .

لكن النفس الأمارة بالسوء تدفع صاحبها دائما إلى محاولة ركوب الصعاب ، والابتعاد عن كل ناصح ، والارتماء فى احضان العنف ، والمحاولة الدائمة لتكذيب أهل الخير والصلاح فلم يستجيبوا له ، ولم ينصتو لدعوته ، بل ناصبوه العداء ، واستعملوا فى مواجهة النصح ، السوء والعنف .

- الثالث : مسلك الترغيب والترهيب

قرر لهم عقيدة التوحيد ، وقضية النبوة ، ثم ركز على العبادة وبين لهم ان العبادة الصحيحة والعقيدة السليمة يعقبهما الخير الكثير قال تعالى : " ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين[٩٦] .

"أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذى امدكم بما

(٩٤) سورة هود الآية ٥١ .

(٩٥) سورة الشعراء الآية ١٢٧ .

(٩٦) سورة هود الآية ٥٢ .

تعلمون . امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم[٩٧] .

- الرابع : مسلك التبديل

لما لم يُفِد معهم ما قام به فى توجيه امكانياتهم والأخذ بأيدهم إلى ما فيه الصلاح ، كشف لهم ان الله قد اجرى سنته بهلاك الظالمين واستخلاف غيرهم بعدهم "وما ذلك على الله بعزيز". فهم ان كانوا اقوياء فقد ازال قبلهم من هم أقوى منهم ، وان كانوا مترفين فقد اهلك من كان فى الأتراف غارقا .

قال تعالى : " أو عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون[٩٨] لكنهم لم يذكروا السالفين ولم يتصوروا امكانية ان يكونوا من المستبدلين ، فلم يستمعوا له .

" فإن تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربى على كل شىء حفيظ[٩٩] .

- الخامس : نهاية الظالمين والمكذبين :

لم يتحرك قوم هود فى طريق الاستجابة ، ولم تلمس أفئدتهم نسائم التقوى ، بل اعتمدوا على قوتهم التى رزقهم الله بها ، دون أن ينسبوها

---

(٩٧) سورة الشعراء الآيات ١٢٨/١٣٥ .

(٩٨) سورة الأعراف آيه ٦٩ .

(٩٩) سورة هود الأية ٥٧ .

اليه . فقالوا " من أشد منا قوة أو لم يروا ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بايتنا يجحدون(١٠٠) " .

ولما وعظهم وحاول الدخول إلى قريب من وجداناتهم قالوا له " سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الأولين . وما نحن بمعذبين " .

ولم يقفوا عند هذا الحد من الادعاء بل تجاوزوا كل حدّ " فكذبوه فأهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين" (١٠١) .

وما كان الاهلاك الا بعد التمكين فى الأرض ، والتمكين فى الارسال اليهم ، والأنذار والتخويف ، فما بلغ شىء من ذلك فى صدورهم مبلغا ، من ثم وقعت عليهم الوان الهلاك التى توعدهم بها .

قال تعالى : " ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا أفئدتهم من الله شىء اذ كانوا يجحدون باياتِ الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون"(١٠٢) ، ولما كان وعد الله بأن من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم ، ولا يتركه العذاب الأليم . فقد وقع ما توعدهم به .

لقد نطقت السنتهم ما حكاه القرآن الكريم " اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين . قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلوننى فى اسماء

---

(١٠٠) سورة فصلت الآية ١٥ .

(١٠١) سورة الشعراء - الآيات ١٣٦ / ١٣٩ .

(١٠٢) سورة الأحقاف الآية ٢٦ .

سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين[١٠٣] .

لكن طبيعتهم المستنفرة للعصيان لم يتمكنوا من اصلاحها وتهذيبها أو اعادة صياغتها على النحو الأمثل ، بل انساقوا خلف الأوهام ، فكرروا المخالفة ، واستمروا فى التكذيب لله ورسله ، وتنادوا بالعصيان ، وسلكوا الطريق خلف كل جبار عنيد فحقت عليهم اللعنة فى الدنيا ويوم القيامة.

قال تعالى : " وتلك عاد جحدوا بأيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد . واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود[١٠٤] وقد حق عليهم القول ووقع العذاب الذى تعددت صوره .

قال تعالى : " وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شىء اتت عليه الا جعلته كالرميم[١٠٥] .

وقول تعالى : " انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابى ونذر[١٠٦] وهو تصوير دقيق لنوع العذاب فالريح تصك الآذان من شدة قوتها ، وهى باردة شديدة البرودة ، وسريعة شديدة السرعة . فما أتت على شىء الا جعلت اجزاءه تتناثر ، ولا تمر بشىء الا يصير كأنه هلك من قرون لا يرجى له شىء من السلامة .

---

(١٠٣) سورة الأعراف الايتان ٧٠/٧١ .

(١٠٤) سورة هود الايتان ٥٩ / ٦٠ .

(١٠٥) سورة الزاريات الايتان ٤١/٤٢ .

(١٠٦) سورة القمر الآيات ١٩ / ٢١ .

ثم ان العذاب الذى وقع عليهم فيه الاهلاك الكامل " فكذ.
فأهلكناهم ان فى ذلك لاية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وان ربك هو
العزيز الرحيم[١٠٧] .

ولم يقع العذاب لحظة ثم ينتهى بل لقد طالت مدته وازدادت شدته
حتى صار الواحد منهم يرى غيره يموتون امامه ، ويهلكون بجواره وقد
كان يظن منهم المنعة ، ويرى فيهم الغلبة ، ولكن كل ذلك لم ينفع .

قال تعالى : " ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شىء بأمر ربها
فاصبحوا لا يُرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين[١٠٨] .

والملاحظ أن عادا كفروا ربهم ، وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار
عنيد فتنوع العذاب معهم ، كما تعددت الوانه والتى منها :

[١] الصيحة : " فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناها غثاء فبُعدًا للقوم
الظالمين[١٠٩] " قال العلامة الزمخشرى صاح عليهم جبريل بأمر الله
له ، وقد استوجبوا الهلاك عدلا منه جل علاه ، فكانها البداية
لنهايتهم فصاروا كغثاء السيل الذى يحمله مما بَلِىَ واسوَدّ من
العيدان والورق[١١٠] .

[٢] الريح الصرصر : " وأما عاد فأُهلكوا بريح صرصر عاتية[١١١] "
" أنا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر ، تنزع الناس
كأنهم اعجاز نخل منقعر[١١٢] .

---

(١٠٧) سورة الشعراء الآيتان ١٣٩/١٤٠ .
(١٠٨) سورة الاحقاف الايتان ٢٤ / ٢٥ .
(١٠٩) سورة المؤمنون الاية ٤١ .
(١١٠) تفسير الكاشف المجلد الثالث ص ١٨٧ .
(١١١) سورة الحاقة الاية ٦ .
(١١٢) سورة القمر الآيتان ١٩ ، ٢٠ .

والريح الصرصر هى الشديدة فى البرودة التى تنفجر بسببها الخلايا الحية من شدة البرد ، والمعنى : ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة شديدة فيها شدة الصوت ، وشدة البرد ، وشدة التدمير والهلاك .

[٣] " ريح فيها عذاب اليم " (١١٣) المعروف ان الريح يطلق على الهواء المتحرك ، الذى يجلب لصاحبه الخير ، لكن هذا الريح غير ما يألفون ، انها حملت العذاب لا النعيم ، ولم يكن العذاب محتملا ، ولكنه مؤلم أشد الايلام .

اذ الممالك أمام اعينهم تزول ، والمال والوالدين بين ايديهم يقع عليهم التدمير ، فوقع عليهم العذاب الأليم فى جانبه الحسى والمعنوى معا . وبخاصة ان ما كانوا يتوعدون به هودا عليه السلام قد وقع عليهم وأحبابهم .

[٤] قطع الدابر " وقطعنا دابر الذين كذبوا بأياتنا وما كانوا مؤمنين(١١٤)" فالدابر يطلق على الآثر كما يطلق على الآخر ، فاذا قطع دابرهم فقد وقع الافناء والتدمير على آخرهم مع اولهم ، فما دام ليس لهم مقدم باق ، فكذلك انمحى كل دابر لاحق ، وبه يتحقق الفناء العام ، والتدمير الشامل لكل فرد منهم .

[٥] الهلاك العام : " فكذبوه فأهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم(١١٥) ، فقد وقع لعاد الأولى الهلاك العام حتى انهم لم يبق لهم ذكر أو اثر ، وقديما قيل :

---

(١١٣) سورة الاحقاف الاية ٢٤ .

(١١٤) سورة الأعراف الاية ٧٢ .

(١١٥) سورة الشعراء الايتان ١٣٩ / ١٤٠ .

خير ما اعطى الإنسان عقل يردعه ، فان لم يكن فحياء يمنعه ، فان لم يكن فخوف يقمعه ، فان لم يكن فمال يسعده ، فان لم يكن فصاعقة تحرقه ، وتريح منه العباد والبلاد .

فعل العاقل ان يعتبر ويخاف من عقوبة الله تعالى ويترك العادات والشهوات ، ولا يصر على المخالفات والمنهيات ، وقد اهلك تعالى قوم عاد مع شدة قوتهم وشوكتهم بأضعف الاشياء وهو الزيح[116] .

[٦] مدة العذاب الدنيوى

" سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية [117] وقد بين الله تعالى ان مدة العذاب التى اتت عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما قضت عليهم من اولهم إلى اخرهم .

ووصفها بأنها حسوم[118] لافادة الشؤم وانها كانت شؤما عليهم من كل ناحية ، وقد جرت عادة الله فى اهلاك الظالمين ان يأخذهم ليلا ، أو نهارا وهم وقت القيلولة ، حتى يكونوا فى موطن المأمن وما يظنون فيه النجاة ، فاذا وقع عليهم غضب الله ونزل بهمعقابه كانوا ينظرون لبعضهم ، ويتلاومون فيما بينهم .

(١١٦) تنوير الاذهان المجلد الثالث ص ١١٠ .

(١١٧) سورة الحاقة الايتان ٧ ، ٨ .

(١١٨) الحسوم الشوم – المعجم الوجيز مادة ح س م ص ١٥١ .

قال تعالى : " و كم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون . فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا إنّا كنا ظالمين[119] .

بيد ان الدارس لو ترك للقلم حق الانطلاق ربما لم يتوقف . فسيرة الأنبياء مما يتعبد به ، وكيف لا . وهم صفوة خلق الله ، وهم اكملهم خلقا وخُلُقا ، وقد اصطفاهم الله بالرسالة وميزهم بالنبوة ، وفضلهم على غيرهم بما فضل رحمة منه تعالى بعباده وتفضلا .

مما مضى اتضح لنا ان هودا عليه السلام كنوح وآدم عليهما السلام ، وقد قرروا العقيدة الدينية لقوامهم ، ومثل آدم ، ونوح ، وهود كل الأنبياء الذين أخبرنا الله بهم في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، قاموا على هذا الجانب ، من تقرير العقيدة الدينية على وجه مأمون لأنها تنزيل من حكيم حميد[120] .

ومن يطالع ايات القران الكريم فسيجد ان كل نبى بلّغ قومه ، وأول ما بلغ هو العقيدة بأركانها ، حتى صار من البدهيات وجود حقائق مشتركة بين رسل الله تعالى[121] .

وحقيقة تلك الحقائق هى تقرير العقيدة الايمانية وعرضها ، ودفع الشبه عنها ، وابطال العبادة لغيره جل علاه ، فلا شريك ولا شبيه ، ولا

---

(119) سورة الأعراف الايتان ٤ ، ٥ .

(120) آمل ان يوفق باحث للتسجيل فى موضوع عقيدة الالوهية فى الآيات القرانية ، وآخر فى موقف القرآن الكريم من قضايا العقيدة ، وثالث فى مدى استفادة العقيدة الدينية من النصوص النقلية .

(121) قام الزميل الدكتور السيد أحمد سويلم باعداد رسالة الماجستير فى هذا الموضوع ( الحقائق المشتركة بين رسل الله ) وحصل به على الماجستير من قسم التفسير - كلية اصول الدين القاهرة .

اصنام أو أوثان ، ولا منافع أو مضار انه واحد سبحانه جل علاه ولا شيء سواه .

غير انى أُلْفِتُ الانتباه إلى انى ماقمت باحصاء هذه المسائل فى القرآن الكريم ولا مع كل الانبياء المرسلين انما أُلمحت وذكرت مَنْ ذكرت على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ، وذلك لما يلى :

اولا : أنى اجد كل من يتحدث عن تاريخ علم الكلام ، وتقرير العقيدة الدينية يهمل الجانب الصحيح الذى اخبر به الرسل وجاء به الانبياء ، ومن يطالع كتب علم الكلام سيجد الأمر مطويا والتركيز على الجانب الانسانى من علم الكلام فقط ، واعنى به الجانب الذى قام به غير الأنبياء والمرسلين ، وفى هذا اهدار لحق الأنبياء ، واضاعة لجهودهم ، وقطع الصلة بين أئمة التوحيد وبين هؤلاء الصفوة الكرام .

- وربما تسأل : هل كان الأنبياء علماء فى التوحيد أو فى علم الكلام ؟

- والجواب :

انهم قرروا العقيدة الدينية على الوجه الصحيح وتلك مهمة علم التوحيد وغاية علم الكلام ، اما التسمية فهى اصطلاحية ولا علاقة للأنبياء بها ، ونحن انما نعنى بالجانب الموضوعى فى المسألة ، وهو تقرير العقيدة ، والدفاع عنها ودحض الشبه واثبات بطلانها ، وتعريف الناس بالخالق العظيم جل علاه وما يستتبع ذلك من معرفة النبوات والرسالات ، والمعجزات ، واليوم الآخر إلى آخر مباحث علم التوحيد التى يعرفها المتكلمون ، وعلماء العقيدة ، والموضوع يوشك أن يكون واحدا .

ثانيا : انى ذكرت بعض الأنبياء والمرسلين ، وابتدأت بأولهم ارسالا وخلقا وهو سيدنا آدم عليه السلام ، ثم ذكرت بعده من اشتهر بانه اول نبى بعد آدم وهو نوح عليه السلام وليس على التحقيق ، لانى حاولت الابتعاد عن مواطن الخلاف فى المسألة حتى اذا حاول قارئ الدخول إلى علم الكلام لم تواجهه الخلافات فى أول امره فربما انصرف عنه .

كما انى حاولت – ويعلم الله – ابراز هذا الجانب فى مؤلف كلامى هو مدخل لعلم الكلام ، بعد فترة من التأنى والصبر فى دراسة لمسائلة ، فما شأن هذه الدراسات الا الاصطبار والمعالجة الدائمة ، والاستمرار فى طريق اقتناص الشوارد من الأدلة ، وابعاد الشواذ من الشبهات .

ومن ثم سألجأ إلى الجانب التقليدى فى الدراسات الكلامية وهو تاريخ علم الكلام مع غير الانبياء والمرسلين .

الاتجاه الثانى : العقيدة مع غير الأنبياء

أنبأت حوادث الدهر ان كل نبى اذ انتهت رسالته مع قومه ، وغاب عنهم هديها ، وبات أمر النبى بعيدا هرع بعض من يتوسمون فى انفسهم ملكات العلو على غيرهم ، ومن ظنوا قدرتهم على قيادة اممهم أو ممن كانوا اعداء النبوة التى كانت قائمة ، فيحاولون رسم سياسة فكرية تحل محل القيادة الدينية فى ذات الأمة لكن على اكتاف النبوة السالفة ، أو تحت اسم لها .

كما أنبأت ان هؤلاء فى الغالب الأعم كانوا يتمتعون بشىء من الذكاء لكنهم يستخدمونه فى جانب المعصية لا الطاعة ، جانب القفز على الأسوار الأمنة لترويع الأمنين ، واخافة المطمئنين ، ولذا فهم كانوا يختارون

لأنفسهم اعوانا تجمعهم العصبية وتقودهم الكراهية ، وتدفعهم لهذا التجاوز أمراض سلوكية .

وفى ذات الوقت فربما جمعوا إلى جانب ما مَرَّ بعض المال ، أو سوط السلطان ، أو شيئا من أعراض الدنيا وبهم يخيفون الضعفاء ، ويرهبون هؤلاء الاذلاء ، ومن ثم يحاولون صنع دين لهم يتناسب مع رغبتهم الشخصية لا دين رب البرية ، وربما نجحوا لبعض الوقت فى تجميع بعض الشتات لهم وضموا الكثير من الأغفال حولهم .

ومن هنا يجدون فى انفسهم دافعا لوضع نصوص ينقاد اليها اتباعهم ويحتكمون اليها فيما بينهم ، ثم يجبرونهم على عدم الاصغاء لقول غيرهم . وبالتالى يصورون لهم العقيدة الدينية بما يناسب امكانياتهم العرجاء ، ونفوسهم الرعناء ، وعقولهم الهوجاء ، وهو ضلال مبين ، لا يرضاه رب العالمين .

نلمح هذا فى دفع القرآن الكريم شبة هؤلاء واعتراضهم على الانبياء وقد سلك القران الكريم فى نفوسهم المسالك كلها وعرّاهم من داخلهم حتى لم يترك لهم شيئا يخفونه ، وكيف لا . وهو تنزيل رب العالمين الذى يعلم السر وأخفى .

فهم مرة . يصفون نبيهم بالجدال والكذب فى دعواه النبوة " فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين[122] " " قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين[123] .

---

(١٢٢) سورة هود الآية ٢٧ .

(١٢٣) سورة هود الاية ٣٢ .

ومرةً يصفونهم بضعف العقل وخطل الرأى . " قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز[١٢٤] " " وقالوا يا أيها الذى نُزِّل عليه الذكر انك لمجنون[١٢٥] .

ومرة يصفونهم بالفقر وقلة المال : " وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون[١٢٦] .

وهكذا تعددت أوصاف المكذبين للمرسلين ، وقد ردّ عليهم اوصفاهم ربُّ العالمين ، وبين ان هذه الخصال الذميمة لا تعود الا إلى من اطلقها أما الأنبياء فهم صفوة خلقه ، وأكرمهم على الله ولا يلحق بهم شيء مما يقوله المكذبون ، وانما تحيق اللعنة على المكذّبين .

وفى غمرة من تلك التكذيبات والكفّريات ، وكثرة من هذه الجدليات يقوم المكذبون بتركيز شبهاتهم ، واحتجازها بعيدا عن مناقشتهم . فاذا انتهى أمر النبى اليهم ، ونجاه الله منهم تولتهم شياطينهم فأحيت لهم الشبهات ، وسكّنت فى عقولهم تلك الظنون على انها أمور مهمات .

ومن ثم يحاولون الجدل فى الدين ، والحديث نيابة باسم المرسلين ، وما أنابوهم ، وما كانوا ابدا عند الأنبياء بمقبولين .

---

(١٢٤) سورة هود الآية ٩١ .

(١٢٥) سورة الحجر الآية ٦ .

(١٢٦) سورة الزخرف الآيتان ٣١ ، ٣٢ .

ومما يذكر ان هذا الاتجاه كان معروفا فى الامم الماضية ، طوال القرون المتعاقبة ، من أول عهد للخروج على شرع الله وتعاليم الأنبياء ، وكيف لا وابليس اللعين قد سبقهم جميعا فرفض الطاعة لأمر الله تعالى بتقديم تحية لآدم حسب أمر الله تعالى له ، وعلل رفضه السجود بتعلات بناها له خياله المريض .

" قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين(١٢٧)" " قال أءسجد لمن خلقت طينا(١٢٨)" فقد قام رفضه الكذوب على شبه كاذبه خالية من الموضوعية ، لان هناك فرقا بين أمرين كلاهما متمايز عن الآخر .

- الأول : أمر الله بالسجود .

- الثانى : وقوع السجود لآدم .

فابليس خالف الأصل وهو الأمر الالهى له بالسجود ، ثم حاول تقديم الشبهات على الثانى المأمور له بالسجود ، ومن ثم فان ابليس وقع فى المخالفة للأمر الالهى . وهو الامر بالسجود ، وأما تقديمه للشبهات فليست على بابها ، ولو كان ابليس فطنا لا ستجاب للأمر بغض النظر عن المسجود له ، المهم هو اطاعة الأمر الالهى على اية ناحية كانت .

على ان مخالفة الأمر الالهى ورفض ما جاء به الانبياء أمر قديم جدا ، وهو منكر يرتكبه صاحبه ، وكفر يؤدى به إلى غضب الله عز وجل ، ولذا سأتعرض بذكر نبذة عنه لدى الأمم السابقة على الاسلام مع غير الأنبياء .

---

(١٢٧) سورة ص الآية ٧٦ .

(١٢٨) سورة الاسراء الاية ٦١ .

## تاريخ علم الكلام قبل الاسلام[129]

يقول الشيخ محمد عبده : علم تقرير العقائد ، وبيان ما جاء في النبوات ، كان معروفا عند الامم قبل الاسلام ، ففي كل آمة كان القائمون بأمر الدين يعملون لحفظه وتأييده ، وكان البيان من أول وسائلهم إلى ذلك لكنهم كانوا قلّما ينحون في بيانهم نحو الدليل العقلي ، وبناء ارائهم وعقائدهم على ما في طبيعة الوجود ، أو ما يشتمل عليه نظام الكون .

بل كانت منازع العقول في العلم ، ومضارب الدين في الالزام بالعقائد وتقريبها من مشاعر القلوب على طرفي نقيض وكثيرا ما صرح الدين على لسان رؤسائه أنه عدو العقل نتائجه ومقدماته ، فكان جُلّ ما في علم الكلام تأويل وتفسير ، وادهاش بالمعجزات ، وإلهاء بالخيالات يعلم ذلك من له المام باحوال الامم قبل البعثة الاسلامية[130] .

- **اذن تقرير العقيدة الدينية كان معروفا قبل الاسلام في الامم التي انزلت فيها كتب ، وبعث فيها رسل ، لكنهم سلكوا في تقرير العقيدة أحد مسلكين :**

- الأول : التزام النقل المنزل :

اذ لما كان فيهم رسل ، ومعهم كتب فلا ريب ان اتباع الأنبياء سوف يقررون العقيدة الدينية على نفس الناحية التي كان يقوم بها النبي ، لكن بدرجة أقل ، بل تظل في التقليل حتى تتلاشى ، انهم

---

(129) تميزا له عن علم الكلام الذى وجد لدى المسلمين

(130) الشيخ محمد عبده - رسالة التوحيد ص ٥ ، ٦ - ط رشيد رضا .

بذلوا جهودهم لتبقى الذكرى الطيبة لانبيائهم ، فهم يتعبدون الله بما عرفوه منهم(١٣١) .

حتى اذا انتهى الحواريون اتباع المرسلين ، وجاء بعدهم الاتباع ضعفت العقيدة فى النفوس ، وقلت الرغبة فى التمسك بها ، حتى اذا اقبل مَنْ بعدهم نظر سلوكيات مَنْ سبق فاعتبرها عبادة ثم اضاف اليها من عنده ما يراه مقويا لها ، متناسيا ان امر العقيدة والشريعة من عند الله ، وما كان النبىَ أى نبىَ أن يجرؤ فيضيف اليها أو يحذف منها(١٣٢) .

● الثانى : التزام العقل وخيالاته .

اذا كان الأولون قد تمسكوا بالنقل وما تركه لهم أنبياؤهم فإن هذا الفريق الثانى حاول بناء العقيدة على الدليل العقلى وحده مستخدما الوجود وما فيه مادة له وموضوعا ، وبخاصة ان طبيعة الوجود مما كثر حولها الجدل واشتد الخلاف واشتجر ، بل وما فى هذا الكون من نظام عجيب ، وحِكَمٍ ربما تعلو على الأفهام ، أو تنزل إلى الأوهام(١٣٣) .

وهنا ظهرت الخلافات فصاحب النقل يتمسك بظاهره ، ولو خالف صريح المعقول ، وصاحب العقل يتمسك بنتائجه ولو تباعدت على كل ناحية ، حتى حدث نوع من تقسيم الاختصاص ، وفك الاشتباك ، فالدين

---

(١٣١) وهى تنتهى لانها ليست خالدة بل مؤقته .

(١٣٢) لان النبى يوجهه الوحى فلا يضيف اليها أو يحذف الا بتوجيه من الله تعالى .

(١٣٣) عن التخلى عن النقل تماما كما فى اليهودية السياسية .

يقرر مسائله ويلتزم العقيدة التى نوضحه ، ويعمل على تقريبها من أفهام المؤمنين بها ، ويقوى ثقتهم فيها .

اما العقل فقضاياه العلم ، حتى صار من المألوف القول بالفصل بين العلم والدين ، والفصل بين السياسة والدين ، والفصل بين الدولة والدين بل صارا الدين طرفا فى المسألة ، مع أنه الأصل لها والموجه لكل شيء فيها(١٣٤) .

بل كان فى نظرهم اداة يقمعون بها مخالفيهم ، ويصدرون عليهم من خلاله قضايا الايمان والكفر بل صرّحوا أن الدين عدو العقل فى نتائجه ومقدماته ، ومباحثه ونظرياته ، وان ما يأتى به الدين يناهض ما يجىء به العقل والعداوة بينهما قائمة ، والعُرى بينهما منفصلة(١٣٥) .

وفى المقابل راح رجال العلم يطلقون صيحات الانكار فى وجه رجال الدين ، يطالبونهم باعادة النظر فى النصوص التى بين ايديهم ، والتأكد من صحة نسبتها إلى خبر السماء من عدمه ، وأمعان النظرفى ما تحمله تلك النصوص بعد فحصها والمراجعة ، والتمسك بالنصوص الأصلية والتخلى عن النصوص والشروح والتفسيرات التىقام بها رجال الدين(١٣٦) .

فى مثل هذا الجو المشحون بالعداء بين انصار الدين والعقل والرؤساء ، المشحون بالخلافات التى لم تنقطع ، والتنابذات التى لم تتوقف ، نشأ علم الكلام عندهم ، وحاول كل فريق أن يضمه إلى نفسه وأن يسمه بالسمة التى تغلب عليه .

---

(١٣٤) وهم يوسعون هذه الخلافات بين الدين والعلم ليسقط الأول .

(١٣٥) فعل ذلك رجال الكهنوت فى المسيحية واليهودية وأصحاب الاتجاه التنويرى فى أوربا ..

(١٣٦) كما فعل ذلك بعض اصحاب المذاهب التنوريه فى اليهودية والمسيحية .

من ثم ظهر علم الكلام يناقض بعضه بعضا ، ويضرب بعضه الآخر ، فظهرت التأويلات والتفسيرات التى خرجت بالذات الالهية عن الجلال والمهابة إلى المماثلة والضعف ، حتى أنه ليصارع فيصَرَع ، ويغالب فيُغْلب[١٣٧] ، بل أكثر من هذا حتى وصفوه بالبخل وهو الكريم ، ووصفوه بالشح وهو الكبير المتعال[١٣٨] .

كما ظهرت بوادر علم الكلام فى السلوكيات الشاذة عندهم التى ابعدت الناس عن الحياة ، ودفعت بهم إلى احضان الابار والأكل من أوراق الشجر ، وافتراش الأرض ، بل وتقليد الحيوانات فى المشى على اربع ، واعتبروا أنفسهم أهل المعجزات ، واصحاب الخيالات ، والعائدين إلى احضان خوارق العادات التى يزعمون ورودها مع افرادهم[١٣٩] .

فقد كان بعض الرهبان لا يكتسون دائما ، وانما يستترون بشعرهم الطويل ، ويمشون على ايديهم وارجلهم كالانعام ، وكان معظمهم يسكن المغارات والابار والمقابر ويأكل الحشيش والكلأ الذى ينمو على وجه الأرض ، وكانوا يعدون نظافة الجسم مناقية لطهارة الروح[١٤٠]

لقد صنعوا رهبانية ابتدعوها ، وسلوكيات أقاموها ، وضلالات تمسكوا بها وما تركوها ، حتى اضافوا ذلك السلوك المنحرف إلى قضايا

---

(١٣٧) راجع كتابنا : وميض النصرانية بين غيوم المسيحية ص ٢٣٩ مظاهر فساد الحياة الدينية فى اليهودية وسفر التكوين والخروج فى العهد القديم . قال تعالى " وقالت اليهود يد الله مغلوله غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء - سورة المائدة الاية ٦٤ .

(١٣٨) " لقد كفر الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء " ( سورة آل عمران الاية ١٨١ . )

(١٣٩) راجع معجزات البابا كيرلس ، ومعجزات ماريا فى الدير ، وغيرها مما يركز عليه اصحاب هذا الفكر .

(١٤٠) الشيخ ابو الحسن الندوى . ماذ خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٦٨ .

عقائدهم ، واعتبروا تلك السلبيات محاسن يجب التمسك بها والامتثال لأوامرها وتعاليمها[١٤١] .

ومن يطالع الفِرَق قبل الاسلام يجد ذلك واضحا ، ويرى سلوكياتهم على نفس المستوى من التدنى والشذوذ بل من يقرأ لأصحاب الديانات الحالية التى يظنونها مازالت سماوية[١٤٢] يجد هذا واضحا ، فالا له ثلاثة عندهم ، وكيف لا . بل والعائلة المقدسة ما تزال قائمة فى كل من الاله الآب . والآله الابن .والآله الروح القدس[١٤٣]

ورجال المسيحية يحاولون اقامة هذه العقيدة المثلثة ويسمونها الوحدانية المقنمة، حيث يقولون : تدين المسيحية بالوحدانية من نوع فريد لا نظير له يطلق عليها اسم الوحدة المقنمة : وقد رأى هذه الحقيقة العظمى كل من اكتحلت عيونهم بنور الوحى قرأوا ان هذا التوحيد فى الجوهر يجمع معه تثليث فى الاقانيم دون ان يشوب ذلك وحدانية الذات الالهية فى شيء فهو تبارك اسمه – ذو جوهر واحد جل عن الوصف فليس كمثله فى وحدانيته المثلثة الاقانيم[١٤٤]

وفى ايمانهم الأقدس يعلنون : نؤمن بان الله الواحد بغير تجزئة أو امتزاج ، أو تركيب مثلث الاقانيم ، أب وابن ، وروح القدس فى جوهر

---

(١٤١) قال تعالى " ورهبانيه ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها " ( سورة الحديد الأية ٢٧ )

(١٤٢) كدعاة اليهودية والنصرانية بالوانها .

(١٤٣) يقول القس صموئيل مشرقى ان فى الله ثالوثا : الأب ، والابن ، والروح القدس ، واللاهوت هذا الثالوث واحد وان صدورات اللاهوت السرمدية هى الاساس الوحيد للربط بين هذا الثالوث المبارك ووحدانيه الذات " صموئيل مشرقى – الالهيات – الكتاب الثالث الستون ص ٧٩؛ الكنيسة المركزيه ط ٢ ١٩٨٧ .

(١٤٤) القس صموئيل مشرقى – الالهيات ص ٧٤ ، ٧٥ .

واحد غير منقسم ، وذات واحدة منزهة عن الاعراض ، وان اقانيمه تعالى متميزة فى الوظائف والأعمال ولكن بغير تفرد واستقلال[١٤٥] .

بيد اننا ننبه إلى ان هذه النماذج التى سلف الحديث عنها فى اشارات مقتضبة قد تناولها غيرنا فى كتابات موسعة ، ولسنا نعتبرها من علم الكلام الذى نعنى به ، وانما نذكرها بناء على تسميات أصحابها حتى اذا تمت مناقشتهم كانت على أصل دعواهم ، فيكون ذلك أوقع فى الدفع ، وأقرب إلى التأثير .

وقد بذل اتباع المسيحية جهودات كبيرة فى شرح قضايا علم الكلام عندهم ، وظهرت لهم مؤلفات عديدة ولسنا نوافقهم على التسمية ، بل لابد من التركيز على ان الذى نعنى به هو علم الكلام فى الاسلام ، أو علم الكلام الاسلامى حتى يتمايز العنوان عن غيره مما يحاول أصحابه اشتراكهم معه ولو فى الاسم .

كما أن التوارة الدينية بُعِثت من الرقاد فى المِشْنا وغيرها ، وعمل اليهود على تحريك اليهودية السياسية فى علم الكلام ، كما كتب الحاخام جبرائيل كتابا سماه علم الكلام ، وكتب الحاخام جورج منشتى كتابه من قوانين علم الكلام فى اليهودية .

وكلها كتابات تحت اسم علم الكلام ، وليست الا صورة هزيلة من فكر الذين يدّعون نسبتهم إلى اليهودية أو النصرانية ، وماهم من ذلك فى شىء ، ثم ان الحاخام يوسف ميخائيل كان أكثرهم عنفا وتصريحا بان الاله جسدى كالاجساد ، ولكنه مميز عنها بأنه جسد الهى ...

---

(١٤٥) القس صموئيل مشرقى – وحدة الاقانيم الثلاثة ص ٢ ط المجتمع الخمسين ديسمبر ١٩٦٣ .

وقد هاجمهم من يشاركونهم الاعتقاد وأطلقوا عليهم وصف اصحاب النقد العصرى ، واتهموهم بالخروج عن ارادة الرب ، وحكموا عليهم بانهم أصحاب اللعنات ، واكدوا أنهم مطرودون من كل الوان رضا الرب(١٤٦) .

ومن ثم بذل أصحاب هذا الاتجاه مجهودات كبيرة لاقناع قرنائهم فى الاعتقاد ، ولكنها جهود كبيرة وأثارها توشك ان تنعدم . من هنا اضطروا إلى رفع شعارات عديدة منها :

- خذ وأنت أعمى .
- ما يقوله الرب لا يفهمه ابن الإنسان .
- كلام الله أكبر من عقل ابن الإنسان .
- ما يقوله الآباء القسس حق ولو لم تفهمه .
- الاباء معبأون من الروح القدس ، وليس من حق الشعب اعتراضهم ، أو الاعتراض عليهم(١٤٧) .

على أن هذه الاتجاهات السلبية فى اليهودية والنصرانية وغيرهما قد جاءت بنتائج سلبية منها :

- الايمان بالخرافة وعجز العقل عن فهمها .

---

(١٤٦) راجع الياس مقار . ثمانى أو قضايا المسيحية الكبرى ، والدكتور جورج الامريكى - القواعد السنية فى تفسير الاسفار الالهية - ط المطبعة الكاثوليكية وبها حاشية مجهولة المؤلف .

(١٤٧) كل الكتابات فى اليهودية السياسية والدينية على هذا النحو ، كما أن محاكم التفتيش وغيرها فى المسيحية فيها الف دليل على ما ندعيه ، والعصور الوسطى خير شاهد .

- الايمان بصدق الخيالات التى يقصها رجال الدين عندهم .

- ضرورة اتخاذ الوسائط ، وعبادة المخلوقين حتى يكونوا طريقا للخالق المثلث .

- الايمان بأن للآب ملائكة مقربين ، ومن يرضيهم فحتما هو المقرب منهم وبالتالى يصير منهم[148] .

وعلى هذا فقد حدثت أمور ما كان لأصحابها حيلة غيرها ، أو قل هى النتائج المترتبة على ما سبق فعبدوا .

- المنافع والرغائب . كالمطر ، والشمس ، والقمر .

- المخاوف والمهالك ، كالزلازل ، والحرائق ، والبراكين .

- الايمان بالقوى الخفية التى تكمن خلف الاثار البارزة التى تظهر عنها .

أما بقية أهل الأرض من غير اليهود والنصارى ، فجمعت بينهم المنافع والرغائب أو المخاوف والمهالك ، فقدسوا الشمس وعبدوها ، أو الكواكب أو النار ، أو الابقار أو الماء أو الزلازل ، أو الرعد أو البرق أو الأوثان أو القوى الخفية التى لم يستطيعوا الافصاح عنها[149] والى هنا نكون قد عرضنا للمسألة من طرف خفى حتى ننتقل للحديث عن نشأة علم الكلام فى الاسلام .

---

(١٤٨) راجع الياس مشرقى - عصمة الكتاب ص ٧١ .

(١٤٩) الدكتور / على محمد جبر - محاضرات فى علم الكلام ص ١٠ .

# المبحث السابع

## عوامل نشأة علم الكلام

## عوامل نشأة علم الكلام فى الاسلام وتطوره

ذكرت فيما سبق الفرق بين التوحيد بالمعنى اللغوى والمعنى الشرعى والاصطلاحى ، وكذلك الفرق بين علم التوحيد الشفوى والآخر التاليفى ، وذكرت فى هذه المواقف ما أظنه موفيا بغرضه على الأقل من جانب امكانياتى المتواضعة ، وفى ظل ظروفى الصحية التى أحمد الله عليها[١٥٠] .

بيد أننا ههنا سنتحدث عن العوامل التى أدت إلى ظهور علم الكلام فى الاسلام ، سواء من ناحية مناقشة الأفكار ، وعرض الاراء ، أوالتأليف والتدوين ، وضبط المسائل ، اذ الشائع أن هذا العلم قد استجد واستحدث فى الملة الاسلامية ، بعد عهد النبى ﷺ والخلفاء الراشدين[١٥١] .

مستدلين بعدم حدوث خلاف بين الجماعة الاسلامية فى مسائل العقيدة ، كما أن أحدا من الصحابة لم يسأل رسول الله ﷺ عن شىء من ذلك . اضافة إلى أن حرارة الايمان فى قلوبهم وقوته فى نفوسهم لم يدعا مجالا للشك فى مسائل العقيدة ، ولو حدث لنقل الينا[١٥٢] .

وفى تقديرى أن أصحاب هذا الرأى لو نظروا إلى التوحيد بمعناه الشرعى لكانت أجاباتهم فى أماكنها فالصحابة لم يعرفوا العرَض والجوهر ، كما لم يتطرق إلى أفهامهم مفهوم زيادة الصفات على الذات أو عدم الزيادة لأن توحيدهم قائم على المعنى الشرعى وهو اعتقاد وحدانية الله تعالى ذاتا وصفات وأفعالا[١٥٣] .

---

(١٥٠) مهما تكن امكانياتى فانها بكل ما تحمله متواضعه حدا ، فهذا العلم بحر واسع .

(١٥١) وهو الاتجاه السائد لدى أغلب الدارسين .

(١٥٢) وهو اتجاه حيد لكنه ينطبق على التوحيد لا علم التوحيد .

(١٥٣) على ما هو مدون فى علم الكلام الاصطلاحى التأليفى .

أما التوحيد الذى نتحدث عن نشأته فهو التوحيد الاصطلاحى الذى هو تقرير العقيدة الايمانية ، ودفع الشبه عنها ، إلى آخر مسائل هذا العلم ، والفرق بين التوحيد الاصطلاحى والشرعى واسع ، ومن ثم فان إجابة اصحاب القول الأول قائمة على الشرعى وليس الاصطلاحى ، وبالتالى فلا تلزمنا نتائج ما ذهبوا اليه[١٥٤] .

• وفى تقديرى أن عوامل نشأة الكلام فى الاسلام لا يمكن حصرها على وجه دقيق إلا إذا حصرنا النشأة والتطور فى كافة المسائل لكن يمكن اجمال هذه العوامل فيما يلى .

[١] النقل المنزل[١٥٥]

[٢] استشهاد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ .

[٣] استشهاد سيدنا عثمان بن عفان ﷺ [١٥٦] .

[٤] فتنة عبدالله بن سبأ

[٥] ظهور الفرق والجدل فى الدين .

[٦] الفتوحات الاسلامية .

[٧] دخول غير المسلمين الاسلام تقية[١٥٧] .

[٨] تنازع الخلفاء العباسيين أمور الخلافة .

---

(١٥٤) فالمعروف أن هذه المسائل جاءت على التفصيل فى المؤلفات المخصصة له .

(١٥٥) القرآن الكريم والسنة النبوية المطهره .

(١٥٦) اود استبعاد كلمة القتل عن سيدنا عثمان ﷺ واضع بدلها كلمة استشهاد فهو المناسب للشيخ الكبير الحيى ذى النورين .

(١٥٧) أخفوا الكفر وأعلنوا الاسلام حتى يتمكنوا من الكيد له .

[٩] استخدام غير المسلمين فى الأعمال السيادية وتدخلهم فى شئونها[١٥٨] .

[١٠] تأثر بعض المسلمين بما ترجم من الفلسفة اليونانيه وغيرها[١٥٩] .

[١١] الرغبة الداخلية فى امتحان القدرات وأختبار الامكانيات لدى المفكرين المسلمين من داخل أنفسهم .

- كما أن مراحل علم الكلام يمكن أجمالها فيما يلى :

  - المرحلة الأولى : الانشاء والتكوين .
  - المرحلة الثانية : النمو والصفاء .
  - المرحلة الثالثة : الخلط المتوازن .
  - المرحلة الرابعة : غلبة المخلوط أو مرحلة الانهيار
  - المرحلة الخامسة : الحواشى والتقريرات والهوامش .
  - المرحلة السادسة : المطالبة بعلم كلام جديد عماده العلم التجريبى لا المباحث النظرية[١٦٠] .

- وربما تسأل ما معنى تطور علم الكلام ؟

---

(١٥٨) وبخاصة الموالى الذين نالوا ثقة كبيرة فى نفوس الأفراد والخلفاء العباسيين ، وكذلك الأطباء الذين قاموا بهذا الدور ونالوا ثقتهم .

(١٥٩) خاصة بعد عصر المأمون الذى تمت فيه ترجمة الكتب اليونانية إلى اللغة العربية ،ووثقوا فيها .

(١٦٠) كالحال فى كتاب الاسلام يتحدى للأستاذ وحيد الدين خان ، والعلم يدعو للأيمان والاسلام فى عصر العلم وغيرها من الكتب التى توصى إلى هذا الاتجاه .

والجواب :

أن التطور يقال على الاضطراد والاستمرار مع التقدم والاتساع . ولذا فإنا اذا أردنا مثالا تطبيقيا فى المسألة وجدنا أن علم الكلام ابتدأ برسائل محددة أغلبها فى الرد على القدرية ، ثم تطور فشمل مباحث الرد على القدرية ، والجبرية ، ثم المرجئه والمعتزلة(١٦١) .

كما أن المسائل التى وقع فيها التناول هى التى كانت فى السؤال عن المتشابه ثم شملت فيما بعد صفات الله تعالى وبالذات صفات المعانى ، ثم تطور إلى الحديث عن الصفة والذات ومفهوم الزيادة من عدمه .

بل تطور إلى مسائل تتعلق بسبق الوجود للعدم أو العدم للوجود ، وسبق الذات للصفة ، أو الصفة للذات إلى غير ذلك من المباحث التى صارت فى الأغلب الأعم تحتضن ركن النسيان(١٦٢) .

اذن هناك تطور فى عدد مسائله ، وطرق معالجتها ، والاتجاهات القائمة فى المسألة والأمور التى يمكن أن تترتب عليها ، بدأً من الرسائل المفردة حتى الحسن البصرى ، ثم واصل ، والامام ابو حنيفة والأشعرى وابن فورك ومن قبلهما ابن كُلّاب والقلانسى ، والماتريدى ابو منصور ومن تبعه (١٦٣) .

كما لا نهمل التطور المفاجىء الذى قام به الفلاسفة واصحاب الفِرَق حتى انتهى إلى ما يشبه الفوضى العقلية ، والاضطرابات الفكرية التى كانت قد فتحت الباب على مصراعيه لكل فكر ثقافى دخيل ،

---

(١٦١) وكان أوائل المعتزلة يدافعون عن العقيدة ثم ظهر الجيل الثانى الذى اعتبره الأصوليون فرقة مبتدعة .

(١٦٢) ونسميها الاراء المهجورة فى الفكر .

(١٦٣) اتباع أبى منصور الماتريدى من تلاميذ وشيعة وهم جملة الماتريدية .

ومحاولة التخلص من كل فكر يستمد اصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، أما بالتعذيب أو التصفية الجسدية ، أو القتل صبرا على النحو الذى يذكره التاريخ (١٦٤) .

وسوف نلمح إلى عوامل نشاة علم الكلام فى الاسلام بشىء من الايجاز على النحو الذى يوفقنا الله تعالى اليه ، فما أنا إلا مردد " قول الحق العلام " ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب (١٦٥) .

- ويمكن تقسيم تلك العوامل التى أدت لنشأة علم الكلام إلى اقسام ثلاثة :

  - القسم الأول : العوامل الداخلية .
  - القسم الثانى العوامل الخارجية .
  - القسم الثالث : العوامل المزدوجة .

ولنبدأ الأول منها

- القسم الأول : العوامل الداخلية :

نقصد بالعامل هنا الباعث على الشىء المؤثر فيه ايجابا أو سلبيا(١٦٦) كما نقصد بالداخلية تلك التى تنشأ فيه من داخله كشىء ذاتى عنه ، وعلى هذا فالعوامل الداخلية التى نشأ عنها علم الكلام فى الاسلام هى البواعث الذاتية إلى أثرت فيه نشأة وتطورا .

---

(١٦٤) سوف التفت اليها فى حديث مقبل .

(١٦٥) سورة هود الآية ٨٨ .

(١٦٦) المعجم الوجيز باب الميم ص ٤٣٥ .

أو كانت هى الداعيـة لانشـائه المركـزة على ضـرورة القيـام بـه ، مـع الحاجة اليه ، اما العوامل غير الداخلية فلها شأن آخر نوليـه عناية فيما بعد .

• العامل الأول : النقل المنزل :

المعروف أن النقـل المنزل فـى الاسـلام ، لا ينصـرف إلا إلى القـرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، أما غيرهما من تفاسير وشروح ، وتـأويل وتدريس فهو فكـر اسلامى طالما كـان فى حـدود فهـم النقـل المنزل وهـو الفارق الوحيد بين النص الاسلامى ، وفهم النص الاسلامى ، بين الاسـلام والفكر الاسلامى .

• كما هو معلوم من أن الاسلام يقوم على جناحين هما :

[١] القرآن الكريم .

[٢] السنة النبوية المطهرة الصحيحة .

و معلوم أيضا ان منكر نص فى القرآن الكريـم ، أو نـص فى السـنة النبوية المطهرة ، كافر إجماعا ، لأنـه انكـار معلـوم مـن الديـن بـالضرورة لا بالنظر ، أمـا مـن أنكـر فَهْمًا فيهمـا وهـو صـاحب جهـد علمـى فـذا حقـه، والمجتهد بشروطه له أحكامه .

أما اذا أنكر الفهم غير قـادر على الفهـم فتلـك علته ومـرض فيـه ، لكن اذا أنكر الفهـم صـاحب عقـل تهجمـا وامتهانـا للعلمـاء ، فذلـك يجـب تاديبه ، والتنبيه على انه يرتكب الخطأ .

أ القرآن الكريم :

بعث الله رسوله محمدا ﷺ والناس صنفان :

أحدهما : أهل كتاب قد بدلوا من أحكامه ، وكفروا بالله فافتعلوا كذبا صاغوه بألسنتهم وخلطوه بحق الله الذى انزل اليهم[١٦٧] فذكر الله تبارك وتعالى لنبيه كفرهم ، فقال تعالى " وانّ منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون[١٦٨] .

فهم بدلوا الكتاب وغيروه ، ونسبوه لله وما هو الا صحيح النسبة لمن نسبوا وبدلوا وحرفوا ولووا وغيروا .

ثم هم فوق ذلك كتبوا كتابا من عند أنفسهم ، وزعموا نسبته لله تعالى " فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون[١٦٩] .

بيد أنهم أضافوا لله ابنا سموه عُزَير الذى دعاه اليهود ولدا لله ، وجاراهم فى هذا الادعاء النصارى فنسبوا المسيح لله ، وزعموه ابنا له ، كما عبدوا الاحبار والرهبان والمسيح ابن مريم مع انهم أهل كتاب ولا تتساوى النتائج مع المقدمات .

قال تعالى " وقالت اليهود عُزَيرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يُؤفَكُونَ اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون[١٧٠] .

---

(١٦٧) الامام محمد بن ادريس الشافعى - الرسالة ص ٨ - تحقيق الشيخ / أحمد محمد شاكر .

(١٦٨) سورة آل عمران الآية ٧٨ .

(١٦٩) سورة البقرة الآية ٧٩ .

(١٧٠) سورة التوبة الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

ثم هم أمنوا بالجبت والطاغوت ويدْعُون غيرهم للأيمان بهم ، بل ويحاولون تحسين عبادة الضلال لهم . قال تعالى " الم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين أمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا(١٧١)

على ان هذه المزاعم التى قال بها كل من اليهود والنصارى وأمثالهما ، لم تجد من القرآن الكريم الا عراضها ، وبيان أنها مزاعم وضلالات وأوهام وخيالات ، وظنون ما لهم بها من علم .

فحين زعموا للأله البنوة والأبوة ردّ الله عليهم فى قوله تعالى " قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد(١٧٢)

وحين زعموا أنهم ابناء الله وأحباؤه ردّ القران الكريم عليهم بعد أن حكى مزاعمهم فقال تعالى : " وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحباؤه قل فَلِمَ يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء و لله ملك السماوات والاض وما بينهما واليه المصير(١٧٣)

ثم بين أن هذه المزاعم يترتب عليها الكفر ، فمن زعمها فهو كافر وهو حكم الله فيه ففى قضية دعوى البنوة قال تعالى : " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار(١٧٤)

---

(١٧١) سورة النساء الايات ٥١ / ٥٢

(١٧٢) سورة الأخلاص .

(١٧٣) سورة المائدة الآية ١٨ .

(١٧٤) سورة المائدة الآية ٧٢ .

وفى قضية التثليث قال تعالى " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله الّا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم . افلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم[١٧٥] .

ثم بين لهم أن عيسى ليس ابنا لله ، ولا ابنا لغيره ، وانما هو نفخة من روح الله ، جعله الله علامة للساعة قال تعالى : " ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر أنى يؤفكون[١٧٦] .

ومن هنا قد تبين لنا أن القرآن الكريم عرض مزاعمهم وكشف سواءتهم وناقشهم حتى فى أُدق شبهاتهم ثم ردها عليهم وأبان وجه الصواب فى المسألة وهو التوحيد الخالص لله رب العالمين .

ثانيهما : صنف كفروا بالله فابتدعوا مالم يأذن به الله ، ونصبوا بأيديهم حجارة وخُشُبا وصورا استحسنوها ونبذوا اسماء افتعلوها ، ودعوها الهة عبدوها ، فاذا استحسنوا غير ما عبدوا منها أُلقُوهُ ، ونصبوا بأيديهم غيره فعبدوه ، وأولئك هم العرب .

وسلكت طائفة من العجم سبيلهم فى هذا ، وفى عبادة ما استحسنوا من حوت ودابة ، ونجم ونار وغيره[١٧٧] ، وقد ذكر القرآن الكريم هؤلاءونبه لأولئك .

---

(١٧٥) سورة المائدة ٧٤ .

(١٧٦) سورة المائدة الآية ٧٥ .

(١٧٧) الامام الشافعى الرسالة ص ١٠ .

فمنهم من سار خلف قيادة السادة الكبراء من غير نظر إلى ما يصنعون ، أو تفكير فيما يقولون قال تعالى حاكيا عنهم : " انا وجدنا أباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون(١٧٨) .

ومنهم مَنْ طالب بالعديد من الالهة والتمسك بها ، قال تعالى حاكيا عنهم : " وقالوا لا تذرن ألهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا(١٧٩)

فلم يكن دعاؤهم الا للعديد من الالهة وعلى وجه الخصوص كل من :

[١] ود : وهو صنم كانوا يعظمونه قبل نوح وأيامه ، وانتقلت عبادته فيما بعد للعرب فكان ود لقبيلة كلب ، ويقال أن ودا اسم أحد ابناء آدم وكان صالحا فلما مات زينت لهم انفسهم اقامة صورة له تعظيما واحتراما ، ثم خَلَفَ من بعدهم خلف عبدوه ظانين أن من سبقوهم كانوا له عابدين وكان على صورة رجل .

[٢] سواع : احد الاصنام التى كان الناس قبل الطوفان يعبدونها ، وكان ابليس ينفخ فى حلومهم ان عبادتها صحيحة ، وانها على اقل تقدير تنفع ، فتقرب المال والذرية ،

ويقال ان سواعا كان احد ابناء أدم الصالحين ، فلما مات اطمعهم ابليس فى اقامة صورة له تعظيما ، فلما جاء الاخرون عبدوه

---

(١٧٨) سورة الزخرف الآية ٢٣ .

(١٧٩) سورة نوح الايتان ٢٣ ، ٢٤ .

استقلالا ، واستقلت به قبيلة همدان العربية وكان على صورة امرأة(١٨٠) .

[٣] يغوث : أحد الاصنام الخمسة التى كان الناس قبل الطوفان يعبدونها ، ولما حاول نوح ﷺ منعهم من عبادته وأمثاله رفضوا ، وكان ابليس قد زعم لهم ان اباءهم الاقدمين كانوا يعبدونها فعبدوها ، ويقال انه اسم لأحد ابناء ادم ونقلت عبادته للعرب ، حتى ان قبيلة مذجح اختصت نفسها به ، وكان على صورة أسد

[٤] يعوق : هو ايضا احد الاصنام الخمسة الرئيسية التى انتشرت عبادتها قبل الطوفان ، وكان قوم نوح يعبدونه ويتمسكون بعبادته متصورين انها قربى .

ويقال انه ولد آدم ، وقد نقلت عبادته للعرب واختصت به قبيلة مراد، وكان على صورة فرس ، وظلت عبادة العرب له حتى جاء الاسلام فأزال الاصنام والاوثان وركز على توحيد الله تعالى

[٥] نسرا : يقال انه صنم كبير على صورة نسر وهو الطائر الجارح المعروف ، وهو أحد الاصنام الخمسة الشهيرة والتى كان قوم نوح يحفلون بها ، ويدعونها من دون الله ولما حاول نوح ﷺ منعهم من تلك العبادة الباطلة لم يجد منهم الأذن الواعية ، ويقال ان قبيلة حمير اختصت نفسها به(١٨١) ،

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية ان هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم

---

(١٨٠) تفسير مفاتيح الغيب المجلد جـ ٣٠ ص ٧٤٨ .

(١٨١) راجع مفاتيح الغيب المجلد الخامس عشر جـ٣ ص ٧٤٩ ، ٧٥٢ .

فعبدوها ، وقال ابن عباس . ثم صارت هذه الأوثان فى قبائل العرب[182] .

ولما كانت هذه المسائل مما لا نتمكن من الضرب فيه بسهم ، أو المقاسمة فيه بنصيب فسنترك المسألة للتفويض والعلم عند الله تعالى علام الغيوب .

[٦] اللات : وهو صنم كانت لثقيف احدى البطون العربية بالطائف ، وكان هناك رجل يقف عند الكعبة ، يلت بالسمن الطعام ، ويطعم الناس فلما مات صنعوا له تمثالا على صورته وكانوا يعظمونه ويحترمونه ،

ثم خلف من بعدهم خلف اعتبروا التعظيم عبادة ، فعُبِد واتُّخِذ على صورته وثن وسموه باللات ، وعلى هذا فاللات اسم لذكر[183] وليس اسما لأنثى ، كما أنه وصف لفعل الرجل وهو لت الطعام حتى ينضج .

[٧] العُزّى : وهى شجرة كبيرة كانت تعبد عند العرب فبعث النبى محمد ﷺ خالد بن الوليد t فقطعها ، وخرجت منها شيطانة مكشوفة الرأس منشورة الشعر تضرب رأسها ، وتدعو بالويل والثبور فقتلها خالد وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك ∴ انى رأيت الله قد أهانك

---

(١٨٢) شيخ الاسلام بن تيمية – مجموع الفتاوى مجلد توحيد الألوهية ص ١٦٧ .

(١٨٣) مفاتيح الغيب المجلد الرابع عشر جـ ٢٨ ص ٦٤٦

ورجع إلى النبي ﷺ وأخبره بما رأى وفعل فقال ﷺ تلك العزى ولن تعبد ابدا[184] .

[8] مناة : وهو صخرة كبيرة ، وتسمى صنم الصفا ، وكانت لهذيل وخزاعة ، فلما جاء الاسلام ازالها جميعا حيث لا قيمة للشرك ، وانما المعتبر حقا هو التوحيد الخالص لله رب العالمين .

وعلى الجملة فقد كان الناس عند نزول القرآن لا يخرجون على هذين الصنفين ويجمعهم وصف واحد ، فهم أهل كفر فى تفرقهم واجتماعهم ، يجمعهم أعظم الأمور نكارة وأخسها حقارة الا وهو الكفر بالله وابتداع مالم يأذن به الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا. لا اله غيره وسبحانه وبحمده رب كل شيء وخالقه[185].

نزل القران الكريم فبين بطلان اعتقادهم ، وفساد عبادتهم ، وتدنى اخلاقهم ، وما كان لهم أن يستوعبوا هذه المسائل وكيفية ابطالها الا اذا عرضها عليهم القرآن الكريم عرض الخبير بهم ، العالم بما تخفيه قلوبهم ، وما تعبر عنه السنتهم .

من ثم عدنا إلى نقطة البداية وهى أن القرآن الكريم من عوامل نشأة علم الكلام ، أما كيف كان ذلك فلما يلى :

- أولا : أمر القرآن الكريم بالتدبر ، والتفكر والنظر والتفكير فى مخلوقات الله الواسعة من حيث خلقها وتماسكها ، واتساعها وتناسقها ، واضطراد أمورها وانتظام حياتها وبلوغ الغاية فى كل ما تعنى أو يَعِنّ لها .

---

(184) المصدر السابق ص ٦٤٦ .

(185) الامام الشافعى - الرسالة ص ١١ ، ١٢ .

قال تعالى : " الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ، ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير ، وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير[١٨٦].

وقال تعالى : " قل انظروا ماذا فى السماوات والارض وما تغنى الأيات والنذر عن قوم لا يؤمنون[١٨٧].

وقال تعالى : " افلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السمأ ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد[١٨٨]

- ثانيا : نبه القرآن الكريم العقول والأفهام إلى وجود التناقض الظاهرى ، وهو فى ذات الوقت المنسجم فى الملكوت ، ودعاهم إلى امعان النظر فى المسألة كيف تكون وضرب لهم المثل قال تعالى " الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم[١٨٩]

---

(١٨٦) سورة الملك الايات ٣/٦ .

(١٨٧) سورة يونس الاية ١٠١ .

(١٨٨) سورة ق الأيات ٦/٩ .

(١٨٩) سورة يونس الايتان ٨٠/٨١ .

والعاقل يفكر كيف تأتى النار من الشجر الأخضر بل وكيف تكون ، إن الشجر الأخضر فيه ماء والماء ضد النار ، بل ان الماء هو الذى يطفىء النار ، فكيف يكون هو الاصل للنار ، " الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا .

قال العلامة الزمخشرى : من بدائع خلقه تعالى انقداح النار من الشجر الأخضر ، مع مضادة النار الماء وانطفائها به ، وهى الزناد التى تورى بها الأعراض ، واكثرها من المرخ والعفار ، يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى انثى فتنقدح النار بأذن الله(١٩٠).

ومعلوم ان العِفَار نبات من شجر العضاة ، من الفصيلة العشارية ، ينفرش ويطول فى السماء ، ليس له ورق ولا شوك ، سريع الأشتعال يقتدح به(١٩١).

- ثالثا : دعاهم إلى التأمل فى خصوصيات المخلوقات ، وكيف يَتْبَع كل فرع اصله ، فما أُنمى الرجل نباتا ولا أنبتت الارض إناسا ، ولا اسقطت السماء نباتا ، كما لم تنتج الارض كواكب وانوارا بل كل شئ إلى اصله يقوم ، ومع فروعه يستقر .

ففضلات كل مخلوق من اصله قال تعالى " افرأيتم ما تمنون أءنتم تخلقونه ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين "

---

(١٩٠) الكشاف مجلد ٣ صـ٣٨ .

(١٩١) المعجم الوجيز باب الميم .

وقال تعالى : " إفرأيتم ما تحرثون أءنتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون افرأيتم الماء الذى تشربون اءنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون ، افرأيتم النار التى تورون اءنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشؤن نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح بأسم ربك العظيم [192].

- رابعا : حث على البحث العلمى فى اعلى طرائقه ما دامت الغاية هى تحقيق لون من العبادة لله تتكامل مع العقيدة الاسلامية الصحيحة ، ولم يقف الحث على البحث العلمى عند نقطة بعينها ، فقد ابتدأها بقوله تعالى " اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم[193].

واقسم بالقلم الذى هو احد وسائل تقييد المعرفة فقال تعالى " ن والقلم وما يسطرون"[194]

فالقراءةوالكتابة وسائل لكسب المعرفة وتحصيلها ، وجاءت الايات القرآنية حاثة على تعلم كل منهما ،بل ودفعت إلى التركيز على العلم التجريبى والنظرى ، القابل للبحث وفى الاعلى من موضوعات البحث المختلفة .

- فمن البحث التجريبى .

---

(١٩٢) سورة الواقعة الايات ٧٤/٥٨ .

(١٩٣) سورة العلق الاية ١ /٤ .

(١٩٤) سورة القلم الاية ١ .

قوله تعالى " افرأيتم ما تمنون اءنتم تخلقونه ام نحن الخالقون(١٩٥)

وقوله تعالى " وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون(١٩٦) .

- ومن البحث النظرى والتجريبى معا .

قوله تعالى : " افلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى كل عبد منيب(١٩٧) إلى آخر الآيات التى دفعت إلى النظر العقلى والتجريبى ، والقرآن الكريم زاخر بهذه المعانى ملىء بتلك البراهين والدلالات .

- ومن البحث العلمى :

قوله تعالى " ومن أياته خلق السماوات والأرض وأختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لايات للعالمين ، ومن أياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون(١٩٨) .

وهكذا فقد غطت أيات القرآن الكريم كل مجال بحثى بحيث لم تترك مجالا الا وتحدثت عنه ، وكشفت وجه الحق فيه ، ودفعت الملكات العقلية للخوض فى المسألة لكن من غير تجاوز ، بل بشىء من الحيطة وكثير من الحذر .

---

(١٩٥) سورة الواقعة الايتان ٥٨/٥٩ .

(١٩٦) سورة الرعد الايات ٤

(١٩٧) سورة ق الايات ٦/٨ .

(١٩٨) سورة الروم الايتان ٢٢ ، ٢٣ - راجع الايات ١٧/٢٦ .

وفوق ذلك فقد جعلت العقل البشرى فى موقف المتحدى لنفسه اذ كيف يدعى العلم ، وهو عاجز عن تفسير ذاته ، عاجز عن فهم الظواهر المحيطة به . قال تعالى : " وفى انفسكم أفلا تبصرون[199] ثم أخذت الايات القرانية بناصية العقل إلى التأمل فى النفس الانسانية من كافة نواحيها دون اغفال لأى جانب منها .

ومع هذا وجدنا الايات القرآنية تتحدى العقل البشرى فى كل علومه ، ولو كان على حق فيما يدّعى لأجاب على هذا التساؤل ، " قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ،

قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون[200] .

- خامسا : ورود المتشابه . حيث جاءت آيات القرآن الكريم فيها المحكم والمتشابه ، وقد فُهِم المحكم مباشرة أما المتشابه فقد فهمه الراسخون فى العلم كل على ما قدر الله له من فهم ،
- قال تعالى : " هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن أُمّ الكتاب وأُخَرُ متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون

(١٩٩) سورة الزاريات الاية ٢١ .

(٢٠٠) سورة القصص الآيات ٧١ / ٧٣ .

فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الألباب(٢٠١)

• وأنوه إلى ان المحكم والمتشابه يردان على معان كثيرة منها :

الأول : المحكم المتقن البديع الذى لا خلل فيه ولا عوج ، ولا نقص ولا زيادة فهو مُحَكَمُ من كل ناحية .

الثانى : المحكم : ما أُحكم المراد من اللفظ بظاهره بحيث لا يحتاج فهمه إلى اكثر من اللغة .

الثالث : المحكم : ما نزل على وجه الأحكام والاتقان فلا زيادة عليه ولا نقص منه ، ومنه قوله تعالى : " كتاب احكمت أياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير(٢٠٢) .

وعلى هذا فالقرآن كله محكم فى تنزيله لأنه من قِبَل الله تعالى نزل وعلى جبريل الامين وقع التلقى والى سيدنا محمد ﷺ تم الالقاء والإقراء والحفظ والبلاغ والتبليغ جميعا ، اذن هو محكم فى كونه كتاب الله تعالى الذى لاكتاب سواه فى هذا الاحكام ، وعلى هذا النحو من الاتقان

• كما أن المتشابه يأتى على معان منها .

[١] المتشابه : الذى لم يظهر فيه المعنى المراد بل هو مُحْتَمَل أوجه . فاختلط المعنى مع صحة اللفظ .

[٢] المتشابه : الذى يشبه بعضه بعضا ، وفيه يقع التشابه ، وتتم المشابهة .

---

(٢٠١) سورة آل عمران الاية ٧ .

(٢٠٢) سورة هود الاية ١ .

[٣] المتشابه : ما اشتبه أمره على الناظر اليه[٢٠٣] .

ومن ثم فان القرآن الكريم محكم كله فيما يتعلق بالعقيدة والأخبار ، والسمعيات ، والنبوات ، ومتشابه فى بعض ما يتعلق بالاحكام العملية فى المفهوم والمعنى لا فى اللفظ ،

ففى الصفات الخبرية كاليد واليمين ، والرجل والنزول وكلها الفاظ واردة فى القرآن الكريم لكن حملها على ظاهرها ليس محل اتفاق بين العلماء ، بل أن الحمل على الظاهر ربما كان غير مراد لدى فريق من العلماء ومراد عند الفريق الآخر .

على ان اللفظ لو كان محكما فى دلالته كما هو محكم فى وروده ما وقع الخلاف ، لكنه لما كان محكما فى وروده وليس محكما فى دلالته فقد وقع الاختلاف فى الفهم لا فى اللفظ[٢٠٤] فانفتح الباب للنظر فيه ومحاولة تفهم مراميه .

اذن القرآن الكريم كان أحد العوامل فى نشأة علم الكلام ، من ناحية ورود المتشابه والمحكم ، والصفات الالهية وعلاقتها بالذات ، والكلام الالهى ودلالته ، وكذلك ما يتعلق بسائر الصفات الخبرية .

وبالتالى فحديث القرآن الكريم عن هذه المسائل ، وتناولها بهذا الشكل الدقيق فتح الباب أمام العقول فى محاولة للتعرف على ما تعرض له

---

(٢٠٣) راجع مبحث المحكم والمتشابه لدى علماء التفسير وعلوم القرآن ستجد لهم كلاما احلى من العسل .

(٢٠٤) راجع فى المسألة كتب اصول الفقه كالموافقات للشاطبى ، والأحكام للآمدى والأحكام لابن حزم واصول التشريع الاسلامى للدكتور / على حسب الله وغيرها ستجد مجهودات يستحق اصحابها الشكر والثناء عليها .

القرآن الكريم ذاكرا اياه ، منبها اليه ، موجها نحوه ، ولا ينكر هذا الا من لم يقرأ القرآن الكريم ، أو يحاول فرض فهمه على عقول الآخرين .

كما أن القران الكريم فى حديثه عن المتشابه جاء على نحو دقيق ، وبصورة فيها شىء من التكرار المفيد للتأكيد فذكر من متشابه الصفات الخبرية " يد الله فوق ايديهم[٢٠٥] كما ذكر منها " واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم[٢٠٦]

" وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم [٢٠٧] " أءمنتم من السماء ان يخسف بكم الأرض فاذا هى تمور . أم أءمنتم من فى السماء ان يرسل حاصبا فستعلمون كيف نذير"[٢٠٨] .

كل هذه الايات وأمثالها فتح أمام العقل بابا ، حتى صار له فيها حكم ، ومن ثم فاعتبار حكم العقل مع ورود امثال هذه المتشابهات فى النقل فسح مجالا للناظرين ، وخصوصا وان دعوة الدين إلى الفكر فى المخلوقات لم تكن محدودة بحد ، ولا مشروطة بشرط ، للعلم بأن كل نظر صحيح فهو مؤد إلى الاعتقاد بالله على وصفه بلا غلو فى التجريد ، ولا دنو من التحديد[٢٠٩] .

أجل يعتبر حديث القرآن عن المتشابه من أكثر العوامل التى ادت لظهور علم الكلام فى الاسلام بدليل أن مسألة المتشابه لم يحسم فيها القول حتى الآن بين أصحاب الفن الواحد رغم طول المدة وكثرة المحاولات .

---

(٢٠٥) سورة الفتح الآية ١٠

(٢٠٦) سورة الطور الاية ٤٨ .

(٢٠٧) سورة الزخرف الآية ٨٤ .

(٢٠٨) سورة الملك الايتان ١٦ ، ١٧ .

(٢٠٩) الامام محمد عبده – رسالة التوحيد ص ٨، ٩ .

فالصوفية لهم فيه اراء ، والمتكلمون حوله اتجاهات . وأهل الحديث بينهم فيه اجتهادات ، وأصحاب التفسير مازالوا على العهد به من الدراسة والبحث والاختلاف فى الفهم والمعنى .

فمثلا قوله تعال : " وهو القاهر فوق عباده " أختلف الناظرون – إلى مفهوم الفوق باعتباره أحد المتشابهات كما ان الفوق أحد الاعتبارات ، وفيه معنى العلو الذى ينقسم هو الآخر إلى اعتبارات .

[١] الاعتبار الحقيقى .

[٢] الاعتبار الاضافى

فأما العلو بالاعتبار الحقيقى فلا ينطبق الا على الله تعالى فهو سبحانه وتعالى" وسع كرسّيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم ، وعلوه محقق قبل الجهات والأماكن ، ومفهوم بدون اعتبار النسب والاضافات ، عام فى جميع تجلياته على مخلوقاته بأسمائه وصفاته .

وانما يعرفه ويشهده ارباب البصائر والقلوب ، ولتجلى نور توحيده بعلو فوقيته سَبْحة وله حجاب ، فسبحته صفة القهر ، وحجابه خلوص العبودية [٢١٠] وتلك نظرة صوفية .

بينما مال المتكلمون إلى فهم الفَوْق والعلو على أنه مخالفة ومغايرة ، مخالفته تعالى لغيره من الحوادث فليس تعالى جوهرا ولا عَرَضا ، ولا متحرك ولا ساكن ، ولا يوصف بالكبر أو الصغر ، ولا الفوقية أو التحتية ، ولا الحلول فى الأمكنة ، ولا بالاتحاد ولا اتصال ولا انفصال ، ولا

(٢١٠) الشيخ محى الدين بن عربى ، رد المتشابه إلى المحكم من الايات القرآنية والاحاديث النبوية ص ١٩٧،١٩٨ ط عالم الفكر .





بـاليمين ولا بالشـمال ولا الخلـف أو الامـام ولا بغـير ذلـك مـن صفـات الحوادث[٢١١] .

وقد مال شيخ الاسلام ابن تيمية إلى مفهوم آخر للعلو يخالف ما عليـه من سبقه من المتكلمين والصوفيـة وادعى انـه رأى السـلف ، ولـو زعـم انـه رأى له لكان أولى ، لأن المسـألة ستكون متعلقـة بـه وحـده وبوجهـة النظر التى مال اليها[٢١٢]

حيث انتهى أمره إلى العلو الحقيقى لكن على ما تقتضيه قواعـد اللغة لا بحسب ما يفهمه المتنازعون فى الاحكام العقدية ، وان صوروه به فقد قـرر ابن تيمية ان لفظ التحيز يحتمل معنيين .

الأول : ان يُراد به أن الله تعالى تحوزه المخلوقات ، وهـذا بـاطل لأن الله اكبر واعظـم مـن ذلـك ، وكيـف لا وقـد وسـع كرسيه السـموات والأرض[٢١٣] .

الثانى : ان يراد بـالتحيز ان الله مبـاين للمخلوقـات منفصـل عنهـا ، ليس حالّاً فى شىء منها فهذا صحيح ، وهـو الـذى عليـه السـلف ، وقـول الائمة من أهل السنة حيث ذهبوا إلى ان الله تعالى فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه [٢١٤] .

---

(٢١١) العلامة الدردير شرح الخريدة البهية ص ٣٧ .

(٢١٢) حتى لا ينسب للسلف ما لم يقولوا به كالجهة والتميز والفوق والتحت وسائر الاضافـات التى لم تكن لدى السلف الصالح صورة عنها .

(٢١٣) شيخ الاسلام ابن تيميه – الرسالة التدمريه ص ٤٤ وتراجع صفحاتهـا ٤٣ : ٤٧ . ففيهـا كـلام طويـل وتعليلات يمكن قبولها أو ردها بسهوله ويسر .

(٢١٤) شيخ الاسلام ابن تيمية الرسالة التدمريه ص ٤٤ .

ومن الجهات العلو وبالتالى فابن تيمية يثبت العلو لله على العالَم ، علوا حقيقيا بمعناه الحقيقى ، وكذلك التقدم لله على العالم فهو تقدم حقيقى عنده ، وينعى بالائمة على من ينكر هذا الفهم عنده ، او يحاول دفعه(٢١٥).

اذن لو كانت مسألة العلو من المعلوم من الدين بالضرورة ما وقع حولها الخلاف ، كما ان لفظها لو كان محكما فى دلالته كما هو محكم فى وروده ما وقع حوله أى اختلاف فدل ذلك على ان النصوص المتشابهة فى القرآن الكريم ومحاولة العلماء المسلمين تفهمها كان أحد الدوافع الرئيسيه لنشأة علم الكلام فى الاسلام .

- اما العلو بالاعتبار الاضافى فإنه قسمان :

- القسم الأول : العلو الاضافى الحسى :

وهو الذى يقع فى الجهات المكانية ، ويحتاج إلى الزمان الذى يجرى فيه ، فكل من الجهات المكانية والزمانية يقع فيه مفهوم العلو الاضافى الحسى . باعتبار انه المفهوم بالنسبة للجهات المكانية ، المخصوص بالجواهر المتفتقرة للحين(٢١٦) .

- القسم الثانى : العلو الاضافى المعنوى :

هو المفهوم بالنسبة إلى درجات الكمال العرفانى ، لارباب القلوب ، أو الكمال الوهبى لأرباب التقوى قال تعالى : " ورفعنا بعضهم فوق بعض

(٢١٥) شيخ الاسلام ابن تيمية / رسالة الفرقان ص ١١٢.

(٢١٦) الشيخ الأكبر / محى الدين بن عربى - رد المتشابه إلى المحكم ص ١٩٧ .

درجات[٢١٧] ، وقال تعالى : " انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا[٢١٨] ، وهذا كله فى العلو الاضافى[٢١٩] .

على ان ما يدعو للألتفات هو ظاهرة التخالف فى الفكر ومحاولة التعبير عنه ، وتلك ظاهرة صحية على الناحية الفكرية ودليل على الرغبة فى الدرس والبحث ، والاجتهاد ، لأن الله لم يخلق الناس جميعا واحدا بل جعلهم متخالفين . وأختلاف الرأى لا يفسد للود قضية . ولكل وجهة نظر .

أما ما يؤسف له فهو محاولة البعض الحكم على عقيدة غيرهم ممن يخالفونهم الرأى رغم أن الخلاف فى فهم أمر من الأمور التى ليست معلومة من الدين بالضرورة ، : ومع هذا فكل يحاول الاستطالة على عقيدة الآخرين فيرميهم بالكفر ، ويدعو عليهم بالهلاك ، ويصفهم بالضلال ، ويسمهم بالابتداع ،

ولست أمتدح شيئا من ذلك بل أرفضه ، فالحديث الشريف "كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه" والحديث الشريف " المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم ادناهم . وهم يد على من سواهم " نسأل الله لنا ولهم السلامة فى الدنيا والآخرة .

- سادسا : الأخبار بالغيبيات وردت ايات فى القرآن الكريم تتحدث عن الغيبيات بشكل واسع جدا ، بل إن من يقرأ ايات القران الكريم

---

(٢١٧) سورة الزحرف الاية ٣٢ .

(٢١٨) سورة الاسراء الاية ٢١ .

(٢١٩) الشيخ الأكبر / محى الدين بن عربى - رد المتشابه إلى المحكم ص ١٩٧ .

ويحاول امعان فكره فيها يجدها تحدثت عن الزمان المقدر فى علم الله الأزلى ،

• من ذلك قوله تعالى : الذى له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا[٢٢٠]

اذن لله ملك السماوات والأرض وقد تنزه عن الصاحبة والشريك والولد ، وخص كل شيء على وجه التقدير والاحكام ، ومما خلق الله تعالى الزمان ، وعلى وجه التقدير والأحكام ايضا .

لكن تأتى أية آخرى فتتحدث عن مصاحبة الزمان لخلق السماوات والارض وما بينهما ، وليس استقلاله عن هذه المخلوقات مما دعا العقل للتأمل مرة وآخرى فالحديث عن الغيبيات من هذه الناحية قد فتح بابا للتأمل العقلى .

قال تعالى : " الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فسأل به خبيرا[٢٢١] وعلى فرض مصاحبة الزمان لخلق السماوات والأرض وما بينهما وفى مدة محددة هى الايام الستة ، لكنها ليست كأيامنا ، حيث لم تكن شمس ولا قمر ، ولا نجوم ولا صبح أو نهار فكيف تحسب الايام وأنها ستة لا بد اذن من محاولة جديدة حتى نتعرف على وجود انواع ثلاثه من الزمان هى :

١- الزمان المقدر : وهو فى علم الله الأزلى ، ويعبّر عنه بمدة زمانية حتى يمكن فهمه والتعرف عليه ، ويدخل فيه الفترة قبل خلق هذه الكائنات كلها ، وينقاس عليها الفترة التى تلى انتهاء الكائنات كلها ،

---

(٢٢٠) سورة الفرقان الاية ٢ .

(٢٢١) سورة الفرقان الاية ٥٩ .

ففى الحديث الشريف : خلق الله الخلائق ، وقدر المقادير ، قبل أن يخلق السماوات والارضين بخمسين الف سنه(٢٢٢)

قال العلامة الفخر ,هو الذى يسميه المتكلمون بالزمان المقدر ، والمدة المفروضة فى علم الله الأزلى ، فتلك المدة المقدرة المفروضة هى المشار اليها بقوله تعالى " " فقضاهن سبع سماوات فى يومين ، وهذا الكلام دقيق لا يتم المقصود به الابالكشف عن حقيقة الدهر ، والزمان ، وذلك من محارات العقول(٢٢٣) .

وهذا النوع من الزمان لا يتجزأ ، ولا يتحدد ، وهو غيب مطلق لا يعرفه الا الله ، وعلى بابه تأتى كافة الغيبيات السابقة على خلق الكون ، والغيبوبات الزمانية فى الآخرة ، وعليه جاء القرآن الكريم والحديث الشريف(٢٢٤) .

٢- الزمان الفلكى الكونى :

وهو الزمان الذى ابتدأ مصاحبا لدورة الافلاك ، ويضبط الناس عليه أمور حياتهم ، ويبدأ من طلوع الشمس يومه ومن غروبها يبدأ ليله ، ويقسم إلى ثوان ودقائق وساعات ، كما يقسم إلى شهور وسنوات ،

---

(٢٢٢) صحيح مسلم بشرح النووى المجلد السادس جـ ١٦ ص ٢٠٣ ط دار الريان وهو من رواية ابى ثعلبه الخشنى ، وى رواية " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين الف سنه .

(٢٢٣) الامام الفخر الرازى - اسرار التنزيل وأنوار التأويل جـ٢ ص ٥٩٧ - تحقيق د/ عبدالغنى الغريب ، دكتوراه اصول الدين - القاهرة مخطوطه .

(٢٢٤) دكتور محمد حسينى موسى محمد الغزالى - الايمان بالغيب واثره على الفكر الاسلامى ص ١١٨ ط ٣ ١٩٩٨م

وماض وحاضر ومستقبل على سبيل التناسب ، وهو لهذا زمان كونى ، لانه يقاس بحركات الأجرام السماوية(٢٢٥) .

ويعرّفه ابن سينا بانه مقدار الحركات من جهة التقدم والتأخر(٢٢٦) ، ومما هو مقرر عند الفلكيين وعلماء الجيولوجيا ان يوم الأرض عند خط الاستواء يعادل اربعا وعشرين ساعة ، نصفها نهار ونصفها ليل ، ولكنه عند القطبين يعادل سنة كاملة ، منها ستة اشهر نهار وسته اشهر ليل ، ويوم القمر يعادل تسعة وعشرين يوما تقريبا من ايام الأرض ، وهكذا تختلف الايام من كوكب إلى كوكب طبقا لتقدير وتدبير العزيز الحميد(٢٢٧) .

وهذا الزمان الفلكى الكونى اشار اليه النقل المنزل فى قوله تعالى : " وجعلنا الليل والنهار أيتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلا(٢٢٨) .

٣- الزمان البيولوجى :

وهو الزمان الذى يحسب عمر الخلية ، ويختص بعلم الاحياء ، ويسير فى بطء بالنسبة للاطفال ،على حين يسير بسرعة فائقة بالنسبة لكبار

---

(٢٢٥) استاذ كريس مور يسون - العلم يدعو للأيمان ص ١٧١ - ترجمه الاستاذ / محمود صالح الفلكى ط النهضة الحديثه .

(٢٢٦) الشيخ الرئيس ابن سيناء - تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ص٩٢ ط٢١ دار العرب للستانى .

(٢٢٧) الأستاذ/ على عبدالعظيم فى ملكوت السماوات والأرض ص٣٥ ط مجمع البحوث الاسلامية - يوليه ١٩٨٠ .

(٢٢٨) سورة الاسراء الاية ١٢ .

السن[٢٢٩] " ويطلق عليه الزمان العُمْرى ، وهو بيولوجى لتعلقه بالخلية ، وطرق المحافظة عليها ، وامكانية معالجتها ، على النحو الذى يكشف عنه العلم يوما بعد يوم .

فاذا كان حديث القرآن الكريم عن الزمان قد جدَّت فى تحصيله الافهام ، وغرقت فى التعرف عليه مصاف اقلام وأثيرت حول فهمه القضايا التى اعتصرت العديد من الأعلام ، افلا يكون ذلك بمثابة اشارة واضحة إلى دور القرآن الكريم فى نشأة علم الكلام .

أجل الغيبيات كثيرة ، وقد تناول القرآن الكريم أغلبها بشىء من التفصيل كالحديث عن الجن والملائكة ونعيم الأخرة وعذابها ، وتكلم بشىء من الايجاز عن بعضها كالحياة البرزخية ، والصراط ، والنفخ فى الصور مما جعل العقل السليم يحاول بحث هذه المسائل ،

وكلما جدَّت العقول فى التعرف عليها وقعت المنازعة فيها بحكم الثقافة التى يعيش فيها كل منهم ، والظروف والملابسات التى تحيط به ، والمذهب الذىينتمى اليه .

بل من تدبر أيات القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى : " أنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى[٢٣٠] ،

وقوله تعالى " الذى يصلى النار الكبرى ثم لايموت فيها ولا يحى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى[٢٣١] يجد عجبا .

---

(٢٢٩) العلم يدعو للأيمان ص ١٧٠ .

(٢٣٠) سورة طه الايتان ٧٤/٧٥ .

(٢٣١) سورة الأعلى الايات ١٢/١٤ .

وأى عجب بعد الذى يراه المرء قائما بوجود فارق رهيب بين الحياة والموت وهما ضدان ، فإما حياة أو موت لكن أن لا تكون حياة ولا موت ، فهذا مما يحتاج مجهودات العقول للتعرف عليه والتوفيق فى المسألة .

وأقرب ما يقال أن مقاييس الدنيا لا تحكم على ظواهر الحياة فى الآخرة ، فلكل منهما نواميسها وظروفها وربما تكون المسائل فى الآخرة ثلاثة .

[١] حياة فقط على وجه الكمال .

[٢] موت فقط على وجه الكمال .

[٣] مرحلة وسط فيها شيء من هذه وتلك .

ثم ان مفهوم الموت فى الآخرة أيضا يحتاج مطاولة ومدارسة لورود الايات القرآنية والاحاديث النبوية باستمرار فى وصف أهل الآخرة على ما هم فيه فأهل الجنة فيها ابدا .

وأهل النار فيها أبدا ، الاولون ينعمون ،والاخرون يعذبون ، وبينهما الاعراف وعليها خلق لا يعلمه الا الله وظروف لسنا نعلم عنها الا ما أخبر به الشرع الشريف وأمرنا الايمان به ، ونحن على ذلك نؤمن ونشهد .

- نخلص مما سبق إلى أن :

[١] القرآن الكريم كان أحد العوامل الهامة فى انشاء علم الكلام باعتباره القرآن الكريمَ كلام الله .

[٢] وجود المتشابه فى المعنى داخل الايات القرانية ، ومحاولة كل فريق الوصول إلى ما يظنه المعنى الذى يغلب غيره ، وتصح معه العبادة ويسلم الدين .

[٣] وجود العموميات فى القرآن الكريم والحديث عنها بشكل فيه شيء من التفصيل أو الايجاز ، وكل حاول فهمه والتعرف عليه قد فتح الباب لتفهم القرآن ومراجعته ، فكان ذلك من دواعى نشأة علم الكلام .

[٤] ورود العديد من الغيبيات الدينية والعلمية فى القرآن الكريم ، إما صراحة وأما ضمنا ومحاولة علماء المسلمين الوصول فيها إلى اجابات محددة كل ذلك كان من عوامل نشأة علم الكلام داخل النص القرآنى فى الاسلام .

## ب- السنة النبوية المطهرة :

عنيت السنة النبوية المطهرة بالعقيدة الاسلامية ، وكيف لا ، واركان الاسلام[٢٣٢] جاءت متوازنة فى القرآن الكريم مع اجزاء الايمان ، والاحسان فى حديث واحد[٢٣٣] وهو المعروف باسم حديث جبريل الأمين ، ثم تحدثت السنة النبوية عن صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى ، وعدّت روايات الحديث منها تسعة وتسعين اسما .

جاء دور العقل فسأل هل هى اسماء أم صفات ، وما الحكم اذا اعتبرت اسماء ، أو اذا اعتبرت صفات ، وماذا نقول على الاسماء الآخرى والصفات التى تتقدم عليها أو تتأخر حتى كان له فيها دور يقوم على

---

(٢٣٢) فى الحديث الشريف : بنى الاسلام على خمس : ١- شهادة أن لا اله الا الله وان محمد ﷺ ٢- اقام الصلاة ٣- ايتاء الزكاة ٤- صوم رمضان ٥- حج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

(٢٣٣).ويعرف بحديث عمر ، وهو بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ اذ طلع علينا رجل شديد ....... .. ، ثم قال يا محمد أخبرنى عن الايمان ...... ، ثم قال يا محمد أخبرنى عن الاحسان ....... ثم قال يا محمد أخبرنى عن الساعة .........

تفهم المعنى ، ومحاولة استخلاصه من اللفظ والوقوف به عند حد يراه مؤديا ما يهدف اليه من طمأنة النفس وتسديد الجوانح .

وفوق ذلك جاءت أحاديث من نزول الله تعالى لعباده الطائعين والمقبلين على التوبة فى الثلث الأخير من الليل فيقول : " من يدعونى فأستجيب له ، ومن يسألنى فاعطيه ، من يستغفرنى فاغفر له(٢٣٤) نظر العلماء للحديث كل حسب توفيق الله تعالى له

فمنهم مائل إلى أن النزول على الحقيقة ، وله ظواهر ظنها تدعمه ، فقام بشرحها والتعليق عليها ، ومحاولة تجميع كل ما يؤيده فيما ذهب اليه ، من أنه نزول حقيقى ، ومثله الصعود الحقيقى .

ومنهم مائل إلى ان النزول على حقيقته اللغوية فى القرآن الكريم ، لكن يراد به معنى آخر يستوعبه الفهم ولا تقف ضده اللغة ، ان لم تكن تؤيده .

وثالث عقد له بابا اطلق عليه باب النزول ، وآخر فى مقابلة سماه باب الاستواء ، ووراح فريق يذكر النص ويؤول المعنى ، وآخر يؤكد على اللفظ و المعنى من غير تصريح بتأويل ،

وثالث وقف رافعا راية التنزية حتى أسلمه الأمر إلى انكار النص فى محاولة لالغاء الفكرة من أصلها ، رغم ورود النقل المنزل الصحيح بها .

قال العلامة العينى : " لا شك ان النزول انتقال الجسم من فوق إلى تحت ، والله منزه عن ذلك ، فهو من المتشابهات والعلماء فيه على قسمين :

(٢٣٤) صحيح البخارى كتاب التوحيد وهو مروى عن ابى هريره ﷺ وفيه ينزل ربنا تبارك وعلا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول ........ الحديث .

- الأول : المفوضة : يؤمنون بها ويفوضون تأويله إلى الله عز وجل مع الجزم بتنزيهه عن صفات النقصان .

- الثانى : المؤولة يأولونها على ما يليق به بحسب المواطن . فأولوا بأن معنى ينزل الله أمره أو ملائكته ، وبأنه استعارة ، ومعناه التلطف بالداعين والاجابة لهم ، ونحو ذلك ، وليس فى هذا الباب وأمثاله الا التسليم والتفويض إلى ما أراده الله من ذلك ، فان الأخذ بظاهره يؤدى إلى التجسيم وتأويله يؤدى إلى التعطيل ، والسلامة فى السكوت والتفويض(٢٣٥) .

- والأحاديث فى هذا الباب كثيرة منها :

[١] ما يتعلق بذات الله وصفاته والتفكر فى آلائه . من ذلك " تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا ، وأحاديث النزول والاستواء ، والرؤية ، والاستماع إلى آخر ما يتعلق بالصفات الالهية(٢٣٦) .

[٢] ما يتعلق بالنبوات والمعجزات والكرامات وسائر خوارق العادات ، مما تحدثت عنه الأحاديث النبوية بشىء من الاستفاضة بجانب وجود المفردات الموجودة فى بعض روايات الحديث مما هو متشابه فى المعنى .

[٣] ما يتعلق بالسمعيات من الموت ، والبرزخ ، والحياة الآخرة ، ونعيم الآخرة ، وعذابها ، بل معالم قيام الساعة والفرق بين اليوم الآخر

---

(٢٣٥) عمدة القارى شرح صحيح البخارى جـ٤ ص ٢١٧ .

(٢٣٦) راجع الامام البيهقى – الاسماء والصفات .

واليوم الآخير ، والخطوط الفاصلة بين هذه وتلك ، وكلها جاء بها الحديث الشريف[٢٣٧] .

كما ان الحديث عن الجن والملائكة واليوم والقلم والصحف وعلم الله ، وعلم اليقين إلى آخر هذه الأمور الغيبية التى حاول العقل البشرى التطلع اليها والتعرف على معانيها طالما جاء النقل المنزل بها فى الحديث الشريف .

وحتما سيرانى القارىء قد أوجزت القول فى المسألة وهى دور النقل المنزل ، فى انشاء علم الكلام ، نظرا لعمق البحث ، وكثرة الأجزاء التى لا بد من بحثها ، فلنرجىء ذلك كله إلى ان يوفقنا الله للبحث فيه مرة أخرى بشكل أكثر توسعا وأفاضة .

- واستعيرهنا ما نسب إلى سيدنا عمر الفاروق ﷺ حين قال :
- ما أصابتنى مصيبة الا وجدت فيها اربع نعم :
- الأولى : أنها لم تكن فى دينى .
- الثانية : أنها لم تكن أعظم مما كانت .
- الثالثة : ان الله سبحانه وتعالى رزقنى الصبر عليها .
- الرابعة : ان الله سبحانه وتعالى يجازى عليها الجزاء الكبير .

---

(٢٣٧) يراجع صحيح الامام البخارى والأمام مسلم ، والكتب الصحاح فى مسالة معالم اليوم الآخر ، وتحت باب علامات الساعة ، فقد وقع الاجتهاد فى مفهوم الأمة التى تلد ربتها ، ومفهوم الربة فى الحديث الشريف .

ثم تلا قول الله تعالى : " أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون . اللهم ارزقنا حلالا ، وحسن ايمان ، وصحة اعتقاد ، وسلامة عبادة ، انك نعم المولى ونعم النصير .

## العامل الثانى : استشهاد الخلفاء الفاروق – عثمان – على

وكانت تعقب استشهاد الواحد منهم ظروف كثيره

### أولا : استشهاد امير المؤمنين عمر بن الخطاب t

أجل كان استشهاد الخليفة الثانى سيدنا عمر بن الخطاب على يد ابى لؤلؤة المجوسى بداية التاريخ الدموى الذى انفتح على مصراعيه فى الأمة الاسلامية ، ، ولم يتركها حتى أوقف تقدمها ، وفرّق جماعتها ، ومزق اواصر المحبة التى كانت السمة البارزة فى اعضائها .

وقد كان الامام على كرم الله وجهه صاحب نظرة فاحصة ، ورؤية واعية ، وفراسة صادقة اذ قال بعد استشهاد عمر " ان عمر كان للإسلام حصنا حصينا ، يدخل الناس فيه ولا يخرجون منه ، فلما مات انثلم[٢٣٨] ذلك الحصن فصار الناس يخرجون منه ولا يدخلون فيه[٢٣٩]

وقد صدقت فراسته فبعد استشهاد الخليفة الثانى بدأت العقول تبتعد عن القلوب والنفوس تضطرب فى الصدور ، فالخليفة الفاروق العادل استشهد بالمسجد ، وهو يقيم الصلاة للفجر ،وقد ذهب ضحية العدل الذى عرف به ، فانفتح الباب أمام الخلافات ، واشتد الجدل ، وكثرت المكايد ، وراحت السياسة تعمل بالدين عملها ، ويحاول دعاتها الاضرار به .

---

(٢٣٨) انثلم يعنى حدث فيه شق وجرح كبير ، ومنه قولهم ثلم الجار بمعنى احدث فيه شقا ، والثلمه الموضع الذى قد انثلم – المعجم الوجيز ص ٨٧ مادة ث ل م .

(٢٣٩) العلامة الجاحظ – العثمانية ص ٢٢٤ تحقيق عبدالسلام هارون ١٩٥٥ .

على ان مما يدعو للدهشة ما يثار عن استشهاد سيدنا عمر ، وانه كان مؤامرة سياسية ، ولم تكن جريمة دينية ، فكأن القاتل حملته امور السياسة على ارتكاب ما اقترفت يداه ، متناسيين أنها جريمة دينيه أولا ، وسياسيه ثانيا ، وأخلاقيه ثالثا .

ومما تجدر الاشارة اليه هو ان الذين دخلوا فى الاسلام كان بينهم من يكيد للدولة الاسلاميه ، ويعمل على تفريقها ، واضعا فى حسبانه ان القضاء على الخليفة قضاء على الدولة الاسلامية كلها ، وربما كانت بعض توقعاتهم فى جانب السياسة تخالف النتائج العامة التى آلت اليها الأمور .

أما لماذا ؟ فلأن الدولة الاسلامية يحفظها الله وستظل فان ذهبت حكومة اعقبتها أخرى ، وأن انتهت خلافة ابتدأت آخرى ، وما دام اهل الاسلام على أمر الله يقومون فان حفظ الله لهم سيظل ودولتهم باقية ما بقيت طرائق التزامهم الشرع الشريف على خير يرام ، وهدى يقصد .

لكن استشهاد عمر بن الخطاب ﷺ اختلفت فيه روايات المؤرخين فى الاسباب والدواعى التى ادت إلى هذا الاستشهاد ، ونحن اذا حاولنا عرض المسألة ومضمون الروايات فإنا لا نجد سوى روايتين يمكن تغليبهما على غيرهما ، ثم نرجح احداهما على الآخرى .

- الرواية الأولى : ان استشهاده كان نتيجة مؤامرة سياسية واتفاق جنائى ممن كانوا فى حماية دولة الاسلام وكانوا لها كارهين ، وسوف نعرض هذه الرواية فى مواقف :

- الموقف الأول : أبطال الجريمة :

اما أبطال الجريمة طبقا لهذه الرواية فلا يخرجون عن اربعة هم :

• الأول : الهُرْمُزَان : الذى كان ملكا للأهواز وأسره المسلمون ، وكان دائم الغدر ونكْث العهد وعاش الغل فى قلبه متمكنا والغضب من دولة الاسلام ينمو فى احشائه ، وكان عمر ﷺ كثيرا ما يصفح عنه ويعفو ويحسن اليه حتى أنه اعطاه من عطاء بيت مال المسلمين وزاده الفين .

وكان الهمرمزان يجتمع عنده كثير من الاسرى الفرس وسبيهم ، وكانوا اذا جلسوا معه يتذاكرون ما حل بدولة الفرس على يد عمر والذى انتهى بها إلى الانهيار فكانت تمتلىء صدورهم على عمر حقدا ، ودولة الاسلام بُغْضا .

• الثانى : فيروز المجوسى : ابولؤلـؤة ، وكان عبدا مجوسيا للمغيرة بن شعبة ، لكن كانت علاقته بالهرمزان لا تنقطع وزيارته اليه لا تنتهى ، بل ان طاعته لأوامره وهما فى الأَسْر كانت أكثر مما كانت عليه ايام الفرس ،

لكن المجوسى كانت نفسه تشتعل غضبا على المسلمين كلما رأهم يجمعون الاسارى والسبايا من أطفال المجوس ونسائهم ، وبخاصة من أهل نهاوند . فاذا دخل هؤلاء الاسارى إلى المدينة راح المجوسى اليهم يمسح على رؤس الاطفال والصبيان ثم يقف متعزيا فيهم ، معلنا غضبه على امير المؤمنين عمر فيقول :

أُكل عمر كَبِدِى ، ثم يُسِرَّ فى نفسه فيقول لأحرقن كبده ، واستمر تردده على الهرمزان ، وظلت الاوامر يتلقاها منه كأنه ملك الفرس فى زمانه .

- الثالث : جفينة ، وهو نصرانى وقع فى أُسر المسلمين وكانت عنده معرفة بالقراءة والكتابة وهنا أُرسله سعد بن أُبى وقاص للمدينة المنورة حتى يعلم ابناء المسلمين مبادئ القراءة والكتابة ،

بيد أن النفوس اللئيمة لا يصلحها الا السوط والجلاد لذلك لم يرض بالعمل وسخط على المسلمين ، وعمل على الالتفاف حولهم ، والتعرف على أعدائهم ، الذين كان على رأسهم الهرمزان ، وقد قويت علاقته به لأبعد حد ، وكان له الناصح ، حتى انه تعرف على فيروز أيضا وجمعت بينهم صداقة قوية .

- الرابع : كعب الأحبار : وكان من يهود اليمن ، فلما رأى اليهودية تنحل ، وبقاياها تتلاشى ، اراد ان يستفيد من الدين الجديد الذى يعلو نجمه وترتفع رايته وهو دين الاسلام فدخل فيه مُظهراً اسلامه ليستفيد مكانة له بين المسلمين وبخاصة ان لديه بعض المعرفة ببعض التوراة ايام العرب ، وكانت له عندهم بعض المنزلة .

وقد دخل الاسلام واراد الكيد له ولأهله(٢٤٠) ، وابتدأ هذا الطريق بنشر الاسرائيليات والأقاصيص بل والاساطير التى عزاها للتوراة ، وما هى من التوراة فى شىء ، وقد صدقه بعض المسلمين فيما زعمه وبخاصة ان لغة التوراة لم تكن معروفة عندهم ، كما انه لم تكن لهم بها معرفة ، فصدقوه فى كل ما زعم .

بيد ان كعبا لم يبتعد عن الهرمزان ايضا وانما اقترب منه رغم ان كعبا كان يهوديا الا انه اقترب منه وازداد فى القرب ، وتعلق بالثلاثة الهرمزان ،

---

(٢٤٠) يرى فريق من العلماء ان كعبا دخل الاسلام تقية ، حتى استشهاد عمر لم يكن قد حسن اسلامه ، ثم عدل وبينما يروى الآخرون ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية انه غير معدل بل مجرح ، والله اغلب بالغيب

وفيروز ، وجفينة حتى عدوه منهم صديقا وحسبوه فيما بينهم واحدا منهم وقد كان ، ولذا لم يسلم من الطعن عليه فيما بعد .

- الثاني : سيناريو الاحداث :

اتفق المتأمرون على ان يكون القاتل هو ابو لؤلؤه لكن لا بد من مقدمات ، تسبق هذا العمل حتى يتم على وجه الكمال دون أن يلتفت احد اليهم . فاتفقوا على :

[١] تدريب فيروز فى اوقات فراغه على التعامل مع السلاح بشكل جيد ، وفعلا اجاده وفى فترة وجيزة وكان يتقدم فى التدريب بسرعة .

[٢] تهيئته نفسه للأنتحار بعد تنفيذ الجريمة ، اذا رأى امكانية القبض عليه حتى تموت الجريمة وسرها معه .

[٣] اعداد اداة القتل ، وهو عبارة عن خنجر حاد تم شحذه وتسميمه ، وجعل له رأسان أما نصابه ففى وسطه حتى يتمكن القاتل من التعامل به على اية ناحية ، ، وتدرب المجوسى على استعمال هذا الخنجر وبشكل جيد وفى كافة الحالات ، وتحت كل الظروف .

[٤] تعبئة المجوسى بالعداوة على عمر حتى اذا تصرف معه كان الوازع الداخلى هو القصاص والتعبير عن الداخل المتملئ بالظلم والقهر والطغيان ، وبالتالى سيتصرف فيروز بتلقائية شديدة ، ويؤدى المهمة بنجاح أو على أقل تقدير لا يضمن أحد بعدها لعمر ﷺ عنه السلامة .

[٥] شكاية فيروز لعمر من ظلم سيده المغيرة بن شعبه ، وطلبه من عمر حمل المغيرة على التخفيف عن كاهله من حجم ما يدفع للمغيرة نظير إذنه لفيروز فى التجارة .

- الثالث : خطوات التنفيذ :

- الخطوة الأولى : الشكوى لعمر من المغيرة بن شعبة

كان عمر ﷺ قد اعتاد القيام بجوله فى سوق المدينة وهو أمير المؤمنين ، يتفقد احوال البيع والشراء كما يتفقد احوال الرعية وأحوال الحكم ، وحينئذ قابله ابو لؤلؤة فى السوق حسب الاتفاق الرباعى بين رؤس الجريمة – وقال فيروز ان المغيرة بن شعبة يثقل كاهلى بما يفرضه علىّ من خراج كثير فأعِنِّى وانصرنى ، لكن عمر الفاروق حكيم لا يأخذ الأمور بالظنون فسأل المجوسى :

- وما هى صناعتك ؟

- قال المجوسى : انى نجار ، وحداد ، ونقاش .

فقال عمر ما ارى خراجك كثيرا اذا قورن بما تمتلكه من مواهب ، وما لديك من صنع وأعمال ورغم اجابة عمر على المجوسى بأنه لم يرقى خراجه غبنا الا انه طلب من المغيرة تخفيف العبء عن المجوسى ولو أمهل القدر عمر لخفف المغيرة عن فيروز حسب طلب عمر ﷺ.

لكن فيروز قد امتلأ من داخله بالحقد على المسلمين وعلى رأسهم عمر فترك عمر متذمرا ساخطا وحدثته نفسه أيسع الناس كلهم عدل عمر ولا يسع ابا لؤلؤه ، وظلت نفسه تراوده سرعة الخلاص من عمر وما بقى الا الأذن له من رجال المؤامرة .

• الخطوة الثانية : تربص ابى لؤلؤة لعمر .

أجل كانت شياطين الجن تخاف من عمر ، وكان ابو لؤلؤة يخاف عمر لكنه خوف المغتاظ الذى تأكل الغيرة قلبه ، وتحرق كبده ، فمر بعمر ولما رآه عمر ناداه قائلا له .

بلغنى انك تقول لو اردت ان اعمل رحى تطحن بالريح فعلت . هل تستطيع فعل ذلك . قال المجوسى نعم استطيع .

قال عمر اذن فاعمل لى رحى . وكان عمر يسهر على راحة القوم فكيف لا يبحث عن وسيله تريحهم فى طحن ما يقتاتون به .

قال المجوسى : لئن سلمت . لأعملن رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ، ثم انصرف .

ادرك عمر ان العبد يتوعده ، لكنه لا يأخذ الناس بالظنون ، وكيف لا والعبد مهما صنع من رحى فلن يبلغ خبرها المشرق أو المغرب اذن خلف العبارة جريمة فاجرة ، انها شر أرده العبد بعمر الذى تمكنت دولته من القضاء على كل من الفرس والروم كدولة ، والقضاء على النصرانية واليهودية كديانه حرفت وبدلت ، وقد وطد العزم على قتل امير المؤمنين مهما كانت المبررات .

• الخطوة الثالثة : التمويه والخداع :

يذكر الرواة ان كعب الأحبار بعد ان تأكد من اتفاقه معهم على التخلص من عمر اراد ايهام عمر ، وجس نبضه والتعرف على استعدادته ، فجاءه من الغد ثم قال له

يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت فى ثلاثة ايام . قال عمر وما يدريك ، قال اخبرت فى كتاب الله التوراة قال عمر آلله . انك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة قال كعب اللهم لا ولكنى اجد صفتك وحليتك وانه قد فنى أجلك "

وفى ذات الوقت لم يكن عمر يشعر بأى آلم بل كانت صحته ممتازة ، ولم يحدث له ان اشتكى فى تلك الايام وجعا ، لكن رجال المؤامرة يريدون افهام الناس ان هذا مكتوب فى التوراة فاذا نفذه ابولؤلؤه فإنه يفعل ما قضى به الله فى التوراة وهو كذب وافتراء .

وفى الغد الثانى جاء كعب الأحبار ثم قال يا أمير المؤمنين ذهب يوم من الثلاثة التى لك وبقى يومان . فلم يلتفت اليه عمر لمعرفته أن الأعمار بيد الله وأن كل شيء بقضائه وقدره .

وفى الغد الثالث جاء كعب وقال يا أمير المؤمنين ذهب يومان وبقى واحد وليلة وهى لك إلى صبيحتها ، فلم يهتم عمر بما قال كعب .

الخطوة الرابعة تنفيذ الجريمة :

وفى ليلة اليوم الموعود دخل فيروز المسجد وهو مجوسى ، فكمن واختفى فى زاوية من زواياه ، وظل به مختبئا حتى غلس السحر ، وخرج عمر من داره يوقظ الناس لصلاة الفجر - وكانت هى عادته - فلما انتهى من ايقاظ الناس دخل المسجد وأذّن وكبّر ، وراح الناس يتساوون فى صفوفهم .

حتى اذا استوت الصفوف اندس المجوسى فى الناس فاخرج الخنجر وانهال به على عمر يطعنه فى بطنه طعنات قاتلات كلها حقد وغيظ ومرارة ، وبها قتل عمر شهيدا ،

وراح المجوسي يطعن من يلى عمر فى الصف علّه ينال من الصحابة من ينال حتى يقال انه طعن احد عشر رجلا مات منهم ستة وراح الملعون فى الناس طعنا ، وانتقل الخليفة إلى رحمة الله شهيدا .

فتقدم اليه احد المسلمين من الخلف والقى عليه رداءه فطرحه أرضا ولما ايقن المجوسى أنه مقتول بمن قتل طعن نفسه وانتحر بخنجره حتى يموت ومعه سر جريمته الشنعاء ، وبذلك ضاعت تفاصيل الجريمة ، وما كان لهم من غرض الا خليفة المسلمين حتى تتفكك دولة المسلمين .

أجل أخذ عبيدالله بن عمر سيفه ولاحق المتآمرين على الخليفة وقتلهم ، قتل الهرمزان وأبنة جفينه وجفينته أما كعب فلم يصله حتى اجتمع عليه المسلمون وحبسوه بدار سعد بن أبى وقاص بغية ان تهدأ المسألة ويتم دفن الخليفة ، وربما لو ترك لعبيدالله الأمر لبحث عن كل المتآمرين وجعل رقابهم تحت السيف .

وطبقا لهذه الرواية فانه يكون استشهاد عمر ﷺ قد تم بيد المتأمرين عليه الذين دخلوا دولة الاسلام مستظلين بظلها ، ناعمين بخيراتها ، وهم فى ذات الوقت ناكرون لكل جميل فيها ، كارهون لكل خير يظهر بين بنيها[٢٤١] .

**الرواية الثانية : استشهاد عمر ﷺ كان مؤامرة من المنافقين والمبعدين :**

ومجمل الرواية يقوم على ان المدينة فى أواخر مدة النبى محمد ﷺ كانت ممنوعة على الكفار والمشركين ومن ظهر نفاقهم من المنافقين ،

---

(٢٤١) راجع هذه الرواية فى كل من سيرة عمر لأبن الجوزى ص ١٥٤ وما بعدها ، وتاريخ الاسلام السياسى ، وتاريخ الامم الاسلامية للشيخ محمد الخضرى جـ١ ص ٣٥٦ وما بعدها ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ، وتاريخ الطبرى جـ٤ ص ١٠١ وما بعدها ، والعقد الفريد لابن عبدربه جـ٤ ص ٢٦٣ - ٣٧٥ .

وخشى المنافقون المختفون والمتظاهرون بالاسلام ان يقدموا على اغتيال عمر فينفضح أمرهم . فماذا صنعوا ؟

اتفقوا مع المشركين من بنى أمية وغيرهم ممن طردهم الرسول ﷺ من المدينة ، وحرم عليهم السكنى فيها ، ان يستعدوا لاحتلال المدينة فى الوقت الذى يتم فيه اغتيال عمر ، واثاروا التذمر فى المدينة من عدم وجود نجار دقيق وحداد ماهر ، يقضى لهم ما يتعلق بأمور حياتهم .

حتى اذا بلغ التذمر مسامع عمر ﷺ ، واستشار فى الأمر من يجالسه اقترح المغيرة بن شعبة عليه أن يستقدم غلاما ماهرا فى التجارة والحدادة ، وقال الآخرون أنه ليس فى ذلك مانع ما داموا سيتقاضون منه الجزيه .

وبعد تردد رضى عمر ، فاستحضر المغيرة غلاما له : هو أبو لؤلؤة المجوسى الفارسى ولكى يبعد الشبهه عن نفسه وعن المتأمرين معه أثار الغلام على ما يتقاضونه منه من جزية وطلبوا اليه ان يطلب الاحتكام إلى عمر ، فاحتكم اليه فحكم عمر على الغلام .

وتظاهر الغلام بالغضب ، وتوعد عمر بالقتل ، واتخذ الموضوع فى الشكل صورة خلاف بين عمر والغلام لا دخل للمغيرة بن شعبه فيه ، وهكذا أنزلوا ستارا على اشتراكهم فى مؤامرة أغتيال عمر ﷺ .

ثم جاء كعب الأحبار لعمر وقال له أنه قد عرف من التوراة أن أجله قد انتهى ، فعجب عمر وتساءل أفى التوراة ذكر لعمر ، فرد كعب عليه وقال لا ، ولكن فيها صفتك وأجلك وكان كعب يرمى من وراء ذلك إلى بث الرعب فى قلب عمر ، وقطع الأمل عنده من النجاة حتى يرتبك عند محاولة الاعتداء عليه فيتم ما يريدون ، واعتدى ابو لؤلؤة على عمر ، ومات عمر ﷺ .

وبعد موت عمر دخل بنو امية المدينة وارهبوا الناس ، وساعدوا على اقامة عثمان ليكون سلما يرتقى بمساعدته بنوا أميه إلى منصة الحكم ، وظهر فى المدينة فى نفس اليوم كافة المشركين والمنافقين من بنى امية الذين كان الرسول قد طردهم وحرم عليهم سكنى المدينة فقد كانوا معا على ميعاد .

وما ان تولى عثمان الخلافة حتى اجتمع بنوا اميه فى داره وقام فيهم ابو سفيان بن صخر بن حرب : فقال : أفيكم أحد من غيركم وذلك ليطمئن على عدم اذاعة ما يقول : قالوا لا . قال : يا بنى امية تلقفوها تلقف الكرة ، فوالذى يحلف به أبوسفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم .

وبهذا أعلن زعيم بنى أمية غداة ولاية عثمان السياسه التى على أهله أن يتبعوها ، والتى عمل ابو سفيان وعملوا لها حتى صارت اليهم ، وطلب منهم أن يعملوا على الاحتفاظ بها لهم .

وصل هذا الأمر إلى مسامع عثمان فاستنكره وعارض ابا سفيان ، وذلك لقرب عهده بما يبيت القوم ويدبرون فقهره ابو سفيان وزجره فسكت عثمان حياء منه .

ولم ينفض هذا الاجتماع الاوقد عينت بنو أميه مروان بن الحكم سكرتيرا لعثمان ، مع أن مروان هذا كان أحد المنافقين الذين اباح النبى ﷺ دمهم لفجره وكفره ، والذى ظهر مع من ظهر غداة مقتل عمر ، 

ووزعوا الولايات الاسلاميه على أفراد العائلة الأموية وعينهم عثمان ﷺ واحدا اثر الآخر نتيجه لما قرره مجلس العائله[٢٤٢] من بنى أمية .

وهذه الرواية قد صورت سيدنا عثمان مركزة على جانب الحياء فيه حتى ان ابا سفيان يزجره وينهاه متناسية الجانب الثانى وهو حلم عثمان وتعقله الذى لم ينقطع عنه ، شهامته فى الحق وشجاعتة فى التمسك به ، ثم أن توليته أقاربه جميعا طبقا لقرار مجلس العائلة أمر غير مسلم من عثمان ﷺ على الأقل وان الأمور لم تكن قد اتضحت .

لكن الذى لا جدال فيه هو ان الصحابى الجليل خليفة رسول الله أمير المؤمنين استشهد بيد واحد لم يسجد لله سجده ، ولم يقع من عمر ظلم له أو لغيره ، وبالتالى فلا بد من وجود محركات خلفه سواء كانت من داخله باعتبار أن دولة الاسلام ازالت دولة الفرس.

أو كانت اسبابا خارجيه تتعلق بالهرمزان ، ومن كان معه ، أو كانت مجموع الأمرين معا ، بأنه كان فيروز مشبعا من داخله بالكره للأسلام ودولته ، وتركز بغضه لهذا كله فى شخص الخليفة حتى اذا انتهى الخليفة ضاعت الخلافة ، وانمحت الدولة ،

وفى نفس الوقت يجد عناصر من الخارج مركزة فى الهرمزان ومن كان على شاكلته ، وهى جميعها تركز وتدعوا للقيام باغتيال سيدنا عمر ﷺ على النحو الذى ورد ذكره بل وتستعدى عليه .

وعلى هذا فاذا كان الخليفة القوى العادل قد انتهت حياته بهذا الشكل المأساوى ، وقد غفل المسلمون هذه القضية ، ولم يحققوا فى تلك

---

(٢٤٢) الدكتور محمد البهى – الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ص ٤٥ ، ٤٦ ط٤ دار الكاتب العربى سنة ١٩٦٧م

المؤامرة ، فمن يدرى فربما كانت هى بداية التصفية الجسدية التى انفتح أمرها على المسلمين فاستشهد الخليفة الثالث والرابع من بعده وما زالت التصفية الجسدية هى الطريق الوحيد لدى الخصوم الذين لا يعرفون شيئا عن الدين الحق .

وفى نفس الوقت اثيرت فى عهد عثمان ﷺ محاكمة عبدالله بن عمر والقصاص منه فيمن قتلهم أخذا بثار والده ، وتعديه على سلطان الدولة بمباشرة القصاص بنفسه ، وإنى لا أجد تعليلا مقبولا لذلك ، وهو أمر مؤسف له اشد الأسف .

وفى تقديرى لو أن المسلمين وقفوا من هذه القضية موقفا جديا لاستطاعوا الوصول إلى معرفة الجمعيات السرية التى تدبر الأغتيالات السياسيه ، وبذلك يصلون للقضاء على مدبريها قبل أن يقضوا عليهم ، ولامكنهم أن يضعوا حدا للحيلولة دون أرتكاب مثل تلك الجرائم التى كانت موجهة ضد الخلفاء وليس ضد أفراد عاديين ، ولعل هذا الاهمال أو التساهل فى الضرب على أيدى المفسدين كان مما شجع على قتل الخليفة الثالث ، ثم الخليفة الرابع على ايدى بعض العرب المسلمين[٢٤٣]

- اذا كانت أحداث إستشهاد عمر t على أى الروايتين قد انتهت ، فكيف كان ذلك من عوامل نشأة علم الكلام ؟

- والجواب :

✧ انه بعد استشهاد الخليفة الثانى بدأت العقول تتساءل .

---

(٢٤٣) الدكتور عبدالفتاح على شحاته - تاريخ الأمة العربيه - دراسات فى عصر الخلفاء الراشدين جـ١ ص ٢٥٢ ط٢ ١٩٧٢ - المطبعة الفنيه الحديثه .

✧ هل مات عمر بقدره ؟

✧ هل نفذ ابولؤلؤة ما فى القضاء ؟

✧ اذن ما هو المدلول الأمثل لمفهوم كل من القضاء والقدر ؟

✧ هل يمكن الخروج على الامام حتى ولو كان الخارج غير مسلم ؟

✧ هل انتحار المجوسى داخل ضمن مسائل الموت العادية ؟

وبدأت الأسئلة تجتاح العقول أجتياحا ، وراح الكل يطلق لسانه فى المسائل الغيبية مما دفع بكثير من الصحابة إلى الهرب داخل بيوتهم خوفا من تلك الفتنة التى اطلت برأسها ، ولا يعلم لها نهاية الا الله تعالى ، وربما هذا كان مفسرا لنا بعض المواقف التى نهى الصحابة فيها أنفسهم عن الخوض فى قضايا علم الكلام .

انهم يرفضون استشهاد عمر فالموت قضاء الله ، لكن العدوان على الخليفة العادل أمر غير مستقيم ، لقد حرم الله القتل الا فى حدود " لا يحل دم امرء مسلم الا بأحد ثلاث . الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة "

وبالتالى طغت التساؤلات على الاستقرار النفسى ، وتحولت الجماعات التى كان همها التعبد بالقرآن الكريم وتلاوته ، والحديث الشريف والتزامها إلى جماعات اصغر بعضها فضل الانعزال حتى لا يزل . وبعض آخر أنغمس فى الاجابات على تلك التساؤلات التى انتهت بالبحث فى قضايا علم الكلام ونشأته .

بجانب ان عمر كان متميزا بالاجتهاد الفكرى فى جانبه الفقهى والتقنى بل والعسكرى ، وكانت اجتهادات عمر محل قبول الصحابة ودائرة عملهم من ذلك ، ميراث الجد ، والأخوة ، والكلالة ، وديات عقل الاصابع ، والاسنان ، وحدود بعض الجرائم التى لم يرد فيها نص ، وكان له فيها اجتهاد عظيم ،

وفى جانب الفتوحات ونشر الدعوة الاسلامية ، قاتل الروم ، وغزا العجم ، وفتح الله تعالى الفتوح على المسلمين وكثرت السبايا والغنائم ، وكانوا كلهم يصدرون عن رأى عمر ﷺ ، وانتشرت الدعوة ، وظهرت الكلمة ، ودانت العرب ، ولانت العجم[٢٤٤] من ثم كان العدوان عليه فجيعة لم يكن يتوقعها أحد .

كما كان استشهاد عمر بن الخطاب فرصة لمن دخلوا الاسلام ومعهم ثقافات فى شكل اجابات على تلك الأسئلة ، أو طرح أسئلة جديدة لم يرد بها النقل المنزل ، ولا هى سمة التفكير الاسلامى .

بجانب وجود اجتماعات لهم يناقشون فيها قضايا بلادهم التى انهارت ، ودولهم التى تحت اقدام دولة الأسلام سقطت ، وثقافاتهم التى تحت ضوء الثقافة الاسلامية انصهرت ، وكانت أناتهم ونزواتهم تلح عليهم فى الخروج من الأعماق إلى السطح ، وقد كان لهم ذلك بعد استشهادسيدنا عمر ميسرا .

فاذا أضفنا إلى ما سبق ما تمتع به الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان ﷺ من زهد وحياء بلغ حدا كبيرا لو حاول واحد وصفه ، وقدرة بنى امية على استغلال ولاية عثمان بن عفان إلى ابعد حد ، ونظرة غيرهم

(٢٤٤) الملل والنحل جـ٤ ص ٢٤ .

اليهم ، وبخاصة آل البيت ، جعل طلاب المتشابه يكثرون ، وأصحاب الرغبة فى الكلام يتزايدون ، وفى المسائل التى ما كان لها وجود سابق يحاورون ويجادلون .

اذن اسشهاد عمر ، اعقبه ظهور رؤس الفكر الذى راح يجادل فى النقل المنزل مما دفع بالعديد من أهل الاسلام إلى التعرف على فكر هؤلاء ، وطرق الرد عليهم بغرض ابطاله ،

وكان مما تعرضوا له ما هو من قضايا علم الكلام التى قعدت فيما بعد وهذا يفسر لنا تأليف عبدالله بن عمر رسالة فى الرد على القدرية الذين كان وجودهم عاملا فى تطور قضايا علم الكلام ومسائله أو سببا من أسبابه .

ويرى البعض ان الفتنة وقعت بعد طعن عمر وجعله الخلافة فى أمر الشورى ، اذ أن كل واحد من الرجال الست الذين جعل عمر فيهم الشورى قد داخله الأمل فى الخلافة ، والتطلع إلى الولاية ، وتصور كل واحد منهم أنه بها أحق ، وعليها أقوم .

وبهذا انفتح بينهم باب التنافس ، واضطردت المنازعات ، وتطرقت اليهم نوازع الشقاق فى هذا الباب وكان ما كان من الفتنة الكبرى فى عهد عثمان وما تلاه[٢٤٥] اذن هو يجعل أمر الشورى بداية الشقاق والتنازع .

وقد مال إلى هذا الرأى معاوية بن ابى سفيان ، وانتهى إلى ان الذى شتت أمر المسلمين وفتح باب الجدال هو أمر الشورى الذى جعله عمر فى

(٢٤٥) الدكتور / طه حسين الفتنة الكبرى جـ١ ص ٤٨ وما بعدها .

أمة المسلمين بعد طعنه مباشرة ، حتى يستقروا على خليفة للمسلمين يقود السفينة إلى شاطى الامان .

يقول معاوية : ما شتت أمر المسلمين ولا فرق أهواءهم الا الشورى بعد طعن عمر التى جعلها عمر فى ستة نفر ، وذلك أن الله بعث محمدا بالهدى ، ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، فعمل بما أمره الله به .

ثم قبضه الله اليه وقدّم أبا بكر للصلاة فرضوه لأمر دنياهم اذ رضيه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمر دينهم ، فعمل بسنة رسول الله ﷺ وسار بسيرته حتى قبضه الله تعالى

واستخلف عمر فعمل بمثل سيرته ، ثم جعلها بعد طعنه شورى بين ستة نفر ، فلم يكن منهم رجل الا رجاها لنفسه ، ورجاها له قومه ، وتطلعت إلى ذلك نفسه . ولو أن عمر استخلف عليهم كما استخلف ابو بكر ما كان فى ذلك اختلاف(٢٤٦) .

وما اظن الشورى سببا مقبولا لنشأة الفتنة حتى يطعن عليها ، ولكن الذى يمكن قبوله هو أن الفتنة وقعت أثناء الاعداد لقتله ، وقد سبق التنويه إلى دور الرباعى الشهير فى المؤامرة ، كما انه بمجرد الطعن الذى وقع على الخليفة راحت رؤس الفتنة تطل من أوكارها ، وتخرج ألسنتها ، وتنفث سمومها .

---

(٢٤٦) العلامة المؤرخ ابن عبدربه - العقد الفريد جـ٢ ص ٢١١ .

فما الشورى الا ظاهرة صحية فى الحكم القائم على الشرع الشريف ، بل وسمة من سماته ، بجانب أن عمر كان ملهما ومحدّثا لورود الحديث الا يكن فى أمتى محدثون[247] فمنهم عمر

" بل أن شورى عمر من اجتهاداته التى دلت على رجاحة العقل ، وسلامة الدين ، وصحة العقيدة ، وكمال العبادة ، ولا ينقص الشورى قدر الخلاف حولها فان الأمور تشرف بغايتها وناقد شورى عمر وقع فى طريق غيره معبدة .

## ٢- استشهاد الخليفة الثالث عثمان بن عفان t :

يقف الكثيرون ممن يتعرضون بالحديث عن نشأة علم الكلام ، ودوافعه عند نقطة استشهاد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ، ويجعلونها نقطة البداية ، ولست ادرى لذلك سببا معقولا سوى متابعة من سبق دون الرجوع إلى قواعد البحث العلمى .

- أما لماذا ؟

فلأنا رأينا استشهاد عمر بن الخطاب ﷺ ، وتأكد لنا أنه كان نتيجة مؤامرة أيا كانت المؤامرة ، وأنه قد أعقب الاستشهاد جدل طويل فى كافة مناحى الحياة العقلية والفكرية حتى ان الردود العلمية على تلك الأفكار التى أُطلت قد أكدت أن استشهاد عمر كان دافعا من دوافع نشأة علم الكلام على ما سبقت الاشارة اليه .

بل ان بعض المؤرخين يؤكدون وجود خلاف فى الصلاة على عمر قبل دفنه ، وان عليا وعثمان تنافسوا عليها . أيهما يصلى عليه؟[248] فتقدم

(٢٤٧) والمحدثون هم الذين يلقى الله فى قلوبهم بعض المعارف فيتحدثون بها كأنها عيان ظاهر ومشاهد .

(٢٤٨) العلامة ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى - تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص ٢٣ .

على فقام عند رأسه وقام عثمان عند رجليه ، فقال عَلِيّ هكذا ينبغى ان تكون الصلاة وقال عثمان بل هكذا ، فقال عبدالرحمن بن عوف ما اسرع ما اختلفتم ، كلاكما يحب الأمرة لستما من هذا من شىء . هذا صهيب استخلفه عمر يصلى بالناس ثلاثا فصلى عليه صهيب[249] ولم تقع الأمامة فى الصلاة على عمر وهو ميت لأى من عثمان أو على .

بل ان العملية التى وَلِيَ بها عثمان أمر المسلمين لم تكن لتتم لولم يستشهد عمر ، كما أن عملية التشيع للأمام على ، والزعم بأحقيته بالخلافة من عثمان ما كانت لتظهر هى الآخرى لولم يستشهد عمر وعلى هذا فانى اميل إلى ان استشهاد عمر بن الخطاب ﷺ يجب ان يوضع فى الاعتبار مقدما على فتنة استشهاد عثمان ﷺ .

ومن المؤكد انه متى وضع استشهاد عمر فى الاعتبار ، فان نتائج جيدة سوف تُظْهِرُ أن بواكير التأليف فى علم الكلام ظهرت فى وقت مبكر جدا فى الأمة الاسلامية ، وانَ الاختلاف الذى ظهر فيما بعد انما هو الاختلاف حول مسائل عقدية لا سياسية .

والدليل أنه بعد استشهاد عمر وتولية عثمان ظهرت الشيعة فى بواكيرها الأول ممثلة فى القول بأحقية على فى الخلافة ، بل وسبقه عثمان ، وفى الحكم بكفر من أخذ حق على ، بل ولعنه ، ولعن سائر الأمويين ومن ثم وجدنا :

[١] الشيعة يكفرون ابابكر ، عمر ، وعثمان ومن ناصروهم .

[٢] الأمويون يكفرون الشيعة ، ويرون أنهم مبطلون[250]

(٢٤٩) ابن ابى الحديد الشيعى – شرح نهج البلاغة جـ٢ ص ٤١٠ .

(٢٥٠) الأستاذ / أحمد أمين فجر الاسلام ص ٢٧٩ /١٨٠ طه القاهرة ١٩٦٤ .

ولا شك ان مسألة الايمان والكفر والابطال من المسائل العقدية التى تؤكد ما ذهبنا اليه ، من أن استشهاد عمر بن الخطاب كان بداية النهاية فى السعار الدفين ، والحقد الأسود ، والرغبة الكبيرة فى ضياع أمة المسلمين .

أما استشهاد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، ففيه روايات اقربها قبولا هى التى تقوم على ان استشهاده كانت له اسباب ونتائج ، وسوف نذكر ذلك بشىء من الايجاز الذى تستلزمه الظروف .

- أولا اسباب الثورة عليه :

[١] استغلال بنى أمية حياء عثمان ، حتى وصل بهم الأمر للضغط عليه فعين أغلب ولاته منهم ، ومع ذلك فلم يرع هؤلاء الولاة حق الله فيهم ، بل ظلموا وتجاوزوا مما عبأ شعور الناس الذين فى ولاياتهم بالغضب من عثمان لأنه ولى أمورهم من لا يصلح لها ، مع وجود الأكفأ ديانة وقيادة ، وقد نظر الأمويون إلى خلافة عثمان على انها ملك لهم وليست خلافة للمسلمين جميعا(٢٥١) .

[٢] شكاية الناس من هؤلاء العمال وعدم وقوف عثمان t من هذه الشكاوى موقف المستمع للخصمين اذ كانت مروءته وحياؤه يحولان بينه وتكذيب الولاة فاذا بلغته شكاية أحد واستمع إلى الوالى صدقه ، وربما كان الوالى كاذبا ، لكن عثمان كان لا يكف عن الكتابة اليهم وتوجيههم ، وكانوا يظهرون أمامه الاستماع للتوجيه ، ولكنهم فى الحقيقة يسومون الناس سوء العذاب .

---

(٢٥١) الدكتور عبدالفتاح شحاته – تاريخ الأمة العربية جـ٢ ص ٢٩ .

[٣] حبس الشكاوى عن عثمان اذ عين بنو امية لعثمان مستشارا منهم لم يكن مرغوبا فيه من الرعيّة وجعلوا مروان بن الحكم قائما[٢٥٢] على شئون مكتبه - - مدير لمكتب الخليفة - فكانت المكاتبات التى لا تروق له يحجبها عن الخليفة ومنها شكاوى الناس من ولاة عثمان ، وقد ظن الناس بلوغ شكايتهم عثمان وصمته عليها .

كما ان اقارب عثمان قد تمكن منهم حب الذات ، فانتهزوا فرصة خلافته ، واستغلوا فيه صفة صلة الرحم فكانوا يأتونه من هذه الجهة لينالوا مآربهم ، وقد تحكموا فيه زمن شيخوخته ، وقد جاوز الثمانين من عمره فلم يقو على مقاومتهم ، فكان ما كان من الفتنة العمياء والثورة الحمراء التى استشهد فيها من غير جرم أو اثم ارتكبه[٢٥٣] .

[٤] تطورات المجتمع الاسلامى ، وكثرة الفتوحات وازدياد الغنائم ولجوء العديد من الصحابة إلى الآخذ بما فيه النعيم والترف وانغماس العديد منهم فى أفانين الثراء ، وألوان الحياة الزاخرة بالنعم ، واختلاطهم باصحاب المدنيات الأخرى والديانات المختلفة بالشكل الذى ليس لصالح المسلمين .

[٥] السماح العثمانى لأعلام قريش من المهاجرين فى الخروج إلى البلدان ، والانخراط فى العامة ، فلما رأوا مباهج الدنيا ورأهم الناس انقطع اليهم من لم يكن له طول ولا مزية فى الاسلام وصاروا اوزاعا اليهم ، فانفتحت عليهم مجالس العامة ،

---

(٢٥٢) وكان مروان بن الحكم اكثر بنى اميه دهاء ومكرا أمير على - مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى ص٤٢ .

(٢٥٣) تاريخ الأمة العربية جـ٢ ص ١٠٢ .

وصاروا يسألونهم فى ولاتهم وحكم الشرع فى اعمالهم ، فكانت اراؤهم تخرج طاعنة على حكم هؤلاء الولاة ، مما ملأ قلوب العامة بالغضب على عثمان وولاته معا وكان عمر ﷺ قد حدد اقامتهم بالمدينة حتى يكونوا بجواره للفتيا والتشاور حتى لا تأخذهم مباهج الحياة الدنيا ، ولا يقع بهم أحد فى أمر مخالف ما عليه اجماع الامة ، وحسنا صنع عمر ولو اخذ عثمان بما فعل عمر ربما لعصم هؤلاء الكرام مما وقعوا فيه.

[٦] الاستجابة لبعض محبى اشاعة الفاحشة فى الولاة المسلمين كالحال مع ابى موسى الأشعرى الذى عزله عثمان لما اشتكى منه بعض أهل البصرة ، وكان لعثمان الحق فى محاسبة ابى موسى والاستماع إلى دفاعه ،

لكن كان مروان بن الحكم هو الذى يصدر الاحكام ثم يعميها على الخليفة ، دون أن يخبر الحقيقة التى لوعرفها عثمان ما افضى إلى عزل أبى موسى الأشعرى وتولية عبدالله بن عامر بن كريز بن خال عثمان(٢٥٤) وكان شابا فى الخامسة والعشرين من عمره ، وليست له خبرة فى شئون الحكم والادارة ، فلما وليها وقع فى أخطاء أوغرت صدور الناس فى البصرة على عثمان وعبدالله بن عامر معا .

- وبما تسأل : لعل عزل ابى موسى كان عن مخالفات وقع فيها استوجبت العزل ؟

- <u>والجواب</u> :

---

(٢٥٤) العلامة عبدالرحمن بن خلدون – المقدمة جـ٢ ص ٣٧٣ .

ما حكاه المؤرخون من وجود حكيم بن جبله العبدى وممارسته أعمال السرقة واللصوصية والنهب فى البصرة ، بل انه كان من المسجلين خطر بلغة اليوم وكان له زميل فى نفس الأعمال اسمه حمدان بن ابان ، الذى لم يقف عند حد السرقة واعمال النهب ، وانما تزوج امرأة فى عدتها معلنا الاستباحة متعديا الحدود الشرعية(٢٥٥)

علم به الاشعرى فضربه وحبسه ، وفرق بينه وبين المرأة وكان الرجلين من جماعات لها وزنها العددى والعصبية فراحا يشيعان ظلم الأشعرى ، ويؤلبان أهل إيذج والاكراد على الارتداد عن الاسلام ،

بل وراحوا يطلقون النكات الساخرة على الأشعرى ، وحاولوا ايجاد مكان لهم فى قلب مروان بن الحكم كاتب عثمان ، وأمين سره الذى نقل غضبات هؤلاء الخارجين لعثمان على انها حق فكان عزل الأشعرى .

رغم ان عثمان قد استبان له موقف الأشعرى وبخاصة ان اهل الذمة والمسلمين فى البحرين اشتكوا للخليفة أذى حكيم بن جبلة العبدى وشره وفتكه بالناس ، ورغم انه كتب إلى ابن عامر بحبس حكيم وكل من كان مثله ، ولا يسمح لهم بالخروج من البصرة حتى يأمن الناس شرهم أو يتوبوا إلى رشدهم(٢٥٦) فلم يتراجع عن قرار عزل الأشعرى بل ظل ساريا .

---

(٢٥٥) ابن خلدون – المقدمة جـ٢ ص ٣٧٥ .

(٢٥٦) الطبرى – تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص ٣٢٦ .

وفى تقديرى ان الأمويين هم الذين صنعوا كل هذه مستغليين حياء الشيخ الكبير وسنه وصلة الرحم ، وقد نجحوا فى توظيف اغراضهم فتخلصوا باسم عثمان من سعد ابن ابى وقاص صاحب الدعوة المستجابة وتولية رجل من ابى معيط بدلاً منه .

وقس ذلك على الأشعرى وعمرو بن العاص فاتح مصر الذى عزله عثمان وولى بدلا منه عبدالله بن سعد بن ابى سرح اخ عثمان فى الرضاعة ، وهكذا دواليك ، اذن كان الأمويون هم اصحاب المسألة التى ادت إلى قتل الحيى ذى النورين(٢٥٧) .

[٧] جولات ابن سبأ التخريبيةُ : حيث كان يقضى وقتا طويلا فى تحريض العامة على عثمان وولاته ، مدعيا ان ما يقوله مدون فى التوراة " وقد أخرجه الولاة واحدا بعد الأخر ،

وما كان يجب ان يستقر له مقام فأخرجه ابن عامر من الكوفة ، وأخرجه غيره من غيرها حتى نزل مصر اثناء ولاية عبدالله بن سعد بن ابى سرح ، فجعلها مركزا لدعايته الخبيثه ، وأفكاره الشاذه ، وقد لقيت بعض افكاره قبولا لدى بعض المصريين وبخاصة حينما ضرب على الوتر الحساس الدينى ، وهو أن على كرم الله وجهه كان أحق بالخلافة من عثمان .

وشاركهم فى هذا التلقى ابناء الصحابة الذين استبعدوا من ديارهم وسكنوا مصر هربا من تجاوزات الولاة الأمويين الذين ملكوا رقاب الناس ايام عثمان ، كمحمد بن ابى بكر الذى استقبل الدعايه

---

(٢٥٧) راجع الفتنة الكبرى ، تاريخ الرسل والملوك للطبرى ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وايضا الكامل لابن الأثير وغيرها من كتب المورخين التى عنيت بالحديث عن المسألة .

السيئة الكاذبة استقبال الصدق بل اعلن ابن ابى بكر ان الله قد اباح دم عثمان ،

وكان هذا الإعلان فى وسط جيش غزوة ذات الصوارى ، وما فعل بن سعد بن أبى سرح سوى التشاتم مع ابن ابى بكر . ولو احسن صنعا لحبس ابن سبأ حتى يتوب إلى رشده أو يفئ إلى أمر الله ولكنه لم يفعل ، مما اتاح الفرصة لابن سبأ فى تصديق الناس له ، وازدياد نفوذه والتوسع فى دعوته الخبيثه .

[٨] جمع القران الكريم ، حيث عبأ خصوم عثمان العامة والاغرار بأن عثمان ابتدع وخالف ما كان عليه الرسول والصحابة والخليفة ابو بكر وعمر ، فقام بجمع القران الكريم فى مصحف واحد واحرق ما عداها من مصاحف مستقلا بمصحف سماه مصحف عثمان حتى يخلد اسمه مع القرآن ، ورغم انها فرية كاذبة فلم تجد من يقف لمروجيها ويستأصلهم ، بل كان العفو عنهم والتسامح ، ثم ما فعله عثمان كان باقرار اعلام الصحابة ، ولم ينسب مصحفا لنفسه لكنهم أخذوه به(٢٥٨) .

كل ما مر ذكره يعتبر من اسباب الثورة على الخليفة الحيى الذى جهز وحده جيش العسرة ، ولم يتمكن من الضرب على بنى امية أو التخلص من سيطرتهم على مجريات الأمور حتى يعود الحق لأصحابه ولا يجد أهل الشائعات سبيلا لقلب الأمة الاسلامية حتى نالوا منها هذا المنال .

---

(٢٥٨) مسألة جمع القرآن الكريم ، وتوحيد المصاحف على قراءة واحدة ، ماكانت كلها فى مرحلة واحدة ، وانما تمت فى مراحل ، وما صنعها بعد رسول الله فرد واحد . ولكنها تمت بموافقة كبار الصحابة وصغارهم من علماء الأمة وفقهائها ، وقد استشار عثمان فى كل ما فعل أهل العلم بالله . ولو كان غير ذلك ما صنعه هو ولا وافقوه هم . راجع المسالة فى كتب علوم القرآن والتفسير ، وأصول الفقه .

✧ ثانيا : استشهاده

سبق الحديث عن اسباب الثورة لكن كيف استشهد عثمان ﷺ ؟ ، هذا ما سوف نجيب عليه فى النقاط الآتية :

[١] بداية الأحداث وتطوراتها .

اجتمع الاشرار على الثورة ، ومكنوا لأنفسهم منها ، وقد عبأهم بها المعنيون بالثورة الكارهون للخلافة الطاعنون على عثمان وبنى اميةّ ، وبعض الاغرار الذين أُلقِىَ بهم فى ملقى السيل من غير ادراك للخطر أو التنبه اليه . وأصحاب القلوب التى اطفأت فرية ابن سبأ فيها جذوة الايمان ، واشعل فيها نار الحق والعدوان .

وفى موسم الحج ٣٦هـ اتفق الاشرار على الالتقاء فى المدينةّ بحجة اداء فريضة الحج ، وكانوا قد عزموا الأمر على التخلص من الخليفة وجاء الثوار من جهات ثلاث .

✧الأولى : من مصر : وكان عددهم يزيد على الألف تحت قيادة واحدة هو القائد المدرب على اعمال العنف والقتال الغافقى بن حرب العكى ، ومستشاره ابن سبأ . وقسموا هذا العدد إلى اربعة فرق لكل فرقة رئيس على ان تكون الرئاسة العامة والتوحيد القتالى للغافقى .

✧الثانية : من الكوفة ، وكان عددهم كعدد المصريين تقريبا وقائدهم العام هو عمرو بن الأصم وكان مشهورا بالعنف العسكرى والخروج على الانظمة لابعد حد ، وكان العدد مقسما إلى اربعة الويه تحت القيادة العامة ومع كل لواء رئيس ، وكلها تتبع القائد العام – عمرو بن الأصم – وتأتمر بأمره .

✧الثالثة : من البصرة وكان عددها يزيد عن عدد أى من المصرين أو الكوفه قليلا ، وتحت قيادة حرقوص بن زهير السعدى وكان هذا العدد منقسما إلى أربعة فرق على الناحية التنظيمية بحيث تقوم كل فرقة بدورها تحت قيادة عامة هى التى يتولاها حرقوص نفسه(٢٥٩) .

[ب] تقديم الطلبات :

وصلت هذه الفرق إلى المدينة تحت ستار الحج ، وعسكروا قريبا من منزل عثمان ﷺ ثم بدأوا فى الاعلان عن نواياهم فارسلوا للخليفة يطلبون عزله ويهددون بقتله ، ويقدمون اسبابا ظنوها تصل بهم إلى اغراضهم(٢٦٠) .

وقد وسع الخلاف وصول كتابين مزورين على كل من عثمان الخليفة وعلى بن ابى طالب ، أما كتاب على فقد زعم كاتبه ان عليا ارسله إلى كل من أهل مصر والكوفة ، والبصرة يستنجد بأهلها فى اعادة الحق لنصابه ، وتوليته الخلافة التى اغتصبها منه عثمان .

ورغم أن عليا انكر نسبة الكتاب اليه ، وانه مدسوس عليه . الا انهم لم يستجيبوا له ، بل اعتبره الثوار هروبا من على حتى لايكون فى مواجهة عثمان ، وما عُرف عن على مثل هذا ابدا ، لكن التعبئة اللاشعوريه كانت أوسع انتشارا ، وأكبر تأثيرا ، فلم يتمكن الامام علي كرم الله وجهه من اعادة القطيع الضال إلى الصواب أو الهمج الرعاع إلى حظيرة الحق(٢٦١) .

---

(٢٥٩) العقد الفريد جـ٤ – ص ٣٠٨ وما بعدها .

(٢٦٠) الاستاذ محمد فخر الدين – تاريخ الفتح الاسلامى جـ١ ص٣٩٢ وما بعدها .

(٢٦١) ولو كتبه على كرم الله وجهه لأعلنه ، ولكنه مدسوس عليه ، فما عرف على الا فى الحق .

واما الثانى المنسوب للخليفة عثمان ﷺ فمضمونه قائم على ان عثمان الخليفة أرسل لأمير مصر يطالبه بقتل محمد بن ابى بكر ، ومحمد بن ابى حذيفه وكل الثوار ، حتى تصفو منهم مصر ، وتخلو لعبدالله بن سعد بن ابى سرح يفعل بها ما يشاء[٢٦٢] .

ورغم أن هذه ليست أخلاق عثمان ، والكتاب ليس له ، وما عرف عن عثمان أنه أمر بمنكر ابدا ، ومع ذلك أقسم عثمان أنه ما كتب شيئا من هذا الكتاب ، ولا عَلِمه ولا أمر به ، وطلب اليهم أن يقيموا البينة أو يرتضوا اليمين الحاسمة ولكنهم أعلنوا أن عثمان نقض العهد والميثاق ، وبالتالى صار مستباح الدم ولا تنفع معه اليمين الحاسمة[٢٦٣] .

لم تفلح الوساطة بين الثوار والخليفة فى نزع فتيل المعركة ، ولا اطفاء نار الحرب ، وحينئذ ذهب عثمان إلى داره ، فاستشار الناس فيما يفعل مع هؤلاء ، وكان الرأى أن يطردوا من المدينة ، ويتم القبض عليهم ويقام عليهم حد الحرابة . لكن الرجل لم يفعل بل مال إلى النصح والعفو والصفح[٢٦٤].

وجد الثوار من الخليفة نوعا من التراخى عن مواجهتهم ، ولمسوا فيه الكثير من الصفح والعفو فأطمعهم ذلك فيه ، حتى إنهم ارادوا ادانته فتقدموا بمزاعمهم التى رد عليها على النحو الذى حضره الخصوم والجمهور واحتكم عثمان فيه لرأى الصحابة الأعلام ، وها هو مجملها وردوده عليها[٢٦٥].

---

(٢٦٢) رغم ان عبدالله بن سعد هذا كان اخا لعثمان فى الرضاع لكنه لم ينل القبول فى ولايته .

(٢٦٣) ورغم هذا الاعلان فلم تتحرك الأجهزة المسئولة بمعاقبة هولاء أو محاولة الوقوف فى وجه موائرتهم .

(٢٦٤) وهى طبيعة عثمان ﷺ .

(٢٦٥) راجع البداية والنهاية جـ٧ ص ١٧١ وكذلك تاريخ الرسل للطبرى جـ٤ ص ٣١٨ .

[جـ] الاتهامات والردود

• الأتهام الأول :

أنك أتممت الصلاة في السفر ، وكانت لا تتم قبلك في السفر بل يقع القصر وتلك بدعة والمبتدع مؤاخذ بما ابتدع .

• والجواب :

أني قَدِمت بلدا فيه أهلي فاقمت معهم وصرت منهم ، وهنا وجب الاتمام أَوَ كذلك فأجاب الحضور من الصحابة والتابعين والناس . بنعم .

• الأتهام الثاني :

انك حميت الحمى فاختصصت ارض المرعى الخصيب لإبلك

• والجواب :

أني والله ما حميت حمى الا لإبل الصدقة حتى لا يقع بين من يلي أمرها وبين أحد تنازع ، ومالي فيها شاة أو بعير ، وقد وليت عليكم وانا اكثر العرب مالا ، وفِرَاسا وبعيرا وشاء ، أما اليوم فليس لي شاة ولا بعير أو فرس غير بعيرين لحِجّي أوليس كذلك ؟ فاجابه الحاضرون نعم[٢٦٦].

• الاتهام الثالث :

---

(٢٦٦) وزع عثمان ماله في ورثته ، واستبقى منها ما يكفيه ومن يعول ، وكان البعيران مما استبقاه لأداء فريضة الحج احدهما للزاد ، والثاني للمركب .

جمعت القرآن الكريم وقد كان كتبا وجعلت المصحف حاملا لإسمك حتى ينسب اليك ، وتلك بدعة ما سبقك اليها أحد من الخليفتين .

- والجواب :

أن القرآن واحد جاء من عند الله الواحد ، وانما انا متبع ولست مبتدعا ، وما فعلت ذلك لهوى فى نفسى ، وانما باستشارة أكابر الصحابة ، وما أجمعت عليه الأمة أهل الفقه وحتى لا تقع الفتنة ، ثم ان المصحف الواحد ويجتمع الناس عليه خير من تعدد المصاحف وافتراق الناس عليها أوَ كذلك ؟ فأجاب الخصوم نعم(٢٦٧) .

- الاتهام الربع :

رددت الحَكَم بن أمية إلى المدينة وقد نفاه الرسول ﷺ إلى الطائف وما كان لك ان ترد منفيا ، أو توليه فى الولاية مكانا ، وكان يسمى طريد رسول الله(٢٦٨).

- والجواب :

أن الحَكَم مكى نفاه الرسول ﷺ إلى الطائف ثم عفا عنه ورده ، اذن رسول الله ﷺ هو الذى نفاه وهو الذى رده .أهو كذلك قالوا نعم .

---

(٢٦٧) راجع جمع القران الكريم فى مناهل العرفان فى علوم القرآن ، والاتقان ، والبرهان وغيرها من كتب علوم القرآن .

(٢٦٨) الملل والنحل جـ١ ص ٢٤١ .

ومن ثم فلا أكون انا الذى سَيّرت ولا أنا الذى رددت ، بل رسول الله ﷺ هو الذى سَيّر وهو الذى أعاد وما فعله الرسول ﷺ سنة تتبع .

• **الاتهام الخامس :**

استعملت الاحداث وتركت كبار الصحابة والتابعين ، والمعروف أن الحدث لا يتولى ادارة ولاية ما دام هناك أسن منه ، واعرف بشئون الخلافة ، ولولا قرابتك ما فعلت ، وكان عثمان قد استاثر ببنى عمه فولاهم ، وأمرهم بتقوى الله[٢٦٩]

• **والجواب :**

ان استعمال الاحداث مع ترك الأكبر لا يعنى أهماله ، ولست فى هذا مبتدعا ، فقد ولى رسول الله ﷺ اسامة بن زيد على كثير من اكابر الصحابة وكان أحدث منهم ، وقيل فى ذلك لرسول الله ﷺ أشد مما قيل لى فى استعمال اسامة بن زيد[٢٧٠] وكان أحدث من كثير من الصحابة والتابعين .

ثم انى لم استعمل الا مُجتَمِعا محتملا مرضيا ، وهؤلاء هم أهل عملهم فسلوهم عنه[٢٧١] ، وهؤلاء أهل بلدهم ، وهم الأقدر على اذارة شئون الولايات التى قاموا عليها ، فانا اذن متبع ، أهُوَ كذلك ؟ فأجابوا بنعم .

---

(٢٦٩) العلامة جلال الدين عبدالرحمن السيوطى – تاريخ الخلفاء ص ١٥٧ .

(٢٧٠) أجل ولىّ رسول الله ﷺ قيادة غزوة وقبض رسول الله فانفذ ابوبكر ما فعله رسول الله ﷺ .

(٢٧١) كان يقصد اثبات أن شكواهم من الولاة فى غير موضع ، ولو كانت صحيحة فهؤلاء الناس الذين فى ولاياتهم ولم يشتكوا منهم .

• **الاتهام السادس** :

أنك أعطيت عبدالله بن سعد بن ابى سرح من الفيء لأنه أخ لك فى الرضاعة وما كان له أن يأخذ منه .

• **والجواب** :

أنى نفلته خمس ما افاء الله عليه من الخمس ، فكان مائة الف ، ولست فى ذلك مبتدعا فقد نفل قبلى كل من أبى بكر وعمر ﷺ ، وقد زعم الجند أنهم يكرهون ما نفلته له فرددته عليهم وليس ذلك لهم . أكذلك هو ؟ قالوا نعم .

• **الاتهام السابع** :

انك تحب أهل بيتك وتعطيهم من مال بيت المسلمين ، ويجب ان تفرق بين عطائك من مالك ، وعطائك من مال المسلمين .

• **والجواب** :

أن حبى لأهل بيتى لم يجعلنى أميل معهم على جور ، بل أحمل الحقوق عليهم ، واكلفهم القيام بها دون تباطؤ منهم ، ولا تنازل عن حق لواحد عندهم ، وان كان عندكم غير ذلك فأقيموا عليه الدليل[٢٧٢] .

وأما اعطاؤهم فإنما اعطيهم من مالى وهذا مما أملك حرية التصرف فيه . فانا انما اعطيهم من مالى ولا استحل مال احد من المسلمين لنفسى ولا لأحد من الناس .

---

(٢٧٢) ليس عندهم دليل واحد ، انها مجرد شبهات وظنون .

ولقد كنت اعطى العطية الكبيرة زمان رسول الله ﷺ وزمان أبى بكر وعمر ﷺ وكانت كلها من صلب مالى وما كنت خليفة المسلمين بل كنت فى سن أصغر تأمر بالحرص والشح ولم أفعل بل كنت مّعطاء ، لا ممسكا ، ومن مالى لا مغتصبا مال أحد .

أما اليوم وقد تقدمت السن ، وفنى العمر ، ووزعت أموالى على أهلى وقرابتى بشرع الله وأنتم تعلمون ذلك كله عنى فتقولون على ما لم افعله أهو كذلك ؟ قالوا نعم .

- الاتهام الثامن :

أنك أعطيت الارض المفتوحة رجالا ، وحرمت آخرين ، فلم يتحقق العدل .

- والجواب :

ان هذه الأرض شاركهم فيها المهاجرون والانصار ايام فتحت ، فمن بقى بها وأقام فيها ، فهو اسوة باصحابها ، وواحد من أهلها ، أما من رجع إلى اهله ، ولم يقم بالبلاد المفتوحة ، فله شأن أخر .

ثم انى نظرت فيما يصبهم مما افاء الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت اليهم نصيبهم فهو فى ايديهم دونى[٢٧٣] .

---

(٢٧٣) العلامة الطبرى - تاريخ الرسل والملوك حـ٤ ص ٣٤٦ .

وبهذا الدفاع الهادىء اثبت الخليفة الحقيقة ، وكشف الباطل ، فانصرف الناس ، لكن عاد الثوار مرة اخرى وقد عزموا على حصار الخليفة وقتله .

[د] عملية الحصار :

تمكن الشر من نفوس الثوار ، وراح ابن سبأ[٢٧٤] يزيد المسألة اشتعالا ، ونبه الثوار إلى خطورة عودتهم إلى بلادهم ان هم صنعوها ، وأفهمهم ان عثمان ﷺ قد طلب المدد بجيوش معاويه وغيره ، وانهم سوف يقتلون الثوار عن آخرهم .

وأُلقى اليهم كتابا اشترك فيه مع غيره من المنافقين والحاقدين على الخلافة الاسلامية زاعما نسبته إلى عثمان . وفيه يأمر ولاته بقتل الثائرين وختمه بخاتم مزيف منسوب لعثمان رغم ان عثمان ﷺ لم يفعل ذلك أبدا ، ولا هو من خُلُقه .

أقترب الثوار بفرقهم كلها من دار عثمان ﷺ ثم اتخذوا العديد من الخطوات التى يكمل بعضها الآخر فى هذا الشأن حتى بلغوا الغاية .

- الخطوة الأولى : التلاحم مع دار عثمان واغلاق كافة الطرق المؤدية اليها حتى يكون عثمان ومن معه رهائن فان جاءت جيوش معاوية أو غيره من الخارج لدعم موقف الخليفة كانت الرهائن ومنهم الخليفة فى اليد فاما قتل يشمل الجميع وأما عفو ينال الجميع .

- الخطوة الثانية : خروج المنادين إلى طرقات المدينة يكبرون فى كل ناحية منها . وينادون

(٢٧٤) سنخصه بالحديث فهو مأساة فى تاريخ الفكر الاسلامى .

- من دخل داره فهو آمن .
- ومن كف يده فهو آمن .
- ومن ابتعد عن دار عثمان فهو آمن(٢٧٥) .

لقد فرضوا حظر التجوال على أهل المدينة المنورة ، حتى ايقين الناس ان معارك طاحنة سوف تدور ، فلزم الناس بيوتهم ، ثم أغلقوا ابوابها عليهم ، ضمانا للسلامة ، وكرها لما فعله بنوا أمية ، وخوفا مما يعقب تصرف الثوار .

- الخطوة الثالثة : منع عثمان من الخروج للصلاة بالمسلمين ، خوف أن يهرب منهم ، أو يستنصر عليهم بغيرهم ، مع أن ذلك عرض على عثمان ﷺ الهرب .لكنه يريد السلامة للناس ، ويخشى إن هرب من بينهم أن تشتعل المعارك فيما بينهم(٢٧٦) .
- الخطوة الرابعة : منع المياه التى يشرب منها عنه حتى يموت صبرا ، جوعا وعطشا ، وهو الذى تستحى منه الملائكة ، وصاحب القدم الراسخة ، وزوج بنتى رسول الله ﷺ ، والذى ما بخل بمال أو طعام أو ماء على مسلم ابدا(٢٧٧) .
- الخطوة الخامسة : منع الدخول اليه أو الخروج عنه ، حتى لا تخرج الاسرار من داره ، أو يتمكن من الاتصال بمن يساعده على الخروج من أزمته .

---

(٢٧٥) وهو من الخدع التى اصطنعها لهم ابن السوداء ابن سبأ قاتله الله .

(٢٧٦) وهل هناك مسلم يمنع مسلما من الصلاة الا ان يكون المانع من الأخسرين أعمالا .

(٢٧٧) وهل يقتل المسلم التقى الذى تستحى منه الملائكة صبرا .

وقد أمعن الثوار فى هذا الحصار ، وتعسفوا فى التشديد عليه من كل ناحية . ومع هذا فقد كان الخليفة الورع التقى يقف بالباب يعظهم ، وينصح لهم ، وربما صعد إلى السطح ينصح ويعظ ولكنهم لا يسمعون اليه ، لقد خلعوا الايمان من قلوبهم ، وما عاد لهم من مطلب الا دم الخليفة وهتك استار الخلافة ، وبئس ما طمعوا ، بل وبئس ما صنعوا[٢٧٨] .

- الخطوة السادسة : اشاع ابن سبأ أن الخليفة يستعدى على الثوار الأمراء وجيوشهم ، كما بعث للحُجَّاج والمعتمرين يطلب النجدة منهم ، وهنا افهمهم ابن سبأ ضرورة الاقتحام السريع للتخلص من الخليفة وبأقصى سرعة قبل أن تأتى النجدة ، ويكثر اهلها .

[هـ] عملية الاقتحام :

توقع الثوار قدوم نجدة للخليفة فعجّلوا بعملية الاقتحام متخذين الخطوات التالية :

- الخطوة الأولى : اشعال النيران فى ابواب دار عثمان ﷺوهنا ادرك من فى الدار ان حريقا سوف يلتهمهم فحاول كل منهم الفرار بعيدا عن الخليفة المسن الذى تجاوز الثمانين طلبا للنجاة[٢٧٩].

- الخطوة الثانيه : القفز فوق دار جار عثمان ، وبخاصة ان الدور لم تكن مرتفعة كما كان بيت عمرو بن حزم الانصارى المجاور لدار

---

(٢٧٨) لقد تحجرت قلوبهم وأمتلأت بالكفر مشاعرهم ، فما عاد لهم من نجوى الا الدم الذكى وسرعة القضاء عليه .

(٢٧٩) أو يحدث ارباك للخليفة فلا يتمكن من التصرف السريع .

عثمان ضعيفا يتمكن الثوار من التسور عليه والقفز فوقه ، ثم الدخول منه إلى داخل دار عثمان ﷺ ، وهو الذى صنعوا(٢٨٠) .

وقام بعملية التسور هذه مجموعة من الشبان بقيادة محمد بن ابى بكر ، الذى تمكن فعلا من الوصول إلى حيث كان يجلس الخليفة وهو يقرأ كتاب الله تعالى ، فى عصر يوم صيام ، قليلٌ طعامه ، قليل ماؤه فى سحوره(٢٨١) .

- الخطوة الثالثة : التلاحم بالسلاح من خارج الدار وقام بهذا الدور الكثيرون فاقتتلوا مع بعض بنى أمية الذين كانوا بداخل دار عثمان ﷺ وفعلا تمكنت الكثرة الثائرة من الأنتصار على القلة الذين فيهم بعض الجائرة(٢٨٢) .

وهكذا وقع الخليفة بين جهات ثلاث كلها تريد دمه الطهور . أحداها جهة المقاتلين من فوق داره وقد أجمعوا أمرهم عليه ، والثانية جهة المقاتلين من داخل داره وقد انتصروا على من ظنوا بانفسهم القدرة على حمايته ، أما الثالثة فهى جهة المقاتلين خارج الدار مستعدون للألتحام مع أى قادم يريد نجدة الخليفة .

[و] عملية القتل والاستشهاد :

يحكى المؤرخون أن أول من وصل إلى الخليفة كانت المجموعة التى صعدت فوق دار جاره ثم نزلت دار عثمان وكانت بقيادة محمد بن ابى

---

(٢٨٠) كانت الدور فى اغلبها صغيرة المبنى من حيث الارتفاع لكنها متسعه .

(٢٨١) فقد كان الخليفة التقى صائما وصلى العصر ، وما بقى الا المغرب حتى يتم صيام يومه .

(٢٨٢) من بنى اميه الذين كانوا سببا فى كل ما يحدث لعثمان ﷺ ، لكنهم هربوا خوفا من الثوار .

بكر الذى دخل على الشيخ العجوز فجذبه من لحيته ، ثم القى به على الأرض وجلس فوق صدره كاتما نفسه ، شاتما له قائلا له لأقتلنك(٢٨٣) .

فقال له عثمان ﷺ أن ابا بكر يكره أن تجلس منى هذا المجلس ، فتنحى محمد عن صدر الشيخ وأسلمه لغيره من الثائرين فلم يرحمه واحد منهم ، وتقدمت زوجه نائلة للدفاع عنه فألقت بنفسها فوق جسده المسكين ، لعلها تدفع عنه الضرب الذى لا يعرف صاحبه الرحمة ، وأى ضرب أنه الضرب بالسيف الذى صنعته العداوة ، وغذاه الحقد ، وسممته الكراهية .

لكن الثائرين تميزوا بتحجر القلوب فغمزها أحدهم بسيفه ،وأدخل أحدهم – قاتله الله – رمحه بين ثيابها يريد هتك عورتها ، وكشف سوأتها ، ثم قال ثالثهم لها كلاما قبيحا لم تسمعه اذن من قبل فاضطرت للأبتعاد عنه لتلم شملها ، وتجمع حول جسدها ثيابها(٢٨٤) .

هنا تقدم الشقى سودان بن حمران ليضرب الخليفة بالسيف على رأسه يريد قطعها ، فمدت نائلة يدها تتقى الشيخ بها مدافعة عنه ، فوقع السيف على اصابعها فبترها وطارت عنها أصابعها ، وضرب الشقى الشيخ بالسيف عدة مرات فى اجزاء من جسده الطيب ثم توالت الضربات من سودان والغافقى على الشيخ المسن الكريم ، الصابر الصائم الذى يقرأ كلام رب العالمين .

وفى ذات الوقت تقدم كلثوم بن نجيب من نائلة فنزع عنها ملاءتها ، وحاول كشف عورتها وقال لها كلاما فُحْشًا يسىء لمن يسمعه ، وما

---

(٢٨٣) ومهما يكن من أمر فما كان يجدر بابن ابى بكرا أن يصنع شيئا من هذا ، لولا حداثة السن والضرب على وتر المصالح الدنيويه .

(٢٨٤) فالمرأة المسلمة غيورة تهاب ربها ، وتخاف على نفسها .

ارعوى الشقى عن فعلته ، بل وما ابتعد حتى راح الدم الذكى تحتضنه الأرض وقد فرطت فيه النفوس وتستقبله الأرض بترابها ، بعد ان أهدرته الحماقة برجالها .

اما الغافقى بن حرب اللعين فقد كان يتوعد بسيفه عثمان ﷺ فلما وصله راح يضربه بسيفه فى اماكن متفرقة من جسده يقصد ايلامه قبل قتله ، وهنا توالت ضربات السيوف الأثمة على جسد الشيخ المسن الحيى الكبير , وما يزال ممسكا كتاب الله تعالى بيده يقرأ فيه .

وظلت القراءة من الشيخ قائمة والتشبث بالمصحف مستمرا بينما ظلت الضربات الفاجرات بالسيوف تتوالى عليه حتى طارت رأس الشيخ عن جسده وأختلط الدم الذكى بالكلام الالهى ، وكأن الله تعالى يقول لعثمان ضاقت بك صدور المخلوقات فوسعتك الكلمات الالهيات ، وراح الشيخ المسن الحيى نتيجة مؤامرة بنى أمية عليه ، وشاركهم فيها اصحاب الأفق الضيق ، والنفوس السوداء والقلوب المريضة ، والعقول البلهاء[٢٨٥].

لقد مزقوا جسم الشيخ المسن ولم يراعوا فيه حرمة صحبته للنبى محمد ﷺ ومصاهرته له حيث تزوج اثنتين من بناته ﷺ هما السيدة رقية ، والسيدة أم كلثوم ، ولم يرقبوا فيه منزلته فى الاسلام وخدماته فى الدفاع عنه والانفاق من ماله الخاص على فقراء المسلمين ، بجانب السبق اليه ، والهجرة فيه[٢٨٦] .

كما لم يراعوا حرمة الشهر الحرام ، ولم يخجلوا من العدوان على رجل مسالم تستحى منه الملائكة ، كف يده عن قتالهم ونهى اتباعه عن

(٢٨٥) تكاد النفس ان تنفطر على ما فعل بخليفة المسلمين ، من حفنة المتأمرين .

(٢٨٦) راجع عبقرية عثمان للأستاذ / عباس محمود العقاد .

مقتلتهم ، وخشى على دماء المسلمين وهو فى لحظات الحصار ، كما لم يفت من عزيمته تعرضه للموت على ايدى غلاظ الاكباد متحجرى القلوب .

فقد قتل شهيداً بغير ذنب جناه وكان صائما وقد رأى فى ليلته أنه كان صائما فاستقبله الرسول ﷺ وأفطره بيده الكريمة ، ومن ثم استيقظ فرحا واصبح صائما حتى اذا كان الثوار المغامرون ينقضون عليه يضربونه بسيوفهم فيستشهد وهو صائم وفى نفس الوقت يمتع نفسه ويتعبد بتلاوة القرآن الكريم[٢٨٧] .

أما طلباتهم التى قامت على أحد أمور ثلاثه : أما أن يعزل نفسه ، أو يسلم اليهم مروان بن الحكم ، أو يقتلوه فما هى الا من قبيل ذر التراب فى العيون ، أما الغرض الأصلى فكان قلب الخلافة واصابة كبدها فى قتل الخليفة ، ولما تحقق لهم ما ارادوا انطلقوا فرحين ، وكانوا جميعا أثمين .

● اثر استشهاد عثمان على علم الكلام

رأينا كيف انتهى أمر الخلافة فى عثمان ﷺ ، امتهانا وقتلا وتمزيقا ، حتى ان الخليفة الشهيد لم يتمكن أهله من دفنه الا بعد ايام ثلاثه من مقتله ، من ١٨ ذى الحجة حتى ٢١ ذى الحجة ، ودفن ليلا وفى السر . اما لماذا فلأن بعض الثوار انتزعت منهم الرحمة فى كل مظاهرها[٢٨٨]

---

(٢٨٧) الروايات فى هذا كثيره ، ولسنا نورخ ومن ثم فلن نعرض لها بكثير قول .

(٢٨٨) حبسوا عنه الماء وأهله رغم حاجتهم الشديدة اليه أياما حتى كاد يهلك عطشا .

وما كفاهم قتل الشيخ الكبير(٢٨٩) وانما ارادوا رجمه وهو فـى سريره الذى يحمل عليه الموتى للدفن(٢٩٠) .

حيـث جلسـوا علـى الطريـق حتـى اذا ذهـب بـه حـاملوه للدفـن رجموه(٢٩١) فأية مذلة بعد هذه للخلافة بل أى خروج سافر بعد هـذا على الخليفة ، فبعد قتله يحرم جسده من دفنه(٢٩٢) بل أى منصب للخلافة أو منزلة فى النفوس بعد هذا .

وقد وجدها بعض المستشرقين فرصة فى وصف دفـن عثمـان ﷺ الحيِيّ التقى النقى فذكر انه كان أقرب ما يكون شبها بدفن عـير فـى مذبلة(٢٩٣) يا سبحان الله ، أهكذا تكون النهاية لسيدنا عثمان فى حياته ، وفى دفنه ، وعلى يد من ينتسبون للاسلام ويتحدثون باسمـه ، كـأنهم وكلاء عنه ، أو نواب جاؤا للحديث باسمه وما هم فى الاسلام بشىء .

وما أكثر من ينتسبون للاسلام ، وهم اعـداء لـه ، يتحدثـون باسمـه ، ويتظاهرون بمظهره ، فربما اطال الواحد منهم لحيته وقصر الثوب ، وكبر العمامه ، والسّن فى القول ، وهو عدو عاقل يريد هدم الاسلام من داخله بعد غلبته من خارجه ، والله من ورائهم محيط .

---

(٢٨٩) قتلوه فى داره ، وفى وضح النهار ، دون أن يرتكب جريمه ، وفى نفس الوقت مزقوه طعنا بالسيوف الخسيسه الغادرة .

(٢٩٠) خشبة الميت

(٢٩١) والغريب ان من شجعوهم حسنوا لهم هذا الفعل الأثم بأنه قربى لله تعالى يثاب فاعلها .

(٢٩٢) يقال انه دفن فى بستان رجل من الأنصار يقال له كوكب وكان عثمان قد اشتراه منه ويقع شرقى بقيع الغرقد ويعرف بحش كوكب .

(٢٩٣) فلها وزن .. تاريخ الدوله العربيه ص ٥٠ ترجمة د/ محمد عبدالهادى ابوريده - منشأة الاسكندرية .

• لكن استشهاد عثمان ؓ ترك أثارا كثيرة كانت دوافع قوية فى انشاء علم الكلام وتطوره منها :

[١] تمزيق الامة الاسلاميه ، اذ براح كل يدعى أنه صاحب طريق النجاة فراح يأخذ من النصوص ما يظنه مؤديا به إلى غرضه ، وكانت الآيات القرانية والأحاديث النبوية هى الميدان الذى يقتبس منه أو يدعى نسبة الاقتباس اليه وتمزيق الأمة وافتراق الاراء مدعاة لنهايتها .

ثم الاختلاف فى فهم النصوص ، وتأويلها على وجه مقبول . أو فهمها على وجه غير مقبول ، ومثل هذه الحالات تدفع المسائل الكلامية دفعا وتسوق اليها سوقا. فالقاتل استحل الدم الذكى ، واعتبرها نوعا من مقاتلة اهل الباطل ، وبرر قتل عثمان ونظر إلى قاتليه كما ينظر إلى المؤمنين الذين حاولوا تخليص العقيدة وانقاذها بدعوى ان عثمان ارتكب خطأ فى حق الجماعة بتنصيبه أقاربه أمر الولايات وتقريبه من أُبعد وشُرّد على عهد رسول الله ، وعلى عهد ابى بكر وعمر ، فعثمان فى نظر هؤلاء لم يحكم بما انزل الله[٢٩٤] وما كان عثمان الا من أهل الجنة .

فقد ورد فى الأثر أن عثمان يدخل الجنة بغير حساب ، كما ورد أن رسول الله ﷺ صعد جبل حراء ذات مرة وكان معه ابوبكر وعمر وعثمان وعلى ﷺ ، وقد أعلم الله الرسول منزلة هؤلاء عنده ،

---

(٢٩٤) الدكتور محمد البهى – الجانب الالهى من التفكير الاسلامى جـ١ ص ٥٧ ، ٥٨ .

فخاطب الرسول حراء قائلا اسكن حراء . فما عليك الا نبى ، وصدّيق وشهيد(٢٩٥) .

والنبى هو سيدنا محمد ﷺ أما الصديق فهو ابو بكر ، وبقى الشهيد فكان سيدنا عمر الفاروق أول هؤلاء الثلاثة نيلا للشهادة على يد مجوسى لم يسجد لله سجدة .

ثم أعقبه عثمان التقى الذى نال الشهادة على يد خارجين عن الاسلام طامعين فى السلطة ، مرتضعين البان فكر ابن سبأ السوداء .

ثم كان الأمام على كرم الله وجهه الذى نال الشهادة على يد خارج عن الشرع معبأ بالعداوة على الخلافة والخليفة هو عبدالرحمن بن ملجم(٢٩٦) ، وهكذا تمزقت الوحدة الاسلامية .

[٢] الحكم على قاتل سيدنا عثمان ﷺ فمن ذاهب إلى .

[أ] أن قاتله مستحّل الدم كافر ، وذلك حكم شرعى قائم على أصل عقدى ، وظهر الجدل فيه واضحا حتى من انصار الثوار والفِرَق التى تبعتهم وبخاصة بعد الجريمة الشنعاء والفعلة النكراء ، فعثمان انعقدت له البيعة من المسلمين فهو حاكم شرعى ، ثم قد كان له شرف العمل فى خدمة الاسلام ونصرته فهو جندى أمين من جنوده الأوفياء ، فقتله يعتبر اعتداء منكرا ، لا على شخصيته مختارة فحسب ، بل على الجماعة الاسلامية كلها(٢٩٧) .

---

(٢٩٥) الدكتور عبدالفتاح شحاته - تاريخ الامة العربية جـ٢ ص ٩٧ .

(٢٩٦) راجع عبقرية على ، تاريخ الأمة العربية ، والفتنة الكبرى وغيرها من كتب الفرق التى عنيت بذكر هذا الجانب .

(٢٩٧) الدكتور / محمد البهى - الجانب الالهى من التفكير الاسلامى جـ١ ص ٥٨ .

[ب] أن قاتله متعمدا من غير استحلال للدم فاسق وليس كافرا . لأنه قصد تطبيق حكم شرعى وغاب عن فهمه انه وقع فى حَدِّ الحرابة الذى يجب تطبيقه عليه .

[جـ] أن قاتله من غير تعمد ولا استحلال يعذر بخطئه . ولكل وجهة حاول الدفاع عنها ، وظهرت الكلاميات فيها أخذا وردا ، حتى كثر القول ، وازداد الأمر ، وتفرق الناس ، وتمزقت الأمة ، وتحول ترفها المادى إلى جدل عقلى ، لا يقدم بل يؤخر ،ويهدم لا يبنى .

وفى تقديرى أن قتلة سيدنا عثمان ملعونون وهم فى النار خالدون ، وقد وصفهم شيخ الاسلام ابن تيمية بأنهم المفسدون فى الأرض من أوباش القبائل ، وأهل الفتن (٢٩٨) الظالمون الأثمون المجرمون ، وفى عذاب الله هم خالدون .

وقد وصف سعد بن أبى وقاص قتلة عثمان بأنهم ممن قال الله تعالى فيهم " قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بأيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا أياتى ورسلى هزوا(٢٩٩) .

ثم قال سعد ﷺ : اللهم أندمهم ثم خذهم ، وتكرر الدعاء عليهم من السلف والخلف ، حتى اقسم بعض أهل السلف بالله تعالى أنه ما مات أحد من قتلة عثمان ﷺ الا مقتولا(٣٠٠) والجزاء غالبا يكون من جنس العمل .

---

(٢٩٨) الامام ابن تيمية - منهاج السنة جـ٢ ص ١٨٧ .

(٢٩٩) سورة الكهف الآيات ١٠٣ / ١٠٦ .

(٣٠٠) البداية والنهاية جـ٢ ص ٢٠٧ . وما بعدها .

[٣] ظهور الفرق المنظمة التي تجادل في الدين ،

فبعد موت الخليفة قتلا ضعفت هيبة الدولة وراحت الرؤس الفارغة إلا من الفتنة والجدل تطل من كل مكان فما عاد سيف السلطان يخيف أحدا ، وارتد الناس كل إلى طبيعته ، فَمَنْ كان صالح العقيدة استمر واعتبر ما حدث من الأمور التي قد تتكرر ، وينصرف الامر فيها إلى اجراء الاحكام الشرعية ، وتكييف ما وقع طبقا للشرع .

أما صاحب العقيدة التي أقامها على حَرْفٍ ، فقد عاد سيرته الأولى من الكفر المبطن بالايمان المغلف بروح العدوان ، لأن عقيدته كانت قائمة على الخوف من سلطان الدولة الاسلامية وهيبة الخلافة ، ومنزلة الخليفة ، أمّا وقد تهاوى كل شيء فما بقي اذن من مركز يخيف وآية ذلك ما نقله الطبري قبل استشهاد عثمان ﷺ اذ يقول :

ان عثمان ﷺ وقف يخطب الناس على منبر رسول الله ﷺ فصاح به شرير اسمه جهجاه الغفاري قائلا يا عثمان جئناك بناقة هَرِمَةٍ مسنة ، وعليها عباءة رثة ، ومعنا قيد تغل به النوق فانزل من على المنبر ، حتى نلبسك تلك العباءة الرثة ، ونغلك بهذا القيد ثم نحملك على تلك الناقة الهرمة حتى نطرحك في جبل الدخان فتحرق .

فقال له عثمان قبحك الله ، وقبح ما جئت به . فقال جهجاه . قم ياطويل اللحية التي لا تستطيع الدفاع عنها ، وانزل من هذا المنبر والا فعلت بك ما تعجز عن دفعه وما لا قِبَلَ لك به ، ثم هجم على عثمان فأخذ عصا رسول الله ﷺ منه وكسرها على ركبته اليمنى دون مراعاة لشيء أو مراقبة لحرمة ، وقد كانت تلك العصا هي التي يخطب عليها رسول الله ﷺ وخطب عليها ابوبكر وعمر وعثمان

رضى الله تعالى عنه[301] فهل بعد ذلك جرأة على الدين ورجاله تكون اكبر من ذلك .

من ثم فلا نعجب بعد استشهاده أن يقوم هؤلاء وأولئك من كل حدب وصوب ، وملة ونحلة بالارتداد للخلف والعودة إلى دياناتهم القديمة ، وا لم يكن ذلك قد تم فى شكل علنى ، فهو قد تم بشىء من المراوغة ، وانتحال صفة الاسلام ومنذ قتل عثمان ﷺ ابتدأ الظهور العلنى للأحزاب التى تتحدث باسم الدين ، وتصدر فيه عن رأيها الخاص ، وقد طبق هذا فى أمر الأمام على وعائشة وفى قتال عائشة ومعاوية واتباع كل منهما لعلى وانصاره[302] .

يقول الامام محمد عبده : " حدث ما حدث فى عهد الخليفة الثالث ، وأفضى إلى قتله ، فهوى بتلك الأحداث ركن عظيم من هيكل الخلافة ، واصطدم الاسلام وأهله صدمة زحزحتهم عن الطريق التى استقاموا عليها ، وبقى القرآن قائما على صراطه[303] .

لأن الصدمة التى وقعت على الاسلام وأهله من الذين أحدثوا فيه فأثرت فيهم ولم تؤثر فى القرآن الكريم الذى كفل الله حفظه فبقى حجة عليهم[304] " ولكن بدأت الخلافات تدب فيهم ، ومعاول الهدم تنال منهم .

وبمقتل عثمان ﷺ انفتح باب للناس تعدوا به الحدود التى حدّها الدين فقد قتل الخليفة بدون حكم شرعى ، واشعر الأمر قلوب العامة

---

(301) ابن جرير الطبرى – تاريخ الرسل والملوك جـ4 ص 366 وما بعدها .

(302) الدكتور محمد البهى الجانب الالهى جـ1 ص 58 .

(303) الشيخ محمد عبده – رسالة التوحيد ص 10 .

(304) الشيخ محمد رشيد رضا – هامش رسالة التوحيد ص 10 .

أن شهوات تلاعبت بالعقول فى أنفس من لم يملك الايمان قلوبهم وغلب الغضب على كثير من الضالين فى دينهم ، وتغلب هؤلاء وأولئك على أهل الأصالة منهم فقضيت أمور على غير ما يحبون[٣٠٥] وكان ما كان مما يكرهون ، فإنا لله وانا اليه راجعون[٣٠٦] ، وأعلن عن نفسه حزب الخوارج الذى كان اعضاؤه هم القاتلون والمتمردون ، وعلى كل امام خارجون .

### ٣- استشهاد الخليفة الرابع : على بن أبى طالب كرم الله وجهه[٣٠٧]

ما كان يجول بخاطر احد أن تنتهى حياة الخليفة الرابع بمثل ما انتهت اليه ، من تصفية جسديه ، وخداع ، وتربص واصرار على القتل لكن ما كان قد تم ، والعزاء الوحيد أنهم وعدوا الجنة واشتد شوقهم اليها ، فقابلتهم بالاحضان والتحنان والحب والريحان[٣٠٨] .

بيد أنه ما ان شاع خبر استشهاد عثمان ﷺ الا وتطلع الثوار لتنصيب خليفة للبلاد لا يمت للأمويين بصلة . فقد وقعت فى نفوسهم المواقع السلبية ، وخافوا إن هم تركوا المدينة قبل تولية من يرتضون ، أن يغلب عليها غالب من الأمويين وعمالهم ويرتد الأمر كما كان ، بل ربما طاردوهم فى البلاد واقتصوا منهم لقتل عثمان بن عفان ﷺ .

---

(٣٠٥) الشيخ محمد عبده - رسالة التوحيد ص ١٠ .

(٣٠٦) الأثار المترتبة على استشهاد سيدنا عثمان فى علم الكلام كثيرة لكنا نوجز نظرا لضيق الوقت ، وقلة الجهد ، والله تعالى المعين .

(٣٠٧) ولد قبل البعثة المبارك بثلاث عشرة سنه وقتل شهيدا عام ٤٠هـ اذن مدة عمره كانت حوالى ثلاثة وستون عاما راجع ابن سعد الطبقات الكبرى جـ٣ ص ١٢ ، والاصابة لابن حجر لتعرف ميلاده ، وقصة اسلامه كرم الله وجهه ..

(٣٠٨) روى أن عثمان ﷺ رأى فى منامه رسول الله ﷺ فقال : يا عثمان " افطر عندنا فأصبح صائما " ، وقتل من يومه . راجع البداية والنهاية جـ٧/ ١٨١ .

من هنا اجمع الثوار القتلة أمرهم وتوجهوا نحو أكثر من جهة ، وفى النهاية تغلبت الأمور ، واعتدلت الموازين نحو الأمام على . فاجتمع عليه الناس والثوار فى المسجد ، وتمت مبايعة على كرم الله وجهه بالخلافة ، وما تفرقوا الا بعد ان تسلم عَلِىّ زمام الأمور التى بأيديهم بل لم يغادروا المدينة حتى يروا ماذا يصنع على(٣٠٩) .

فكر على فى استعمال ما تمكن منه من ملكات ، وراح ينظر كيف يرتب البيت من الداخل ، فأمامه مسائل كبيرة ومشكلات عويصة ، وقضايا لا حل لها الا عنده وحده ، من هذه القضايا .

[١] القصاص من قتلة عثمان ، وكيفية التعامل مع الدعوى الخبيثة التى ينشرها عبدالله بن سبأ اليهودى(٣١٠) .

[٢] النظر فى ولاة الأمصار الذين عينهم عثمان ﷺ ، لكنهم يتجاوزون .

[٣] تثبيت اركان الخلافة التى تصدعت بمقتل عثمان ﷺ.

[٤] استمرار الفتح الاسلامي للأقطار التى لم تفتح ، والمحافظة على التى فتحت حتى لا يتعرض أهلها للأرتداد عن الاسلام ، فتقع النكبة .

[٥] المحافظة على الحدود الطبيعية للدولة الاسلامية وكيفية القضاء على هؤلاء الثوار حتى لا تكون الخلافة مطمعا لمن بعدهم .

[٦] استمرار التقدم العسكرى والعلمى والاقتصادى مع الاضطراد المستمر فى الجانب الدينى .

[٧] مقاومة تيارات الانفصال عن الخلافة من معاوية وغيره .

---

(٣٠٩) وعلى هذا يكون الأمام على قد تولى الخلافة حقنا لدماء المسلمين .

(٣١٠) سألتفت لأبن سبأ بالحديث عن فتنته وضلالاته فيما سيأتى .

[٨] القضاء على رؤس الفتنة فى الدولة الاسلامية ، واجهاض محاولاتهم فى اعادتها إلى التناحر .

[٩] ترتيب طرق المحافظة على الدولة الاسلامية ، وعلاقتها بالدول الآخرى القائمة والمنهارة .

[١٠] محاولة توفير متطلبات الحياة المستجدة فى كل صورها للمسلمين فى كل مكان ، والضرب على ايدى اللصوص والسفاحين والغشاشين الذين بدأوا فى الظهور ، ومقاومة تيارات الانحراف ومظاهرها جميعا.

وهذه المشاكل العويصة بعضها يحتل مكان الأولوية ، وبعضها يمكن تأخيره حتى يحين وقته ، ويتمكن الخليفة الجديد من تطور الاداء فيه ، والقيام بأعلى المعدلات فى الجهاز الادارى للدولة الاسلامية .

لكن البعض حاول ارباك على فى مسائل ليست لها هذه الأولويه . مدعين أن قتلة عثمان يجب أن يُقتص منهم فى أول ولاية على ، وما درى هؤلاء أن عليا لن يهمل دم عثمان فذاك شرع الله ، لكنه ليس بمتمكن من القوم الآن ، بل انه لو حاول القصاص منهم لَقُتِل هو ايضا قبل ان تبدأ اجراءات التعرف على قتلة عثمان .

أولا : خوارج عثمان هم قتلة على :

عرفنا ان الثوار خرجوا على الوضع العام ، والقانون الشرعى الثابت ، من السمع للخليفة والطاعة لولى الأمر ، لقوله صلى الله عليه وسلم " اسمعوا واطيعوا وان ولى عليكم عبد كأن رأسه زبيبه[٣١١] " وادركنا أن هذا الخروج الأرعن ، والثورة المجنونه كان من أثارها ذبح الشهيد عثمان بن عفان ﷺ وقد كان هو الخليفة ،وهو ولى الأمر .

(٣١١) الحديث مشهور ، ويراجع رياض الصالحين باب طاعة اولى الأمر .

وعرفنا أن الخوارج فتحوا الباب للخروج على أى خليفة فيما بعد، متى لم ينل منهم الرضا ، ولم يفز لديهم بحب وأدركنا أن هؤلاء الخوارج فعلوا بعثمان مالم يفعل بكافر فى دولة الاسلام ، فما بالكم بالذى فعلوه مع عثمان ذى النورين(٣١٢) .

- كما تأكد لنا أن أثارهم المدمرة ، وثورتهم الماجنة على عثمان الخليفة لم تنته باستشهاده ، وانما امتدت اليه حتى بعد وفاته ، فهم قد فعلوا به الكثير ، ومما فعلوه .

[١] مثلوا بجثته رغم أن الرسول ﷺ قال : اياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور(٣١٣) .

[٢] قسوا فى دفنه ، ومواراة جسده التراب فلم يسمحوا بدفنه الا بعد ايام ثلاثة ، وتم فى ظلام الليل ، وليس فى وضح النهار ، مع أنه الخليفة ، فلم ينل حقه من الصلاة عليه(٣١٤) .

[٣] منعوا تشييع جنازته ، حتى انها حملت فى نوع من السرية ، وبشىء من الحيطة ، وبنفر قليل يمكنهم حمله إلى المقبرة ، وبتدخل شديد والحاح أكثر من الأمام على وجمع من الصحابة . مقابل العديد من الوعود الطيبه(٣١٥) .

---

(٣١٢) راجع القصة الحزينة والنهاية الآليمة فى الروض الانف للسهيلى ، والبداية والنهاية لابن كثير ، والفتنة الكبرى .

(٣١٣) يرويه أهل السير كثيرا ويستدلون به .

(٣١٤) رغم ان صلاة الجنازة حق له وواجب كفائى ، وتتم على كل مسلم فما بالكم بذى النورين .

(٣١٥) وهنا وصف فلها وزن عملية الدفن بانها كانت غير مناسبه للخليفة ومنزلته .

[٤] لم يدفن فى مقابر المسلمين بالبقيع ، وأبوا إلا أن يدفن فى مقبرة مجاورة لمقابر اليهود فى بستان كان عثمان ﷺ قد اشتراه من كوكب صاحبه والا لدفن فى أى مكان من الأرض .

[٥] قعدوا له والجثة فى الطريق للدفن وشيعوه بوابل من الشتائم ، ومظاهر الايذاء والتنكيل من رجم جسده بالحجارة ، وقذف مَحْمَلِه بأقذع العبارات ، وهى محمولة على الأعناق زيادة فى التنكيل ، والنكايه له ، ولبنى اميه معه ، ولكل من سيتولى أمر المسلمين فيما بعد(٣١٦) .

[٦] استحلوا ماله بعد ان استحلوا دمه ، حتى أفتى شيطانهم ، بأنه قد أُحِل لهم ماله ، كما أُحِل لهم دمه ، فانتهبوا ماله ، وقد كان صاحب مال كثير . جمعه من تجارته الحلال(٣١٧)

[٧] تسابقوا إلى انتهاب بيت المال حتى لا يسبقهم اليه سابق ، فانتهبوه عن آخره ، ودمروا كل شىء فيه رغم أنه ملك للمسلمين جميعا ، انه بيت الزكاة .

[٨] اعتداؤهم على حرمات المسلمين وأعراضهم بدءا من بيت الخليفة ، وحتى كل بيت يفكر أصحابه فى الخروج على ارادتهم ، أو خرق النظام الذى حاولوا أقامته بالفوضى والنهب والاستلاب (٣١٨) .

وفوق ذلك لم ينلهم شىء من عقاب أو تأديب حتى يرعوى غيرهم ، أو يخشى القيام بمثل ما قاموا ، وانما تركوا أحرارا يجنون ثمار فعلتهم

---

(٣١٦) كأنهم يعلنون العصيان ويقعدون للمخالفة متى ارادوا .

(٣١٧) مع أن الحديث الشريف كل المسلم على المسلم حرام ، ماله ، وعرضه ، ودمه .

(٣١٨) لقد حرصوا على التدمير بكل ما أمكنهم فقد كان غرضهم الخلافة والخليفة معا .

النكراء ، مما كان له أثار سلبية على المجتمع الاسلامى كله ، وكانت النكبة التى حلت بالمسلمين .

- وفى غمرة من تلك التجاوزات العديدة ، تمكن الثوار من قطع أمرهم ، وتولى على الخلافة[٣١٩] ، ثم أدبر الثوار عائدين ، وقد تركوا اثارا سلبية على المجتمع الاسلامى كله . منها .

[١] امكانية الخروج على أية خليفة طالما لم ينل أعجابهم .

[٢] استحلال دمه وماله وعرضه .

[٣] تعطيل الأحكام الشرعية .

[٤] التأكيد على أن قوة الخوارج أكبر من قوة الخليفة مهما كان .

[٥] عدم السمع والطاعة الا اذا تحققت الأغراض وتمت المنافع[٣٢٠]

وبالتالى فتح هؤلاء الخوارج الطريق للتصفية الجسدية ، واعتبروها قاعدة عامة ، كما فتحوا الباب للعاصين حتى يتربصوا بمال المسلمين أينما كان ، سواء كان لخليفة ، أو لبيت المال ، أو لأى فرد من أفراد المسلمين

كما فتحوا أبوابا عديدة للجدل والنقاش ، والقدْح والمدح ، ومن هنا أختلف معاويةْ مع الامام على حول خلافة المسلمين ، فبويع على لها ، وبايع آخرون معاوية كرها أو حبا ، وراح أصحاب الضمائر الخربة يغذون الخلافات حتى اشتعلت الحروب بينهما .

---

(٣١٩) ليس معناه أن الثوار هم الذين ولوا عليا رغما عن المسلمين فما كان برضاهـا ، وراجع تـاريخ الطبرى لترى القصة .

(٣٢٠) وكلما كانت الأغراض الدنيويه هى التى تحرك اصحابها فلا تنتظر السلامة .

وكانت موقعة الجمل ، وموقعة صفين ، ولو امتد الأمر بهما ربما لامتدت المواجهات الدموية ، التى راح ضحيتها العديد من الصحابة والتابعين ، ومن حملة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وكان كل يرى الحق فى جانبه ، ولو اصغى كل منهما إلى الآخر فربما حُقِنَت دماء ، وحُفِظت أموال[٣٢١] .

بيد ان الامام عليا كانت قيادة جيوشه مع من أُحبوه فى الظاهر ، وكادوا له فى العلن وبخاصة بعد مسألة التحكيم التى لجأ اليها المتحاربان . والتى انتهت لصالح معاوية بحنكة عمرو بن العاص السياسى المدرب ، واخفاق ابى موسى الأشعرى فى التعرف على طرائق التعامل مع الخصوم السياسيين[٣٢٢] .

ومن يدرى فربما لو استمرت المفاوضات لانتهت إلى طريق مسدود ، ولوقعت المسائل اسوأ مما وقعت ، ولكن الذى تعول عليه هو ان الخوارج الأولى على عثمان وضعوا قواعد فخرج جمع من المسلمين على الأمام على فى وقت كانت الحاجة اليهم شديدة .

ثانيا : مصرع الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه .

كثر الخوارج حتى ان الامام عليا كان يقاتل خوارج الشام ، ويلين لبعض خوارج الكوفة ، وهكذا صار الخوارج فى كل مكان حتى اذا كان موسم الحج ٣٩هـ اتفق ثلاثة من الخوارج على التخلص من الثلاثة المتنازعين فى وقت واحد ، لما تبين انه أمر ممكن حتى تفرغ الخلافة لمن بعدهم والثلاثة هم :

---

(٣٢١) راجع الوقعات التى تمت والحروب التى قامت بين على ومعاوية فى كتب السير ، وبخاصة ما يتعلق بسير الخلفاء الراشدين .

(٣٢٢) للسياسة شروط وظروف ، وضرار وتحتاج الخبرة والحنكة .

[١] الأمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه من بنى هاشم .

[٢] معاوية بن أبى سفيان من بنى أميه .

[٣] عمرو بن العاص(٣٢٣) الذى وقف لصالح معاوية .

- وقد اتفق الخوارج على أن يتولى ثلاثة منهم قتل الثلاثة الآخرين ، وسمحوا لكل واحد من الجناة بأختيار ضحيته ، فانتهى الأمر إلى أن .

[١] يقوم عبد الرحمن بن عمرو وكان من أهل مصر ، ومعروف باسم ابن ملجم المرارى حلفا ، فيتولى قتل الأمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

[٢] يقوم البرك بن عبدالله التميمى ، بقتل معاوية بن أبى سفيان .

[٣] يقوم عمرو بن بكر التميمى بقتل عمرو بن العاص .

وقد اتفق الخوارج الثلاثة الأشقياء على قتل المتخالفين فى الرأى ، وتعاهد الأشقياء على ان يتخلص كل واحد منهم من صاحبه قتلا أو يموت دونه ، فأخذ كل سيفه وشحذه ، وسممه ، وحددوا ساعة الصفر للقتل والعدوان بيوم ١٧ من رمضان ، حتى يكون نفس اليوم الذى بدأت فيه معركة بدر الكبرى ، بغرض أن يتم لهم النصر ويقتل كل منهم الذى تعاهد عليه(٣٢٤) ،

---

(٣٢٣) سافر الثلاثة الاشقياء لمواطن الضحايا الثلاثة بعد ان ادى الاشقياء العمرة فى رجب متصورين أن عملية القتل قربى إلى الله وهكذا يفعل الجاهل .

(٣٢٤) ظن الجهلاء أن هذا العمل يقرب من الله ويرضيه ، فقد ضل سعيهم ، وخاب مسعاهم .

وان يكون ذلك ساعة الخروج للصلاة ، اذ كانت عادة الخلفاء والولاة ايقاظ الناس فجرا ثم الصلاة بهم جماعة ، وانَّعِمْ بها من عادة ، وبئس من نكص(٣٢٥) .

فكلما كان الأمام مختلطا بالجماعة ، كان ذلك أيسر لحل الخلافات التي تظهر ، وكلما كان الخليفة هو الذى يقوم بصلاة الجماعة فى المسجد الأكبر كلما كان قريبا من نفوس القوم وأقرب اليهم ففيها محاسن كثيرة .

وأمّا حبسه عن الجماعة ، وتوكيل نائبه بالحديث عنه ، أو توكيل مدير مكتبه بالقيام بهذا الواجب ، فما أظنه الا قاطعا بين الخليفة والأمة برأيه وقد يخالف المذهب العام للدولة ، فتقع المآسى(٣٢٦) .

لقد اتفق الجناة الثلاثة على قتل المتخالفين ، وكان الأولى السير بينهم بالاصلاح بدل القتل ، والتعمير بدل التدمير ، لكن ضيق الأفق ، ربما صور لصاحبه الظلم حقا ، والقتل شريعة والأنتحار استشهاد! وكله ضلال مبين(٣٢٧)

**ثالثا كيف قتل الخليفة على بن أبى طالب كرم الله وجهه :**

ذهب ابن ملجم إلى الكوفة يترقب مواعيد الأمام على ، ويتعرف عليها ، ويحاول ضبط نفسه عليها ، والتدريب على كيفية قتل الشيخ من غير أن يناله سوء من اتباع الأمام على كرّم الله وجهه .

وبينما هو فى الكوفة حيث كان يقيم الأمام على كرم الله وجهه حينئذ وفى ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت منه عام ٤٠هجرية – وهى

(٣٢٥) ففتح الباب امام الرعية يخفف مشاكلهم وأحزانهم .

(٣٢٦) كالحال مع مروان بن الحكم وموقفه من عثمان ﷺ .

(٣٢٧) والا مثله على ذلك كثيرة ، وتاريخ الأسلام مليء بتلك المآسى .

الليلة المتفق عليها بين الأشقياء الثلاثة لقتل المتنازعين الثلاثة ، حتى يتم القتل فى وقت واحد – جاء ابن ملجم ومعه شقيان استمالهما ، ومعهم سيوف يخبئونها فى طيات ملابسهم ، وهم مدربون على استخدامها فتوضئوا وضوءهم للصلاة وتعاهدوا ثم جلسوا فى مقابل السدة التى يخرج منها الأمام على يَنْهَضُ الناس للصلاة(٣٢٨) .

وظلوا مترقبين حتى خرج الأمام على كرم الله وجهه من نفس المكان المعتاد ، والذى راقبوه جيدا فما ان خرج وراح ينادى الناس الصلاةَ ، الصلاةَ ، الصلاةَ ، فقام اليه شبيب – أحد الثلاثة المكلفين بقتله – وظن الأمام ان الرجل يريد سؤاله أمرا ، أو يفتيه فتوى . فاذا بالشقى يضرب التقى بسيفه فيقع الأمام عَلِىٌّ كرم الله وجهه عَلَىَ الجدار(٣٢٩) .

يأتى ابن ملجم بالسيف مسرعًا ثم يضرب الأمام على قرنه فسال دمه الطاهر الشريف على لحيته ، وحين ضربه ابن ملجم كان يردد ابن ملجم لا حكم الا لله ، ليس لك يا على ، ولا لاصحابك . ثم قرأ قوله تعالى : " ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد "

وكان ابن ملجم كاذبا فقد كان يريد افهام الامام على ان هذا القتل تنفيذ لتعاليم الله ، وان القاتل لا يخشى الموت لأنه باع نفسه لله ، وفى نفس الوقت كانه يبلغ رسالة للأمام عَلِى بأنه ظَلَم فاستحق القتل ، وهكذا فعل الشقى فعلته ظانا أنه يفعل حسنا ، وأنه سيهرب بها ، او يموت فيلقى الشهادة .

(٣٢٨) تلك عادة كانت حسنة ، ومهمة كبرى .

(٣٢٩) ما كان يتوقع مثل هذا ، فلما فوجىء بها حاول تدارك الضربة ، فعلى هو البطل المغوار ، لكنه سقط على الجدار .

نادى عَلِىٌّ فى الناس وقد سال دمه " لا يفوتنكم الرجل ، وحاول الثلاثة الهرب من المسجد رافعين سيوفهم بقصد اخافة الناس ، حتى يتمكنوا من الهرب جميعا . لكن وَرَدَ انّ ادركه رجل من حضرموت فقتله بسيفه(٣٣٠) .

وأما ابن ملجم فتم القبض عليه ، وأما الثالث وهو شبيب فقد هرب أثناء القبض على ابن ملجم ، وانشغال الناس عنه ، وكان قد القى سيفه وغيّر ملامحه واختلط بالناس فنجا من القبض والقتل ، وتذكر الروايات ان ابنه قتله ، أو أن زوجته هى التى قتلته فيما بعد(٣٣١) .

- وجيء بأبن ملجم للأمام عَلَىّ فعرفه ، ودار بينهما هذا الحوار :
- الأمام على : لماذا فعلت ذلك قبّحك الله يا عدو الله ، ألم أحسن اليك ؟ وكان على كثير الاحسان لابن ملجم .
- ابن ملجم الشقى : بلى أحسنت إلى ، وأكرمتنى .
- الأمام على : اذن فما الذى حملك على ارتكاب هذا الاثم ؟
- ابن ملجم الشقى : شحذت سيفى اربعين صباحا ، وسألت الله ان يقتل به شر خلقه فكنت أنت ، ولو لم تكن اشرهم ما وقع القتل عليك .
- الأمام على : يا عدو الله لا أراك الا من شر خلق الله ولا أراك الا مقتولا به .

---

(٣٣٠) وكانت عادتهم فى القتل تقوم على سرعة الاختفاء والاندماج فى الناس بعد عملية العدوان نفسها ، وما تزال هذه الجماعات تقوم بفعلتها حتى يومنا هذا . اضرب واجرى ثم اختفى .

(٣٣١) الروايات فى ذلك متعدده ، وربما لم تبلغ الصحة فيها كلها ، لكن فيها بعض الصدق .

ثم التفت الأمام على إلى مَنْ حوله وقال لهم : " أن أنا مت فاقتلوه ضربة بضربة ، وقتل بقصاص ولا تمثلوا به فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " اياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور " فلا تمثلوا به . أما ان بقيت ومد الله في عمرى رأيت فيه رأى الشرع[٣٣٢] .

لكن لم تطل الحياة بالأمام علي البطل فقدبقي بعد الأعتداء عليه يومان وليلة بينهما ثم مات في ليلة اليوم الثاني في العشرين من رمضان ٤٠هـ ودفن ﷺ عند مسجد الجماعة بقصر الامارة في الكوفة ، وأخفى قبره حتى لا ينبشه الخوارج[٣٣٣] .

وهكذا كانت نهاية الخليفة الرابع الراشد أكبر الشجعان جرأة ، وأكثرهم أقداما ، وأصغرهم سنا ، واغزرهم علما بالدين ، وازهدهم في الدنيا وزينتها ابن عم رسول الله ﷺ وزوج الزهراء ، وباستشهاده كرم الله وجهه انتهت الخلافة الاسلامية ، خلافة النبوة الراشدة ، وحلت محلها دولة ومُلْكٌ عضوض فانفتحت ابواب الشر على الأمة الاسلامية خلا فترة حكم عمر بن عبدالعزيز ﷺ ، لكن بدايات الشر احاطت فعلا بالامة الاسلامية .

أما ابن ملجم فبعد استشهاد الخليفة وصعود روحه إلى بارئها جيء به للقصاص منه فحاول اصطناع حيلة للهرب ، فذكر للحسن بن على أنه وَفِيٌّ العهد ، وان الحَسَن لو تركه فسوف يقتل معاوية كما يقتل عمرو بن العاص وفاء للعهد الذى قطعه على نفسه ثم يعود للحَسَن فيفعل به الحَسَنُ ما يراه ، وأدرك الحَسَنُ الحيلة ، فلم يقبلها ، وقتله قصاصا للأمام على ،

---

(٣٣٢) لأن عليا من أهل الفتيا ، وهو يعلم حكم الشرع ، فان مات الأمام على فالقصاص قائم ، وان شفاه الله فعلى المعتدى تحمل ما جناه .

(٣٣٣) الخوارج كان لهم سلطان وسطوى ، وكانوا يفعلون ما يشاؤن بعد قتل عمر بن الخطاب ﷺ ، وازداد بعد قتل عثمان ، ثم صاروا كالنار تشتعل في أي مكان . بعد استشهاد علي ايضا .

ولكن الناس الثائرين أخذوا ابن ملجم فاشعلوا النار فيه حتى احرق تماما[٣٣٤] .

أما معاوية فالضربة التي وقعت له لم تكن قاتلة وقُبض على الضارب فقتل ، وأما عمرو بن العاص فأصابته علة في بطنه فلم يخرج للصلاة فى ذلك اليوم ، ولما ضرب معاوية اعترف ضاربه على صاحبه ، ولو لم يعترف عليه فربما اختفي الرجل حتى ينال عمرو ابن العاص . ولكنها الأقدار . والقضاء المحتوم الذي لا حيلة للمرء أمامه ، فإنا لله وانا اليه راجعون[٣٣٥] .

## رابعاً: أثر استشهاد الأمام على فى علم الكلام .

ذكرنا استشهاد الأمام علي ، وكيف كان جرحا غائرا فى النفس المسمة ، اذ جرت تلك سُنَّة على الخلفاء بعد الصديق ، فكلهم كانت حياته الحافلة بالجهاد تنتهي بالاستشهاد على يد مجوسى عابد للنار كالحال مع الفاروق ،

أو على يد أغرار تمكن منهم الفجار ، كما حدث لسيدنا عثمان على يد قاتليه ، سودان بن حمران ، وكلثوم بن تجيب والغافقى بن حرب ...[٣٣٦] .

---

[٣٣٤] وهو حكم العامة ، فعلى كرم الله وجهه نهى عن المثلة ، ولكن العامة بدل ان يدفنوه حرقوه .

[٣٣٥] للمزيد من من الاستفاضة يمكن مراجعة كل من ١- الكامل لابن الاثير جـ٣ ص ١٩٦ / ٢٠٠ ٢- تاريخ الرسل للطبرى جـ٥ / ١٤٣ ٣- ابن كثير البداية والنهاية جـ١ ص ٣٢٥ - ٣٤٥

[٣٣٦] د. منور عبدالفتاح على شحاته - تاريخ الأمة العربية - دراسات فى عصر الخلفاء الراشدين جـ٢ص٩٥ .

أو كانت على يد منافق أحمق فيه رعونة كالحال مع الأمام على كرم الله وجهه الذى كانت نهايته على يد الاشقياء الثلاثة : عبدالرحمن بن ملجم ، وردان ، شبيب ، الا ان الأمر لم ينته بالاستشهاد ، وانما ابتدأ به ، ولذا كانت لأستشهاد الأمام على كرم الله وجهه آثار عديدة على علم الكلام نذكر منها :

[١] ضعف سلطان الدين فى النفوس ، مما مهد للبحث فى كثير من القضايا العقدية على النحو الذى يتمكن منه صاحبه . وبخاصة أن سلطان الدنيا كان قد غلب على أمور حياتهم .

[٢] كثرة الخوارج على الأمامة وسلطان الخلافة ، بل وسعى بعضهم لضرب الخليفة والخلافة معا ، مما مكن من التجادل العلنى ، والاشتباك الكلامى ، فى كافة ميادين الحياة ، وفى كل مواطن البحث العلمى ، وادخال ذلك كله إلى ميدان العمل داخل النص نفسه ، ومحاولة كل فهمه بما يتناسب معه لا بما يجرى فى روح النص ، وما يأمر به .

[٣] انتشار أوجه الشر فى أغلب أماكن الخلافة الاسلامية ، وقد ذكر ابن كثير أن الأمام عليا حينما سأله الناس من يخلفنا إنّ أنت ذهبت عنا بالوفاة قال لهم الأمام على " اترككم كما ترككم الرسول ، فإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيِّركم ، كما جمعكم على خيِّركم بعد رسول الله e (٣٣٧) .

وألمح الطبرى إلى انتشار أوجه الفساد بعد استشهاد الأمام على ، ودلل على ذلك بأن اصحاب الأمام على طلبوا اليه أن يستخلف

(٣٣٧) العلامة ابن كثير البداية والنهاية جـ٨ – ص ١٤ .

فقال اترككم كما ترككم رسول الله ، قالوا : فماذا تقول لربك اذا لقيته ، وقد تركتنا هملا ؟

قال الأمام على أقول : اللهم استخلفتني فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتني وتركتك فيهم ، فان شئت اصلحتهم ، وان شئت أفسدتهم[٣٣٨] وبالتالي فقد وقع الشر عليهم بفعلهم الذى استحسنوه ، وباطلهم الذى زينه لهم الشيطان حقا .

[٤] كثرة المشتغلين بالأقوال بدل الأفعال ، وبخاصة بعد ازدياد الأنفاق من بيت المال علي هؤلاء وأولئك ، فظهرت طبقة مالهم من العلم فى شيء ، ولا لهم من الوقت الطويل الضائع ما يقضونه فيما يفيد ، ثم شغلوا انفسهم ببحث قضايا العقيدة بلون من الترف العقلي ، ومن غير القيام علي اصول ثابتة أو قواعد صحيحه .

[٥] انفتاح ابواب القدح للعلماء والصالحين ، بعد الذبح للخلفاء الراشدين ، وانتهاك قواعد الأمن بعد انتهاك قواعد الايمان ، والطعن علي اصول الدين ، بعد طعن حماة العقيدة والدين ،

وبهذا انطلقت الأنفس القلقة تجادل في الدين ، وتبذل كل مساعيها في المتشابه ، وتعيد القول فى المحكم ، وتهاجم النصوص الدينية متخذة ثقافات الآخرين من فرس وروم ، ونصارى ويهود اساسا لها ، جاعلة ثقافتهم اسسا ينطلقون منها . وكانت لهذه الآثار نتائج سلبية مدمرة علي كافة مناحي الفكر الأسلامي ، وبأوسع نطاق وهناك عوامل كثيرة لنشأة علم الكلام غير ما ذكرنا وسوف نوليها بعض العناية في وقت آخر ان شاء الله تعالى .

(٣٣٨) تاريخ الملوك - جـ٣ ص ٢٤ ، والبداية والنهاية جـ٧ ص٣٢٣ .

# ﴿ المبحث الثامن ﴾

## فتنة ابن سبأ

- ## فتنة ابن سبأ

ذكرنا من اسباب نشأة علم الكلام ، النقل المنزل ، واستشهاد الخلفاء الثلاثة ، وها نحن اولاء نتعرض لفتنة ابن سبأ اليهودى الذى كان له خطره على الخلافة الاسلامية ، كما كان له ضرره على العقيدة الاسلامية ايضا .

- ### فمن هو ؟

تذكر المصادر التاريخيه أن اسمه عبدالله بن سبأ وكان من أهل صنعاء ، وابوه أحد اليهود النازحين اليها وقد استقر ابوه فى صنعاء حتى عُدَّ من اهلها ، أما امه فكانت أَمَةً حبشية الأصل سوداء البشرة ، وقد ولدت لزوجها عبدالله هذا[1] .

وكان العرب ينسبونه إلى امه أُحيانا فيقولون عبدالله بن السوداء ، وقد ارتضع عبدالله البان الدهاء اليهودى والخسة والخداع ، وعرف النفاق من كافة نواحيه ، وقد تهيأت له الاسباب فاطلع على التوراة السياسية لليهود وأحكم اجادتها ، بل كان خبيرا بتنفيذ تعليماتها[2] .

ولما رأى ابن السوداء الاسلام تظهر دولته ، وتعلو رايته ، وتزول الوثنية ، وتنتهى اليهودية ، ولا يبقى بين الخلائق الا روح الاسلام الحنيف ، قرر اليهودى اظهار الاسلام ، وكان ذلك فى ولاية سيدنا عثمان بن عفان ﷺ ، وباظهاره الاسلام ، سقطت عنه الجزية وصار حر الحركة ينتقل فى الأقطار الاسلامية كيف يشاء[3] .

---

(١) وقد حمل الصغير سواد امه ، وخبث ابيه منذ طفولته .

(٢) وكان قد تدرب عليها اثناء وجوده بصنعاء وبخاصة على ايدى اليهود المخضرمين .

(٣) وكان كثير من الذمة قد دخلوا الاسلام لهذا الغرض فلما ضعفت هيبة الدولة الاسلامية عادوا إلى ما كانوا عليه قائمين وحاربهم ابوبكر الصديق ﷺ.فيما عرف بحرب الردة .

- **رحلاته لنشر فتنتة**

[١] في الحجاز :

وقد ظهر اليهودى ابن السوداء فى الحجاز عام ٢٩ للهجرة ، وراح يبث سمومه فيها ، لكن على استحياء ، وفى شىء من السرية ، مستغلا تجاوز بعض ولاة عثمان من بنى امية ، ورغبة الناس فى ان يتولى الخلافة على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، لكنه لم يجد من الناس فى الحجاز الاذن التى تسمع لمزاعمه ، أو تستجيب لمشاعره الذميمة(٤)

[٢] في البصرة :

وفى عام ٣٠ للهجرة نزل البصرة آملا ان يجد اناسا مختلفين عن أهل الحجازيستميلهم لدعوته ، ويجد فيهم رغبة لقبول مزاعمه وترديد شهوته ، مستغلا سابق علمه ببعض التوراة ، مدعيا انها من عند الله ، مطمئنا إلى ان العرب فيهم طبيعة الاحترام للدين ورغبتهم القوية فى عدم التعرض لأهله بشىء مما يشين(٥) .

لكن اخباره الكذوب ، ودعواه الباطلة ، قد استخف بها الناس حينا فلم يقفوا لها ، فتناقلها الضّعاف وصارت تتردد فى أماكن كثيرة من البصرة بل بدأت تنتقل إلى دار الإمارة ، فاستدعاه أمير البصرة عبدالله بن عامر وناقشه فيما بلغه عنه ، فاجابه ابن السوداء بانه مكتوب فى التوراة انه كان لله الف نبى ولكل نبى الف وصى وبالتالى فان الامام على هو وصى محمد النبى(٦) .

---

(٤) لأنهم كانوا أقرب عهدا بانوار النبوة ، وعدل الخلافة ، فلم يستمعوا له ، بل اعتبروها ذميمة .

(٥) كان العرب يحترمون اهل الكتاب ، فاذا اسلم الواحد منهم زادوا فى العناية به والأحترام له .

(٦) وتلك دعوى كاذبة ولكنها وجدت رواجا لدى بعض الشيعة .

ادرك ابن عامر خبث الدعوة ، وسوء نية صاحبها فطرده من البصرة فى نفس العام ، لكن كانت دعوته الخبيثة قد لمست فى محبى آل البيت وترا حساسا ، ودارت بهم الظنون ، وبدأت التساؤلات تجوس خلال ديار افكارهم وكانوا يقولون لماذ لم يكن على هو الخليفة بدل عثمان ، وبخاصة ان هؤلاء لم يكونوا قد حضروا مراسيم تسليم الخلافة ، فظنوا ان عليا بايع مكرها ، وانه يجب ان يكره عثمان على ترك الخلافة حتى تعود لصاحبها الأصلى وهو الأمام على بن ابى طالب[7] فما أخذ بالقوة لايرد الا بها .

[٣] فى الكوفة :

نزل ابن السوداء إلى الكوفة قادما من البصرة ، وقد افهم مَنْ حواليه أنه مضطهد لحبه عليا وآل بيته . وحبه الحق وبغضه الباطل وما اكثر مَنْ يدعى هذا البطلان فتعاطف معه البعض ظنا منهم طلبه الحق الذى نهى عنه ولاة عثمان ﷺ [8] .

وفى الكوفة راح ابن سبا ينفث سمومه ، وكان قد اتفق مع جماعة على ان يَحْمِلهم بماله ، على ان يكونوا شيعته يرددون مزاعمه ، ويتناقلون شهواته ، ويتذاكرونها على انها من التوراة التى انزلها الله تعالى على موسى الكليم[9] .

ورغم انها ليست من التوراة ، وما هى الا ظنون واوهام ، لكنها وجدت من بعض المغافيل كثيرا من القبول حتى صاروا يتناقلونها وتسرى

(٧) من وجهة نظر دعواه الخبيثة والا فان ما تم فى الصحابة كا دليلا على انها بيعة لعثمان .

(٨) وما أكثر الدعوات الباطلة التى يعمل اصحابها على الباسها ثوب الحق .

(٩) وقد غاب عنهم الحديث الشريف : لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا أمنا بما انزل الله الينا ، لكنهم صدقوه لما اظهره من اسلام .

فيما بينهم سريان النار فى الحطيم ،بل ادعى بعضهم انه طالعها بنفسه فى اوراق التوراة ،

وما طالع شيئا بل اثبتت الدراسات ان هؤلاء الدعاة الجدد اتباع ابن سبأ ما كانوا يعرفون القراءة اصلا . فكيف تسنى لهم قراءة التوراة المدونة بالعبرية[١٠] وهم يجهلون القراءة العربية التى هى لغتهم الأصلية .

ادرك والى الكوفة سعيد بن العاص الخطر الذى يكمن فى ابن سبأ وشيعته ، كما تأكد له ان ابن سبأ ما هو الا داعية سوء ، ونذير شؤم ، فاستدعاه سعيد بن العاص ، وسأله فى كل ما نسب اليه ، فلم يجد ابن السوداء بدا من الاعتراف بها ، بل واكد انه اذا كان النبى محمدا هو خاتم الانبياء فأن عليا هو خاتم الاوصياء ، ومن حق الوصى ان ينهض للخلافة[١١].

وهنا تشاور امير الكوفة فى امر ابن سبأ مع اهل الحل والعقد ، فأنتهى امرهم إلى اخراجه من البلاد خوف ضرره ، وخشية التصديق بما يذكره ، وخيفة ان تجد هذه المزاعم فى بعض الصدور مكانا ، فتنزل منها منزلا ، ومن ثم اخرجه سعيد بن العاص من البصرة[١٢].

وجد ابن سبأ نفسه فى رحلة تجوال ، وبخاصة أن بعض الجمعيات السرية كانت تمده بالمال الذى ينفق منه على نفسه واتباعه ، كما ان أى امير اذا اراد ترحيله كان يكفل له بعض النفقات ، ويدفع له بعض الأموال ترضية له ، وتسهيلا لخروجه من الأمارة وترحيله ، مما أطمعه فى الخلافة

---

(١٠) والمعروف ان التوراة كتبت فى العهود اليهودية بالعبرية الاصلية ، المأخوذة من العبرانية ، وقد حدثت تطورات كثيرة فى كتابتها و لم يكن العرب يعرفونها ، فكيف يدعى قراءتها ، وفاقد الشئ لا يعطيه .

(١١) فأذا نام عنها اهلها فقد خسروا جميعا ، وحق عليهم الطرد ، وكثير من هذا زعمه لهم ابن السوداء .

(١٢) وليته ما اخرجه ، ولو انفذ فيه التعزيز جلدا لسب الخلافة ، او لحبس للوقوع فى الصحابة لكفاه واقلع .

كلها ، وفى ولاة الامارات على اختلاف انواعهم[١٣] ما عدا معاوية بن أبى سفيان فقد كان شديد البأس ، وخشى منه على نفسه ابن سبأ .

[٤] في الشام :

نزل ابن سبأ بعد الكوفة إلى الشام ، فرأى من اهلها رغبة فى الزهد والتقشف والورع ، والاقبال على الاخرة فاصطنع لهم اثارا يحدثهم بها عنها ، وهى موضوعه كلها ، وقد نسبها إلى التوراة كما زعم وجودها بالصحف الأولى ، وقد لاقت دعوته فى الشام بعض النجاحات المحدودة[١٤] .

وكانت هذه السموم قد وجدت لها فى الشام ارضا خصبة ، ووافقت هوى فى صدور بعض اصحابها ، ثم اضاف اليها من عنده ما يتعلق بآل البيت والخلافةالتى يجب أن تؤول إلى الامام على وقد أخذت منه ظلما ، وراح ابن السوداء يجهز بهذه الاراء كلما تمكن إلى ذلك من سبيل[١٥] .

وقد وافقت دعوته للزهد والتقشف وجود بعض الاحوال فى الشام كان اصحابها فقراء ، وفيهم الرغبة للزهدفاعتنقوها بحسن نية[١٦] وبدأوا فى التعامل معه على انها دعوة للروحية والتعلق بالاخرة ، والاقبال عليها ، ثم استدرجهم للحديث عن الامامة والطعن فى الخلافة ، والزعم بأن لله

---

(١٣) لأنهم سلكو معه مسلك التغريب لا مسلك التعذيب وليتهم انفذوا فيه الثاني ، ولو فعلوا لارتدع .

(١٤) اذ كانت سطوة معاوية مؤثرة وقبضته قوية . والناس بالسلطان يزعون .

(١٥) وبخاصة اذا وجد فى الحاضرين أغرار يجمعهم حب آل البيت فقط دون حصافة فى التفكير .

(١٦) حسن النية لا يكفى فى التعامل مع امثال ابن سبأ ، ولو ترك له أمره لاشعل النار فى كل مكان .

دارا فى السماء السابعة لم يصلها رسول ولا نبى ، ولكنها خصصت للأمام على[١٧] .

بل ذهب ابن سبأ إلى تحريض بعض الصحابة الذين فى الشام مستغلا فيهم التقوى والايمان الصادق ، فقابل أباذر الغفارى رحمه الله وقال له : يا اباذر الا تعجب من معاوية والى الخليفة حيث يقول :

المال مال الله ، الاإن كل شيء لله ، كأن معاوية يريد أن يحتجز المال له دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين ، فانهض لمعاوية وحدثه فى الأمر وأغلظ عليه القول ولا تخبره خبرى .

وفعلا جاء ابوذر بحسن نية إلى معاوية فقال ابوذر لمعاوية ما يدعوك إلى ان تسمى مال المسلمين مال الله ؟ وما هو الا مال المسلمين .

قال معاوية : يا اباذر يرحمك الله ، ألسنا نحن عباد الله والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره .

فقال ابوذر فلا تقله أنت على مال المسلمين .

قال معاوية – وقد ادرك ان الرجل الطيب مدفوع من خارجه – فانى لا أقول أنه ليس لله ، ولكنى سأقول أنه مال المسلمين .

وقد حاول ابن السوداء نفس المحاولة مع ابى الدرداء ﷺ ، فقال له ابو الدرداء من انت ايها الذى تحدث فى السر ، وانى لأظنك يهوديا وبعد ان عرف به أتى ابوالدرداء عبادة بن الصامت فأخبره الخبر ، وحاول ابن سبأ دفع عبادة إلى ما دفع اليه اباذر ، لكن عبادة بن الصامت لم يدعه

(١٧) حكى من هذا كثير عن أهل الكتاب ، ونسب اليهم كما هو الحال فى عرائس المجالس . ، ودرة الناصحين وغيرها .

يفلت من يده ، بل تمسك به وتعلق فيه حتى اوقفه على معاوية واخبره الخبر[١٨] .

علم الوالى على الشام ، وهو معاوية بن ابى سفيان بما يردده ابن السوداء فلم يحفل به أول الأمر ظانا أن ما يتناوله بعيدا عن السياسة العامة للدولة ، فقد حرص الأمويون على السياسة لا على الدين فَهُمْ قد تطلعوا إلى السلطة المدنيه لا إلى التوجيه الدينى ، وقد بدأوا فى التمهيد للمملكة لا لاستمرار الخلافة ، وهو الذى حدث لمعاوية بعد استشهاد الأمام على كرم الله وجهه[١٩] .

ادرك معاوية الخطر الذى يتهدد الخلافة السياسية من دعوة ابن سبأ ، فأحضره ثم استمع اليه وقد اخفى ابن سبأ كثيرا مما كان يدعو اليه ، ولم يذكره فى مجلس معاوية خوفا منه ، والا لقتله معاوية بالسيف فى الحال .

ولكنه ذكر ان التوراة مكتوب فيهاالوصية لعلى لاخلافته ، ومن ثم أمر معاوية بطرده من الشام فخرج منها دون ان يجهزه معاوية أو يعينه كما فعل الولاة قبله فى الأقطار التى نزل اليها[٢٠] وبهذا لم يقع ابن السوداء تحت عقاب معاوية بل أفلت من معاوية بسهولة .

وكان لهذا الطرد من معاوية لابن السوداء أثر اكثر سوءا وحقدا وكراهية لبنى اميه ، ولذا لم يترك ابن سبأ فرصة للنيل من بنى اميه الا اهتبلها دون انتظار ، ولم يشف غليله الا اهدار الدم الذكى لعثمان ﷺ على

---

(١٨) ابن كثير – البداية والنهاية – جـ٧ ص١٧٠ ، وفى المسألة كلام طويل .

(١٩) حيث تأسيس الدولة الأموية والخلافة الأموية .

(٢٠) وهو اتجاه خاطىء اذ يساعد الخارج على الاستمرار فى عنه .

يد الخارجين الذين كان ابن سبأ المرجع لهم ، ومحل المشورة(٢١) ، بل والمحرك القوى الفعال .

وربما كان حرص معاوية على تكوين المملكة هو الذى يفسر لنا الموقف المتناقض لمعاوية مع ابى ذر الغفارى ﷺ وابن السوداء . أذ ان أباذر بمجرد ان دعا للتقشف والزهد والورع والأقبال على الآخرة أقلق الأمر الأثرياء ومعاوية من تلك الدعوة الصالحة ، فكتب معاوية إلى الخليفة يطلعه الأمر ، ويطلب النصح ، ولما اجابه الخليفة نفذ في الحال أمره وجهز أباذر وأرسله الى المدينة المنورة مُكرّما ، وما كانت دعوة ابى ذر ألا خيرا(٢٢) .

أما ابن السوداء فقد تركه معاوية يهرب بسهولة ، ولم يكتب فيه للخليفة ، بل اكتفى بطرده من الشام ، ولو أدرك معاوية الأمر ما كان تاركا ابن السوداء يعيث فى الأرض فسادا . بل كان ضاربا عليه حبسا ، أو قاطعا عنقا ، وما كان ذلك ليكلف معاوية الا القليل(٢٣) .

[٥] فى مصر :

نزل ابن السوداء مصر متطلعا اليها ، فهو يعرف حب المصريين للدين وتعلقهم بآل البيت ، والسهولة فى تحريك مشاعرهم الدينية متى كان ذلك بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف عن طريق الوعظ والنصح والارشاد

---

(٢١) لما جهر ابو ذر بضرورة ترشيد الانفاق العام واعطاء الفقراء من مال الأغنياء ، وراح ينادى بها فى الناس ، وكان زاهدا ورعا فكتب معاوية للخليفة الذى أمر معاوية بتجهيز ابى ذر وارساله إلى المدينة مُكرّمًا ، واوقف الخليفة له رزقا ظل يصرف له حتى مات ٣٢هـ .

(٢٢) لأن ابا ذر بطبيعته خير ، وفى داخله رغبة للزهد ، وسلوك فيه .

(٢٣) بل انه لو قتله ما سأل أحد عنه فقد وصلت مخالفاته اسماع مروان بن الحكم كاتب الخليفة .

وقصص الأولين والحديث عن الغيبيات الدينية ، وقد نجح ابن سبأ فى نشر دعوته بمصر نجاحا لم يسبق له نظير(٢٤) .

اذ نقل القصاص والوعاظ ، وأهل الحكاية عنه ناسبين للتوراة كافة الأكاذيب مما كان له كثير الأثر فى حياة المصريين ، وما يزال يردد حتى اليوم ، وتنشره بعض دور النشر على انها كتب دينية ، وترى فى طبعها والاعادة قربى إلى الله تعالى(٢٥) .

وقد اتخذ ابن السوداء فى مصر خطوات أكثر جراءة فى نشر أفكاره السوداء ، وفتنته الهوجاء التى قامت على ما يلى :

- الخطوة الأولى : غشيان مجالس العامة :

ادرك ابن سبأ أن مجالس العامة تنتقل فيها الأخبار بسرعة ، وفى نفس الوقت تنال من الناس سرعة التصديق من غير مناقشة ، فصار يتردد عليها ، ويقص فيها من حكايات وأقاصيص ، ما يدّعى نسبته إلى التوراة ، وهو فى الحقيقة من الفكر اليهودى المتطرف والمحرّف معا(٢٦) .

وقد استغل الحديث عن الجانب الغيبى أسوأ استغلال . فما كان الصحابة رضوان الله عليهم يسمحون لأنفسهم بالحديث عنه ، ولا كذلك التابعون ، وما كانت العقول تستوعب مثل هذه الأفهام غير أن ابن سبأ

---

(٢٤) لطبيعة المصريين ، وتحريكه الوتر الحساس فى نفوسهم ، ومحاولته الدائمة التعرض للنواحى الدينية فى نفوسهم .

(٢٥) بل يظن البعض أن طبعها يمكن خصمه من الزكاة ، مع تخفيض الأسعار التى تباع بها ، وهو خطأ فاحش وضلال مبين .

(٢٦) لأنه الذى يبيح وصف الله تعالى بالفقر وضيق اليد ، وانجاب البنات دون البنين ، ووصف الله بالجسمية وكله افك عظيم .

لمس هذا الجانب بكل ما تمكن[٢٧] منه ونشره بين العامة ، فتحدث عن القضاء والقدر ، والعرش والكرسي واللوح ، والقلم ، محاولا وضع تفاصيل دقيقة قامت في خياله المريض

بل إنه تحدث عن الملأ الأعلى ، وطرائق خلق الملكوت ، وذكر الملائكة والعرش والكرسي ووضع لها اوصاف وحدودا صنعها خياله المعبأ بالعداوة للأسلام فساقه إلى تصورات لم تقم عليها أدلة ، ولا هي من قبيل الظنون ، بل هي أوهام في مجملها وفي تفاصيلها ، لكنها وجدت في نفوس المستمعين ارتياحا ، وفي صدورهم مكانا[٢٨] ، لأنهم عامة وليس فهم عالم بما يقوله ابن السوداء .

وقد اسرف ابن سبأ وعصابته في استخدام هذا الجانب إلى ابعد حد وكان اشياعه يتناقلون هذه الترهات ويرددونها بين العامة والخاصة على انها من وحي الله في كتب الأولين دون أن يذكروا شيئا عن راويها الكذوب عبدالله بن سبأ ، مما كان لها كثير الأثر في زعزعة اركان الخلافة في مصر على الأقل ، كما كان لها أثر سلبي على العقيدة الاسلامية ، اذ فتحت الباب للحديث عنها وامكانية تصورها لكل من اراد ، ومتى اراد[٢٩] من غير مراعاة لضوابط شرعية .

- <u>الخطوة الثانية</u> : الدعوة لامامة على بن ابى طالب[٣٠]

---

(٢٧) وقد استفاد ذلك من خبرته الطويلة ، في هذه الممارسات ، بل أن بعض الروايات ذكرت أنه كان يعمل بالتنجيم .

(٢٨) وبخاصة ان الذين كان يجلس اليهم هم العامة الذين لا امكانية لهم في شيء الا الاستماع والتقليد .

(٢٩) لأنها ليست من قبيل القواعد الصحيحة ، ولذا كانت أثارها سلبية جدا .

(٣٠) وفي نفس الوقت كانت الخلافة قائمة مع عثمان ﷺ فما هو الا يريد ايقاع الخلاف والتنازع .

بعد أن وضع ابن سبأ اساس الخروج على الرأى العام بالحديث عن الخلافة وانها مغتصبة راح يثبت قواعد الخروج على الدين وذلك بالدعوة لأمامة على ونبيه من بعده ،

وكيف لا . وعلى قد ظلم عدة مرات ، حيث غصب الخلافة منه ابوبكر وكان عَلِيٌّ أحق بها ثم دفعها ابو بكر لعمر تاركا عليا للندم يعانى من الظلم [٣١] ثم اخذها منه عثمان عنوة ، وكُرْها ، وسيظل بنو اميه يتوارثونها ولا تعود لصاحبها المظلوم الأمام على ابدا .

اذن اعطاها ابوبكر لعمر متجاوزا حق على فيها ، مع سبقه فى الاسلام ، وقرابته من رسول الله ﷺ ، وراح يضع روايات نسبها للحديث تؤكد ما ذهب اليه .

من امثال . لكل نبى وصى ، ووصىّ على ، ومن امثال لكل نبى خاتم ، وخاتم محمد على . إلى غير ذلك من الموضوعات التى لا حكم عليها الا التكذيب لها وردها فى وجوه اصحابها[٣٢] .

وقد كثر الوضع على رسول الله ﷺ ، رغم أن الرسول ﷺ قال : " من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار[٣٣] ، ولم يتوقف ابن سبأ عن الوضع على رسول الله ، بل وظل يمارسه ، ويسعى فى التركيز عليه ،

---

(٣١) وهى دعوة كاذبة وتقوم على الجدل .

(٣٢) بل اذا أُلقيت لصاحب خبرة بالمعلومات الدينية لردوها فورا أما صاحب التقليد والتلقين فليس له الا الاستماع .

(٣٣) رواه الشيخان ، وهو متواتر فى اللفظ والمعنى .

ونسبة الأقوال الكاذبة إلى التوراة ، والوقيعة بين المسلمين ، مستغلا الغرض الذى يدعو اليه ، منطلقا من مبدأ الغاية تبرر الوسيلة[٣٤] .

بل ان ابن السوداء ركز على ضرورة خلافة على وتوارثها أولاده من بعده ، حتى اذا قامت لعلى حاول ابناؤه التمكن منها ، والتسلط عليها فهذا حقهم بحيث لا تعود لغيرهم وكان غرضه الا تعود الشورى فى الاسلام ، سيرتها المحمودة ، وانما يقع التنازع بين اصحاب الحق المزعوم ، واصحاب الشورى الصادقة ، فاذا وقع التصادم ضعفت الأمة ، وانحلت الجماعة وتساقطت الرموز ، وهو الذى كان يسعى اليه جاهدا ابن سبأ[٣٥] وتحقق له جزء منه .

- وطبقا لهذه المفاهيم عنده ، وحتى يضمن استمرارها وضع جملة من المبادىء تُظْهِرُ ظلم الخلافة القائمة فى عثمان t لِعَلِىَ وبنيه[٣٦] .
- المفهوم الأول : انه ورد فى الكتب السابقة أنه كان لله الف نبى ، ولكل نبى وصى ، وعلى وصى محمد .
- المفهوم الثانى : محمد خاتم الأنبياء ، وعلى خاتم الأوصياء[٣٧] .
- المفهوم الثالث : ان رسول الله ﷺ وصى بخلافة على ، لكنه غُلِبَ عليها ، ولم يرض بهذا الظلم[٣٨] .

---

(٣٤) وهو مبدأ باطل تعامل به الأغريق قديما ، وتستعمله العصابات الاجرامية ، اذ كل شىء له حدود لا يتخطاها .

(٣٥) حتى تزول دولة الاسلام ، وتنحل الخلافة فيعود هو إلى اليهودية كما كان ويتمكن من الارتداد .

(٣٦) بحيث يمكن التنازع عليها فما بعد ، بين صاحبها والأحق بها .

(٣٧) هى روايات مكذوبه ليس له أصل ، والوضع فيها ظاهر .

(٣٨) بل بايع على كلا من ابى بكر وعمر وعثمان ، وصلى خلف كل منهم وكان فى مجلس الفتيا والشورى عندهم .

- المفهوم الرابع : ان عثمان ظالم لأنه اغتصب وصية رسول الله ﷺ لعلى بالخلافة ، ووثب عليها هو مستغلا الظروف الطارئة ، أمّا وقد هدأت الأمور فيجب أن تعود الخلافة لعلى فهو أحق بها[٣٩].

- المفهوم الخامس : من قعد عن دفع مظلمة عَلِيّ فهو أكثر ظلما من غاصبها ، فلا يَرُد الظلم الا الثورة والقوة [٤٠]ولا يعود الحق الى اصحابه الا بالشكل الذى أخذ به .

- المفهوم السادس : ضرورة الكتابة لعثمان بتركها للأمام على ، وضرورة الطعن على عثمان وولاته واظهار العيوب التى هم فيها واقعون[٤١] .

- المفهوم السابع : اظهار الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر حتى نستميل الناس ، وتجعلهم لنا أتباعا حينئذ نتمكن من قيادهم ، واجماع الأمر ضد عثمان وولاته ، فينتهى أمره ، وتعود الخلافة لصاحبها المظلوم على بن ابى طالب[٤٢] ، وهو ما قصد الا الشر بالخلافة الاسلامية والخليفة أيا كان هو .

- المفهوم الثامن : أن عليا حلّت فيه روح الله بما فيها من وداعة ، بل ان الله هو علي ، وعلى هو الله .[٤٣]

---

(٣٩) زعم باطل ظل ابن سبأ يغذيه فترة طويلة ويردده بعض الشيعة الآن .

(٤٠) من قال أن عليا ظلمه الخلفاء قبله ، انهم لا يظلمون فالرسول الله ﷺ اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم .

(٤١) رغم ان عصيان الخليفة المسلم الملتزم شرع الله نهى عنه الدين .

(٤٢) على لم يكن مغلوبا على امره ، بل ولا مظلوما ، بل كان مبايعا ، والناس قد اختاروه خليفة ، فلم يقع ظلم على الأمام على .

(٤٣) هذه خبيثة كاذبة فا لله ليس حالاًّ فى شيء من ذلك ولا غيره فليس كمثله شيء هو السميع البصير .

ورغم الشذوذ فى دعوة ابن سبأ الا انها انطلت على العامة ، وبخاصة بعد ان عرضها عليهم بطريقة حلول روح الله فى عيسى ﷺ ، وحلول روح الله فى الكائنات الآخرى كالملائكة ، وبهذا دخل الملعون دائرة اخرى ونقل اصحاب الايمان المستقر إلى دائرة الشك والجدل ، والعنف الأدبى والسياسى بل والدينى .

- الخطوة الثالثة : الدعوة للخروج على الخليفة

أبت على ابن السوداء نفسه أن تستقيم ، بل راح شيطانه يسوقه إلى المفاسد سوق الهيم إلى الماء ، فما ان استقر بمصر الا وبدأ فى الاعداد للخروج على الخليفة بعد الخروج على عامله عبدالله بن سعد واليها من قِبَلِ عثمان ﷺ[٤٤] .

وقد بحث ابن سبأ عن اصحاب الأنَّات من عثمان وولاته ، فجمع المخالفين لبيعة عثمان ، واقترب كثيرا من اصحاب الرغبة فى الخروج على الوالى والخليفة ، محاولا أن يكون بينهم بعض ابناء الصحابة أو التابعين ، وان يكون فيهم صحابة ان امكن[٤٥] وقد نجح فى ذلك بشكل أو أخر .

وقد نجحت خطة ابن سبأ فضم إلى فريقه محمد بن ابى بكر بن اسماء بنت عميس ، وربيب الأمام على ، وكان ضمن من تركوا المدينة ، وأقاموا بمصر بعد أن لم يوفق فى الحصول على منصب قيادى فى الدولة الاسلامية ، فقد كان محمد يطمع فى ان يعرف الخليفة عثمان ﷺ بعض فضل أبى بكر فيعين ابنه محمدا على ولاية من الولايات الاسلامية ، فلما لم يتحقق

---

(٤٤) فهو قد أَلِفَ الخروج والمخالفة و لم تقع له فى اى منها مؤاخذة فأطمعه فى الخلافة والولاة فكان منه ما كان .

(٤٥) فضم عمار بن ياسر ، كما فعل مع ابى ذر هناك ، ولولا يقظة ابى الدرداء لكان احد ضحاياه .

لمحمد ذلك نقم على الخلافة والخليفة وهاجر إلى مصر فاتخذها موطنا له[٤٦] وصار يترقب الخروج على الخليفة فلما جاء ابن سبأ بدعوته انضم محمد اليه .

• ويرجع بعض الباحثين خروج محمد بن ابى بكر على الخليفة عثمان t وانضمامه إلى فريق الثائرين عليه ، والدعاية لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه لأسباب عديدة منها :

[١] طمع محمد بن ابى بكر فى الولاية ، وقد كان يرى فى نفسه الجدارة لها والاستحقاق فلما لم يفعل عثمان غضب عليه محمد ووقف ضده .

[٢] وجود صلة الربيبة بين محمد بن ابى بكر وعلى بن ابى طالب حيث تزوج على اسماء بنت عميس زوج أبى بكر بعد وفاته ، وهى ام محمد ، فكان محمد بن ابى بكر ربيبا فى بيت الأمام على ، وقد دفعه هذا إلى حب الامام على .

فلما تولى عثمان الخلافة واشاع ابن سبأ أحقية على فيها صادف ذلك شعور داخل نفس محمد فخاصم عثمان ووقف فى وجهه وكان أقرب الناس وصولا إلى مقعده ساعة استشهاده بل هو الذى طرح عثمان الأرض وسبه وجلس على صدره ، ولولا أن عثمان عرفه وذكره بأبيه ، فربما كان محمد قاتله .

[٣] وجود صلة مصاهرة بين محمد بن ابى بكر والحسين بن على كرم الله وجهه ، فيقال انهما-محمد والحسين-تزوجا بنتين ليزدجرد الثالث آخر ملوك الفرس ، وذلك بعد قتله[٤٧] .

---

(٤٦) وكان الكثيرون يذهبون اليها لطيبة اهلها ، وبعدها عن دار الخلافة ، وبنى أمية .

(٤٧) الدكتور عبدالفتاح شحاته - تاريخ الامة العربية جـ٢ هامش ص ٨٢ .

كما ان محمدا هذا قد عبأه ابن سبأ تعبئة لاشعورية بالمزيد من العداء لعثمان ﷺ والخلافة كلها ، حتى أن محمدا هذا اعلن استباحة دم عثمان ، وكان هذا الاعلان فى وسط الجيش فى غزوة ذات الصوارى مما جعل الجند يتشككون في ولاية عثمان ويطمعون فى هيبته بحيث صار الخروج عليه أمرا عاديا والدعوة لا هدار دمه صارت مما يحكيه الناس ويتوقعونه(٤٨) .

ومما ازاد الطين بله أن ابن سعد والى مصر كتب للخليفة بما فعل ابن ابى بكر فما كان من الخليفة الا أن أمر ابن سعد بترك محمد بلا عقاب لمنزلة ابيه فى الاسلام ، ولو كان فى موضع عثمان غيره لحاسب كلا عَلَى ما ارتكبت يداه فهو حكم الاسلام ،

وقد أعلنه الرسول ﷺ على الجميع : " والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها(٤٩) .

كما ان الاستثناء ربما توسع فيه المغرضون حتى صار هو القاعدة ، وقد استغل ابن سبأ جرأة ابن ابى بكر على عثمان حتى جعله المتحدث الرسمى باسم السبئية لمعرفته ان عثمان ﷺ جيى ، ولئن تطاوعه نفسه فى جعل ابن ابى بكر فى موقف تستعمل فيه إلى الشدة معه(٥٠) .

بل ان ابن سبأ جعل عمدة فريقه والاسس من الثائرين على عثمان ، والموتورين الحاقدين على خلافته ، والّذين أدبهم عثمان على بعض المخالفات التى ارتكبوها ، وكان يسمح لهم بالاقامة فى مصر ، فجمع ابن

---

(٤٨) بل توقعها عمرو بن العاص حين عزله عثمان ، كما توقعها غيره وصار الناس يترقبونها .

(٤٩) حديث شريف مشهور .

(٥٠) وليته قسا عليه حتى يستقيم بدل أن تركه حتى نموت .

سبأ هؤلاء الفلول الذين صاروا فيما بعد القوة الضاربة ضد الخليفة والشوكة المؤلمة فى كبد الخلافة ، وقد كان منهم ما كان[٥١] .

وقد سبق القول بأن ابن سبأ استغل التعبئة اللاشعورية إلى أبعد حد ، وَمَنْ الذى ينسى ما فعله حين اقامته بالبصرة فقد كانت علاقته قائمة مع الخوارج على القانون والأمن العام ، وكان أكثر أصدقائه هو اللص الشهير – حكيم بن جبلة العبدى الذى روّع الأمنين فى البصرة بقطعه الطريق وسرقة المارة ، وأحداث القتل التى كانت التحقيقات كلها تنتهى عنده ، وبانه القاتل الحقيقى[٥٢] .

وقد ذكر المؤرخون ان عبدالله بن عامر كتب اليه الخليفة فى شأن حكيم بن جبلة بأن يحبس هو وأمثاله حتى يأمن الناس من شره ، فلما ذهب ابن عامر إلى بيت حكيم للقبض عليه وتنفيذ كتاب الخليفة وجد عنده رجلا يسمى عبدالله بن سبأ[٥٣] .

وسأل ابن عامر عن مَنْ هو عبدالله بن سبأ ، فاجاب الناس بان هذا الرجل – ابن سبأ – كان يلاقى الناس سرا ويلتقى بهم فى اماكن لا ترقبها العيون ، ثم يلقى اليهم بتعاليم خبيثة ، منها أن عليا هو الوصى ، وانه أحق بالخلافة من عثمان ، وكان يحرضهم على الخلافة ، ويطالبهم بالثأر من الخليفة وعماله ، ويدعو الناس للمطالبة بعلى بن طالب ومبايعته[٥٤] .

---

(٥١) وكانت اقامتهم بمصر فرصة لتحميعهم حتى خدعهم ابن السوداء اليهودى الأثم .

(٥٢) وقد ذكرنا طرفا عنه فيما مضى وبان أنه فعلا غير مستقيم .

(٥٣) وهكذا كان ابن سبأ كعادة اليهود فى مواطن الخراب والدمار يجدون لهم الف مخرج .

(٥٤) وقد لقيت تلك رغبة لدى المصريين ، ودعمها كل الثائرين على عثمان .

• وقد دخلت هذه الاجابات من ابن عامر مدخل القلق فأرسل إلى ابن سبأ يسأله الخبر ، فلم يجب الطلب أول الأمر لكنه وجد أن الأمير مصر على طلبه واستجوابه . فلما مَثَلَ بين يديه سأله الأمير عبدالله بن عامر

• من أنت ؟

• انما انا رجل من اهل الكتاب ، رغب فى الاسلام ، ورغب فى جوارك .

ادرك ابن عامر ان ابن سبأ كاذب مخادع ، وان هذه الليونة تخفى الجرائم كلها خلفها ، فقال ابن عامر له :

• ما يبلغنى ذلك عنك ، وما بلغنى الانك تسىء وتكذب ، وتدعو للفوضى ، أخرج عنى ، ولا اراك هنا . فخرج ابن سبأ إلى الكوفة ، ولو كنت مكان ابن عامر لحبسته ، وحققت معه ، ثم ألقيته فى السجن مدة حتى تنقطع دعوته الخبيثة ، وتنتهى مقالته الذميمة ، أو يهلك فى السجن ، بدل أن يسعى فى الأرض فسادا ، ويُهلِكَ الحرث والنسل ويضل العباد ، ولكن كل تحكمه ظروفه[٥٥] .

• اذن لاقت دعوة ابن سبأ قبولا لدى هؤلاء وأولئك ، وبدت أثارها تظهر فى الخروج المتكرر على الخليفة والأمراء ، بل والدعوة لهذا الخروج ، ولم يقف عند هذا الحد وانما اتخذ طرقا تكون أكثر ايلاما وأسرع للنار اضراما[٥٦] .

---

(٥٥) فما نحن بعالمين الأحوال عندهم .

(٥٦) وكانت بدايتها هى النهاية للخلافة المتمثلة فى عثمان والامتداد الطبيعى للفتح الاسلامى .

* الأول: بث دعاته فى الامصار الاسلامية ، وجعلهم يعيشون بين الناس يعرضون عليهم المبادىء التى صاغها حتى صارت لهذه المبادىء ارضية من الأفكار ، وقاعدة من البشر ، وجعل دعاته لا يبرحون أماكنهم فى تلك الأماكن . حتى يبلغهم أمر أخر . فكانوا الطابور الخامس على الخلافة ، وعيون العدو الراصدة تحركات الأمنين(٥٧) .

* الثانى : مكاتبة الاشرار والخارجين فى كل مكان من الخلافة وابلاغهم أن الوقت قد حان لخلع عثمان وتولية على وازالة حكم بنى امية وارجاع الحق المغتصب لبنى هاشم ، حتى فشا فى الناس قرب رحيل عثمان على اية ناحية ، وتولية على كرم الله تعالى وجهه(٥٨) .

* الثالث : التركيز على عورات الأمراء كل فى اماراته والنقد الهدام لا البناء ونسبة الفواحش اليهم ، وما امكن من الشائعات الكاذبة بل واشاعتها عنهم حتى تسرى من الناس مسرى الدخان من النار ، مع الاحتفاظ دائما بالاطار العام ، وهو النصح والارشاد ، واظهار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى يستميلوا الناس اليهم(٥٩) .

* الرابع : الشكاية للخليفة من سوء عماله ، على ان تَرِدَ تلك الشكاوى من كل الأمصار فى وقت واحد ، فأهل مصر يشكون للخليفة واليهم عبدالله بن سعد بن ابى سرح ، ويتهمونه بالقسوة ، وترك شعائر الدين ، والاعتساف فى الحق ، والتربص بأهل الفضل ،

---

(٥٧) لأن العدو الداخلى يصعب امره ولا يمكن السيطرة عليه بسهولة ويسر .

(٥٨) وكان الكل يتوقعها ، بل يحسب الايام لها .

(٥٩) وهى عادة قديمة تقوم على التقية ، وقد تسللت هذه لبعض النفوس الضعيفة حتى صارت قانونا لهم .

واغماض العين عن مخالفات الماجنين ، ويؤكدون للخليفة تذمر الجند من هذا الوالى . وقد حدثت هذه الشكايات من أهل مصر[٦٠] .

وكذلك فعل دعاته مع أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، حتى ظن الأمام أن الخلافة كلها قد اشتكت ظلم ولاته .

وفى نفس الوقت ساد شعور عام بظلم الولاة وشكاية أهل البلاد ، مما حدا بالخليفة لدعوة عماله للأجتماع معه .

فحضروا ثم عرض عليهم الشكاوى الواردة اليه فبينوا له كذبها ، وانها لا تقوم على صواب ابدا وان اغراضا خبيثة تحركها وان اصحابها يجب أن يؤاخذوا بما كذبوا ، واشاعوا من فاحشة وفسقوا ، ولكن عثمان مال إلى اللين ، بل عزل بعض الولاة وعين غيرهم باستشارة مروان بن الحكم ، وبغرض تحقيق الرغبة فى ان يلى من أمورَ الناس من يتوسمون فيه الحب منهم له[٦١] ولكن طبيعة الناس ما اجتمعت على حب واحد ابدا .

- الخامس : اعلان الحرب على عثمان ، وفعلا جاء هذا الاعلان من ربيب عثمان نفسه ، محمد بن ابى حذيفة بن عتبة بن ربيعه ، وكان ابوه حذيفه من السابقين فى الاسلام ، وامه سهيلة بنت سهيل بن عمرو ممن هاجرن مع ازواجهن إلى الحبشة ثم المدينة .

---

(٦٠) وكان المصريون أسرع فى الشكوى ، رغم أنهم أهدأ طباعا ، والين قلوبا ، وهذا دليل على ما فعلته فتنة ابن سبأ .

(٦١) العلامة ابن الأثير - الكامل جـ٣ ص ٧٣ .

مات حذيفه فى اليمامه شهيدا ، وكان محمد قد ولد فى الحبشة ، فلما مات حذيفة كان لمحمد نحو من خمسة عشر عاما فتزوج عثمان سهيله ، وصار محمد ربيب عثمان ، وقد كفله عثمان خير كفالة .

وكان محمد من خير فتيان قريش فلما وَلِيَ عثمان الخلافة طمع محمد فى أن يوليه عثمان كما ولى أمثاله من ذوى قرابته ولكن عثمان لم يفعل فطلب الفتى من عثمان أن يعينه ويسمح له بالخروج إلى حيث شاء من البلاد[٦٢] .

فاجابه عثمان إلى طلبه فما كان منه الا أن ذهب إلى مصر وهو مغاضب لعثمان ، فلما وصلها واستقر بها ، وبلغته دعوة ابن سبأ وجدها فرصة لاعلان العصيان على عثمان ، والحرب على واليه عبدالله بن سعد ، وكان ذلك الاعلان صريحا بعد انتصار المسلمين على الروم فى غزوة ذات الصوارى[٦٣] .

وقد اتخذ محمد بن حذيفة طريقة العنف المباشر لاعلان العصيان على عثمان . فكان يلتقي بالرجل والاثنين فيقول لهما رجعنا من جهاد وتركنا خلفنا الجهاد ، فيسأله الناس ما هو الجهاد الذى خلفناه ؟

فيقول محمد بن حذيفة لهم : انه الجهاد ضد عثمان بن عفان الذى ولى اقاربه والسوء فيهم ، ورد طريد رسول الله مخالفا فعل رسول الله

---

(٦٢) وفى تقديرى لو منع محمد بن حذيفة من السياحة فى البلاد ، وبقى فى المدينة لكان أولى ، فربما هدأت نفسه أو تغير الوضع القائم بقليل من الصبر والاناة ولم يقع فى حبائل ابن سبأ .

(٦٣) وقعت بين المسلمين والروم فى عام ٣١هـ ، وكان الروم أكثر سفنا وأقوى عتادا فربط المسلمون صوارى سفنهم بسفن العدو ونزلوا اليهم يقاتلونهم وجها لوجه ورجلا لرجل حتى انتصر المسلمون على الروم وذلك الفضل من الله فسميت بذات الصوارى .

وصحابيه ، وعزل الصحابة الاجلاء ، وولى الأحداث الازلاء ، وخالف وبدل ، وابتدع وتشرع ، ولهذا فان الجهاد ضده واجب ودمه حلال .

بل ان محمد بن حذيفة ، ومحمد بن ابى بكر لما ذهبا لقتال الروم فى معركة ذات الصوارى ما كانا يقاتلان كما ينبغى ، وانما كانا يدافعان كل عن نفسه فقط ، ولو تمكنا من الفرار لفعلا ، حتى انهما أضعفا شوكة المسلمين ، وقد سألهما الناس فى ذلك فاجابا :

كيف نقاتل مع رجل لا ينبغى لنا ان نجعله واليا علينا ، وظلا يذكران عبدالله بن سعد ، وعثمان ﷺ بكل سوء ، وكان ذلك فى وسط الجند ، مما ساعد على ايجاد حالة من التذمر ، وهيأ للعصيان ، ودفع بالكثيرين إلى الجلوس اليهما ، والاستماع إلى تجريحها للخليفة الوالى[٦٤] .

وقد انضم اليهما عمار بن ياسر الذى اقام بمصر ، فترة وجيزة بعد أن خرج من المدينة بتكليف من عثمان لكنه غيَّر رأيه وأقام بمصر مغاضبا عثمان ايضا ، حتى أنه ليقال ان عمارا وعباس بن عتبة بن ابى لهب وقع بينهما كلام ادى إلى قذف كل منهما الآخر ، وبلغ ذلك عثمان فاستدعاهما ، وحقق معهما ، ثم ضربهما تعزيزا ، وكان عمار لهذا يجد فى نفسه شيئا على عثمان[٦٥] .

---

(٦٤) الأمام الطبرى - تاريخ الرسل والملوك جـ٤ ص ٢٩٢ وما بعدها .

(٦٥) ويختلف المؤرخون فى اثبات التعزيز وان انفقوا فى وقوع التنابذ واستعمال اللفظ الذى لم يكن مألوفا الا فى الأزمنة السابقة على الاسلام .

وتشكك صاحب الفتنة الكبرى فى ذهاب عمار إلى مصر ، وزعم أنها من اختراع أهل التبرير ، كما تشكك فى قصة ابن سبأ محتجا بأن صاحب أنساب الاشراف العلامة البلازرى لم يذكرها ، ولست معه فما هو ثابت لا يكون التشكيك فيه من هذه الناحية ، والأسباب التى اعتمد عليها فى تشكيكه لا تنهض فى مواجهة الأدلة الأخرى . راجع الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين جـ١ ص ١٢٨ وما بعدها .

ومن العجيب أن مغاضبة عمار لعثمان لم تظهر الا بعد أن أوفده عثمان كرسول من رسله الذين بعث بهم إلى الأمصار لمعرفة أحوالها ، والوقوف على ما يفعله ولاته باهلها ،

حيث كان عمار رسول عثمان إلى مصر ، فلما نزلها التقى بكل من المحمدين . فمالت نفسه اليهما ، وانضم إلى من انضم مما كان له كبير الاثر فى نفوس الثائرين فقد زادهم قوة وأضعف هيبة الخلافة .

وتذكر الروايات أن والى مصر اشتكى لعثمان من محمد بن ابى بكر ، ومحمد بن حذيفة ، وعمار بن ياسر ، واستأذنه فى البطش بهم فلم يأذن له الخليفة بل عنفه ، وأمره أن يجهز عمارا ويرفق به ويرده إلى المدينة مكرما ، وان يترك محمد بن ابى بكر لأبيه وأخته عائشة ، ويترك محمد بن حذيفة لكونه ربيبا له .

اذًا صارت المدينة ملتقى الثوار بعد ان كانت مبعث الأنوار . أجل كانت مدينة رسول الله ﷺ مبعث النور حتى انها وصفت بالمدينة المنورة ، لكن ابن سبأ بذل جهودا جبارة فى ان تكون المصب الذى تلتقى فيه كل الشكاوى ، الموطن الذى تشتعل فيه النار ، والبوتقة التى تنصهر فى حناياها أسوأ الأفكار ، حتى تخرج نارا حامية تحرق كل الديار ، وبئس ما صنع .

● ولذا رأينا اثار دعوة ابن سبأ فى المدينة المنورة قد تلخصت فيما يلى :

[١] كثرة الحديث عن ظلم عثمان وولاته .

[٢] كثرة الحديث عن اضطهاد الصحابة ونفيهم .

[٣] كثرة الحديث عن فساد عثمان وفساد عماله .

[٤] سوء أحوال البلاد فى أطرافها والأوساط ، وانشغال بنى امية بالدنيا وتركهم أمور الولاية .

[٥] أحقية عَلِيّ فى الخلافة ، فهو منصوص على ولايته ، كما هو منصوص على خلافته .

وراحت هذه الأفكار تبلغ مسامع الخليفة فتزلزل مقعد الخلافة ، وتحيطه بأهل السوء وقالة الباطل حتى تأثرت النفوس ، واضطربت الأمال فى الصدور ، وباتت النهاية وشيكة(٦٦) .

[٦] انقسام الناس فى المدينة إلى شيع وأحزاب ، كل يزكى من يتشيع له ، ويطعن على مخالفه حتى باتت المدينة المنورة الهادئة أقرب ما يكون إلى ميدان القتال المسلح ففزع أهلها ، وخاف آمنهم(٦٧) .

• الدعوةَ الرابعة : ازاحة عثمان من الخلافة ولو بقتله(٦٨)

اذن بلغ ابن سبأ مبلغه فى دعوته الخبيثة التى نالت العقيدة والشريعة ، وهزت اركان الخلافة ، وما بقى الا دم الخليفة وقد كان ابن سبأ يتعطش اليه ، ويرى أنه لا يروى عطشه أو يبرىء علته الا هذا الدم الذكى حيث يراه مراقا مسفوحا . .

أمّا وقد صارت الحالة مهيأة من كل جانب ، فما بقى الامباشرة الجريمة ، وقد أبت عليه اخلاقه التأخر ، وانما لجأ إلى الأقدام عليها محتاطا مستخدما مَنْ ذكرهم وظروفهم ، معبئا غيرهم من أمثال ، خالد بن ملجم

(٦٦) وعملت الدعاية السبئية فى الناس هذا كله .

(٦٧) ولذا لما نادى الخوارج فى المدينة بلزوم كل داره ، رجع أغلبهم الى داره حتى قطع الخليفة عثمان عن كل الناس ، ثم قتلوه بعد ذلك .

(٦٨) وكانت النهاية القتل .

، وسودان بن حمران ، وكنانة بن بشر ، والغافقى العكى ، والخوارج الذين كاتبهم دعاته فى الأمصار على ما مر ذكره[٦٩] .

وعندى أن ابن سبأ هو الذى خطط للجريمة على الناحية الفنية ، وانه الذى كاتب الثوار فى كل من البصرة ، والكوفة ومصر ، واتفق معهم على الموعد المحدد للخروج وهو موعد الحج حتى لا يظن بهم ظان ، فقد أُلِفَ الناس خروج الأعداد الكبيرة للحج ، وهو الذى يفسر لنا خروج ما يقارب الألف فى كل مصر ، والكوفة ، والبصرة[٧٠] .

ثم مجاورة هذه الجموع لمنزل الخليفة عثمان ﷺ فى وقت مبكر نسبيا عن موعد الحج ، مع وجود النفقات الكثيرة معهم وأدوات القتال ، والمقاتلين المدربين ، والثوار القادرين على ادارة المعارك وسحب الأبطال من ميدان القتال مع اعداء الاسلام ليكونوا مقاتلين ضد الخليفة الآمن الأعزل[٧١] .

بل ان ابن سبأ هو الذى أختار قتلة عثمان فجعل ابن ابى بكر على رأس الفريق الذى تسلل إلى الدار من سطح جاره ، كما أن سودان بن حمران الشقى الذى ضرب عثمان ونائلة كانت اقامته لدى ابن سبأ بمصر ، بالاضافة إلى تردد الغافقى على ابن سبأ فى داره ، وتردد دعاته ، وترحال ابن سبأ قبل مصرع الخليفة حتى يكون بمصاحبة الثوار فيحل منهم محل الموجه الدينى بعد أن كان صاحب المنزع السياسى[٧٢] .

---

(٦٩) وكانوا قد اتفقوا على موعد محدد يلتقون فيه بالمدينة المنورة ، وقد فعلوا .

(٧٠) ولو كان خروج هذه الأعداد الى المدينة فى غير وقت الحج لأثار الانتباه .

(٧١) وكان الأولى البقاء فى معارك القتال الدائرة بين أهل الاسلام والشرك .

(٧٢) وما اسرع التلون عند اليهود يقلدونهم ، وفى العصر الحاضر مسلمون قد زادوا على ما فعله اليهود .

وقد تحقق له ما اراد وانتهت حياة عثمان شهيدا ، لكن ابن سبأ وخوارجه فتحوا الباب لكل خارج حتى كان الامام على هو ايضا ضحية الخوارج ، وضحية الرأى العام الذى حاول ابن سبأ تعبئته بطريقة خبيثة ضد الأمام على[٧٣] أيضا .

فادعى أن عليا أحق بالخلافة ، ثم زعم أن عليا نبى ، ثم تجاوز ذلك حتى زعم ان روح الله حلت فى على فاصطدمت اراؤه بمشاعر الناس الدينية مما تسبب فى كراهية الناس لمثل هذه الأفكار ،

ولما علم عَلِىّ بها حاسبه عليها ونفاه الى المدائن ، لكن أعظم النار تأتى من مستصغر الشرر ، وكان ابن سبأ أعظم شر اصاب الأمة الاسلامية فى كبدها ، واتى على الخلافة من جذورها[٧٤] .

- **وربما تسأل كيف أثرت فتنة ابن سبأ فى نشأة علم الكلام .**

- **والجواب :**

ان فتنة ابن سبأ فتحت ابوابا عديدة وأوجدت مشكلات لم تكن لها وجود ، ودفعت بالعديد من الفِرق إلى الظهور ، وما كان لها ابدا أن تعرف النور من امثال ذلك[٧٥] :

[١] دعواه حلول الله فى على ، بعد نبوته ، وتمسك بهذه الشيعة الغالية[٧٦] .

---

(٧٣) اذ أن هذه الأفكار ربما طرحت على الناس فى المدينة رفضوها ، لكن دعاة ابن سبأ أفهموا الناس أن عليا يحبها ويؤيدها ، مما تسبب فى كراهية الناس له حتى خرجوا عليه .

(٧٤) وكان ذلك غرضه ، وقد تحقق له .

(٧٥) الحديث عن الملأ الأعلى ، وعالم الغيب ، ومسائل القضاء والقدر .

(٧٦) وهى أفكار هزيلة لا صحة لها .

[٢] زعمه أن عليا غُلب على أمره وظُلم فى الدفع عن الخلافة ، فصار اتهام الخلفاء قبله مما يتمسك به من انتسبوا زورا اليه[٧٧] .

[٣] وجود الفرق ومن اولهم الخوارج الذين خرجوا على عثمان ، ثم خرجوا فيما بعد على الامام على وظل خروجهم حتى الآن[٧٨] .

[٤] وجود الفرق الآخرى كرد فعل للأولى حيث ظهرت الشيعة تشايع الأمام عليا وتدّعى نسبتها اليه ، بل وصل الأمر بالبعض منهم إلى التصرف فى كل شيء بدأ من النصوص القرآنية إلى الحديث الشريف إلى التراث الاسلامى كله[٧٩] وعرفوا بالوضّاعين .

[٥] وجود فرق بديلة تواجه هؤلاء كالقدرية والجبرية والمعتزلة ، وكل فرقة منها نشأت كرد فعل لِتَجاوُز الفرقة الأُخرى . ولذا نهض أهل السنة والجماعة لمقاومة الفرق الباطلة ، وتقويم المنحرفة ، واظهار الحق الذى يراد[٨٠] .

[٦] التوهين من شأن الخلافة والخليفة ، والذى أعقبه اضعاف الدين فى النفوس والارتجاع إلى الخلفيات السابقة والاحتكام إلى العصبية البغيضة بعد ان كان المراد هو الاستمساك بالدين القويم[٨١] .

أضف إلى ما سبق نزع الخلافة وتحويلها إلى دولة ومملكة كما حدث فى بنى أمية ، والعباسيين ، وما تزال الخلافة الاسلامية غائبة ، حتى حينما حاول الاتراكَ العثمانيون اقامتها فى القرن الثامن عشر ، تكالب عليها

---

(٧٧) حتى انهم سمحوا لأنفسهم بالحكم بالكفر على كل من ابى بكر ، وعمر ، وعثمان ﷺ أجمعين .

(٧٨) وعرفوا فى تاريخ الفكر الاسلامى بهذه الخروجات المتكررة .

(٧٩) وهم معرفون باصحاب الاسرائليات فى التفسير والوضاعين فى الحديث .

(٨٠) وقد كان وجود أهل السنة ضرورة لصد تلك التيارات المنحرفة .

(٨١) فقد نالوا من مبدأ اسلامى يقوم على اسمعوا واطيعوا ، وتبدل عندهم بخالفوا واعصوا .

غيرها وحولوها إلى اسم الامبراطورية العثمانية بدل الخلافة الاسلامية ، واغلقوا عليها الطريق من كل جانب ، حتى دعوا الخليفة العثمانى باسم السلطان والخلافة باسم السلطنة ، وما زالوا بهما حتى ولى العلمانيون الأمر فراحت تركيا الاسلاميه إلى تركيا العلمانية بل وقف العلمانيون بقيادة الجيش ضد المسلمين حتى الآن(٨٢)

وما سلم من بلاد الاسلام بلد يحمل الخلافة الاسلامية ، ولو عادت الخلافة الاسلامية ، وتوحدت البلاد الاسلامية تحت راية الخلافة لغلبوا العالم أجمع فالمسلمون قوة عددية وفكرية وانتاجية ، ومساحية ، وجغرافية ، وفوق ذلك فالمسلمون عقيدة واحدة ، وشريعة واحدة وقيم خلقية واحدة .

اللهم اردد على المسلمين خلافتهم الرشيدة ، واحفظ بلاد الاسلام من كل شر يُرادُ بهم ، ورد كيد اعدائهم الى صدورهم من نحورهم ولا تسلط على المسلمين من لا يرحم واجعل بلاد المسلمين دار أمن وأمان ، دار عز وسلام إلى يوم الدين يا رب العالمين .

- ويلخص الأمام محمد عبده موقف ابن سبأ فى عبارات موجزة فيقول :

وكان من العاملين فى تلك الفتنة عبدالله بن سبأ يهودى اسلم ، وغلا فى حب على كرم الله وجهه حتى زعم أن الله حل فيه ، وأخذ

---

(٨٢) لأن أغلب قادة الجيش التركى الآن قد تخرجوا من المدارس العلمانية التى ترفض الدين وتؤمن بالانسان اللاديني .

يدعو الى انه الأحق بالخلافة ، وطعن على عثمان فنفاه الى البصرة وبث فيها فتنته فأُخرج منها :

ثم ذهب الى الكوفة ونفث فيها ما نفث من سم الفتنة ، فنفى منها فذهب الى الشام فلم يجد فيها ما يريد ، فذهب الى مصر فوجد فيها أعوانا على فتنته ، الى ان كان ما كان مما ذكرناه ، ثم ظهر بمذهبه فى عهد على فنفاه الى المدائن ، وكان رأيه جرثومة لما حدث من مذاهب الغُلاة بعده[٨٣] .

ويعلق الشيخ رشيد رضا قائلا . ان ابن سبأ فعل ما فعل بُغضا فى الاسلام لا حبا فى على ، فإسلامه كان خديعة ، وله نظراء فى ذلك من اليهود ، ومثلهم بعض مجوسى الفرس الذين أظهروا الاسلام وتستروا بالتشيع لعلى ، ولآل البيت ، وكلهم كانوا يقصدون افساد الاسلام ، وازالة ملكه بالتفريق بين أهله[٨٤] وتمزيق عرى الود ، وقطع كل أمل لجمع شملهم .

على ان العوامل الداخلية لنشأة علم الكلام ما تزال تحتاج منا كثير بحث ، وطول صبر ، وعلما أوسع لموقف المعالجة على الناحية المنهجية ، كما أن العوامل الخارجية لنشأة علم الكلام تحتاج هى الأخرى الى التعريف بها وبيانها أو الاسباب التى دعت اليها ، والأثار التى ترتبت عليها ، حتى لا يقع الدارس فى خلط بين الدافع للنشأة ونتائج النشأة أو وسائلها .

فاذا اضفنا الى ما سبق وجود العوامل المزدوجة من عناصر داخلية وخارجية والتى كانت من أكثر العوامل تأثيرا فى علم الكلام بان لنا ان

---

(٨٣) الامام محمد عبده – رسالة التوحيد ص ١٠ ، ١١ ط المنار .

(٨٤) الشيخ رشيد رضا – هامش رسالة التوحيد ص ١٠ .

الموقف ما يزال بحاجة الى المزيد من الدرس والكثير من البحث ، والأكثر من التضرع الى الله تعالى بالتوفيق والالهام والتسديد ، وهو الذى نبذله .

لكن تبقى نقطة مهمة ، وهى انى ما تركت الحديث عن باقى العوامل الداخلية ، والعوامل الخارجية والمزدوجه هربا من المواجهة ، فالباحث الذى تغريه الحقيقة لا يخاف ولا يتردد .

وانما الحت عليها الانتظار نظرا لظروف خارجة عن ارادتى ادعو الله تعالى فيها الستر والتيسير ، والرضوان مع وعد بالعودة اليها فى وقت آخر ان مكن الله تعالى ، وأمد فى العمر ، والله ولى المؤمنين .

كما ان مراحل تطوره التأليفى والاضافى ، سوف أعرج عليها هى الأخرى حين مراجعة الحديث عن العوامل التى الحت الى تركها لا أهمالا أو اغفالا ، وانما انتظارا لفرج الله القريب .

# المبحث التاسع

## العقائد التي واجهها القرآن حين نزوله

## ومنهجه في رد الباطل منها

نزل القرآن الكريم فى عصر اتفق الرواة على انه أزهى العصور بلاغة ، وبعث الرسول سيدنا محمد ﷺ فى وقت اتفق الدارسون على انه كان يموج بالفتن فى كل ناحية ، الفتن الدينية ، والسياسية والأخلاقية ، وقد ضاعت الأصول والثوابت كلها ، وما بقى الا بصيص من الأمل فى انتظار النبى الخاتم سيدنا محمد ﷺ .

فلما بعث الله سيدنا محمدا ﷺ واجه القرآن الكريم عقائد كثيرة ، وكانت لأصحابها شبهات تقوم عليها ، وانصار يدافعون عنها ، ورصيد من الفكر الموروث يقوم على صيانتها ، ويبعث هذه الشبهات من حين لآخر ، بحيث يمكن تقسيم تلك العقائد والديانات وقت نزول القرآن الكريم الى :

- القسم الأول : بقايا اصحاب الكتب السابقة .

[١] اليهود

[٢] النصارى

- القسم الثانى : عقائد أهل الجزيرة العربية على وجه الأجمال .

[١] الوثنيون .

[٢] عبّاد الأصنام .

[٣] الدهريون .

[٤] الحنفاء .

[٥] اليهود .

[٦] النصارى .

- القسم الثالث : عقائد غيرهم .

[١] عبدة الملائكة .

[٢] عبدة النار .

[٣] عبدة المنافع .

[٤] عبدة المضار .

- القسم الرابع : عقائد أصحاب الأنكار على جهة واحدة .

[١] منكرو الوحدانية .

[٢] منكرو النبوة .

[٣] منكرو البعث .

- القسم الخامس : أصحاب الأنكار على اكثر من جهة .

[١] منكرو الألوهية والنبوة .

[٢] منكروا النبوة واليوم الآخر .

[٣] منكروا البعث والمعجزات .

كل هذه الأقسام وغيرها واجهها القرآن الكريم ، وناقش عقائد أصحابها ، وكشف شبهاتهم التى يعتمدون عليها ، وأبان بطلانها ، مستخدما فى ذلك منهج العرض الدقيق لما عليه يعتمدون ، ثم مهاجمته من

كل ناحية لبناء عقيدة سليمة تقوم على قواعد صحيحة وهو ما يعرف بالمنهج المزدوج حيث يقوم على :

[١] الجانب السلبي : ويتمثل فى الهدم للعقائد المتوارثة التى اضحت فى عالم المعتقد لاغذاء فيها للقلب والروح .

[٢] الجانب الايجابي : ويتمثل فى البناء للعقيدة الصحيحة ، التى تملأ جوانب النفس البشرية بالايمان الصحيح[١] .

وكان هذا المنهج القرآنى يخصص كلا مما سبق ذكره بما يناسبه من عرض للشبه وتقريرها وبيان بطلانها ، واثبات وجه الحق فى المسألة وسوف اقدم بعض النماذج فى كيفية مواجهة القرآن الكريم للعقائد السابقة ، ومنهجه فى الرد عليها .

- الأولى : اليهودية :

فَرّق القرآن الكريم بين نوعين من الديانة اليهودية ، وأكد وجود تخالف بينهما ، وعدم اتفاق فى شىء منهما : وهذان النوعان هما :

- النوع الأول : اليهودية كدين منزل من عند الله مع نبى الله موسى u ، وكتابه التوراة ، والألواح والصحف .

- النوع الثانى : اليهودية كدين وضعى قابل للزيادة التى اضافها الأحبار ، والنقصان الذى قام به الرهبان ، والتبديل ، وقدم نماذج لكل منهما يجمل بنا ان نبسط القول على النحو التالى :

---

(١) الدكتور محمد عبدالستار نصار – المدرسة السلفية ص ٤٧٩ .

- **الأولى : اليهوديه الديانة السماوية :**

اليهوديه دين منزل ذكره القرآن الكريم فى قوله تعالى : " أنا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء[٢] .

وجاءت العقيدة الالهية صافية نقية على لسان نبى الله موسى عليه السلام وحكاه القرآن الكريم مسندا الخلق للخالق ، والرزق للرازق ، والاحياء لله رب العالمين وحده لا شريك له بجانب العلم والحكمة . قال : " فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذى اعطى كل شيء خَلْقَه ثم هدى " .

قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا ، وانزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لأيات لأولى النهى[٣] .

فهو الله رب العالمين، الذى خلق كل شيء مميزا عن غيره ، ثم يسر له طرق الحياة ، ويحاسبه فى الآخرة على ما قدمت يداه من غير ضغط عليه أو أكراه ، أو تبديل فى الأحوال والأغيار .

- ويبدوا أنهم سألوا موسى عن أخبار الماضين والحاضرين .
- فجاء الجواب على الناحيتين ، بأن هذه القرون علمها عند الله تعالى فى كتاب مكنون ، سبق به العلم الألهى ، ولا يقع فيه تغير أو نسيان ، أو تبديل .

(٢) سورة المائدة الأية ٤٤ .

(٣) سورة طه الايات ٤٩ / ٥٤ .

ثم طلبوا منه التعريف بالخالق الواحد على ناحية ثانية ، فضرب لهم الأمثلة العملية ليكون ذلك أوقع فى الدلالة وأقوى فى التأثير فقال سائلا:

" الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا "، ثم ذكر لهم باقى النعم التى لا يمكن لأحد القيام بها الا الله سبحانه وتعالى ، فقال : " وانزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى» فما تعيشون به ، وما هو غذاء انعامكم الراجعة اليكم الا من نعمه جل علاه ، كلوا وارعوا انعامكم ولا يعتبر بهذه الا اصحاب العقول السليمة ، ان فى ذلك لايات لأولى النهى . .

كما بين القرآن الكريم أن اليهوديه كديانه منزلة من السماء على موسى ﷺ لبنى اسرائيل كانت واضحة المعالم فى العقيدة والشريعة والاخلاق ، أو بعبارة أخرى كانت واضحة المعالم فى العقيدة ، والتكاليف والرسالة .

قال تعالى : " ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم[٤] ، ووجه الاستدلال أن كل الرسل السابقين من ادم اليك يا محمد كان الخطاب لهم واحدا ، والارسال ، والتوجيه ،

فما اختلف فيه نبى عن أخر فى هذا أبدا . فالوحى واحد . " أنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه[٥] .

---

(٤) سورة فصلت : الأية ٤٣ .

(٥) سورة النساء الأية ١٦٣ .

وقد دلهم الوحى على التوحيد ، واعتقاد أن الله تعالى واحد ، حتى يبلغوا هذا التوحيد لأقوامهم . قال تعالى : " والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من اله غيره[6] " .

وصالح يبلغ نفس القضية ويلح عليها . قال تعالى : " والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره[7] " ، " والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره[8] .

اذن قضية الألوهية فى الديانة اليهودية السماوية ، لا تختلف عن غيرها فى الأديان الأخرى ، ومن ثم فاذا خاطبهم القرآن الكريم بقوله تعالى : " يابنى اسرائيل ، كما يجرى فى القرآن الكريم ، أو ذكرهم بالنعم التى اسبغها عليهم من قوله تعالى : " واذكروا نعمتى التى انعمت عليكم " فإن هذا الخطاب ينصب على الأصل وهو اليهوديه السماويه ، وعلى المؤمنين بها ، الذين قاموا على اركانها ، ولا ينصرف الخطاب لغيرهم ، من اليهود الأخرين ، سواء كانت يهودية سياسيه ، أو يهوديه وضعية .

ولذا نجد القرآن الكريم كثيرا ما تحدث عنها ، ونوه بحكم التوراة فيها ، مذكرا بأنعمه عليهم ، مبينا الصعوبات التى واجهتم فى حياتهم فيسرها لهم ، وحقق ما كان يجول بخواطرهم أو يعتمل فى أمانيهم .

- الثانية : اليهودية الوضعية ، دين دخله التحريف والتبديل .

---

(٦) سورة هود الأية ٥٠ .

(٧) سورة هود الأية ٦١ .

(٨) سورة هود الأية ٨٤ .

ركز القرآن الكريم الحديث عن اليهوديه السماوية ، وكذلك فتش عيوب اليهودية الوضعية ، وبيّن أن أولها لا يتفق مع آخرها ، وأن سهام النقد لما وجهت اليها عجزت عن الدفاع .

قال تعالى : " وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى أجعل لنا ألها كما لهم ألهة قال انكم قوم تجهلون أن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون[٩] .

ومعنى الاية ان الله يذكر بنى اسرائيل بنعمة فلق البحر حتى جاوزوه وعبروه بقدرته تعالى وعنايته الى الشاطىء الآخر ، فنجوا بذلك من كيد عدوهم ، ثم انهم عقب عبورهم اياه مروا على قوم يقيمون ويواظبون على عبادة اصنام لهم ، صنعتها ايديهم .

فطلبوا من موسى عليه السلام ، أن يجعل لهم الها صنما مثل آلهة هؤلاء ، مما يدل على أن الوثنية كانت لا تزال عالقة بنفوسهم ، تتطلع اليها حينا بعد أخر ، وان استعلاء المنتصرين عليهم واذلالهم لهم قد اثر فيهم حتى قلدوهم فى ديانتهم ، والمغلوب يميل دائما لتقليد الغالب[١٠]

ويبدو أن تحنانهم للماضى المؤلم طبيعة فيهم ، وأن الايمان لم يستقر فى قلوبهم أبدا ، وهكذا فان عدوى الأمراض تصيب النفوس كما تصيب الابدان ، وهى طبيعة اليهود ، فما تكاد تهتدى حتى تضل ، وما تكاد ترتفع حتى تنحط ، وما تكاد تسير فى طريق الاستقامة حتى تنكسر[١١] .

---

(٩) سورة الأعراف الايتان ١٣٨ / ١٣٩ .

(١٠) الدكتور محمد خليل هراس – دعوة التوحيد ص ١٩٣ – مطبعة عاطف بالقاهرة الأولى ١٩٧٧ .

(١١) الدكتور محمد سيد طنطاوى – بنو اسرائيل فى القرآن والسنة جـ٢ ص ١٣٩ – ط أولى .

أجل وصفهم موسى الكليم ﷺ بأنهم قوم يجهلون ، فتلك طبيعتهم الجهل والغرور ، والتعالى مع ضيق الصدور ، ولذا كان الوصف منطبقا عليهم ، قال الله تعالى : " قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضّلكم على العالمين " .

قال العلامة الجمل فى معنى الآية الكريمة ، هذا بيان لشئون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به وحده بعد بيان أن ما طلبوا عبادته مما لا يصح أن يعبد اصلا ، ولذا وسط بينهما بلفظ قال ، مع كون كل منهما من كلام موسى ﷺ ، والاستفهام للأنكار والتعجب والتوبيخ(١٢) .

وهكذا جاءت كل التوجيهات اليهم علّهم الى ربهم يرجعون ، لكنهم لم يفعلوا ، بل عموا وصموا ، ثم عموا وصموا ، حتى كأنهم لم يسمعوا ، وسلكو مسالك لا تتفق مع شرع الله اليهم مع موسى ﷺ الذى لهم نصح ، ورد ، ووعظ وارشد .

لكنهم لم يعجبهم رد موسى عليهم فقرروا البحث عن اله يمكنهم رؤيته والتعامل معه على النحو الذى يشيع فى قلوبهم الحس الدينى ، والعواطف الخسيسة .

قال تعالى : " يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وأتينا موسى سلطانا مبينا(١٣)

---

(١٢) العلامة الجمل – حاشية الجمل على الجلالين المسمى بالفتوحات الالهية حـ٢ ص ١٨٥ .

(١٣) سورة النساء الاية ١٥٣ .

- **مظاهر وجود الله فى اليهودية الوضعية**

- **اتخذت الألوهية عندهم صورة مادية قامت على :**

[١] التجسيد

ومن ثم كان تركيزهم على التعامل مع هذا الاله الجسدى ، وهى فكرة خاطئة ، فلما طلبوا من موسى الكليم الها جسدا يرقبون خطوه ، ويرونه يمشى معهم ويلعب ، يغلب ويُغلب فلم يجبهم الله لطلبهم لأنه مما لا يتصور فى الذات الآلهية ، بل هو محال فى حق الله تعالى ، ولكنهم لخستهم طلبوه ولاستيلاء الشيطان على قلوبهم اعتقدوه ، وحفروا فى اعماقهم الأمانى الكذوب .

[٢] تصوراتهم فى الاله الجسدى .

لما لم يجبهم موسى لطلبهم الها ماديا ، تصوروا هم الها ماديا ، وحاولوا التركيز عليه ، دون رب العالمين ، وقد كشف القرآن الكريم هذا الباطل ، لكونهم عليه وقفوا وحوله قاموا ولذا كانت تصوراتهم لهذا الاله المادى فى مراحل عديدة ، وكل مرحلة منها يظهرون أنفسهم فوق الاله الذى يعبدونه .

[أ] الاله المصنوع :

قال تعالى : " فأتوا على قوم يَعْكُفون على اصنام لهم قالوا ياموسى أجعل لنا الها كما لهم الهة(١٤)" فهم قد طلبوا من موسى صنع اله ، يتجول معهم أينما تجولوا ، ويسير معهم أينما ساروا ، مسلوب الارادة محبوس القدرة .

---

(١٤) سورة الأعراف الاية ١٣٨ .

[ب] نسبوا اليه البنوة حتى تكتمل القدرة على ادارة الكون .

قال تعالى : " وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواهم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون[١٥] فالابن يحتاج اليه أبوه، وهم فى حاجة لابنائهم . أن كان لهم ابناء ، فقاسوا حاجتهم على الله ونسبوا اليه الابن ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

[جـ] نسبوه للفقر والحاجة وجعلوا أنفسهم عليه مميزين :

قال تعالى : " لقد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد[١٦] .

قال العلامة البروسوى ، لما سمع اليهود قول الله تعالى " من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا" فرح اليهود وقالوا للمسلمين أن الله اذاً لفقير ونحن أغنياء .

روى أنه ﷺ كتب مع ابى بكر ﷺ الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام ، فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا من اليهود قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له : فِنْحَاص بن عازوراء وكان من علمائهم .

فقال ابو بكر لفنحاص : اتق الله وأسلم ، فو الله أنك لتعلم أن محمدا رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عند الله ، تجدونه مكتوبا عندكم

---

(١٥) سورة التوبة الاية ٣ .

(١٦) سورة آل عمران الأيتان ١٨١/١٨٢ .

فى التوراة ، فـأمن وصـدّق وأقـرض الله قرضـا حسـنا ، يدخلـك الجنـة ويضاعف لك الثواب .

فقـال فنحـاص : يـا ابا بكـر تزعـم أن ربنـا يسـتقرض أموالنـا ومـا يستقرض الا الفقير من الغَنىّ ، فان كـان مـا تقـول حقـا فـإن الله اذاً لفقير ونحـن أغنيـاء ، وانـه ينهـاكم عـن الربـا ويعطينـا ، ولـو كـان غنيـا مـا أعطانا الربا .

فغضـب ابوبكـر ، وضـرب فنحـاص ضربـة شـديدة ، وقـال والـذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله .

فذهب فنحاص الى النبى ﷺ ، فشكاه ، وجحد ما قاله . فنزلت ردا عليه وتصديقا لأبى بكر ، والمعنى أنه تعالى لم يخف عليه مـا قاله اليهـود ، وأعد لهم من العقاب[١٧] ما يتناسب مع حجم المخالفـة الكاذبـة ، والزعـم الفاجر .

[د] نسبوه للبخل والشح وضيق اليد .

" وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهـم مـا أنـزل اليـك مـن ربـك طغيانا وكفرا[١٨] .

بل أنهم جعلوا معبودهم فـى غاية البخل حتى أن يديه لا تصل الى شىء أبـدا ، لأنهـا محكمـة فـى قيـد من البخـل لا تسـتطيع الهـرب منـه أو الأفلات ، ولذا كانت الصورة المرسومة لإلههـم فى اذهـانهم وعبروا عنهـا باقوالهمّ يد الله مغلولـة . لم يقولـوا مربوطـة ، لم يقولـوا قصيرة ، ومـع أنهـا

(١٧) تنوير الاذهان من تفسير روح البيان جـ١ ص ٢٩٨ /٢٩٩ .
(١٨) سورة المائدة الاية ٦٤ .

كلها أوصاف ذميمة لا تنطبق الا على الفكر المنحرف ، ولا تجرى الا فيه لكنها اقل جراة من التعبير بالمغلولة .

قال العلامة الفخر " كان اليهود أكثر الناس مالا وثروة ، فلما بعث الله النبى محمدا ﷺ وكذبوا به ضَيَّق الله عليهم المعيشة ، فعند ذلك قالت اليهود : يد الله مغلولة يعنى مقبوضه عن العطاء على جهة الصفة بالبخل .

والجاهل اذا وقع فى البلاء والشدة والمحنة يقول مثل هذه الألفاظ ، ولعل اليهود لما رأوا أصحاب رسول الله ﷺ فى غاية الشدة ، والفقر والحاجة قالوا على سبيل السخرية والاستهزاء أن اله محمد فقير مغلول اليد[١٩] .

والذى اميل اليه هو ان اليهود وصفوا الله تعالى بهذا الوصف من البخل وضيق اليد ، لأنهم يعبدون الها ماديا يقع له الضيق ، والبخل وضيق اليد العاجزة ، ولا ينطبق شىء من ذلك على الله رب العالمين .

ولذا كان الرد المناسب لهم الموافق لطبيعة العنف الذى سلكوه هو التأكيد على ان الله رب العالمين " وأنه ليس على الأمر الذى وصفتموه به من البخل ، بل هو جوّاد على سبيل الكمال ، فان من اعطى بيده أعطى على أكمل الوجوه[٢٠] ، وهو المناسب لله رب العالمين .

اذن وصف اليهود لله تعالى بالبخل صدر عنهم فالله تعالى لا يقول الا الحق ، وبالتالى واجه القرآن الكريم اليهود ، بذكر موقفهم من قضية الألوهية فى كل نواحيها ، يعرض شبهاتهم ، ثم يرد عليها ، وتلك ميزة لم تتوفر لكتاب غير القرآن الكريم .

---

(١٩) العلامة الفخر الرازى - مفاتيح الغيب المجلد السادس ص ٧٩ - الجزء الحادى عشر - دار الغد العربى .
(٢٠) المصدر السابق ص ٨٣ .

## [٢] صنعهم الاله المحسوس المضحك

لما لم يفد معهم التوجيه الالهى ، وقد سلكوا مسالك العسف والضلال حتى زينت لهم شياطينهم صنع الههم بأيديهم . فلم يختاروا له صورة انسان أكمل مما هم عليه ، ولو كان انسانا خياليا ، وانما اختاروا له صورة أقل من صورهم ، وجعلوا هذه الصورة لمعبودهم فى العجل ، وهو الحيوان الذى عرفوه ، وعلى صورته صنعوا الههم وعبدوه .

قال تعالى : " واتخذوا قوم موسى من بعده من حُلِيِّهم عجلا جسدا له خوار الم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين[٢١] .

وقد صنع العجل لهم شقيهم السامرى " فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا[٢٢] .

## [و] عبادتهم للأله المصنوع وتركهم الاله الخالق الصانع جل علاه .

لما حاول هارون ﷺ تذكيرهم بالله الحى الخالق ، والتركيز على انه الحقيق بالعبادة لم يستمعوا له ، وانما حفر الشيطان فى أعماقهم حبا لهذا الاله المصنوع المضحك ، " قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى[٢٣] فلما رجع موسى لم يتركوا عبادتهم العجل ، وانما عبدوا معه عجولا .

---

(٢١) سورة الأعراف الأية ١٤٨ .

(٢٢) سورة طه الايتان ٨٨ ، ٨٩ .

(٢٣) سورة طه الأية ٩١ .

وهكذا فقد جعل القرآن الكريم وجه اليهود الخفى سافرا ، وقد حرصت المصادر اليهودية الحالية كالعهد القديم والتلمود والبروتوكولات على رسم صورة لاله اليهود - ياهوه - تتناسب معه ويشترك معه الهه مثله كثيرون ، ولا ينطبق شىء منها على الوحدانية لله رب العالمين .

انهم صنعوا عقيدة وديانة ومعبودا ، حتى صارت تلك العقيدة عندهم دين الملك وعهد الرعبة ، فالعقيدة الالهيه التى دانوا بها على مر العصور ، وجمدوا عليها انما هى عقيدة انهم شعب مختار ، مع اله مجبر على الاختيار ، انه مختار من بين الالهه العديدين ، وليس فى عقيدتهم ايمان بالتوحيد لله رب العالمين .

كما أن عقيدتهم التى صنعوها لأنفسهم لا تتسع لغيرهم من بنى الانسان ، ومن ثم فلا يقال عليها انه عقيدة انسانيه ،لأنها عقيدة ماتت فى اذهان أصحابها ، ولا يظهر منها الا الصراع الدموى والخداع السياسى ، والكفر الصريح والعداوة على كل خلق الله ، والمحادة لله ورسوله .(٢٤)

ولا يغربن عن ذى بال ما فى طبيعة اليهود من رغبة فى عبادة المخلوقات ، وبخاصة الحيوانات ، والجماد ، وكم صنعوا لها تماثيل ورسوما ، فكانوا يعبدون الصخور ، والماشية ، والضأن ، ولم يتخلوا عن عبادة العجل والكبش والحمل أبدا .

وقد بقيت عبادة العجول عندهم قائمة تتجدد فى حياتهم من حين لآخر ، حتى أن يربعام بن سليمان قد عمل لهم عجلا من ذهب ليعبده وهم معه ، حتى لا يحتاجون للذهاب الى الهيكل ، كما عبد ملك

---

(٢٤) راجع حقائق الاسلام للأستاذ العقاد ص ٥٢ / ٥٤ .

اسرائيل فى فترة من الفترات بعد سليمان يقرن واحد من الزمان الأبقار وصنع لها تماثيل تؤكد حبه لها واحترامه اياها[٢٥] .

بل أن تاريخهم ملىء بالشواهد العديدة على انحرافهم العقدى والدينى ، فقد وجدت صورة الأفعى فى اثارهم القديمة ، ومنها الأفعى النحاسية التى ينسبون صنعها لموسى السامرى زاعمين أن الذى صنعها هو موسى النبى ، وظل اليهود طوال تاريخهم يعبدونها ، وقد وضعوها فى هيكل اليهود أيام حز قيال حوالى ٧٢٠ ق.م .

وكذلك الحيّة التى اعتبرها اليهود حيوانا مقدسا ، ومظهرا من مظاهر وجود الله تعالى وصنعوا لها تماثيل عديدة ، ومن مواد متخالفه ، معتقدين أنها تمثل الحكمة والخلود والدهاء[٢٦] .

ولأنها من وجهة نظرهم استطاعت الانتصار على ملائكة الجنة كما يزعمون ، فأحبلت بالشيطان وأدخلته الجنه[٢٧] فى خفية من الملائكة .

اذن قد وضحت معالجة القرآن الكريم لقضية الألوهيه فى اليهود كدين منزل ، وكديانه وضعيه ، وانه فى الأولى ركز على التوحيد ، وبيان الحق فى المسألة بأكثر من صورة .

أما فى الديانة الوضعية فقد هدم هذه الأفكار وحطم تلك العقائد الباطلة بما ساقه حولها من أدلة الهدم ، كما حذر من الشرك وبين ان ألاشراك بالله جريمة تعود على المشرك مباشرة .

(٢٥) راجع العهد القديم سفر الملوك الأولى ففزات ١٦/٢٦/٢٨/٣٢ .

(٢٦) راجع سفر الملوك الثنى - الاصحاح الثانى عشر الى العشرين ، وراجع قصة الحضارة حـ٢ .

(٢٧) وهذا وامثاله مما يعرف عند المسلمين بالاسرائيليات .

فندد بالالهة التى اتخذها اليهود وغيرهم الهة من دون الله ، وبين انها لا تنفع ولا تضر ، بل هى لا تدفع عن نفسها الضير الذى يقع عليها ، لأنها فى حالة من العجز والضعف ، وايات القرآن الكريم فى هذا الشأن كثيرة .

من ذلك قوله تعالى فى عبدة العجل : " أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا[28] .

وقوله تعالى : " الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين[29] . بل ذكر القرآن الكريم ان هذه المعبودات أموات ، ولا يصح ان يكون المعبود ميتا أو جمادا ، قال تعالى : " والذين يدعون من الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون ايان يبعثون[30] .

ولم يقف القرآن الكريم عند حد التنديد بالالهة التى وقف عليها أصحاب الفكر اليهودى المنحرف وامثالهم ، وانما راح يشنع عليهم [illegible] ، اذ من شأن العابد العاقل ان يتوجه بالعبادة لمن يرى فيه النفع ويلتمس منه الخير ، اما من يعبد ميتا أو لا يعقل فحرى به ان يكون مثله ان لم يكن أقل .

قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام خطابا لعبدة الأصنام : " أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون[31] ، ان هذه الأصنام لا تنفع ولا

---

(٢٨) سورة ق الآيه ٨٩ .

(٢٩) سورة الأعراف الاية ١٤٨ .

(٣٠) سورة النحل الايتان ٢٠/٢١ .

(٣١) سورة الأنبياء الآية ٦٧ .

تضر ، بل أنها لو كانت تعقل لدافعت عن نفسها عند قيام ابراهيم بتكسيرها ، وجعله الفأس على كتف كبيرهم .

ولما تعللوا بانها عبادة الأباء الأقدمين ، وأنهم كانوا عليها قائمين رد - الله عليهم بقوله تعالى : " لقد كنتم انتم وأباؤكم فى ضلال مبين(٣٢) فالذين يعبدون مالا ينفع ، ولا يعقل ولا يسمع حتما ستكون به لوثه تمنعه من الفهم ، وتحجبه عن الادراك ، ومثل هؤلاء لا قيمة لهم ولا اعتداد بهم .

وحذر القرآن الكريم من مغبة الاستمرار فى عبادة هذه المخلوقات الضعيفة ، وبين انها لو سلب منها شيء عجزت عن استرداده ، أفيكون من الممكن لها ان تخلق شيئا . أن العقل يحكم بأن العاجز عن الاحتفاظ بما معه عاجز عن خلق شيء أصلا من باب أولى .

فاذا تصورنا ان هذا الذى يعبدونه عاجز تماما عن ان يحقق لنفسه نفعا أو يدفع ضرا ، أو يسترد ما سلب منه ، أو يحتفظ بما معه ، فلا شك ان التوجه اليه بالعبادة يكون من شأن البله والمجانين ، وليس من طبيعة العقلاء الفاهمين .

قال تعالى : " أتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب ابائكم الأولين(٣٣) ، " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضَعُفَ الطالب والمطلوب(٣٤)

---

(٣٢) سورة الأنبياء الاية ٥٤ .

(٣٣) سورة الصافات الايتان ١٢٥- ١٢٦ .

(٣٤) سورة الحج الاية ٧٣ .

ولو فطن اليهود وأمثالهم الى ان دعوة التوحيد هي الأصل مع التنزيه اللائق بجلاله جل علاه ، واتبعوا الرسل الذين بعثهم الله فيهم ، لكان خيرا لهم ، وأقوم ، ولكن لعنهم الله بكفرهم" وطبع على قلوبهم فلايؤمنون الا قليلا "

[٣] تصوراتهم للأله في العلامات الجسدية :

زعم اليهود أنهم ابناء الله ، وأنهم شعبه المختار ، وان له ولدا من صلبه هو العزير ، " وقالت اليهود عزير ابن الله[٣٥] فكان الرد المناسب لهم " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون[٣٦] .

وبين القرآن الكريم أن قضية العلاقات الجسديه لا تناسب الذات الالهيه ، ومن يدعي ذلك كافر لا محالة ، وانما المناسب لهذه العلاقات قيامها بين المخلوقات : " فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ، ومن يدع مع الله الهاآخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون[٣٧] .

ونبه الرسول الى حذف هذه المسألة تماما من القاعدة الفكرية " قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين[٣٨] بمعنى أن صح وثبت ببرهان صحيح أن لله ولدا ، فانا أول من يعظم الله الولد ويعبده ، لكن ثبت أنه لا ولد له سبحانه وتعالى ، فانتفت عبادته .

---

(٣٥) سورة التوبة الأية ٣٠ .

(٣٦) سورة المومنون الاية ٩١ .

(٣٧) سورة المومنون الايتان ١١٦ / ١١٧ .

(٣٨) سورة الزخرف الاية ١٨ .

وتوضيحه أنه على العبادة بكينونة الولد ، وهى محالة فى نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ، فحصل نفيهما على ابلغ الوجوه وأقواها[39] .

وبالجملة فالاسرائيليون – اليهود – يعتقدون فى الاله المجسد ، ولم يستطيعوا ابدا ان يهضموا فكرة الاله المجرد ، وانما ارتبطت فكرة الاله عندهم بصورة الانسان بكل ما تحويه هذه الصورة من نقائص وأخطاء ، وما يشوبها من تضليل وكذب وادعاء[40]

ونستطيع القول بأن الأفكار اليهودية تدل على ضعف الادراك ، وسوء التقدير ، واستيلاء الشيطان عليهم فى كل ناحية ، حتى انطفأ فى قلوبهم نور العقل ، وما بقى الا الضلال فأنى يصرفون .

كما أن الرد القرآنى على كل شبهم كان ملاحقا وعلى نفس الوجهة من غير ابطاء أو بعد عن المضمون الذاتى نفسه ، وآية ذلك قوله تعالى : " وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحباؤه[41] .

فتلك دعواهم ومزاعمهم ، ، انهم ابناء الله وأحباؤه ، وشان الابن والحبيب أن ينالا المنزلة التى لهما عند الأب والمحب ، لكن ذلك كله لم يحدث بل كان العكس .

---

(39) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين حـ3 ص 58 دار الفكر .

(40) الدكتور محمود محمد مزروعه – الدين وحاجة الانسانية اليه ص 106 دكتوراه مخطوطه بكليه اصول الدين القاهرة .

(41) سورة المائدة الاية 18 .

" قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السماوات والأرض وما بينهما واليه المصير[٤٢] .

ونبه القرآن الكريم هؤلاء اليهود ومن معهم من النصارى الذين باشروا تلك الدعاوى الكذوب ، الى انه لا قيمة لما يقولون الا اذا التزموا ما انزل اليهم مع الأنبياء الذين بعثهم الله اليهم .

قال تعالى " قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والأنجيل وما أنزل اليكم من ربكم[٤٣] .

لقد واجه القرآن الكريم عقائد اليهود التى تعلقوا بها ، وكشف عن أوجه الضلال فيها ، ثم رد تلك الشبه وبين الطريق الصحيح للعبادة الحقة في قوله تعالى : " قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

وقوله تعالى : " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم[٤٤] الى غير ذلك من الايات التى ذكرت عقيدة التوحيد ، وبينت أن الألوهية الحقة لا تكون الا فى الله رب العالمين ، الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

---

(٤٢) سورة المائدة الاية ١٨ .

(٤٣) سورة المائدة الاية ٩٨ .

(٤٤) سورة آل عمران الاية ١٨ .

• **اذن القرآن الكريم سلك الطريقين :**

[١] طريق النقد الهادم للعقائد السالفة التى صنعها الانسان لنفسه والزم غيره بها ، وحاول في حدود الديانة اليهودية الوضعية القيام بها حتى أن القرآن الكريم أتى عليها من كل جانب .

[٢] طريق البناء الصحيح للعقيدة السليمة ببيان أجزائها من توحيد الألوهية والربوبية ، والاتجاه للخالق العظيم جل علاه ، بأدلة برهانية ، واقناعية فيها الالزام العقلى والنقلى معا .

وقد استتبع هدم العقائد الباطلة ، فى اليهودية هدم كل الطقوس التى تقوم عليها من عبادة للحية ونداء للجعران ، ووقوع تحت أقدام الابقار الى أخر هذه المظاهر الكاذبة التى تمارس على أنها شعائر فى اليهودية ، وما هى الا بدع وصناعة قام بها أصحاب اليهودية الوضعية من حاخامات ورجال دين خرجوا عنه ، وليس لهم من علم به .

• **الثانية : النصرانية**

النصرانية دين الهى جاء به عيسى ابن مريم عليه السلام لبنى اسرائيل حتى يعّرفهم بالله الخالق العظيم ويقرر لهم العقيدة الصحيحة ، ويوضح لهم العبادة السليمة التى يرضى عنها الله رب العالمين ، والأخلاق الكريمة التى يكتب لأصحابها الفلاح فى الأخرة ، والتوفيق فى الدنيا .

قال تعالى : " واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين(٤٥) وقد أنطقه الله الحق

(٤٥) سورة الصف الاية ٦ .

الذى جاء به من أول بيان صدر عنه ، وأول كلمات خرجت من فمه ، فجاءت كلماته مبينة ما يلى :

[١] أنه عبد الله " قال إنّى عبدالله " .

[٢] ان الله اتاه الكتاب التى يحمل وصف معجزاته ، وينقل التعاليم لأمته ، وهو الانجيل " أتانى الكتاب " .

[٣] ان الله جعله نبيا " وجعلنى نبيا " .

[٤] ان الله أمره بالشريعة التى تصلح لقومه ، ومنها الصلاة والزكاة " وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حَيًّا " .

[٥] ان الله قعّد له الأخلاق فى البر بالوالدين ومن كان معهم على الحق الأدنى قائما " وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا " .

[٦] ان الله جعل له أجلا كاخوانه من الأنبياء والمرسلين ، فهو مخلوق ، وكل مخلوق له أجل تتعلق به الحياة كما يتعلق به الموت ، وفى الآخرة يقع لهم البعث ، وقد جاءت هذه الأمور فى الآيات القرانية على التوالى .

قال تعالى : " فأُشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال أنى عبدالله أتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام علىَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا[٤٦]

غير ان من نسبوا أنفسهم لعيسى ابن مريم عليه السلام قرروا تحويل رسالته ، وتغيير مجراها الى ما يوافق اهواءهم وما يجرى فى افئدتهم ، وظلوا فى

---

(٤٦) سورة مريم الايات ٢٩ ؟ ٣٣ .

هـذا التحويل سائرين يتخذون من الخطوات الواحدة تلو الآخرى حتى انتهى الأمر بهم الى انشاء دين وضعى هو المسيحية لكنه ينسب الى عيسى عليه السلام مع أن عيسى عليه السلام لم يعرف عنه شيئا لذا لزم التنويه الى وجود كل من النصرانية والمسيحية ، وسنبدأ بالحديث عن النصرانية السماوية فى اللغة والأصطلاح :

- أولا : النصرانية السماوية

[أ] فى اللغة : وردت مادة ن ص ر فى لغة العرب على انحاء شتى منها :

[١] التأييد والمعاونة .

ومنه قولهم ناصر فلان أخاه ، وتناصر معه فأيده وأعانه على خصمه حتى انتصر عليه[٤٧] ومنه قول الله تعالى : " وكان حقا علينا نصر المؤمنين" اذن التناصر هو طلب المعاونه للتأييد .

[٢] الاستظهار والغلبه والانتقام :

ومنه قولهم انتصر فلان على غيره ، وملكه لغلبته له ، واستظهاره عليه حتى انتقم منه ، ومنه قول الله تعالى : " انا لننصر رسلنا والذين أمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد[٤٨] .

[٢] الامتناع عن الخصوم :

ومنه قولهم انتصر القوم على خصومهم فامتنعوا منهم ، ولم يتمكنوا من انالتهم بسوء ولو نالوهم لغلبوهم[٤٩] .

---

(٤٧) المعجم الوجيز باب التوبه ص ٦١٨ / ٦١٩ .

(٤٨) سورة غافر الأية ٥١

(٤٩) القاموس المحيط .باب الراء فصل النون وما يثالثهما

[٤] التحول الى الدين النصرانى

ومنه قولهم تنصر اليهودى بمعنى انه دخل فى الدين النصرانى ، وترك دينه الذى كان يعتقد ، وكذلك يطلق على النصرانى الذى يعتقد النصرانية دينا له مع عيسى ﷺ ، لأن النصرانية هى الدين الذى جاء به عيسى ﷺ لبنى اسرائيل ، ومذكره نصرانى ، ومؤنثه نصرانية ، وجمعه نصارى(٥٠) .

[٥] الشيعة والجماعة :

ومنه قول الله تعالى : " قال من أنصارى الى الله(٥١) ، أى جماعتى التى تأتمر بأمره ، وتنتهى بنهيه ويشايعوننى اليه ، ومنه الانصار الذين هم أهل مدينة رسول الله ﷺ ممن ناصروه حين هاجر اليهم .

[٦] التبادل بين الطاعة والتوفيق .

فنصرة الله لعباده قائمة على طاعتهم له جل علاه كما أن نصرة العبد لله هى نصرته لعباده والقيام بحفظ حدوده ، ورعاية عهوده ، واعتناق أحكامه ، واجتناب نهيه ، ومنه قول الله تعالى : " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم(٥٢) .

قال العلامة الأصفهانى بعد أن عرض الأراء فى الأيات القرآنية فى كل ما يتعلق بمادة الفعل ن ص ر والنصارى قيل سموا بهذا الأسم لقوله تعالى : " كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله ....

---

(٥٠) المعجم الوجيز مادة ن ص ر .

(٥١) سورة الصف الاية ١٤

(٥٢) سورة محمد الاية ٧

وقيل سموا بذلك انتسابا الى قرية يقال لها نصران ، فيقال نصرانى ، وجمعه نصارى ، ونصرار من فلان أى مطر ، وذلك أن المطر هو نصرة الأرض ونصرت فلانا أعطيته ، أما مستعار من نصر الارض أو من العون[٥٣] .

نخلص مما سبق الى أن النصرانية فى الحقيقة اللغوية تطلق على الجماعة الذين يتعاونون فيما بينهم على سبيل التأييد والأعلام لغيرهم من الخصوم ، بأنهم قوة تمتنع على الخصم بينهم الالف والطاعة ، غرضهم الاستظهار على الخصوم وغلبتهم .

وأنها فى الاطلاق الخاص عند علماء الاديان تطلق على الجماعة الذين تحولوا من الاديان التى كانت موجودة . قبل عيسى عليه السلام ، الى الدين الذى جاء به عيسى أبن مريم عليه السلام ، فصاروا جماعته التى تأتمر بأمره ، وشيعته التى تدافع عنه ، ويتبادلون فيما بينهم شرع الله تعالى ، قاصدين اظهاره على غيره من الاديان التى كانت موجودة فى حينه ، وانها انتهت بنهاية عيسى عليه السلام .

[ب] **فى الاصلاح** :

تعرف بأنها الدين السماوى الذى انزله الله تعالى على عيسى ابن مريم عليه السلام ، وكتابه الانجيل ، وقد انقضت النصرانية بانقضاء حياة عيسى عليه السلام بين الناس ، لأنها مؤقتة ، ولقوم مخصوصين .

فاذا خاطبهم الله تعالى فالخطاب ينصرف الى الأصل الذى جاء به عيسى عليه السلام وناداهم به من انصارى الى الله ، واذا عابهم القرآن فى سلوكهم ، فهو يعيب عليهم عدم تمسكهم بالأصل ، ولأن القرآن الكريم

(٥٣) الراغب الاصفهانى - المفردات فى غريب القرآن ص ٤٩٥ .

لا يعترف الا بالأصول فقد أهمل المسيحية ، ولم يذكرها لأنها لا وجود لها ، وانما ذكر قضاياها التى اعتمد عليها المنتسبون اليها ، وبيّن بطلانها ، وفند تلك المزاعم وهو ما سوف نلتفت اليه عند الحديث عن النصرانية .

- ثانيا : المسيحية:

وهى الدين الذى أنشأه بولس شاؤل اليهودى ، ونسبه الى عيسى ﷺ الرسول ، وكتبه الأناجيل ، والرسائل التى تسمى أعمال الرسل ، وهو دين وضعى يزعم أصحابه أنه عام ، وخالد ، وفيه عقائد كثيرة .

ولما جاء القرآن الكريم ، واجه الأمرين معا ، وكشف عقائد كل منهما ، وبين أن أحداهما صواب ، وأما الأخرى فهى ضلال مبين ، مما يجعلنا نفرد لكل منهما حديثا ، نفرق فيه بين الدين الحق ، وهو النصرانية التى انتهت بنهاية عيسى ﷺ ، والدين الوضعى ، وهو المسيحية التى ابتدأت بعد عيسى ﷺ ، ونسبت زورا اليه .

- النصرانية السماوية :

جاءت فى النقل المنزل النصوص الدالة على ان النصرانية دين سماوى ، وان عيسى ابن مريم ﷺ ارسله الله بها ، وانه بلّغ قومه التوحيد الخالص الذى جاء به الأنبياء من قبله ، كما بين أن هذا التوحيد هو المناسب لله رب العالمين ، توحيد من كل جهة ، أفراد المعبود بما يقتضيه من جلال وكمال ومهابة .

وفى نفس الوقت عرضت أيات القرآن الكريم التوحيد فى العقيدة مع العبادة والأخلاق الكريمة ، فى قول واحد ، وربما عرضت أيات أُخر التوحيد مع بيان القوم الذين بعث فيهم عيسى ﷺ .

وقد عرضت أيات آخرى لمعجزات عيسى عليه السلام ، واحالة الأمر الى الله رب العالمين ، وبعضها وجوده من غير أب أما على سبيل التماثل لأدم أو كونه دليلا على قرب قيام الساعة .

- **سمات العقيدة النصرانية السماوية**

لذا سأضع هذه الدلائل والسمات فى مجموعات حسب أغراضها ليسهل الرجوع اليها .

[١] **الآيات التى تتعلق بتوحيد العقائد :**

من ذلك قوله تعالى : " وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون(٥٤) " وعيسى عليه السلام رسول أوحى الله اليه أن يبلغ قومه التوحيد الخالص لله الخالق مع اخلاص العبادة له وحده جل علاه .

وقوله تعالى : " وقال المسيح يا بنى اسرائيل أعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقدم حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار(٥٥) " ، فقد وجه انظارهم الى التوحيد بالمعنى الشرعى الذى تقوم عليه العقيدة الصحيحة ، والعبادة السليمة .

وقوله تعالى : " وما من اله الا إله واحد(٥٦) ، فقد ذكرت الوحدانية ، وركزت على التوحيد لله رب العالمين ، وهو من معالم النصرانية الدين الالهى الذى جاء به عيسى عليه السلام ، وامثال هذا فى القرآن الكريم كثير مما

---

(٥٤) سورة الأنبياء . الاية ٢٥ .

(٥٥) سورة المائدة الأية ٧٢ .

(٥٦) سورة المائدة الأية ٧٣ .

يؤكد فصل القرآن الكريم بين الأمرين ، وبيان أن النصرانية دين حق حين نزوله ، ووجود عيسى ﷺ رسول الله بينهم .

[٢] الأيات التى تتعلق بتوحيد العبادة :

قال تعالى : " ولما جاء عيسى بالبينات قال جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم(٥٧) ، فهو قد عرف قومه طبيعة رسالته ، وذكرهم بالعلامات الدالة على انه نبى .

ثم ذكر لهم انطاق الله اياه بالحكمة ، وتعريفه بطرق البيان لكل ما متريهم من مشكلات فى حياتهم ، تدفعهم للشقاق أو التنازع وذلك من امور الشريعة التى تتعلق به ، والتى بعثه الله تعالى وأمره بتوضيحها لقومه من بنى اسرائيل دون سواهم .

كما أمره جل علاه أن يركز على قضية أساسية هى توحيد العقيدة ، وتوحيد العبادة ، فالعقيدة الصحيحة تعقبها العبادة السليمة ، وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .

وقوله تعالى : " وأن هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون(٥٨) ، فهى صريحة فى الدعوة الى صحيح العبادة ، والتمسك بأهداب الفضيلة ، والبعد عن اعتقاد الشرك ، سواء فى العقيدة ، أو فى العبادة والأخلاق .

قال العلامة الفخر والمراد بأن هذه أمتكم أمة واحدة " انما هو الجماعة المتمسكة بما بينه الله تعالى فى هذه السورة من التوحيد

---

(٥٧) سورة الزخرف الايتان ٦٣/٦٤ .

(٥٨) سورة الأنبياء الاية ٩٢ .

والنبوات[٥٩] ، والقيام على العبادة السليمة لله جل علاه ، بعد الاعتقاد الصحيح فى وحدانيته ، والايمان بأنه جعل فى الناس النبوات ، وأنه وحده الذى جعل هذه وتلك .

وقوله تعالى : " ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد[٦٠] ، وهكذا فقد حسمت الايات القرآنية أمر العقيدة ، والعبادة التى جاء بها عيسى ابن مريم عليه الصلاة ، وعلى نبينا أفضل التسليم ، وفى القرآن الكريم من ذلك كثير .

[٣] الايات الدالة على خصوص من دعوة عيسى لبنى اسرائيل

وردت فى القرآن الكريم أيات تتحدث عن النصرانية ، وتذكر أنها ديانة خاصة لبنى اسرائيل وحدهم وحتى يصلح لهم عيسى ابن مريم عليه السلام ما قد أفسدته طباعهم بعد موسى الكليم عليه السلام ، وان هذه الخصوصية ميزة لها لا تناسب غيرها من هذه الايات .

قوله تعالى : " ورسولا الى بنى اسرائيل[٦١] ، فهذا صريح فى ان رسالته خاصة لقوم مخصوصين حتى تصلح فيهم طباعا بعينها وتعيد اليهم أمورا محدده فى ذاتها ، فهو أخبر بحالهم ، وأقدر على التعامل معهم ، وفى نفس الوقت قد الف السلوكيات الصادرة عنهم ، ومن ثم فهو الايسر فى دفع هؤلاء عن مواقفهم ، وازاحتهم بعيدا عن مواطن الضلال ، ان هم التزموا الجادة ، وساروا على هدى الله .

---

(٥٩) مفاتيح الغيب – المجلد الحادى عشر جـ٢١ ص ٢٠٢ ط دار الغد العربى .

(٦٠) سورة المائدة الأية ١١٧ .

(٦١) سورة آل عمران الاية ٤٨ .

وقوله تعالى : " واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل أنى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يُدْعَى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين[٦٢] .

- ففى الاية الكريمة بيان لأمور عديدة منها :

[١] أن الله قد بعث عيسى عليه السلام نبيا ورسولا من بنى البشر ونسبه لأمه لأنه لا أب له بل هو نفخة من روح الله بأمر الله .

[٢] أن الله تعالى بعثه لقوم مخصوصين هم بنو اسرائيل .

[٣] أن الله ايده بالمعجزة الدالة على تصديقه فى أنه رسول الله اليهم .

[٤] أنه بشر برسالة أخرى خاتمة مع نبى جديد ، هو سيدنا محمد ﷺ الذى تعددت أسماؤه ، وكثرت صفاته لكونه مميزا ، وهو الذى تضمنته الاية الكريمة ، ثم أن أحمد اسم لنبينا محمد ﷺ ،

فمن حيث تكرر حمده سمى محمدا ، ومن حيث كونه حامل لواء الحمد سمى أحمد ، قال العلامة الراغب الأصفهانى فأحمد اشارة الى النبى محمد ﷺ باسمه وفعله تنبيها على أنه كلما وجد اسمه أحمد يوجد وهو محمود فى أخلاقه وأحواله ، وخص لفظة أحمد فيما بشر به عيسى ﷺ تنبيها الى أنه أحمد منه ومن الذين قبله .

---

(٦٢) سورة الصف الايتان ٦ ، ٧ .

وفرق العلامة الراغب بين كونه اسم النبى أحمد ، ومحمد فقال وقوله تعالى محمد رسول الله ، فمحمد ههنا ، وان كان من وجه اسما له علما ففيه اشارة الى وصفه بذلك ، وتخصيصه بمعناه[٦٣] .

وقال العلامة البروسوى ، فى معنى الاية الكريمة ، ناداهم بيابنى اسرائيل استمالة لقلوبهم الى تصديقه فى قوله بأنه مصدق للتوراة ، فان تصديقه للتوراة التى قد هجروها ، من أقوى الدواعى الى تصديقهم اياه ، فقد كانوا منتظرين نبيا .

فكان يقول لهم ارسلت اليكم لتبليغ أحكام الله تعالى التى لابد منها فى صلاح أموركم الدينية والدنيوية ، وارسلت كذلك مصدقا لما تقدمنى من التوراة ، وارسلت كذلك مبشرا بمن سيأتى من بعدى من رسول وقد بشرتكم به ، فاذا جاء فأمنوا به ، وقد أخبرتكم أن اسمه أحمد ، كما يسمى محمدا لأنها أوصاف له تنقل للعلمية .

فما جئت الا للتصديق بمن سبقنى من أنبياء وكتب ، كان أخرها التوراة ، ومصدقا بمن سيأتى من بعدى ، وهو محمد ﷺ ومعه القرآن الكريم ، فانا حلقة وصل بين من سبق والذى سيلحق ، بين من تقدم وبين من تأخر .

- قال الحواريون لعيسى : ياروح الله هل بعدنا من أمة ؟
- قال عليه السلام : نعم أمة محمد
- قالوا صفهم لنا ،

---

(٦٣) العلامة الراغب الاصفهانى – المفردات فى غريب القرآن – كتاب الحاء ص ١٣١ ط دار المعرفه .

➢ قال ﷺ : حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه بالله أنبياء ، يرضون الله باليسير من الرزق ، ويرضى الله منهم باليسير من العمل(٦٤)

وربما ذهب صاحب رأى الى ان رسالة عيسى ابن مريم ﷺ لم تكن رسالة خاصة لبنى اسرائيل ، وحدهم وانما كانت شاملة لكل من اليهود والرومان ، ويكون تخصيص بنى اسرائيل بالنص عليها لخروج عيسى من بينهم فتخصيصهم بالذكر بيان لواقع الأمر ، وتبويخ لهم حيث كفروا برسول مبعوث منهم أوتى معجزات لا تجعل بعدها مساغا للإنكار عليه(٦٥) .

وربما نظر صاحب هذا الرأى الى المكان باعتبار الاشخاص الموجودين فيه ، وقد كان اليهود يقطنون بيت لحم ، والناصرة والجليل ، كما كان الجنود الرومانيون موجودين باعتبارهم محتلون لها ، ومن ثم فإن تصور وجود هؤلاء فى المكان الواحد لا يعنى أن عيسى ﷺ جاءت رسالته عامة ، فالعموم يقصد به عموم المكان لا عموم الأفراد ، اذن رسالة عيسى ﷺ كانت خاصة بالافراد والمكان ، لبنى اسرائيل وشعبه .

ثم ان الايات القرآنية قاطبة على ان كل رسول انما كان يأتى فى أمة من الأمم ، أما الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ فهو لكل الأمم من الانس والجن .

---

(٦٤) العلامة البروسوى - تنوير الاذهان حـ٤ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ بتصرف .

(٦٥) مجلة لواء الاسلام المصرية - عدد ٦٣٣ رجب ١٣٧٥ هـ .

قال تعالى : " وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون[٦٦] وقوله تعالى إناأرسلناك بالحق بشيرا ونذيراًوإن من أمة الا خلا فيها نذير[٦٧] .

وجاء فى السنة المطهرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضلت على الأنبياء بست ثم عرّفها " وكان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت للناس كافة[٦٨] .

[٤] الآيات التى تعرضت لبيان معجزات عيسى عليه السلام .

المعروف أن المعجزات مع النبى دليل على الصدق فى دعواه النبوة ، وان الله تعالى يجريها على يد الصادق تصديقا له فى دعواه ، وليس الحال كذلك مع الكاذب ، فلو صدق الله المدعى الكذاب فرضا لكان مستحيلا ، ويلزم عليه أن يكون الصادق كاذبا والعكس .

وقد ذكر القرآن الكريم معجزات عيسى عليه السلام ، وانه حدّث بنى اسرائيل عنها قال تعالى : " ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئى الاكمه والابرص وأحى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لأية لكم إن كنتم مؤمنين[٦٩] .

وقوله تعالى : " اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا . واذ علمتك

---

(٦٦) سورة سبأ الاية ٢٨ .

(٦٧) سورة فاطر الاية ٢٤ .

(٦٨) صحيح البخارى – كتاب التيمم وهو مروى عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه ، ورواه الأمام مسلم فى صحيحه عن جابر أيضا فى كتاب المساجد .

(٦٩) سورة آل عمران الاية ٤٩ .

الكتاب والحكمة ، والتوراة والأنجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الأكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين[٧٠] .

والملاحظ أن هذه الخوارق التى أجراها الله تعالى على يد عيسى ابن مريم عليه السلام ، انما هى من خلق الله تعالى لامن خلق عيسى عليه السلام ، وقد تضمنت الايات القرآنية الكريمة أمورا هامة تتصل بعيسى عليه السلام ورسالته وهذه الأمور هى :

- الأمر الأول : بيان العلوم التى منحها الله لعيسى عليه السلام لتكون عونا له فى اداء رسالته[٧١] .
- الأمر الثانى : تحديد القوم الذين أرسل اليهم عيسى عليه السلام ، ورسولا لبنى اسرائيل [٧٢] .
- [illegible] الثالث : بيان [illegible]سم المعجزات التى أيَّد الله بها عيسى عليه السلام . أَنِّى قد جئتكم بآية من ربكم[٧٣] .
- الأمر الرابع : بيان طبيعة هذه الرسالة ، وانها مصدقة لما جاء فى التوراة مع احلال لبعض ما حرم الله فيها على اليهود ، وداعية الى

---

(٧٠) سورة المائدة الاية ١١٠ .

(٧١) الدكتور ابراهيم عبدالحميد محمد سلامه - القرآن وعقائد أهل الكتاب ص ٢٠٦ - دكتوراه مخطوطه بكلية اصول الدين القاهرة .

(٧٢) المصدر السابق ص ٢٠٧ .

(٧٣) المصدر نفسه ص ٢٠٨ .

الايمـان بـالله وحده لا شريك لـه ، واعتقـاد أنـه خـالق كـل شـيء ومنشئه ومبدعه بارادته المختاره[74] .

وقد بـان أن الايات القرانيـة عنيت بذكر معجـزات عيسـى عليه السلام ، وانها من نعمة الله عليه ، وتأييده لـه ، وليست من فعل عيسى نفسه ، وانهـا جرت معه على مقتضيات عصره الذى عاش فيه ، وتقدم القوم الذين بعث فيهم فى هذه العلوم والمعارف .

فجاءت معجزاته من جنس ما برع فيه القوم حتى يكون وجوده فيهم وجريان المعجزات على يديه بالشكل الذى هو أعلى من امكانياتهم من الأدلة على أنه مبعوث من الله تعالى وانه مرسل اليهم .

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تجئ مع كل نبى خوارق للعادات ، لكنها فى جنس ما برع فيه القوم الذين بعث فيهم وارسل اليهم تعجيزا لهم ، وبيانا بـأن الله تعالى أجراها على يديه ليأتيهم من حيث يتمكنون ثم يكون الخارق فى أعلى ما عليه يقتدرون ، وكذلك كان الحال مع عيسى عليه السلام .

- اذن هناك نقطتان :

- الأولى : أن المعجزة يجب أن تكون خرقا لقوانين البشر ولا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى ، الذى وضع هذه القوانين ، وهو القادر على خرقها ، وليس ذلك لأحد سواه أبدا .

- الثانية : أن المعجزة مع كل نبى يجب أن تكون مما نبغ فيه قومه ، حتى يكون التحدى نابغا وقويا ، واثباتا على قدرة الله سبحانه

---

(74) المصدر السابق ص ٢٠٩ .

وتعالى ، فلا يأتى نبى مع قوم نبغوا فى الطب ثم تأتى معجزته اليهم فى البلاغة ، ولا العكس والا ما وقع التحدى القوى ، اذ التحدى يجب أن يكون فى أمر نبغ فيه القوم ، حتى لا يتحدى الله قوما بأمر لا يعرفونه ولا موهبة لهم فيه ، ومن هنا كانت معجزة كل رسول فيما نبغ فيه قومه(٧٥) .

وأيات القرآن الكريم حافلة بهذا التنوع فى المعجزات مع الأنبياء وطبقا لظروف كل نبى وأمكانيات قومه فلا ينبغ نبى فيما لم ينبغ فيه قومه ولا يأتيهم بمعجزة الا اذا كانت من هذا النوع الراقى حتى اذا جاءت معجزته اليهم أعلى من أمكانياتهم فيما برعوا فيه أخضعوا له الجباه وذلت له الرقاب ودانت له الأعناق ، وتداعى اليه عاليهم وسافلهم كبيرهم والصغير، وما ذلك الا لكون المعجزة التى جاء بها قطعت عليهم كل رجاء وفضت من قلوبهم كل مطمع فى المنازلة .

وربما كانت عبارات العربى الأجلف - أكثر دلالة من عبارات مدعى الحضارة - حينما سمع القرآن ووجده أعلى من بلاغته هتفت مشاعره من داخله بما فرض نفسه على فكره فخرج من غير أحتمال المواربة أو محاولة التبديل فقال :

ان له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن اعلاه لمثمر ، وان اسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى عليه ، ورغم أنه لم يؤمن الا انها شهادة حق قرت فى وجدانه وعجزت عن مقاومتها أفانين بيانه ، وهو الذى نقصده

(٧٥) الشيخ محمد متولى الشعراوى - معجزة القرآن كتاب اليوم ص ٩١٨ - الطبعة الثالثه .

من كون المعجزة مع النبى تأتى دائما فى جنس ما برعوا فيه[٧٦]

[٥] الايات التى ركزت على كون وجوده من علامات الساعة :

وردت آيات فى القرآن الكريم تحدثت عن النصرانية السماوية ، فتحدثت عن العقيدة ، والاحكام ، كما تحدثت عن نبى النصرانية عيسى ابن مريم عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة ، واتم التسليم ، من هذه الايات ما فيه دليل على ان مجيء عيسى عليه السلام من غير أب انما هو بأمر الله تعالى ، وحتى تكتمل القسمة العقلية .

- فقد أرتنا الايام حاضرها ، والغابر ، كما جاء فى النقل المنزل ، بأن التسمية العقلية فى الخلقة لا تخرج عن اربعة أمور :
  - الأول : مخلوق من غير أب ولا أم . وهو أدم عليه السلام .
  - الثانى : مخلوق بأب وأم ، وهم بنو أدم الذين وقع فيهم الانسلال ، ويتم بينهما التناسل .
  - الثالث : مخلوق بأب ولا أم له ، وهى حواء أم البشرية .
  - الرابع : مخلوق بأم لا أب له ، وهو عيسى عليه السلام .

---

(٧٦) سنولى المسألة عناية عند حديثنا عن المعجزة وخوارق العادات ولطالب المزيد الرجوع الى : –

أ– مباحث السمعيات فى كل من المقاصد للسعد والمواقف للعضد والمطالب للفخر والمطالع للبيضاوى والطوالع للأصفهانى .

ب– الموضوعات التى تتعلق بالنبوة والمعجزة فى الكتب المتناولة لها – راجع المغنى للقاضى عبدالجبار – جزء النبوات والمعجزات ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الاسلام ابن تيميه – حـ٤ ط المدنى ، والاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبى ، وراجع كتابنا عبدالكريم الخطيب واراؤه الكلامية – رسالة ماجستير بكلية البنات – جامعه عين شمس ١٩٩٢م .

فلا غرابة فى كون مجيئه من غير أب ، انما الغرابة تكون لو جاء من غير أب وأم كالحال مع ادم ﷺ فلا يوجد أدم أخر جاء على هذه الناحية حتى يقال عليه آدم أول ، وأدم ثان ، وهكذا ، ولكنه أدم واحد ، خلقه الله تعالى من غير أب وأم .

كما تقع الغرابة لو جاء من أب بدون أم ، لأنه سيكون تكرارا لحواء ، وهى لا تتكرر ، وليس خلقا جديدا ، وفى نفس الوقت لن تكتمل القسمة العقلية ، وبالتالى فخلق عيسى على هذا النحو أمر طبيعى فى سنن الله الكونية ، لكن لن يوجد عيسى ابن مريم أخر على نفس الصفات بحيث يأتى بأم لأ أب والا كان تكرارا .

قال تعالى : " أن مثل عيسى عند الله كمثل أدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين[٧٧] .

- قال العلامة الصاوى سبب نزولها أن وفدا من نجران قدموا على النبى محمد ﷺ ..

- فقـــالوا له : نراك تسب صاحبنا :
- فقـــال ﷺ : من هو
- قـــالوا : عيسى تزعم أنه عبدالله .
- فقال النبى محمد ﷺ : أجل أنه عبدالله ورسوله .
- فقـــالوا : هل له مثل من الخلق ، خلق من غير أب ،

(٧٧) سورة آل عمران الايتان ٥٩/٦٠ .

فنزلت الاية ردا عليهم[٧٨] ، وبيانا للموقف برمته ، وهو أن عيسى ليس أغرب فى الخلق من أدم ، بل خلق أدم من غير أب هو الأشد غرابة " وليس عيسى عليه السلام فى خلقه من غير أب هو الأغرب .

- قال الصاوى ، وأغربية أدم فى خلقه عن عيسى عليهما السلام من وجوه منها :

[١] أنه لم يسبق له مثال أصلا .

[٢] وجود الأم لعيسى دون أدم[٧٩] .

- وربما تسأل ما وجه الشبه فى الخلق بين أدم وعيسى عليهما السلام ؟

- والجواب :

أن أدم وعيسى عليهما السلام ليس لأى منهما أب ، فوقعت المشابهة ، وتحقق ضرب المثل الوارد فى قوله تعالى : " ان مثل عيسى عند الله كمثل أدم " وهو وجه الشبه بينهما وأعنى به عدم وجود الأب فى كل منهما .

وذكر العلامة الصاوى " أن عالما مسلما أُسِرَ فى بلاد الروم ، فوجدهم يعبدون عيسى ، فقال لهم لِمَ تعبدون عيسى ؟ فقالوا لأنه لا أب له ، فقال لهم أدم أولى، لأنه معدوم الأبوين ، فقالوا له أدم وان كان بلا أب الا أنه لا يحى الموتى .

فقال لهم اذا كان كذلك فحزقيل أولى لأنه أحيا ثمانية ألاف ، وقيل أكثر بدعوته ، وعيسى أنما أحيا أربعة أنفار فقط ، فقالوا : ان عيسى

---

(٧٨) حاشية الصاوى على الجلالين – المجلد الأول ص ١٥٨ .

(٧٩) المصدر السابق ص ١٥٩ .

يبرىء الأكمه والأبرص ، فقال لهم جرجيس أحرق وطبخ ، ولم يضره الحرق والطبخ[٨٠] .

وقوله تعالى : " ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا ءالهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون . وانه لعلم للساعة فلا تمترون بها واتبعون هذا صراط مستقيم[٨١] .

يذكر المفسرون فى معنى الأيات القرآنية ، واسباب نزولها أن مجادلا جادل رسول الله ﷺ فى ضرب المثل الوارد فى الأية الكريمة ولما ضرب ابن مريم مثلا فقال أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم ؟

فقال رسول الله ﷺ : هو لكم ولآلهتكم ، ولجميع الأمم .

فقال اللعين : خصمتك ورب الكعبة . أليست النصارى يعبدون المسيح ، واليهود يعبدون عزيرا ، وبنو مليح يعبدون الملائكة ، فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ،

ففرحوا به وضحكوا ، وارتفعت اصواتهم فقد كانوا منه يصدون[٨٢]

- وذكر العلامة الفخر الرازى " أن للمفسرين فى الأية وجوها كلها محتملة منها :

---

(٨٠) حاشية الصاوى المجلد الأول ص ١٥٩ .

(٨١) سورة الزخرف الايات ٥٧/٦١ .

(٨٢) العلامة سليمان بن عمر الجمل – الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية – المجلد الرابع ص ٩١ – ط المنار .

● الأولى : أن الكفار لما سمعوا أن النصارى يعبدون عيسى عليه السلام قالوا اذا عبدوا عيسى فآلهتنا خير من عيسى ، وانما قالوا ذلك لأنهم كانوا يعبدون الملائكة ، فعبادة عيسى من وجهة نظرهم أيسر من عبادة الملائكة ، ولكنها عادة باطلة من كل الوجوه .

● الثاني : روى أنه لما أنزل قوله تعالى : " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون[83] .

قال عبدالله بن الزبعرى " هذا يقصد الذم فى الاية الواقع على العبادة الباطلة – لنا ولألهتنا خاصة أم لجميع الأمم . فقال ﷺ له ، بل لجميع الأمم .

فقال ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة . الست تزعم أن عيسى ابن مريم نبى ، وتثنى عليه خيرا ، وعلى أمه ، وقد علمت أن النصارى يعبدونهما ، واليهود يعبدون عزيرا ، والملائكة ايضا يعبدون ؟

فاذا كان هؤلاء – النصارى واليهود ، وعبدة الملائكة – فى النار فقد رضينا أن نكون نحن والهتنا معهم ،فسكت النبى ﷺ ، وخرج القوم ، وضحكوا ، وضجوا ، فانزل الله تعالى قوله تعالى : " أن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنهامبعدون[84] ، ونزلت هذه الاية ايضا[85] .

اذن القرآن الكريم عنى بالديانة النصرانية الحقة ، وكشف النقاب عن صحة العقيدة فيها ، وسلامة العبادة ، وكرم الأخلاق ، وبين أن نبى

---

(٨٣) سورة الأنبياء الأية ٩٨ .

(٨٤) سورة الأنبياء الاية ١٠١ .

(٨٥) مفاتيح الغيب – المجلد ١٤ صحـ٢٧ ص ١١٢ .

النصرانية هو عيسى ابن مريم عليه السلام ، وامتدح أمه ، وذكر أنها صديقة وأنه عبد أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة .

وقد قرّ فى الأفهام ، وثبت فى العقول ، والنهى أن النصرانية دين حق ، مع نبى صدق ، لكن هذا الدين النصرانى كان مؤقتا لمدة معينه ، ولقوم مخصوصين ، فلما انتهى أمر النبى النصرانى عيسى ابن مريم عليه السلام انتهت رسالته ، ورفعت التكاليف الشرعية التى بقيت مع اتباع عيسى حتى جاء وقت انقطعت تلك التكاليف ، وعم الخراب المعمورة ، وساد الشر كل مكان .

من ثم كان العالم محتاجا لنبى أخر يكون بمثابة الخاتم والصمام الآمن لكافة ظروف الحياة ، ويكون مع الناس حتى الأخرة ، بحيث تعم رسالته الخافقين ، وتبلغ بهم خير الدارين ، وهو النبى الخاتم سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، الذى كانت بعثته خيرا ، ورحمة وبرا ، قال تعالى : " وما ارسلناك الا رحمة للعالمين[٨٦] .

وقال تعالى : " وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون[٨٧] .

أرسال عم الأنس وشمل الجن ، ولذا فانه يجب على كل مكلف أن يعتقد أن سيدنا محمدا ﷺ أرسله الله تعالى رحمة للعالمين ، وقد ارسله الله تعالى الى جميع المكلفين ، أى الأنس والجن اجماعا معلوما من الدين بالضرورة ، فيكفر جاحده[٨٨] .

---

(٨٦) سورة الأنبياء الاية ١٠٧ .

(٨٧) سورة سبأ الاية ٢٨

(٨٨) العلامة الشيخ / محمد نووى الشافعى – شرح منظومة عقيدة العوام ص ٢٥ ط الحلبى ١٩٣٦م .

- واشير الى أن الارسال أنواع ، وقد أجتمعت كلها فى رسول الله محمد ﷺ ، ولم تجتمع فى نبى قبله ، ولكونه خاتم الأنبياء فقد تم الحصر ، وأنه الوحيد الذى أجتمعت فيه دون غيره والأنواع هى :

- الأول : ارسال التكليف: وهو أن سيدنا محمدا ﷺ مرسل لجميع المكلفين من الأنس والجن يبلغهم رسالة الله اليهم ، ويعرفهم طرق عبادته ، وهم بهذا التكليف قائمون ، وعلى التقصير يحاسبون ، وفى القيام بالواجبات يثابون .

- الثانى : ارسال التشريف : وهو أن سيدنا محمدا ﷺ مرسل للملائكة ، وهو الرأى الراجح ، ومعنى ذلك أن طاعتهم جبليه ، وليست تكليفيه ولو كان مرسلا اليهم ارسال تكليف لخاطبهم وحدد لهم ما قد كلفوا به ، وليس ذلك من رسالته ﷺ ، بل هو تشريف لكونهم من أمته ، لا تكليف الشريعة[89] .

وكذلك ارساله ﷺ للحيوان ، فهو من هذا الباب أعنى ارسال التشريف الذى يدخل فيه الملائكة والحيوان .

- الثالث : ارسال تأمين من الخسف . وهو أن الله سبحانه وتعالى ضمن لرسوله أن لا يأخذ أمته بالخسف الذى كان يقع للأمم السابقة ، قال تعالى : " فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون[90] .

---

(89) الشيخ محمد نووى الشافعى - نور الظلام ص ٢٥ .

(90) سورة العنكبوت الاية ٤٠ .

ويفرق بين أنواع الارسال بنوع المرسل اليه ، فان كان مكلفا وهو الانسان والجن فهو ارسال تكليف لا محالة ، والدليل قوله تعالى : " وما ارسلناك الا رحمة للعالمين " .

أما ان كان عاقلا وليس من الانسان و الجن ، أعنى ليس من الثقلين فهو ارسال تشريف حيث أنه دخل فى عموم قوله تعالى "للعالمين ،

والعالم اسم لما سوى الله تعالى وصفاته من الموجودات فيشمل الملائكة والانس والجن والجمادات ، لكن ارساله الى الملائكة ارسال تشريف له لعدّهم من أمته لا تكليف بشريعته ، والى الجمادات ارسال تأمين لها من الخسف بها[٩١] .

أما اذا كان غير عاقل على نحو ما وهو الجماد فان الارسال هنا قائم على التأمين من الخسف لما علم وهناك أنواع آخرى من الارسال لكنها غير قائمة على قواعد تضمن لها البقاء عند المناقشة أو تصمد فى مواجهة الانتقاد .

- ثانيا المسيحية :

[أ] الكلمة : وردت مادة الكلمة م س ح فى القرآن الكريم حوالى ٢٥ مره وقد تكفل بها المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم[٩٢] كما وردت فى اللغة على انحاء منها .

- فى اللغة :

[١] العطف والشفاء

---

(٩١) الشيخ محمد نووى الشافعى - نور الظلام ص ٢٥ .

(٩٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٦٦٦ مادة م س ح ولطالب المزيد الرجوع اليه ففيه خير كثير .

ومنه قولهم مسح على رأس اليتيم ، بمعنى أنه عطف عليه . ومسح الله عن العليل مرضه بمعنى شفاه الله تعالى منه[٩٣] .

[٢] المبالغة فى الشىء والذهاب عنه

ومنه قولهم فلان مسح القوم بمعنى بالغ فى قتلهم والافناء ، ومنه قولهم مسح الشىء بمعنى بالغ فى مسحه .

[٣] المساواة فى الشىء الواحد .

ومنه قولهم : المرأة مسحت قدمها فليس لرجلها أخمص ومنه الأمسح وهو المستوِى .

[٤] المكر والخداع والخبث .

ومنه قولهم فلان تمساح ، وهو من الرجال الخبيث[٩٤] .

[٥] المحو والازالة

ومنه قولهم : المسح أمرار اليد على الشىء وازالة الأثر عنه ، ومنه المسح الوارد فى عرف الشرع وهو امرار الماء على الأعضاء لازالة ما على الجسم من أوساخ[٩٥] .

نخلص مما سبق الى أن المادة الأصلية للكلمة يمكن استخلاص تعريف منها ينطبق على المسيحية لكن على ناحية لغوية وهو المبالغة فى افناء الخصوم على المساواة فى بنيهم والعطف ودعوة الشفاء حتى تمحى عنهم ذنوبهم ، ويزال عنهم خصومهم . ومن غير اعلان عن ما يراد بالخصوم

(٩٣) المعجم الوجيز مادة م س ح . ص ٥٨٠

(٩٤) المصدر السابق ص ٥٨١ .

(٩٥) الراغب الأصفهانى - المفردات فى غريب القرآن - كتاب الميم ص ٤٦٧ .

والمكر بهم ولو اقتضى الأمر خداعهم ، باظهار جانب الخير وابطان جانب الشر .

[ب] ما المسيح ؟

- المسيح جاءت بمعنى الممسوح ، وسمى به كل من :

[١] المسيح الدجال : لأنه ممسوح أحد شقى وجهه ، وقد روى أنه لا يمين له ولا حاجب ، كما روى أن المسيح الدجال مسحت أحدى عينيه وهى العين اليمنى ، كما روى أنه سمى بهذا الأسم لأنه - الدجال - قد مسحت عنه القوة المحمودة من العلم والعقل ، والحلم والأخلاق الجميلة(٩٦)

[٢] المسيح عيسى ابن مريم ﷺ

ذهب العلماء الى أن المسيح اما ان يكون مشتقا أو اسما وضع فى اللغة للدلالة على هذا المعنى ، أو وصفا اطلق .

- أصحاب الرأى الأول : القائلون بالاشتقاق

ذهب أصحاب الرأى الأول الى القول بأنه مشتق ثم اختلفوا فى جهة الاشتقاق على اقوال كثيرة ترجع فى مجملها الى اشتقاق الكلمة من فعيل بمعنى فاعل ، أو فعيل بمعنى مفعول ، أى مسيح بمعنى ماسح ، أو مسيح بمعنى ممسوح .

[١] الذين قالوا انه بمعنى ماسح تعللوا وجو ها للمسألة من هذه الوجوه ما يلى :

---

(٩٦) المصدر السابق ص ٤٦٨ .

[١] انه كان يمسح اصحاب العاهات فيبرأون باذن الله .

[٢] أنه كان يمسح الأرض ذهابا وايابا ، وعليه جوزوا أن يقال لعيسى عليه السلام مسيح .

[٣] أنه كان يمسح رأس اليتامى لله ، كما نقول فلان رحيم بمعنى راحم ، ومسيح بمعنى ماسح .

[٢] الذين ذهبوا الى ان مسيحا بمعنى ممسوح تعللوا لما ذهبوا اليه وجوها منها :

[١] أنه مُسِح من الأوزار والاثام

[٢] انه كان ممسوح القدمين .

[٣] انه كان ممسوحا بدهن طاهر مبارك يمسح به الأنبياء ولا يمسح به غيرهم ، ويجوز أن يكون الله تعالى جعله علامة حتى تعرف الملائكة أن كل من مسح به وقت الولادة فانه يكون نبيا .

[٤] أن جبريل مسحه بجناحيه وقت الولادة ليكون ذلك صونا له عن مس الشيطان فسمى به .

[٥] أنه سمى مسيحا لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن .

وعلى هذه الوجوه يكون المسيح هو الممسوح وليس هو الماسح والفرق بينهما كبير .

- أصحاب الرأى الثانى : القائلون بأنه أسم موضوع فى اللغة .

فقد ذهبوا الى أن أصله فى العبرانية مشيحا فعرفته العرب على سبيل النقل ، وغيروا من المشيح الى المسيح ،.

كذلك عيسى وموسى ، والسلام ، فإنها فى العبرانيه يشوع ثم قلبت الى يسوع ، وموشى أو ميشه فى العبرانيه ثم فى العربية فنقلت موبس وشالوم أو شلام فإنها عندما نقلت للعربية حذفت النقاط ونطقت مجرده سلام ، ومن ثم يكون المسيح اسما وضع هكذا فى لغتهم ثم نقل الى العربية بهذا المعنى[٩٧] .

- وهناك رأيان آخران فى المسألة :
  - الأول : ان المسيح هو الملك ، ونسب هذا الى عمرو بن العلاء
  - الثانى : أن المسيح هو الصديق ، ونسب هذا الرأى للنخعى .

- اذن نحن أمام أراء أربعة فى المسألة :
  - الأول : أنه مشتق أما من فاعل – ماسح أو مفعول – ممسوح ولكل تعليل .
  - الثانى : أنه علم منقول أما من يشوع أو مشيحا فحدث فيه تعريب ، وتغير فى لفظه .
  - الثالث : أنه الملك .
  - الرابع : أنه الصديق .

وقيل أن عيسى عليه السلام ، مسحت عنه القوة الذميمة من الجهل والشره والحرص وسائر الأخلاق الذميمة[٩٨] .

---

(٩٧) الفخر الرازى مفاتيح الغيب جـ٤ ص ٢١٥ ط دار الغد العربى بتصرف يسير .

(٩٨) المفردات فى غريب القرآن ص ٤٦٨ .

لكن ربما يقال : أن الحديث فيما سبق عن المسيح انما كان من حيث المادة الأصلية للكلمة وهى دلت على انها أوصاف وليست اسما له ، فما معنى ذكر القرآن الكريم بأن اسمه المسيح ، وما علاقته بماذهبت اليه من كونها أوصافا له ؟

• والجواب :

أن المسيح كان كاللقب له ، وعيسى الأسم ، واللقب هنا أفاد الشرف رفعة الدرجة ، مثل الصديق والفاروق ، فذكره الله أولا بلقبه – المسيح – ليفيد علو درجته ، ثم ذكره باسمه الخاص ، فصار عيسى عليه السلام يعرف بالثلاثة معا أو على الاستقلال ، عيسى ابن مريم ، المسيح ، نبى النصرانية .

• فإنك اذا قلت لآحاد الناس :

☆ من هو النبى عيسى عليه السلام ، أجابك بأنه نبى الله لبنى اسرائيل ، ورسالته النصرانية والتى انقضت بانتهاء مدته فى الناس لأنها كانت مؤقته ، ولقوم مخصوصين .

☆ كما اذا قلت لواحد من عامة الناس ، من هو المسيح ؟ كان الجواب أنه رسول الله عيسى عليه السلام الذى أمن به النصارى ، وناداهمَ مَنْ أنصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله .

☆ أما اذ قلت لواحد من الناس من هو ابن مريم النبى ؟ فلا شك أن لغته ستكون سريعة فيقول لك أنه المسيح عيسى الذى ارسله الله ليخرج بنى اسرائيل من المادية الى الروحية ، وانه نسب الى إمه تشريفا ، وربما يقال أن الأنبياء ينسبون الى آبائهم فلماذا نسب عيسى الى أمه ؟

☆ والجواب : أن عيسى نسب الى أمه اعلاما بأن الله خلقه من غير أب وتشريفا لأمه وبيانا لطهرها ، واختيار الله لها فكان ذلك سببا لزيادة فضله ، وعلو درجته ورفعة شأن أمه(٩٩) .

[٣] العَرَق القليل :

سمى العرق القليل مسيحا(١٠٠) ، بينما الكثيف غزيرا ، وسمى بالمسيح غير ما ذكرنا .

اذن لفظة المسيح وقعت أوصافا فى كل ما ذكرنا ، فاذا نقلت من الوصفية الى العلمية أو الاسمية فلابد من علاقة مسوغه ، ويكون النقل من الحقيقة الى غيرها على ما هو معروف عند المناطقة وعند البلاغيين ايضا .

- وفى عيسى ﷺ . ذكر القرآن الكريم أن البشارة وقعت لمريم من الملائكة فى :

[١] أختيار الله لها دون نساء عالمى زمانها . " ان الله اصطفاك " .

[٢] تطهير الله لها مما كان يقع فيه اترابها . " وطهرك " .

[٣] أختيار الله لها لتكون أما لطفل لا أب له . " واصطفاك " .

اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين(١٠١) .

---

(٩٩) الفخر الرازى – مفاتيح الغيب – جـ٤ ص ٢١٦ بتصرف .

(١٠٠) المفردات فى غريب القرآن ص ٤٦٨ .

(١٠١) سورة آل عمران الاية ٤٢ .

[٤] ٤– أمر الله لها باقامة شعائر الدين حسب التلقين الذى عرفها به نبى الله زكريا الذى كانت فى كفالته . " يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين " .

[٥] بشارة الله لها وأنها ستكون أما لحمل لا أب له ، وان هذا الحمل ستكون فيه الصفات الأتية :

[أ] أنه ولد ذكر وسينسب اليك حتى تخلدى معه فى الذكر " عيسى ابن مريم " ، والمسيح عيسى ابن مريم .

[ب] اسمه المسيح عيسى ابن مريم .

[جـ] أنه سيكون وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين .

[د] أن سيكون نبيا ،" ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة .

[هـ] ستقع له خوارق العادات حسب اجراء الله تعالى لها على يديه ، ومنها انطاقه فى المهد .

[و] من الصالحين :" ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين .

قال تعالى : " اذ قالت الملائكة يا مريم أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين(١٠٢) .

---

(١٠٢) سورة آل عمران الايتان ٤٥/٤٦ .

- علاقة المسيحية بعيسى عليه السلام .

وقد تحقق الأمر الالهى ، ووقعت البشريات على مريم ، ومعها البشارات . وبالتالى فدعوة المسيحية ليست قائمة فى انتسابهم لعيسى عليه السلام على شرع ، وانما مجرد انتساب الى اللقب أو الوصف ،ولذلك جاءت عقائدهم فى المسيحية مخالفة للعقيدة النصرانية مما مهد للطعن عليها ، والحكم ببطلانها ، وعدم صحة انتسابها الى النصرانية .

- كما بان لنا أمران :

- الأمر الأول : النصرانية : وهى الدين الحق الذى ارسل به الله عيسى ابن مريم الى بنى اسرائيل ولا تختلف فى أصولها العقدية عند الأنبياء السابقين لقوله سبحانه وتعالى : " ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك " .

وقوله ﷺ " انا معاشر الانبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ". فالعقيدة التى جاء بها عيسى عليه السلام هى النصرانية ، وكتابها هو الانجيل العيسوى وأُمَتُهَاهُمْ بنو اسرائيل الذين كان فيها موسى عليه السلام .

- الأمر الثانى : المسيحية : وهى الديانة التى حملت لقب عيسى عليه السلام وخالفت عقيدته حين قامت المسيحية على قواعد متباينة وعقائد متخالفة من وضع بولس – شاؤل – اليهودى الذى ادعى اعتناق النصرانية حتى خرج بتأليف المسيحية التى تقوم على العقائد الآتية :

- العقيدة الأولى : التثليث : بمعنى أن الألهه ثلاثه هى الأب والابن والروح القدس وكله آلهة[103] .

- العقيدة الثانية : الأبوة والبنوة : بمعنى أن الله ولد يسوعا فالله أبوه ويسوع ابنه[104] .

- العقيدة الثالثة : الصلب : ومعناها أن الاله الأب سلم ابنه الوحيد لليهود حتى قتلوه صلبا[105] .

- العقيدة الرابعة : الفداء : ومعناها أن آدم وذريته ارتكبوا خطيئة توارثها الأبناء عن أبيهم أدم وهى الآكل من الشجرة المنهى عنها فجعل الله ابنه الوحيد يقع القتل عليه ويتم صلبه فداء لخطايا البشرية جمعاء[106]

- العقيدة الخامسة : القيامة : ومعناها أن يسوع الرب ابن الرب عندهم بعد صلبه ودفنه فى قبره قام وصعد الى بيت أبيه فى السماء حاملا اكفانه معه والمنديل الذى كان قد ربطت به رأسه[107]

- العقيدة السادسة : الاختطاف : ومعناها أن كل مسيحى يموت ويدفن يرسل الله الأب اليه ابنه الاله يسوع فينفتح القبر ويخطف المسيح الذى مات فيصعد به الى بيت الأب السماوى[108] .

---

(١٠٣) راجع الله واحد أم ثالوث .

(١٠٤) راجع كهنوت المسيح .

(١٠٥) راجع عقيدة الصلب للقس ميخائيل جورجى .

(١٠٦) عقدية الفداء للقس هنرى أنور .

(١٠٧) راجع عقيد القيامة وموقف الاسلام منها رسالة ماجستير للدكتور رشدى الشحات .

(١٠٨) راجع عتبات الأبدية للقس أنور خليل .

- العقيدة السابعة : النزول : ومعناها ان الاله الأب سينزل ابنه الوحيد الاله الابن يسوع قبل نهاية الكون الى الأرض حتى يدخلْ فى معركة فاصلة مع الشيطان وهى معركة هر مجدون فينتصر ابن الاله ومن معه على الشيطان وأعوانه وبعدها تقوم القيامة .

- العقيدة الثامنة : جلوس يسوع الرب للفصل بين الخلق : ومعناها أن الاله الآب سينيب الاله يسوعا فى الجلوس على كرسى القضاء حتى يفصل بين الناس يوم القيامة نيابة عن أبيه فيميز الخراف من الجداء ثم يضم المسيحيين الذين أمنوا اليه .

وهى عقائد باطلة الوضع فيها ظاهر والركاكة فيها بيِّنة وقد رد القرآن الكريم عليها جميعاً.

- موقف القرآن الكريم من العقائد المسيحية

ذكرنا ان القرآن الكريم عرض العقيدة النصرانية ، التى جاء بها عيسى ابن مريم عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وأكدنا أن النصرانية انتهت بنهاية دعوة سيدنا عيسى عليه السلام ، كما ذكرنا أن بولس شاؤل أقام المسيحية ، ونسبها الى لقب المسيح حتى تنال من الناس الثقة ، وتحل فيهم القبول[109] .

كما ذكرنا العقائد التى وضعها بولس فى ديانته المسيحية ، ورأينا أنها لا تتفق مع ما لله من كمال وجلال ومهابة ، بل تتفق مع خيال الذى أنشأ هذه العقائد .

(١٠٩) وهى عادة يلجأ اليها دائما أصحاب الفكر الذى لا سندله ، فاذا نسبه الى شخصية معروفة نالت أفكاره من الناس بعض القبول ، وهكذا يصنع أصحاب الفكر الواهى .

وأكدنا على أن القرآن الكريم ناقش العقائد المسيحية ، ولم يشر الى أنها مسيحية ، لأنه لا يعترف بالوضعى من الدين ، ولكن يركز على هدم معتقدات هذه الاديان الوضعية ، لأنها معتقدات فاسدة .

من ثم سأحاول عرض موقف القرآن الكريم من العقائد المسيحية – الدين الوضعى – مع الاشارة الى ان المسيحية عقائد متعددة ، كل واحدة منها يمكن لاصحابها التمسك بها ، وترك غيرها ، ومع هذا يعتبر المعتقد لها فى المسيحية مسيحيا ، انها ديانة بولسيه لا نصرانية ، ولها أناجيل كنسيه .

أما العقيدة النصرانية فانها أجزاء ، ولا يستغنى أحدها عن الآخر ، وانما يكمل بعضها الأخر ، فمن آمن ببعضها وكفر بالأخر فلا يصح له الانتساب الى عيسى عليه السلام ، ولا الى النصرانية التى كانت فى بنى اسرائيل ، ثم انتهت ، ولها انجيل سماوى قد ادى مهمته ثم رفع بين أيدى الاخلاق تمشيا مع طبيعته .

تناول القرآن الكريم العقائد المسيحية بالنقد القائم على قواعد عقليه ، والحاكم فيها الضرورة العقلية بحيث ان من نظر عَرْض القرآن لتلك العقائد ، وطريقة ردها وابطالها ، وكان عنده شىء من التفكير ، ورغبة فى الوصول الى الحق يدرك أن الصواب فيما عرضه النقل المنزل ، وها نحن نعرض لذلك على النحو التالى :

[١] ابطال عقيدة التعدد فى الآلهة :

تمسكت المسيحية بأنه قد ظهرت الديانة المسيحية فى أعقاب اليهودية التى كانت تمهيدا لها فقد نادت تلك بالوحدانية ، وكانت تعمل فى نفس

الوقت على اعداد نسل مقدس يأتي منه المسيح ليعلن الديانة الروحية السامية[١١٠] ، ولكن من أين يأتى النسل المقدس ؟

• **<u>والجواب</u> :**

أن المسيحية أعلنت تصريحها الدائم بأن السجود ليسوع المسيح قائم على ايمانها بأنه الله المتجسد فى شخص يسوع نفسه ، الذى حوت شخصيته من السمو الروحانى والجاذبية الالهية ، والنور الباهر الأخاذ[١١١]

لكن هذا التعدد ليس منفتحا بل هو منضبط فى الهة ثلاثة عندهم معتمدين على ان القديس مَتّى[١١٢] ذكر فى انجيله قولا منسوبا للمسيح – اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب ، والابن ، والروح القدس[١١٣]

وما نسب للقديس يوحنا الرسول[١١٤] عندهم من قوله " الذين يشهدون فى السماء ثلاثة الآب ، والكلمة ، والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة واحد[١١٥] .

ويسمون هذا التعدد الوحدانية المقنَّمة ، ويقولون أن وحدانية الجوهر الالهى لا تنفى وجود الثلاثة أقانيم فيه ، وكذلك وجود الأقانيم فى الجوهر الالهى لا يتنافى مع وحدانيته[١١٦] .

---

(١١٠) القس صموئيل مشرقى الالهيات – وحدانية الله ص ٤٦ .

(١١١) المصدر نفسه ص ٥٣ .

(١١٢) مَتّى : صاحب انجيل متى المعروف والذى اعتبرته الكنيسة أحد الأناجيل القانونية المعتمدة .

(١١٣) انجيل متى الاصحاح ١٩/٢٨ .

(١١٤) يوحنا صاحب انجيل معروف وهو من الأناجيل القانونية .

(١١٥) انجيل يوحنا الاصحاح ٧/٥ .

(١١٦) القس صموئيل مشرقى الالهيات – الوحدانية المقنمة ص ١٧٧ .

ويردد وعاظ المسحية وعلماؤها أن الأقانيم جمع أقنوم ، وأن الأقنوم كلمة سريانية الأصل ومعناها الشخص الكامل ، أو الكائن المستقل بذاته ، وأن هذه الأقانيم عناصر وأجزاء متساوية هى :

☆ أقنوم الآب .

☆ اقنوم الابن .

☆ اقنوم الروح القدس

وكل واحد من الثلاثة اله كامل مساو للأخر فى جميع الصفات الالهية ، وفى استحقاق العبادة ، والتمجيد ، والتقديس ، وكلها تسمى الطبيعة الالهية التى هى فى ذات الوقت ثلاثة أقانيم متساوية ، ولكل منها عمل محدد .

☆ فالاله الآب : اليه ينتمى الخلق بواسطة الاله الابن .

☆ والاله الابن : ينتمى اليه الفداء تكفيرا عن خطايا البشر .

☆ والاله الروح القدس : ينتمى اليه التطهير " أنها ثلاث شخصيات متمايزة غير منفصلة متساوية فائقة التصور[١١٧] " الانسانى لأنها تعلو عليه ، وبالتالى فالله ثالث أو أحد ألهة ثلاثه .

وما أظن أحدا ينكر تعدد الالهة فى المسيحية ، وتوحيد الاله جل علاه فى النصرانية ، ولذا جاء رد القرآن الكريم على تعدد الالهة داحضا لها من كل جهة ، وحاكما على عقيدة القائلين بها بالكفر .

---

(١١٧) القس بس منصور - رسالة التثليث والتوحيد ص ١٥٧ .

قال تعالى : " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم. افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم[118]

قال تعالى : " يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا[119] .

ثم بين الله تعالى بالدليل العقلى استحالة وجود الهه غيره ، أو الهة معه

قال تعالى : " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون[120] .

وهذا الدليل قائم على المشاهدة مبناه على الملاحظة الدائمة اذ العاقل. متى نظر الى الكائنات العلوية والسفلية أدرك أن فيها نظاما محكما ، ما يزال قائما عاملا ، وحينئذ ستحكم بديهية بأن الله واحد .

اذ لو وقع التعدد لفسدت كل منها – السماء والأرض – لكنهما لم تفسدا ، اذن النتيجة النهائية . الأقرار والاعتراف بوجود اله واحد حكيم له من صفات الجلال والكمال والاكرام ما لا ينطبق على أحد سواه فليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

---

(١١٨) سورة المائدة الاية ٧٣/٧٤ .

(١١٩) سورة النساء الاية ١٧١ .

(١٢٠) سورة الأنبياء الاية ٢٢ .

كما ذكر القرآن الكريم عقيدتهم فى ألوهية المسيح وأبطلها و
على أصحابها بالكفر . قال تعالى : " لقد كفر الذين قالوا ان الله ه
المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل أعبدوا الله ربى وربكم انه
يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من
أنصار[١٢١] .

ثم بين أن المسيح عبد لله ، بعثه الله رسولا لبنى اسرائيل ، و
أمه بقوله تعالى كن فكان ، قال تعالى : " ما المسيح ابن مريم الا رسول قد
خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم
الايات ثم انظر أنّى يؤفكون[١٢٢]

وبالتالى فقد بطلت عقيدة التعدد المسيحية ، سواء كان الالهة ثلاثة
فى واحد ، أو كانوا واحدا فى ثلاثة[١٢٣] ، أو كانت الالهة اسرة حاكمة
مكونة من الاله الآب ، واله الابن ، والاله الروح القدس فانها جميعا باطلة
، ولا عبرة بها ولا اعتداد بأصحابها .

فقد ابطل القرآن الكريم تعدد الالهة ، كما أبطل عقيدة البنوة ،
والأبوة ، وأبطل كذلك عقيدة الالهة المتشاركة بنصوص
قطعية الورود ، وقد سلّمت بها الضرورة العقلية فلم يعد
قبوله فى المسالة سوى التوحيد المطلق لله رب العالمين .

وأما الزعم بأن توحيد أخناتون كان موجودا والمسيحية
وتؤيده فلا عبرة به لأن توحيد أخناتون نوع من اتحاد الالهة .

---

(١٢١) سورة المائدة الاية ٧٢ .

(١٢٢) سورة المائدة الاية ٧٥ .

(١٢٣) تبنى فكرة التأكيد على الثالوث أو رفض فكرة التوحيد كثير من كتاب المسيحية -
ثالوث او ، وثالوث واحد أو

المستوى الذى يتفقون فيه كآلهة على اختيار الاله الشمس ليكون الصورة المعبرة عن باقى الالهة فهو اتحاد وليس توحيدا.

ولذا رأينا أخناتون يدعو الى الاله الشمس ويزعم أنه ابن هذا الاله حتى يكسب الجولة فى حكم مصر ويظل حاكما ما قدر له من الزمان وهو الذى صنعه وركز عليه ويظنه الأغرار توحيد اعتقاد وما هو الا توحيد شعوب والفرق واضح .

قال تعالى : " ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم(١٢٤) ، ومن ثم فلا وجه لقبول فكرة التعدد فى الاله أو الألهة ، سواء كان التعدد بالاثنين فما فوقها ، أو كان التعدد بالتركيب أو مخالفة أو كان التعدد بالاتحاد فانها جميعها باطلة ، والصحيح هو التوحيد المطلق لله رب العالمين بالمعنى الشرعى والاصطلاحى .

- وقد ذكر العلماء أن التعدد أنواع وكلها باطلة فى حق الله تعالى :

- النوع الأول : التعدد بالارقام – الحسابى – ٢ ، ٣ ، ومضاعفاتها ، وهو باطل بالخصم والزيادة وسائر الوجوه .

- النوع الثانى : التعدد بالتركيب ، وهو كون الشىء الواحد مركبا من أجزاء يتكون منها ، وهو باطل فى حق الله تعالى ، والا لزم الاحتياج الى الاجزاء ، والاحتياج مخالف للأستغناء ، وهو منفى عن الله تعالى .

- النوع الثالث : التعدد بالاتحاد والحلول ، وهو حلول شىء فى الأخر فتقع ذواتهما فى شىء واحد ، وهو باطل فى حق الله تعالى ، لكونه يستلزم الجسمية والمكانية ، والحلول والاتحاد ، وهذا كله منفى عن الله

---

(١٢٤) سورة آل عمران الاية ٦٢ .

تعالى ، فثبت أنه تعالى واحد من كل وجه[١٢٥] ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ..

[٢] ابطال عقيدة البنوة والأبوة .

قرر القرآن الكريم أن عقيدة البنوة لله باطلة ، ولأنه لما كانت البنوة والأبوة من الأمور المتضايفة في ولد أدم عليه السلام ، الا ما جاء النقل به ، وهو عيسى ابن مريم عليه السلام ، فإن ابطال أحدهما يتبعه ابطال الأخرى حتما . .

ومن ثم أكد القرآن الكريم ابطال عقيدة الأبوة لله ، والبنوة له قال تعالى : " ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم[١٢٦] .

وقال تعالى : " بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون[١٢٧] .

فلو كان لله ولد لكان الها مثله ، ولوقع بينهما ما يقع بين كل متماثلين ، وحينئذ لا يوجد شيء من هذه الكائنات أبدا ، لكن وجودها دليل على ان الله واحد ليس له ابن ولا شريك له في شيء من خلقه جل علاه .

- وأكد القرآن الكريم على نفى نسبة الولد لله في كثير من أيات القرآن الكريم ، وعلى أكثر من جهة نذكر منها :

---

(١٢٥) راجع مبحث الوحدانية ، ومبحث المخالفة للحوادث في كل من الأربعين للرازى ، والمطالب له أيضا ، والمواقف والمقاصد ، وغيرها من كتب العقيدة عند كل من أهل السنة ومن يتفق معهم في نفس الاتجاه .

(١٢٦) سورة مريم الايتان ٣٥/٣٦ .

(١٢٧) سورة المؤمنون الايتان ٩٠/٩١ .

[أ] النفى لكونه تعالى غنيا ومستغنيا :

قال تعالى : " ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم ، وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السماوات والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون[128] .

فهو سبحانه وتعالى الغنى المستغنى الذى لا تخضع الجباه إلّا له ، ولا تتجه القلوب الا نحوه ، ولا يصح الايمان الا به جل علاه ، فلله المشرق والمغرب وغيرهما وكل مشارق ومغارب ، وهو واسع الفضل والعلم ، وليس متخذا ولدا ولا شيئا من ذلك .

قال تعالى : " الا ان لله من فى السماوات ومن فى الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون . قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الأرض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون[129] .

وما دام الله هو الغنى فلا اله سواه ، و لا ولد له سبحانه ، لأن الولد تتحقق به كمالات ابيه ، وبدونه لا تكون ولكن الله تعالى ليس فى حاجة الى الولد ولا الى غيره بل هو واسع الجود والكرم فهو الغنى بذاته جل علاه

قال تعالى : " تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . الذى له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له

---

(128) سورة البقرة الايات 115/117 .

(129) سورة يونس الايات 66/68 .

شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا ، واتخذوا من دون الله الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا[١٣٠] .

لأن الولد المرفوض لو صح القول به لكان – والعياذ بالله – شريكا لأبيه ، ومعينا فى ملك السماوات والأرض وادارتهما ولكان فى نفس الوقت شريكا فى الالوهية والارادة وكل ما يتعلق بالألوهية ، ولكن ذلك كله زعم باطل ، ووهم كاذب ، فالله واحد جل علاه ، لا اله سواه ، لم يتخذ من ولد سبحانه ، ولم يكن أحد أبدا شريكا له فى الملك خلقا وتقديرا ،

- وقد ذكر العلماء استحالة الولد على الله سبحانه وتعالى لوجوه عقليه غير التى سلف ذكرها نقلا ، من هذه الوجوه ما يلى :

- الأول : أن يكون مجيء الولد لاستكمال نقص فى أبيه ، فيكون الأب ناقصا بدون ابنه ، والناقص لا يكون الها أبدا ، بل سيكون الابن أكمل من أبيه أو مساويا له فى النقص وكلاهما محال . فالله تعالى له الكمالات كلها بل أجل الكمالات له سبحانه تعالى ، ومنها استغناؤه عن الولد .

- الثانى : أن يكون مجيء الولد لنقصان كمال ابيه ، وحينئذ يكون وجود الابن عبثا على ابيه وعبئا لا يليق به ، والعبث والعبء لا يصلحان أوصافا لابن يكون الها ، ولا لأب يزعمونه الها أيضا ، لأن فعل الله تعالى حكمة كله ، فهو سبحانه وتعالى الحكيم ، وأفعاله

---

(١٣٠) سورة الفرقان الايات ١/٣ .

الحكمة ذاتها ، ومن ثم كانت استحالة نسبة الولد لله تعالى على هذا الوجه ايضا .

- الثالث : أن يكون مجيء الابن لا استكمالا لوجه النقص ، ولا لاستنزال بعض الكمال فى أبيه وحينئذ يكون وجود الابن لا فائدة له ، لأنه لن يكمل ولن ينقص شيئا لأبيه أو فيه ويستحيل فى عرف العقل السليم أن يَفْرِضَ الها يخلق شيئا لا فائدة فيه ، وعلى هذه الوجوه ثبت بطلان ما يزعمه المسيحيون بأن يسوع ابن الله ، أو أن الله أبوه على ما يرددونه فى عباراتهم وطقوسهم وكنائسهم .

[ب] النفى لكونه تعالى لم يتخذ صاحبه يأتى منها الولد :

لما كان نفى الولد يستلزم هدم معتقد الصاحبه التى أكدوا عليه فقد ذكر القرآن الكريم النفى الواقع على الأمرين معا . وبيّن أن الولد لابد له من أم ، فاذا لم توجد الصاحبة فمن باب أولى لا يكون الولد والا فأين أمه بل إنا نفترض وجود شبه فى الولد يجمع بينه وأمه ضرورة .

قال تعالى : " بديع السماوات والارض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم[١٣١] .

فاستعباد نسبة الولد لله أمر مقرر فى العقيدة السليمة ، والا فأين أمه ، بل اين الصاحبة التى جاء منها الولد ، وهو من الادلة التى تبنى على الضرورة العقلية ، ومنكرها غير عاقل ، والبُله لا مكان لهم بين العقلاء .

---

(١٣١) سورة الانعام الاية ١٠١ .

وهذه العقيدة الصحيحة فى نفى الولد والصاحبة عن الله سبحانه وتعالى مكررة فى الاذهان ، ومقررة بين الأنس والجان ، وهاهو ذا القرآن الكريم يقص علينا من أوائل سورة الجن :

" قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فأمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا(١٣٢) .

من ثم فلا عبرة بما يردده ، دعاة التثليث ، والتعدد ، ودعاة الولد والبنت والصاحبة ، لله سبحانه وتعالى فكلها أفكار باطلة ، وقد ذكرها القرآن الكريم وعرضها ، ثم هدمها ، وبين بطلانها ، وفساد معتقد أصحابها ، بالادلة النقلية التى تعتصم بداخلها الادلة العقلية .

[جـ] نفي الولد عن الله لكونه من أوجه النقص .

قال تعالى : " وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا(١٣٣) ، وبيّن سبحانه وتعالى أن نسبة الولد لله ما هو الا إفك وقول باطل ، قال تعالى : " ألا إنهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون(١٣٤) .

ومن ثم كان التحذير والتهديد لاولئك الذين فسدت عقولهم واختلت قيادتهم لنفوسهم ، فنسبوا لله الولد ، قال تعالى : " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدًّا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا ان دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ان

---

(١٣٢) سورة الجن الايات ١/٣ .

(١٣٣) سورة الاسراء الاية ١١١ .

(١٣٤) سورة الصافات الايتان ١٥١ /١٥٢ .

كل من فى السماوات والأرض الا أتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيامة فردا[١٣٥] .

ومثل هذا الانذار بالوعيد الشديد لا ينصب الا على اولئك الذين نصبوا انفسهم حكماء على الله جل جلاه ، ونسبوا له ما لايليق بجلاله ، ولا يتناسب مع ذاته وسلطانه وانما هو مرض عقلى اصابهم ، ومرض اجتماعى غلب على مجتمعاتهم وسلوك مضطرب نفسى حكم على داخلهم بما نطقت به السنتهم الكَذِب ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

[٣] ابطال عقيدة الصلب والفداء

واجه القرآن الكريم هذه العقائد المسيحية ببيان ان عيسى عليه السلام لم يقتل ، ولم يصلب ، وان الذين يقصون على اتباعهم القتل والصلب له قد جاوزوا حدود عقولهم التى اصابها التلبيس فلم تعرف الحق من الباطل ، والصدق من الكذب فى المسألة ولو التزموا شرع الله ما وقعوا فى الضلال .

وبين القرآن الكريم أن هذه المزاعم قد ترددت على السنتهم مثيلاتها على مريم أم عيسى عليه السلام وعلى المسيح نفسه فقد طعنوا فى عفتها وكرامتها وطهارتها ، وقد زكاها الله سبحانه وتعالى واصطفاها ، قال تعالى : " فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ، وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ، وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك

---

(١٣٥) سورة مريم الايتان ٨٨/٩٥ .

منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما[136] .

وكان المنتسبون لعيسى قد اعتقدوا ان الله ارسل ابنه الوحيد يسوعا ليتمكن منه اليهود ويتم قتله وصلبه كما يعتقدون ان المسيح اله الخلائق ورب العباد ، وانه قتل وصلب ليكفر عن خطايا البشر التى انتقلت اليهم بالوراثة عن أبيهم أدم الذى خالف وصية ربه وأكل من الشجرة التى نهى عن الأكل منها[137] أما لماذا ؟

فلأنهم قد زعموا أن آدم لما أكل من الشجرة فقد وقع فى الخطيئة التى ورثها أبناؤه من بعده ، ميراث خطيئة ، لأن ادم صار عاصيا لربه - مستوجبا الطرد من فردوسه الأعلى وان هذه المعصية قد سرت بالوراثة الى بنيه الذين هم البشرية كلها من بعده على مر الأجيال .

ولما كان الله عادلا فلابد من القصاص من آدم وبنيه ، لكن كلهم من الخطاة ، اذن من الضرورى أن يقع القصاص على واحد ليس من أبناء ادم - من صلب أدم نفسه - حتى يتم الفداء ، ويعتق الاله كل المخطئين .

حيث أنه لم يعد هناك من حق لآدم وبنيه فى الرجوع الى الفردوس الذى طردوا منه والتمتع بمجد الله الا بعد مغفرة خطاياهم والتى لا تغفر الا بسفك الدم واراقته حسب شريعة الناموس - لأن الله ان عفا عن ادم وبنيه من غير كفارة ، لم يكن الله عادلا ، وان عاقبهم لم يكن رحيما[138] ، فالعدالة تقتضى معاقبة الجنس البشرى المنسل من ادم ، ورحمته تقتضى

(١٣٦) سورة النساء الايات ١٥٥/١٥٨

(١٣٧) القس زكريا بطرس - صلب المسيح جـ١ ص ١٣ .

(١٣٨) بولس الياس - يسوع المسيح ص ٩٤ ، صلب المسيح جـ١ ص ٢٨ .

العفو عنهم جميعا ، من هنا ظهرت مشكلة هي كيف يوائم الرب بين طبيعة عدله وطبيعة رحمته ؟

غير ان الله – عندهم – قد بحث هذه المسألة جيدا ثم انتهى الى ضرورة ان يكون ابنه الوحيد فداء لخطايا هؤلاء البشر ، فانزله من عليائه ، وتركه لليهود حتى يقتلوه ويصلبوه ، تكفيرا للخطيئة التى وقع فيها آدم وبنوه ، فاذا تم الصلب ووقع القتل فقد حدث العذاب ، وتمت الرحمة وتحقق العدل[١٣٩] .

ورغم انها فكرة خاطئة وغير قابلة للتطبيق العلمى ، وتحمل من عوامل هدمها الكثير الا أن رجال الدين المسيحى يبذلون جهودهم فى عرضها وتفهيمها العامة ، ومحاولة ادخالها الى النفوس مدخل القبول ،وكلها لا تنال من القبول شيئا أبدا ، بل كل العقلاء فى المسيحية يرفضون هذه الأفكار لمناهضتها الأصول التى يمكن أن يعتمد عليها العقل السليم ، أو يحكم بها الفكر الصحيح .

وقد نص القرآن الكريم على أن كل نفس مسئولة عن سلوكياتها ، وتحاسب على افعالها ، فلو كان أدم قد ارتكب خطيئة فانه محاسب عليها ، أو يتوب الله عليه قال تعالى : " أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وَفَّى الا تزر وازرة وزر أخرى ، وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يُرى ثم يجزاه الله الجزاء الأوفى[١٤٠] .

---

(١٣٩) راجع الصلب والفداء للشيخ محمد رشيد رضا ، والفداء للقس اسكندر جرجس ، والفداء للأب جورجى .

(١٤٠) سورة النجم الايات ٣٦/٤١ .

وقوله تعالى : " كل نفس بما كسبت رهينه[١٤١] ، وقوله تعالى : كل امرىء بما كسب رهين[١٤٢] ، وهى ايات قطعيه الدلالة فى مسئولية كُلّ عما يصدر عنه مسئولة شخصية ، بحيث لا تحمل نفس فعل الآخرى ولا تذم أو تعاقب بما لم ترتكبه ، وهو من مظاهر العدل الالهى .

فما ذنب يسوع حتى يتحمل خطأ ادم فيعاقب عليه قتلا وصلبا وتعذيبا ، حتى انه ليصرخ من شدة الصلب والضرب بالسهام والرماح فلا يجد من ينقذه مع انه لم يرتكب ذنبا ، ولم يستوجب عقابا.

هل تقر العقول السليمة أن يعاقب برىء على ذنب لم يرتكبه ، ويفلت من العقوبة من كان اصراره على ارتكاب الجريمة قائما لاينفك عنه ، ما أظن عاقلا يرتضيها[١٤٣] .

ثم اذا كان يسوع ابنا للاله فلماذا عجز أبوه عن الدفاع عنه ، وهو الابن الوحيد له ، لقد جرت الفطرة على ان يدافع الاب عن بنيه ، ويحرص على الدفع عنهم بكل ما يتمكن من قوة مهما كان ضعيفا ، فما بالهم قد جعلوا هذا الآب الاله أضعف من هِرّة صغيرة حين يرى أبنه الوحيد وقد قبض عليه اليهود فيسلمه اليهم ويتخلى عنه ، ويصرخ الابن مستنجدا بأبيه فلا يجد منه اذنا تسمع للصراخ ، أو قلبا تأخذه الرحمة فيخف للنجده أو الدفاع هل يرضى بهذا عاقل ابدا[١٤٤] .

---

(١٤١) سورة المدثر الاية ٣٨ .

(١٤٢) سورة الطور الأية ٢١ .

(١٤٣) وقد حاول بعض كتاب المسيحية تخريجها الى الرمز أو التشكيك فيها ، ولكن لا فائدة من هذا .

(١٤٤) لأنهم يذكرون أن يسوعا وهو على الصلب نادى باعلى صوته ايلى لماذ شبقتنى ، ومعناه يا الهى لماذا تركتنى .

انها أفكار البله ، وعقائد السذج ، ومقتبسات الفكر الوثني التي اخرجها بولس شاؤل اليهودي وتشبع بها من بعده الدعاة لها فلم يعطوا الفرصة لعقولهم في التفكير فيها ولو مرة واحدة ، بل عاثوا في الارض فسادا ، وفي الفكر تجريحا وتمزيقا ، وفي الذات العليه تكذيبا وامتهانا ونكرانا(١٤٥) .

والمؤسف له ان المسيحين يعتقدون ان المسيح مات مصلوبا ، وصاروا يقدسون الصليب متخذينه صورة الخلاص الأبدي حيث قد ذكر لهم بولس ان من وصاياه حمل الصليب فيقول من اراد أن يخلص فليحمل صليبه وليتبعني .

بل اتخذ المسيحيون الصليب علامة للمسيحي وشعارا له ، وهو رمز الحياة عندهم ، وكانوا في الماضي يرسمونه على صدورهم ، ثم نقشوه على جدران بيوتهم وأقاموه على اشكال تفوق الحصر ، وصاروا يوشمون به ايديهم اليمنى من ناحية باطن الكف ، ويزينون به صدورهم متخذين صورا له من الذهب أو الفضة .

بل تمادى بعض كتابهم فاعتبر الصليب قاعدة الاديان عموما ، من حيث ان المسيح تجسد نتيجة غواية الشيطان لبني البشرية أما موته وسحقه على الصليب فقد تسبب عنه انهزام الشيطان وانقاذ البشرية منه وهو موجود في كل الاديان(١٤٦) .

وليس حال العقائد المسيحية الأخرى باحسن حالا من تلك التي سبق عرضها ومناقشتها بل كلها في الضلال سواء مما يدل على انها منحولة

---

(١٤٥) وقد بين القران الكريم أنها ظنون كاذبة وأوهام خادعة وليس لاصحابها الا العذاب .

(١٤٦) القس يسى منصور – الصليب في جميع الاديان ص ٩ .

مصنوعة لا علاقة لها بالنصرانية السماوية ، وانما هى نسيج غير متوافق من الأفكار اليهودية المنحرفة التى قامت على التبديل والتحريف والزيادة والنقصان والاعتداء الدائم على شرع الله مما تبرأ منه الديانة النصرانية التى أنزلها الاله جل علاه .

كما أن العقائد المسيحية قبسات من الوثنية والفارسية ولأنها كتبت فى عصور كثيرة ، فقد أدخلت اليها معلومات غير متوافقة مع النمط العام الذى رسمه لها الأوائل من كتابها ، مع الأخذ فى الاعتبار ما طرأ على عقائدها من الاقتباسات المتكررة ، وبالشكل الذى سمح له المجمع المنعقد لدراسة هذه الأفكار ، ووضع تلك القواعد والسلطة الدينية القائمة فى ذلك الوقت .

- **منهج القرآن الكريم فى الرد على غير اليهود والنصارى :**

ذكرنا أن اليهوديه والنصرانية دينان كتابيان ، وان اليهودية السياسية والمسيحية دينان وضعيان قاما على اكتاف الأولين ، وان القرآن الكريم زكى اليهودية الدينية والنصرانية العيسوية ، وهدم اليهودية السياسية والمسيحية البوليسيه وبين فساد عقائدها كما رسم الطريق للتخلص من تلك العقائد الباطلة حتى ينجو أصحابها ان هم طلبوا السلامة وارتجوا الخلاص .

والآن ننتقل بالحديث عن الأديان غير الكتابية ، ونقصد بها الاديان الوضعية من أصلها بمعنى أنه لم تكن هناك أصول دين قامت عليه ثم انحرفت عنه ، وانما نقصد أنها كلها قامت على فكر الانسان وحده من غير شيء أخر . ومنهم :

[١] الدهريون :

ارتبط اسم الدهريين فى الماضى وأطلق على الماديين الذين لا يؤمنون الا بالدهر بديلا عن الله ، بل ان الدهر هو الله نفسه من وجهة نظرهم حتى قامت عقيدتهم فى الدهر على امور :

• الأول : القول بأن الدهر هو المحى المميت .

ومعناه : ان العمر الذى يجرى لا يكون فى فراغ انما هو محكوم بعدد من السنين ، وتلك السنون هى التى تهلكنا ففيها الناس يهلكون ، وهى التى نرى انفسنا أحياء فيها ، وفيها نموت ، وبالتالى فالدهر هو المحيى والمميت .

وقد صور القرآن الكريم تلك العبادة الباطلة عندهم فقال : " وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون[١٤٧] .

• الثانى : القول بالطبع المفنى .

ومعناه : أن طبيعة الاشياء قائمة على شىء واحد يحتكم اليه ، وهى ذاتية الاشياء وطبيعتها ، إن هى الا ارحام تدفع وارض تبلغ وما يهلكنا الا الدهر ، وقد جرت على نمط واحد هو الاهلاك ، وليس الاحياء ، والافناء وليس الايجاد ، وهى لم تغير تلك السلوكيات أبدا ، ولذا عبدوها واعتبروها الها من دون الله .

وقد صور القرآن الكريم هذا التفكير عندهم فقال تعالى : " وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين[١٤٨] ، فحياتهم

(١٤٧) سورة الجاثية الاية ٢٤ .

منحصرة فى الحياة الدنيا فقط ، ولا مجال فيها لحياة أخرى ، وبالتالى عبدوا الدهر والطبع معا ، واعتبروا الموت هو الخاتمة العادية فى رواية الانسان بطلها الوحيد ، واحداثها تجرى عليه فلايوجد فى الساحة شىء سواه .

● الثالث : القول باستحالة البعث والحياة الأخرى .

فهم قد ركزوا على استحالة البعث لأنه لم يقع أمامهم بل واستحالة التفكير فيه ، وكان تعبيرهم كما حكاه القرآن الكريم " نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين " .

بل أن هذه الفكرة صارت انشودة عذبة تجرى فى أعرافهم وتنال أمانيهم حتى أن شاعرهم قال :

حياة ثم موت ثم نشر ∴ حديث خرافة يا أم عمرو

بل والكثير من اشعارهم جاء على هذه الناحية من استبعاد البعث والاحياء بعد الموت ، والتأكيد على استحالته وأن الحياة فرصة وحيدة لا تتكرر ، وهى الحياة الدنيا حتى أن السطحيين تغنوا بها وصاروا من حين لأخر يرددونها .

● وقد رد القرآن الكريم عليهم بأكثر من دليل ، وبين أن اعتقاداتهم فى الدهر والطبع لاتصلح اساسا للعقيدة ، ولا يمكن أن تبنى عليها قيم أو تقوم أخلاق سليمة ، وكانت أدلة القرآن الكريم فى الرد عليهم تقوم على جهات عديدة منها :

---

(١٤٨) سورة الانعام الاية ٢٩ .

• الجهة الأولى : عدم وجود دليل عندهم على عبادة الطبع أو الدهر .

المفروض أنه اذا عبد العاقل الها فلابد أن تكون الادلة على عبادة ذلك الاله قويه ومقبوله على كل نواحيها .

أما عبادته الدهر والطبع فليس عندهم من دليل على وجه اليقين اذا الدليل العلمى مفتقد غير موجود ، وما لهم بذلك من علم وما دام الأمر كذلك فلايصح من العاقل أن يعبد ما لايعقل .

• الجهة الثانية : قيام عبادتهم على الظن :

ذكر القرآن الكريم أن الدهرين لا تقوم عقيدتهم الا على الظن ، والدليل العلمى يرفض هذا الظن " قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون(١٤٩) .

وقد ساق القرآن الكريم أكثر من دليل على بطلان عقيدتهم فى الدهر والطبع ، وعدم البعث ، ومن يتابع ايات القرآن الكريم يراها تخاطب العقل والقلب والوجدان بالادلة على اثبات وجود الله تعالى ، وأنه الذى يجب أن يعبد وحده .

قال تعالى : " أمن جعل الأرض قرارا . وجعل خلالها أنهارا . وجعل لها رواسى . وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الل بل أكثرهم لا يعلمون(١٥٠) .

---

(١٤٩) سورة الانعام الاية ١٤٨ .

(١٥٠) سورة النمل راجع الايات ٥٩/٦٥ .

وقوله تعالى : " أفراءيتم ما تمنون اءنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم للموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون.... [151].

وقوله تعالى : " الم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا ....[152] .

• الجهة الثالثه : ان الدهر نفسه مخلوق فلا يكون خالقا :

ذلك أن الدهر هو مجموع السنوات التى تمر ، والدهور التى تكُرَ، والزمان مخلوق وفيه من أوجه النقص الكثير فكل جزء يمضى منه ينقضى ويستهلك ، ولايستطيع الدهر نفسه استرداده أو العوده به الى الوراء فثبت أنه مخلوق ، ولا يكون خالقا ابدا .

قال تعالى : " وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا[153] .

كما تحدث القرآن الكريم عن الكونيات ، وبدايات خلقها ، وطرق عملها واشكالها وانظمتها وبين انها جميعا مخلوقه ، وهى للعاقل من ايات الله التى تدل عليه ، ويستدل بها عليه .

---

(١٥١) سورة الواقعة الايات ٥٨/٦١ .

(١٥٢) سورة النبأ الايات ٦/١٦ .

(١٥٣) سورة الاسراء الاية ١٢ .

قال تعالى : " واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون

واية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين[١٥٤] .

وقوله تعالى : " الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نار فإذا أنتم منه توقدون أو ليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم[١٥٥] .

الجهة الرابعة : خطأ القياس وصواب المقايسه .

انكر الدهريون وجود الله تعالى كما أنكروا البعث منطلقين من القياس ، فهم راوا مظاهر الحياة من حولهم بادية فى مظهرين لا ثالث لهما ، انهما مظهر الارحام التى تدفع ، والقبور التى تبلع ، وما بين الارحام والقبور تعتصم حياة الانسان .

وهو قياس فاسد فالنبات والشمس والقمر والليل والنهار والرياح والسحاب لاهى من ارحام حتى تدفعها ، ولا لها قبور حتى تبلعها ، وبالتالى فإنكار البعث قائم على قياس فاسد ولا وجه له من الصحة .

ثم قرر القرآن الكريم المقايسه التى تتم على وجه سليم ، ومن مظاهرها ، الأرض التى أنتم عليها تحسبونها جامدة وتحكمون عليها به ،

---

(١٥٤) سورة يس الايات ٣٧/٤٤ .

(١٥٥) سورة يس الايتان ٨٠/٨١ .

فاذا أنزل الله اليها المطر ، وقر فيها بعض الوقت ، وساق الريح اليها بعض بذور النبات اللواقح رأيتم ماذا يحدث للأرض الموات .

لقد احياها الله بالانبات ترعون فيها انعامكم وتأكلون طعامكم . فكذلك يحيى الله الموتى

قال تعالى : " ومن أياته انك ترى الأرض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحيى الموتى انه على كل شيء قدير[156] .

فالمقايسه بين احياء الله الأرض للأنبات وأحياء الانسان للحساب مسألة قائمة ،وليس فيها أى نوع من الاستبعاد بالنسبة لله تعالى ، فهو الخالق جل علاه ، ولا يستحيل عليه شيء ابدا .

اذن مسألة البعث والاعادة أمر مفروض فى الدين مقرر لدى العقلاء وثابت فى الفهم الصحيح ، وليس مستبعدا بل هو ممكن عقلا ونقلا ، وواقع له صور فعلا ، من ذلك احياء الموتى لابراهيم عليه السلام ، وموسى عليه السلام ، وعيسى عليه السلام ، وسيدنا محمد ﷺ ، فاذا وقع الشى مرة حكم بامكانه.

أما وقد تكررت مسألة أحياء الله الموتى فى الدنيا ، فان احياءهم فى الآخرة ، ممكن أيضا وعلى وجه كلى ، فى كل من الانسان والحيوان والملائكة والجان وما يعلم الرحيم الرحمن " كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين[157] .

---

(١٥٦) سورة فصلت الاية ٣٩ .

(١٥٧) سورة الأنبياء الاية ١٠٤ .

وقال تعالى : " قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم[١٥٨] . فالاحياء الثانى أيسر من الانشاء الأول واذا كان الأول قد تم على وجه الكمال للصنع الالهى ، وهو الذى يقربه الوقائع ، فان الاحياء الثانى يكون ايسر وأسهل ويكون أمرا واقعا ممكنا .

قال تعالى : " وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السماوات والأض وهو العزيز الحكيم[١٥٩] .

وليست الأهونيه المقابلة للأعسرية ، فانه لا شىء عسير على الله تعالى انما الاهونية فى أمر اعادتها قائمة على المعنى المتبادر وليس اللفظ القائم .

- قال العلامة الرازى :

فالاعادة أهون من الابتداء ، لأن من يفعل فعلا أولا يصعب عليه ، ثم اذا فعل بعد ذلك مثله يكون أهون[١٦٠] .

ثم ان الاعادة أمر شرعى جاءت فى النصوص الشرعية ، وضرورى تحكم به العقول السليمة حتى ينال الطائع جزاء صنيعه الجميل ، ويحصد المخطىء عاقبة فعله الذميم ، ولن يكون ذلك الا فى يوم ترد فيه الحقوق لأصحابها ويؤخذ من الظالم فيرد على المظلوم ، ولذا فإن البعث ضرورة شرعية وعقلية معا بل وضرورة أخلاقية كذلك .

---

(١٥٨) سورة يس الاية ٧٩ .

(١٥٩) سورة الروم

(١٦٠) الفخر الرازى – مفاتيح الغيب المجلد ١٢ ص ٤٦٥ .

## [٢] عبدة الكواكب

نزل القرآن الكريم فواجه عقائد باطلة منها عبدة الشمس ، وعبدة القمر ، وعبدة النجوم ، والأفلاك التى اعتبروها صورا للأله أو متوسطات بينه وبين خلقه ، ولـذا عبدوها وجعلوها آلهة على الحقيقة بعد ان كانوا يعبدونها للتقريب بينهم وبين الله تعالى .

وقد صور القرآن الكريم غرضهم من عبادتهم فقال تعالى : " ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى(١٦١).

وعبادة الكواكب قديمة فى الفكر الوثنى الذى ألف عبادة المنافع واعتبرها الهة المنافع ، كما عبد المضار واعتبرها الهة المضار ، فكثيرا ما عبد الناس النجوم لما فيها من علامات يهتدى بها السائرون أثناء سيرهم فى الصحراء ، أو علي صفحات الماء .

وكذلك عبد الانسان الامطار لما هم بها منتفعون ، وعبدوا الزلازل لما هم بها مخوفون ،وكذلك البرق والرعد وغيرهما مما هو من الكونيات ، وقد استقرت أعراف الناس على ذلك زمنا حتى طغت تلك العبادة على اساس العقيدة وتحول الناس بها من وسائط ووسائل الى اصول وغايات .

وقد سلك القرآن الكريم معهم مسلك ايراد الادلة الفاسدة ، ثم بين أن هذه الأدلة الفاسدة لا تصلح للأعتماد عليها ، ولا يمكن أن يتم بناء صحيح فوقها . قال تعالى : " لخلق السماوات والأرض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون(١٦٢) .

---

(١٦١) سورة الزمر الاية ٣ .

(١٦٢) سورة غافر الاية ٥٧

وقال تعالى : " ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون[١٦٣] .

من ثم ساق الدليل المضطرد وهو ان الذى يستحق العبادة هو الخالق وليس المخلوق ، فالسجود للشمس والقمر أو غيرها انما هى عبادة مخلوق لمخلوق ، وليست عبادة مخلوق لخالق ،

بل أن الانسان منح العقل ، وارسل الله اليه الرسل ، وجعل له فى الآخرة الثواب والعقاب ، وليس ذلك للشمس ولا للقمر فالأولى بالانسان العاقل أن لا يسجد لغير العاقل ولا لمخلوق أبدا انما يكون سجوده للخالق العظيم رب العالمين .

وقد تكررت عبادة الشمس فى الماضى فها هو الهدهد وقد تعرف على عبادة الملكة التى تحكم سبأ " وجئتك من سبأ بنبأ يقين انى وجدت أمرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم[١٦٤] .

قال العلامة الفخر الرازى : اعلم أن المقصود من هذا الكلام هو الرد على من يعبد الشمس ، وتحرير الدلالة هكذا : الاله يجب أن يكون قادرا

---

(١٦٣) سورة فصلت الأيتان ٣٧/٣٨

(١٦٤) سورة النمل الايات ٢٣/٢٥.

على اخراج الخبء وعالما بالخفيات والشمس ليست كذلك فهى لا تكون الها ، واذا لم تكن الها لم يجز لها السجود ....

أما أنه سبحانه وتعالى يجب أن يكون قادرا عالما على الوجه المذكور - من اخراج الخبء من باطن الأرض ، وعالم بالخفيات - فلما أنه واجب لذاته فلا تختص قادريته وعالميته ببعض المقدورات دون البعض .

وأما أن الشمس ليست كذلك فلانها جسم متناه ، وكل ما كان متناهيا فى الذات كان متناهيا فى الصفات ، واذا كان كذلك فحينئذ لايعلم كونها قادرة على اخراج الخبء عالمة بالخفيات ، فاذا لم يعلم من حالها ذلك لم يعلم من حالها كونها قادرة على طلب المنافع ودفع المضار[١٦٥] .

- اذن الايات الاربع من الكواكب لا تصلح فيها عقيدة ، ولا تسلم لها العبادة ، بل هى مخلوقات مما خلق الله والأيات الاربع هى:

[١] الليل .

[٢] النهار .

[٣] الشمس .

[٤] القمر .

وهذا ما يفهم من الايات القرآنية : من قوله تعالى : " ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون " .

---

(١٦٥) مفاتيح الغيب - المجلد الثانى عشر جـ٢٣ ص ٢٠٣ ط دار الغد العربى .

قال العلامة البروسوى " لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لأنها من جملة مخلوقاته المسخرة لأوامره مثلكم ، واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم لا تعبدون الا اياه فإن السجود أقصى مراتب العبادة فلأبد من تخصيصه به تعالى [١٦٦] .

وهنا ملحظ جميل قائم على تقرير عبادتهم الخاطئة لهذه المخلوقات التى لا تدفع عن نفسها ضرا يراد بها ، كما لا تتمكن من تحقيق خير لنفسها لأنها مخلوقة ، وانما الذى يدفع الضر ، ويحقق النفع ، فهو الخالق العظيم الجدير بالاعتقاد الصواب ، والعبادة السليمة وهو الله رب العالمين لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ولا غيرهما ، ولكن اسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم تريدون العبادة الصحيحة والجزاء الجميل .

وقد عدهم العلامة الأمدى ضمن فرق الحلولية الذين زعموا أن الاله واحد فى ذاته وأنه خلق أجرام الأفلاك وما فيها من كواكب ، وجعل الكواكب مدبرة لها فى العالم السفلى والاله يظهر ويحل فى الكواكب السبعة ويتشخص باشخاصها من غير تعدد فى ذاته[١٦٧] .

وذكر العلامة الشهرستانى أن عبادة الكواكب كانت فى الهند وأن أصحابها اجتمعوا على عبادة النيرين – الشمس والقمر – وتوجهوا اليهما باعتبارهما من الهياكل السماوية ، ثم قسم هؤلاء الى فريقين :

---

(١٦٦) العلامة البروسوى – تنوير الاذهان جـ٣ ص ٤٦٥ .

(١٦٧) الدكتور محمود بن الشريف – الاديان فى القرآن ص ١٤٨ ط دار المعارف .

• الأول : عباد الشمس ، وهم الدينيكيتية

وهم الذين زعموا أن الشمس ملك من الملائكة ، لها نفس وعقل ، ومنها نور الكواكب ، وضياء العالم ، ومنها تتكون الموجودات السفلية ، وهي فلك الفلك ، فتستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء .

وقد قعّد عباد الشمس أمورا حتى تأتي عبادتهم لها على الوجه الذى يرونه مقبولا فصنعوا لها صنما بيده جوهر على لون النار ، وله بيت خاص قد بنوه باسمه ، ووقفوا عليه ضياعا وقربانا ، وله سدنه وقوام فيأتون البيت الذى صنعوه لهم ويصلون ثلاث كرّات ، ويأتي اصحاب العلل والأمراض فيصومون له ويصلون ويدعونه ويستشفون به(١٦٨) .

• الثاني : عُبّاد القمر وهم الْجندْرْيكِينية .

وهم الذين زعموا أن القمر مَلَك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة ، واليه تدبير هذا العالم السفلى والأمور الجزئية فيه ، ومنه نضج الأشياء المكتوبة وايصالها الى كمالها ، وبزيادته ونقصانه تعرف الازمان والساعات ، وهو تلو الشمس وقرينها ، ومنها نوره ، وبالنظر اليها تكون زيادته ونقصانه ولهم فيه عادات وديانات .

ومن عاداتهم أن اتخذوا له صنما على شكل عجل يجره أربعه وبيد الصنم جوهر .

---

(١٦٨) الشهرستاني – الملل والنحل جـ٢ ص ١٠٣ ط الحلبي .

## • شريعتهم عادات وديانات

### • أولا : العادات :

من عاداتهم اتخاذ أصنام للقمر على شكل عجل كبير تجره أربعة ، وفى يد هذا الصنم جوهر متميز عن كل الاصنام الأخرى .

### • ثانيا : الديانات :

من ديانات الْجندْرْيكِينية – عباد القمر – ما يلى :

[١] أن يسجدوا للقمر ويعبدوه .

[٢] أن يصوموا النصف من كل شهر ولا يفطروا حتى يطلع القمر ثم يأتون صنمه بالطعام والشراب واللبن .

[٣] انهم يرغبون اليه فيسألونه حوائجهم ، وينظرون للقمر .

[٤] اذا استهل الشهر علوا السطوح ، وأوقدوا الدّخن ، ودعوا عند رؤيته ، ورغبوا اليه ثم نزلوا عن السطوح الى الطعام والشراب والفرح والسرور ،

ولم ينظروا اليه الا على وجوه حسنه وفى نصف الشهر اذا فرغوا من الافطار أخذوا فى الرقص واللعب بالمعازف بين يدى الصنم والقمر(١٦٩) لأنهم فى عيدهم يقيمون .

وهى كلها عبادات باطلة وصنوف من الضلال بَيِّنَةٌ ، وقد ذكرنا كيف واجهها القرآن الكريم وبين الخطأ فيها ، وعرف بالصواب فليرجع اليها من شاء .

---

(١٦٩) الشهرستانى – الملل والنحل حـ٣ ص ١٠٤ بتصرف .

[٣] عبدة الملائكة والجن .

جاء القرآن الكريم الى بيئات مختلفة الثقافة ، متنوعة العبادة ، غارقة فى الضلال حتى الأعماق ، بعضهم عابد للشمس والقمر ،وأخر عابد للملائكة ، والجن ، ولكن لما كانت الملائكة أمورا غيبية ومخلوقات غير مرئيه ، رسم الناس لها فى أفهامهم صورا ، حتى جعلوها بنات الله ، اعتبروها أرقى الصور .

وحينئذ توجهوا اليها بالعبادة سواء للتقريب بينهم وبين الله أو على أنها الوسيلة والزلفى وسموها بنات الله حتى تصل الفكرة بهم الى أعماقهم ، بل رسمت خيالاتهم والضلالات للملائكة صورا ورسومات أخرى .

منها ملائكة طوباويون لخدمة الرب ، ومنها ملائكة قريبون لخدمة الطوباويين[١٧٠] .

واعتبروا هذه وتلك لا تخرج فى شكلها عن الشكل الأنثوى ، وهاموا فى عبادتها على انها حقيقه بنات الله وما هى فى شىء من ذلك بل أفكارهم هابطة ، وتصوراتهم ساذجة .

قال تعالى : " وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون[١٧١] ،

قال تعالى : " الكم الذكر وله الأنثى تلك اذا قِسمة ضِيزى[١٧٢] لأنكم أخترتم لأنفسكم البنين ثم اختمرت فكرة البنات فى انفسكم على

---

(١٧٠) راجع الكوميديا الالهية – دانتى البحيرى – جـ٣ الفردوس الأنشوده الخامسة ص ١٣٧ ترجمة د/ عثمان نويه – ط دار المعارف . حيث يرى دانتى أن الطوباويين مظهر البشر والضياء اللذان يشعان منهم على حين يصيحون غير مرئيين فى السماوات العليا ، ويرتبط مستوى البهجة فى كل روح بدرجة اشعاعها .

(١٧١) سورة الزخرف الاية ١٩ .

انها بنات اله ، وتقربتم اليه بها فهل من المعقول أن تتقربوا اليه بما ليس محببا الى نفوسكم .

وقال تعالى : " فاستفتهم أَلربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون أَلآ إِنهم من إِفكهم ليقُولون وَلَدَ الله وإنهم لَكَاذِبُونَ أَصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون[١٧٣] .

- اذن عبادتهم للملائكة قامت على أمرين :

- الأمر الأول : أنها بنات الله

- الأمر الثانى : أنهم يتقربون للاله بها .

كما أن هذا الزعم لم يقف عند حد بل تمادى وتجاوز كل حد ، فكان الموقف القرآنى منهم قائما على عرض هذه المزاعم ، وبيان أنها باطلة ، مؤكدا على ضرورة الاحتكام الى الوقائع الثابته وهى تتلخص فيما يلى :

- أولا : أن الله لم يتخذ ولدا ولا بنتا لا من الملائكة ولا من غيرها " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

- ثانيا : أن أحدا من هؤلاء الزاعمين لم يكن موجودا حين خلق الله الملائكة حتى يعرفوا ما اذا كانوا أناثا أم لا " أشهدوا خلقهم " ثم أن الملائكة خلق من خلق الله لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ، ولا يولدون .

---

(١٧٢) سورة النجم الايتان ٢١/٢٢ .

(١٧٣) سورة الصافات الايات ١٤٩/١٥٤ .

انها اجسام نورانية قابلة للتشكل بالاشكال الحسنة ، عملهم العبادة ، والطاعة ، لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ، كما لايتوالدون ولا يتناكحون ، مسكن أغلبهم في السماء ، ومنهم من يسكن الأرض " يسبحون الليل والنهار لا يفترون[١٧٤] لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[١٧٥] وهم في كل حالاتهم : " وقالواْ اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عبادٌ مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون[١٧٦] "

- ثالثا : أن الله تعالى سيسال الزاعمين في عبادتهم للملائكة كما سيحاسبهم على قولهم أن الملائكة أناث فهي شهادة كاذبة ودعوى باطلة ستكتب شهادتهم ويسألون " .

وقد بيّن الله تعالى أنهم كاذبون في دعواهم هذه بل هم ليسوْا مؤمنين بشيء أبدا قال تعالى : " ان الذين لايؤمنون بالآخرة لَيُسَمُّونَ الملائكة تسمية الأنثى وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغني مِنَ الحق شيئا[١٧٧] .

- رابعا : أن هؤلاء الزاعمين عبرت عبادتهم الباطلة عن شكوكهم الكاذبة ، كما دلت على انقداح نار التعصب في قلوبهم وانحراف أسس العدل في ميزانهم ، حين أختاروا لأنفسهم القدرة على انجاب

---

(١٧٤) سورة الأنبياء الاية ٢٠

(١٧٥) سورة التحريم الاية ٦

(١٧٦) سورة الأنبياء الايتان ٢٧/٢٦ .

(١٧٧) سورة النجم الايتان ٢٨/٢٧ .

البنين ونسبوا لله العجز فلم يتمكن الا من البنات ، مع أنه تعالى منزه عن هذه وتلك ، لأنه الخالق الأعظم جل علاه ،

" فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ألآ إنهم من إفكهم ليقُولون وَلَدَ الله وإنهم لَكَذِبُونَ أَصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين(١٧٨) .

ثم بين الطريق الصواب ، والاعتقاد السليم ، الذى يقوم على ان المخلوق لا يكون معبودا ، وانما العبادة تكون للأله الخالق الواحد جل علاه ، ولما كانت الملائكة مخلوقة فان عبادتها باطلة ، وتشهد به العقول السليمة ، والنفوس المستقيمة .

كما أن عبادتهم للملائكة استقرت على دعوى الاناث ، وما هى منها بشىء " ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الاشيطانا مريدا(١٧٩)

كما أن الخالق أمر الناس بعبادته ، وذكرهم بنعمه والوان عقابه ، وسلك معهم مسالك الترغيب والترهيب حتى يأخذ بأيديهم الى ما فيه صالحهم ، فاذا لم يستجيبوا أنزل بهم ما توعدهم به من العقاب ، ولا يكون ذلك ممكنا الا من الخالق العظيم ، وليس الملائكة الذين يزعمون أختيار الاله لها كبنات وأختيار البنين لهم ، " أَفَأَصفاكم رَبُكم بالبنين وَاتَّخذَ من الملائكة إِنَاثًا إنكم لتقُولُونَ قَولا عَظِيمًا(١٨٠) .

---

(١٧٨) سورة الصافات الايات ١٤٩/١٥٧ .

(١٧٩) سورة النساء الاية ١١٧ .

(١٨٠) سورة الاسراء الاية ٤٠ .

فالعبادة لغير الله باطلة حتى ولو كانت وسيلة أو واسطة ، مع ملاحظة أن عبادتهم للملائكة فيها الخوف منهم والعطف عليهم وهما متناقضان فإذا اضيف الى ما سبق ان الملائكة مخلوقه وهم يقرون بها ويتمسكون ، وبالتالى فما دامت مخلوقه فلا بد أن يكون لها خالق وجدير به وحده ان يعبد لا غيره .

كما أن عبدة الجن لم يكونوا أحسن حالا من عبدة الملائكة ، بل هم فى الاشراك سواء ، وقاعدة الكفر لا تتجزأ كما أن مسألة الضلال لا تنصف .

قال تعالى : " بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون[181] فقد نعَى عليهم هذا الصنيع ، وبين أن عبادتهم باطلة ، ولا تقوم على اساس سليم أو وجه مقبول .

من ثم رتب عليها العذاب الشديد ، والوعيد الذى لا ينقطع ، ثم ينادى عليهم فى الآخرة ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون .

قال تعالى : " وجعلوا لله شُرَكَآءَ الجن وخلقهم وَخَرَقُواْ بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون[182] .

ولما كانت الجن من الأمور الغيبيه والمخلوقات غير المرئيه بالنسبة لهم فقد حاولوا عبادتها خوفا منها ، ورغبة فى تفادى أخطارها ، رغم أنها مخلوقه .

---

(١٨١) سورة سبأ الاية ٤١ .

(١٨٢) سورة الأنعام الأية ١٠٠ .

والقرآن الكريم رد على هؤلاء وأولئك بأنها مخلوقة مربوبة لا تصلح أن تكون الها أو معبودا ، وفى الأخرة ستشهد عليكم بأنكم فعلتم الاشراك ، وستكونون أنتم وهى فى العذاب .

قال تعالى : " انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زَفِيرٌوهم فيها لا يسمعون(١٨٣) ، فلا منجاة الا فى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، والغاء عَبادَة ما سواه ، وعدم الاعتداد به .

[٤] المجوس

ذكر اصحاب الملل والنحل أن المجوس هم اصحاب الأصلَيْن فى العبادة ، كما يعرفون بأنهم أصحاب عبادة الأثنين ، النور والظلمة ، وأن هذين الأصلين – النور والظلمة – قديمان مدبِّران يقتسمان الخير والشر ، والنفع والضر ، والصلاح والفساد .

وأن صاحب الخير والنفع والصلاح هو النور ، بينما الثانى هو الظلمة ، ويعبِّرون عن النور ، بالاسم الفارسى يزدان ، أما الظلمة فانهم يسمونه بالفارسية أهرمن(١٨٤) ويرى الأقدمون منهم أن النور أزلى قديم ، بينما الظلمة محدثة .

اذن هم مختلفون بعضهم يقول أن الله تعالى ليس بجسم ، وكذلك الشيطان ، وهما قديمان ، والله احدث هذا العالم فما فيه من الخيرات فمنه ، وما فيه من الشر فمن الشيطان .

---

(١٨٣) سورة الأنبياء الآيات ٩٨/١٠٠ .

(١٨٤) الشهرستانى الملل والنحل جـ٢ ص ٣٧ ط عبدالعزيز الوكيل .

وقال بعضهم أنهما جسمان قديمان ، وقال بعضهم أن الله جسم ، والشيطان ليس بجسم ، وقال آخرون الشيطان جسم ، والله ليس بجسم[١٨٥] عكس الأول .

- والملاحظ أن مسائل المجوس تدور على قاعدتين اثنتين :

- القاعدة الأولى : بيان امتزاج النور بالظلمة

- القاعدة الثانية : بيان سبب خلاص النور من الظلمة ، وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معادا[١٨٦] .

ومما هو وارد فى الدراسات مقرر عند أصحابها أن المجوسيه " دين فريق من الناس كانوا يؤمنون بالسحر ويمارسونه ويعبدون النار ، وانهم سموا مجوسا منذ القرن الثالث بعد الميلاد[١٨٧] .

وذكر العلامة الفخر الرازى أن المجوس متفقون على ان الله تعالى تحارّب مع الشيطان الوف السنين ، ولما طال الأمر توسطت الملائكة بينه وبين الشيطان على ان الله تعالى يُسَلِّم العالم الى الشيطان سبعة الآف سنه يحكم ويفعل ما يريد ، وبعد ذلك عهد أن يقتل الشيطان .

ثم أخذت الملائكة سيفيهما وقرروا بينهما ان من خالف منهما ذلك العهد قتل بسيفه ، وكان هذا الكلام غيرلائق بالعقلاء لكن المجوس متفقون عليه[١٨٨] .

---

(١٨٥) القاضى عبدالجبار – المغنى جـ٥ الفرق غير إسلامية ص ٧١ الموسسة المصرية .

(١٨٦) الملل والنحل جـ٢ ص ٣٧ .

(١٨٧) الدكتور حامد عبدالقادر – زرادشت الحكيم .بنى قدامى الايرانيين ص١١٥ .

(١٨٨) الفخر الرازى – اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٣٦ مكتبة الكليات الأزهرية .

ويرى الشهرستانى أن المجوسيّة فرق ، وكل منها تثبت لنفسها ما تعبده ، وهذه الفرق تنحصر فى رؤس هى :

- الأولى : الكيومرثيه

وهم الذين اثبتوا أصلين هما :

- النور – يزدان – : وأنه ازلى قديم ، وهو الأصل الثابت .
- الظلمة – أَهْرِمَنّ – : وأنه محدث مخلوق لأنه ناشيء من فكر يزدان نفسه أنه لو كان له منازع فكيف يكون ذلك المنازع ؟ ولما حدث خلق للظلمة من تفكير النور ، جاءت تلك الظلمة مطبوعة على الشر ، والفتنة والفساد والفسق والضرر والاضرار ، فخرج على النور ، وخالفه طبيعة ، وفعلا ، حتى جرت محاربة بين عسكر النور ، وعسكر الظلمة ، ثم حدث بينهما نوع من الصلح على ناحية ما [189] .

- الثانية : الزروانية

قالوا أن النور ابدع اشخاصا من نور كلها روحانية ، نورانية ربانيه ، ولكن الشخص الأعظم الذى اسمه زروان ، شك فى شيء من الاشياء ، فحدث أَهْرِمَنّ الشيطان يعنى ابليس من ذلك الشك[190] .

---

(١٨٩) الملل والنحل جـ٢ ص ٣٨

(١٩٠) المصدر نفسه جـ٢ ص ٣٩ .

• الثالثة : الزرادشتيه

هم اصحاب زرادشت بن بورشب كان ابوه من اذربيجان ، وأمه من الرى واسمها دغدويه ، زعموا أن لهم انبياء وملوكا ، وان الله خلق من ملكوته خلقا روحانيا ، ثم تدرج فيما بعد الى الخلق المادى ، والذى منه الكائنات المادية .

وقالوا أن النور والظلمة أصلان متضادان وكذلك يزدان واهرمن ، وهما مبدأ الموجودات في العالم ولهم اراء كثيرة قد عنى بها أصحاب الملل والنحل فليراجعها من شاء(١٩١) .

وقد تشعب عن المجوسيه الزرادشتيه كل من . السيسانيه والبهافريدية ، ولكل من طوائف المجوس ، وفرقهم اتجاهات ، وأنظمة وقوانين وعادات ، وفيهم بعض القبول والكثير من الانكارات وهم أعدى خلق الله(١٩٢).

وقد رد القرآن الكريم على هذه الطوائف جميعا ، وجعلهم فى طريق واحد ، فإما فوز يدفع صاحبه الى العلا ، اذا كان من الذين آمنوا ، وأما هبوط يندرج به صاحبه مع اصحاب الهلاك وبئس القرار .

قال تعالى : " ان الذين أمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد(١٩٣) .

---

(١٩١) راجع الاديان فى القرآن ص ٨٦ وما بعدها .

(١٩٢) الملل والنحل جـ٢ ص ٤٣ .

(١٩٣) سورة الحج الاية ١٧ .

والله سبحانه وتعالى يجعل " الفصل بينهم فى الأحوال والاماكن جميعا ، فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ، ولا يجمعهم فى موطن واحد(١٩٤) لأنهم ليسوا جميعا سواء ، فأهل الكفر ملة واحدة ، واصحاب الايمان جماعة واحدة والفرق بينهم كبير .

- تقسيم القرآن الكريم المكلفين بحسب الايمان والكفر :

قسم القرآن الكريم الخلق باعتبار ما يرتفع به أمر درجاتهم أو يهبط ما يقربهم من ربهم أو يباعد الى مجموعتين :

- المجموعة الأولى : مجموعة المؤمنين :

" وهم الذين أمنوا وصحت فيهم العقيدة ، وسلمت لهم العبادة فهم أمنوا بكل ما يجب الايمان به . أمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر والقدر خيره وشره ،

ويدخل فى هذه المجموعة المؤمنون بكل ما تعنيه الكلمة حتى ان الذين كانوا على الكفر ثم رجعوا الى الله والتوبة النصوح والايمان الصحيح يدخلون فى نفس المجموعة المؤمنه .

- المجموعة الثانية : مجموعة الكافرين :

وتضم هذه المجموعة كل من غطى الايمان بالالحاد ، وجعل المعصية فوق الطاعة ، وعبادة الخلق فوق عبادة الخالق وهم فى مجملهم حسب ما جاءت به الآية الكريمة طوائف :

[١] الصابئة : الذين تركوا الدين ، واختاروا عبادة المخلوقات .

---

(١٩٤) الكشاف المجلد الثالث ص١٤٨ .

[٢] النصارى : الذين كانت ديانتهم مع عيسى عليه السلام ثم بدلوها الى المسيحية وعبدوا الالهة المتعددة ونسبوا لله الباطل (١٩٥).

[٣] المجوس : الذين عبدوا النار وهم ليسوا من أهل الكتاب ، ولذا لا تنكح نساؤهم ، ولا تؤكل ذبائحهم (١٩٦) .

[٤] المشركون : وهم الذين عبدوا الاوثان والاحجار والمنافع ولم يعبدوا الله الواحد الحق جل علاه .

والله سوف يعامل كل صنف منهم يوم القيامة على حسب استحقاقه ، وما ارتكبت يداه فأهل الاسلام ، وهم المجموعة الأولى المؤمنون يثابون تفضلا منه تعالى ورحمة ، وأهل الكفر يعاقبون عدلا منه"ولا يظلم ربك أحدا .

وقد علم مما سبق أن الدين قسمان باعتبار الصحة والفساد ، كما علم من الاية أنه أنواع ١- اربعة فى النار ، ٢- وواحد فى الجنة .

أما الذين أهله فى الجنة فهم أهل دين الاسلام ، وأما الذين هم من أهل النار فباقى الاقسام الأخرى - الصابئه ، والنصارى ، والمجوس ، والذين اشركوا :

ولذا قيل الاديان خمسة واحد للرحمن وهو الاسلام ، واربعة للشيطان وهى ما بعده .

- والملاحظ أن القرآن الكريم قد عرض لموقفين هامين فى المسألة :

- الموقف الأول : بيان العقيدة الصحيحة من الفاسدة .

---

(١٩٥) راجع ما ذكرنا عن المسيحية وعقائدها .

(١٩٦) تنوير الاذهان المجلد الثالث ص ٩ .

• الموقف الثاني : التركيز على أن الموقف النهائي والخاتمة القوية تكون في صالح الذين آمنوا بالله رب العالمين وأقروا بالقرآن الكريم ، وصدقوا بالنبي واليوم الأخر ، والبعث والحشر ، والجزاء ، من غير أن يفرقوا بين ما أنزل الله تعالى ، اعتقاد وعبادة وأخلاقا .

وبهذا نكون قد عرضنا لموقف القرآن الكريم من العقائد التي كانت سائدة أثناء نزوله ، وقد تركنا عبادة الاوثان والأصنام والأهواء لأنها داخلة في واحدة مما مر ، أو مشار اليها على سبيل التصريح والتلميح .

كما اننا عند أعادة هذا الكتاب للطبع سنحاول التعرص لموقف القرآن الكريم من كافة الاتجاهات العقدية التي تعرض اليها أو تعرض له ، على أن تكون تلك المراجعات تفصيلية حتى تتحقق الفائدة ويعم النفع والله من وراء القصد ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلتُ وعليه فليتوكل المؤمنون .

وسيراني القارىء مرددا قول الملك الحق العلام " وما لنا ألاّ نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون[197] .

" وما ذلك على الله بعزيز" فالصحة نعمة نشكره عليها ، والمرض نعمه نشكره عليها ، ونردد مع الرسول الكريم ﷺ " ان لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

---

(١٩٧) سورة ابراهيم الاية ١٢.

# المبحث العاشر

## منهج القرآن الكريم
## في
## اثبات العقيدة الصحيحة

عرض القرآن الكريم قضية الألوهية وصفات الله تعالى وقضايا العقيدة الاسلامية على نحو لا يوجد له مثيل فى أى كتاب آخر ، فهو لم يقصر الاستدلال على وجود الله بطريق واحد ، وانما ذكر طرقا عديدة ، ومسالك كثيرة بحيث تناسب كل من يحاول التعرف عليها أو يعمل على الوصول اليها . من هذه المسالك :

[١] خطاب العقل ودعوته للتأمل :

هناك مسالك عقلية تقوم على التأمل والنظر فى الكون ، أرضه وسمائه ، علوه وسفليه ، خفّيه ومرئيه ، بحيث اذا تأملها العقل السليم جزم بأن لها خالقا واحدا ولا يمكن أن يكون غَيره ، وفى نفس الوقت فإن هذا له من صفات الجلال والكمال ، والجمال والاكرام ما لا يتناسب مع أحد سواه ، وقد جاء ذلك كله فى القرآن الكريم .

من ذلك قوله تعالى : " أن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما مِنْ أحد مِنْ بعده انه كان حليما غفورا[١] فأى عاقل نظر للسماء وسعتها ، وعلو مكانها وارتفاعها ، وتماسكها وعدم سقوطها ، وثباتها وعدم تدهورها ، وبُعْدها عن الأرض ، ووجود الشمس والنجوم والقمر كفواصل ثابتة بين الأرض والسماء ، أدرك حتما أن لهذا الكون الها خالقا رحيما ولا اله سواه .

ومثل ذلك فى القرآن الكريم كثير ، بل أن الايات القرآنية أمسكت بزمام العقل ، وهمست فى أذنيه ، وأخذته من ناصيته ، مطالبة أياه بالعمل فيما خُلق له ، والاجتهاد فى الوصول الى ما كُلف به ، وكان ذلك كله بعد عرض الدلائل الكونية التى تتسع لها المدارك العقلية .

(١) سورة فاطر الاية ٤١ .

بل أن مادة عقل وردت فى القرآن الكريم حوالى خمسين مرة ، وعلى أنحاء شتى[٢] مما يؤكد أن العقل قد عنى به القرآن الكريم ، ودفعه للقيام بواجباته على النحو الذى كلفه الله تعالى به ، ومن أول الواجبات تعقل ايات الذكر الحكيم ، لأنها كلام الله ، وصفة من صفاته والأستجابة لأوامره والبعد عن نواهيه .

قال تعالى : " أنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين[٣] . ، وقوله تعالى : "إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون[٤] .

وبيّن أن أختلاف الليل والنهار ، وتعاقب كل منهما من الادلة العقلية على وجود الله تعالى واثبات وحدانيته ، وعلمه وقدرته وسائر صفاته جل علاه .

قال تعالى : " وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون وهو الذى ذرأكم فى الأرض واليه تحشرون ۝ وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون[٥] .

ونعى على أولئك الذين يركضون عقولهم بأقدامهم ، ثم ينقادون لغيرهم ، تاركين نعمة الله عليهم ، كافرين بأنعمه اليهم وبيّن أنهم شر من الدواب .

---

(٢) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . مادة ع ق ل ص ٤٦٨/٤٦٩ .

(٣) سورة يوسف الايتان ٢/٣ .

(٤) سورة الزخرف الاية ٣ .

(٥) سورة المؤمنون الايات ٧٨/٨٠ .

قال تعالى : " ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون[٦]
، وذكر أنهم أهل الضلالة الذين وقع عليه الرجس ، وطغى عليهم غضب الله . ولن ينقذهم من عقابه ما يعبدون من آلهة باطلة ، ولو كانوا يعقلون ما وقعوا فى هذا الذى عنه ينهون .

قال تعالى : " وما كان لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون[٧] .

وعلى هذا النحو جاء العديد من الآيات القرآنية ، كداع للعقل أن يتأمل ، ودافع لأن يفكر ، ومطالب له بعدم الاستسلام للرؤى المفزعة ، والأمانى الكاذبة ، والاثار التى نقلها الأقدمون من غير احتكام الى العقل السليم مع معاندتها للشرع الشريف ، وبهذا عُلِم أن المسلك العقلى أحد المناهج فى الاستدلال على وجود الله تعالى .

[٢] اثبات وجود الله تعالى أوّلاً :

قرر القرآن الكريم أن مسألة وجود الله تعالى ليس فيها أدنى شك ، بل هى قضية أولية والا فان الشاك محتاج لأثبات خالق لهذا الكون ، فاطر له من العدم الى الوجود ، ولن يكون هذا الفاطر للكون سوى الله رب العالمين .

قال تعالى : " قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى[٨] .

(٦) سورة الانفال الاية ٢٢ .

(٧) سورة يونس الاية ١٠٠ .

(٨) سورة ابراهيم الاية ١٠ .

والمعنى أن كنتم تشكون في الله تعالى على ناحية اثبات وجوده ، فمن الذى فطر السماوات والأرض حتى أخرجهما من العدم الى الوجود ، وحفظ عليهما هذا الوجود، فلم يحدث خلل أو اضطراب ، بل الكون على ما هو عليه من يوم أن خلقه الله ، مانقص من الماء شيء ، وما زاد على الأرض شيء ، " أنا كل شيء خلقناه بقدر" (٩) .

[٣] اثبات الوحدانية لله تعالى :

لَمّاً ثبت بالدليل أن الله تعالى موجود ، ذكر أنه تعالى واحد ، من كل وجه ، فقال تعالى : " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد(١٠) .

وهذه السورة مع قصرها تعدل ثلث القرآن الكريم ، فان مقاصده منحصرة فى بيان العقيدة والأحكام والقصص ، وهى قد اشتملت على المقصود الأعظم من العقائد ...

أعنى وجود الله تعالى وتوحيده ، وصفاته ، ولذلك قال رسول الله ﷺ " أسست السماوات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد ، أى أن السماوات السبع والارضين السبع ما خلقها الله تعالى الا لتكون دلائل على وجود الله تعالى وتوحيده ، ومعرفة صفاته التى نطقت بها السورة الكريمة (١١) .

وقد وردت اثار كثيرة فى فضل سورة الأخلاص وقارئها وقراءتها ، وقد عنى بهذه الناحية المؤلفات فى علوم القرآن الكريم لكنها فى مجملها

---

(٩) سورة اقمر الاية ٤٩ .

(١٠) سورة الأخلاص

(١١) الدكتور سليمان سليمان جميس - نحو عقيدة قرآنية ص ٧٢ .

بيان لوحدانية الله تعالى ، والتركيز عليها مع تفرده جل علاه فى كل ناحية .

قال تعالى : " وإلهكم إله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم[١٢] ، ففى الأية الكريمة نفى الواحد بالعدد وهو الواحد الحسابى ، والواحد بالتركيب ، والواحد بالجهة ، حتى لم يثبت الا واحد من كل وجه ، وهو الله سبحانه وتعالى .

وتكرر حديث القرآن الكريم عن وحدانية الله تعالى مرارا ، وفى كل واحدة جهة غير الآخرى ، بحيث يجد الناظر للقرآن الكريم أن الوحدانية لله جاءت من كل ناحية ، وثابتة له جل جلاله على كل مصدر من ذلك .

[أ] ورود الوحدانية على جهة العقيدة .

أُجَلّ العقيدة الاسلامية واحدة تقوم على صحة الاعتقاد فى الله الواحد ، ونفى أى شريك له وتفرده جل وعلا فى كل ما يتعلق بشئونه تعالى وما يتعلق بالخلائق خَلْقًا وابقاء ، ابتداء وانشاء ، اعادة واعداما ، وورود الوحدانية فى العقيدة جاء على نواح عديدة أيضا .

- الوحدانية مع الرحمة

قال تعالى : " وإلهكم اله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم[١٣]. فهو الاله الواحد ، المنفى عنه الشريك أيا كان ، وهو سبحانه وتعالى موصوف بأنه رحمن رحيم ، فهو واحد رحمن رحيم على هذه الناحية .

---

(١٢) سورة البقرة الاية ١٦٣ .

(١٣) سورة البقرة الاية ١٦٣ .

• الوحدانية مع القهر والغلبة

قال تعالى : " قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل هو الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار(١٤) .

وقال تعالى : قل انما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار(١٥) ، قال الصابونى ناقلا فى معنى الاية هذا شروع فى بيان مهمة الرسول ﷺ .

وفى اثبات الوحدانية ، والمعاد والجزاء . أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين أنما أنا رسول من رب العالمين انذركم وأخوفكم من عذابه أن لم تؤمنوا ولست بساحر ولا شاعر ولا كاهن .

وما من اله الا الله الواحد القهار ، وليس لى رب ولا معبود الا الواحد الغالب على خلقه القاهر لكل شيء ، رب السماوات والأرض وما بينهما ، فهو خالق جميع ما فى الكون من الخلائق والعجائب المتصرف فيها بالايجاد والإعدام فهو وحده العزيز الغفار(١٦) .

---

(١٤) سورة الرعد الاية ١٦ .

(١٥) سورة ص الايتان ٦٥/٦٦ .

(١٦) الشيخ محمد على الصابونى – صفوة التفاسير جـ١٥ ص٦٤ .

• الوحدانية مع نفى الشريك الواحد .

قال تعالى : " وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون ، وله من فى السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون[١٧] .

فالآية فيها اثبات الوجود لله تعالى ووحدانيته مع نفى الشريك الواحد ، اذ لو كان معه تعالى شريك واحد لكانت الالهة اثنين . الله الواحد الأحد والاله المتخذ شريكا لله ، وحينئذ تقع المعاندة ولا يوجد العالم .

وبيّن القرآن الكريم أن الاله لا يكون الا واحدا فهو المستحق للعقيدة الصحيحة والعبادة السليمة ، أما غيره فلا اعتداد به ولا حديث عنه ، وذكر العلامة الصاوى أن النهى عن اتخاذ الهين فيه نهى عن اتخاذ الأكثر بالأوْلى وان فى الاية الكريمة اثباتا لألوهية الله تعالى ووحدانيته ، ونفى الشريك عنه جل علاه .

والمعنى أن المعبود لا يكون الا واحدا والا لم يوجد شىء من العالم . قال تعالى : " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا[١٨] ، وقال تعالى : " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذًا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون[١٩] ، وبالتالى فلا تقع الرهبة الا من الاله الواحد ، فإن النفع والضر بيده وحده لأن الألوهية وصفه

---

(١٧) سورة النحل الايتان ٦٥/٦٦ .

(١٨) سورة الأنبياء الاية ٢٢ .

(١٩) سورة المؤمنون الاية ٩١ .

وحده[٢٠] ، ومن كان كذلك فقد انتفى عنه الشريك والصاحب والولد ، وكل ما كان من هذا القبيل .

• الوحدانية مع نفى الشريك المتعدد

بيَّن القرآن الكريم أن الله تعالى واحد ، ويستحيل أن يكون أكثر من واحد ، وان الذين يدعون من دونه أكثر من اله هم فى ضلال بَيِّن وهم الكافرون بالله تعالى على كل ناحية .

قال تعالى : " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم[٢١] .

وقوله تعالى : " يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فأمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا[٢٢] .

اذن الوحدانية لله تعالى قائمة على نفى الشريك أيا كان ونفى التعدد مهما كان ، ونفى التركيب والتحيز عن الله تعالى ، وانه كلما كانت الوحدانية قائمة لله فى عقل الانسان وذهنه مستمرة فى عقيدته ، صحيحه فى ديانته ، فلا شك أنه على الطريق السداد يسير ، وفى النهاية السعيدة يَقْدُمُ قومه أما لماذا ؟

---

(٢٠) العلامة الصاوى – حاشية الصاوى على الجلالين – المجلد الثانى ص ٣١٤ .

(٢١) سورة المائدة الايتان ٧٤/٧٣ .

(٢٢) سورة النساء الاية ١٧١ .

فلأن العقيدة الصحيحة تقاوم كل فكرة خاطئة ، تحاول الاقتراب من ميدان الألوهية ، وهنا تصح له عقيدته ، وتسلم له عبادته ، فيظفر من دنياه بالسلامة ، وفى الأخرة بالنجاة .

قال تعالى : " وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون أن مع الله الهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد واننى برىء مما تشركون[٢٣] .

ذكر العلامة السيوطى فى سبب نزول الآية " قل أى شىء أكبر شهادة قال : جاء النحام بن زيد ، وقروم بن كعب ، وبحرى بن عمرو فقالوا : يا محمد ما نعلم مع الله الها غيره . فقال لا اله الا الله بذلك بعثت ، والى ذلك أدعو ، فانزل الله فى ذلك قوله قل أى شىء أكبر شهادة ، قل الله شهيد بينى وبينكم[٢٤] .

وعلى صفة الوحدانية جاء التأكيد والتكرار فى القرآن الكريم بشكل لافت للنظر ، كأنه يريد أن يجعلها المسألة الرئيسية ، بحيث من حاول الخروج عليها واجهته الأيات القرآنية من كل ناحية ، توجيها ونصحا ، فان لم يستجب واجهته ترهيبا وتحذيرا ، فان لم يرتدع واجهته صفعا وتكفيرا ، " ومن أصدق من الله قيلا " .

---

(٢٣) سورة الانعام الايتان ١٨/١٩ .

(٢٤) العلامة السيوطى – لباب النقول فى اسباب النزول بهامش تفسير الجلالين ص ١٦٤/١٦٥ ط دار التراث.

- الوحدانية لله مع التصديق بالرسل

قال تعالى : " قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد[٢٥] .

وقال تعالى : " قل أنما أنا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار[٢٦] .

وهكذا فان أثبات الوحدانية لله سبحانه استتبعه التصديق بأن سيدنا محمداً رسول الله ﷺ حقا ،وان البعث أمر حتمى ، وان لقاء الله فى الآخرة لا مفر منه ، وأن المكلف يحاسب فى الآخرة على ما قدمت يداه ،وأن هذا الواحد غالب على الجميع بقدرته غالب عليهم بعلمه وحكمته ، غالب عليهم بكل ماله من صفات الجلال والكمال ، والجمال والأكرام .

- الوحدانية مع بيان عاقبة المكذبين بالبعث

ذكر القرآن الكريم أن أهل التوحيد يصدقون بوحدانية الله ، ويؤمنون بالبعث ، ويقرون بهذه المسائل الايمانية اقرارا لا يتطرق اليه شيء من شك ، أما غيرهم فلا يقع لهم ذلك من نفوسهم موقع التسليم الايمانى ، والقبول النامى ، ولا الخبر الطيب أو النبت الذاكى .

قال تعالى : " والهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون[٢٧] ، ولو كانت قلوبهم قائمة على الاستقرار فى

---

(٢٥) سورة الكهف الاية ١١٠

(٢٦) سورة النحل الاية ٢٢ .

(٢٧). سورة ص الاية ٦٥ .

العقيدة ، والسلامة فى العبادة لآمنوا بالله الواحد ، وصدقوا بالآخرة وقاموا على أنفسهم مقام الحق والصدق فلا تقع فى الباطل ولا تركن للضلال ، ولكن كل ذلك لم يكن وبالتالى فهم لم يؤمنوا بالاله الواحد ، ولم يؤمنوا بالاخرة .

[ب] ورود الوحدانية مع العبادة :

ذكرنا أن الوحدانية جاءت فى العقيدة الاسلامية لله رب العالمين على انحاء متعددة ، وكذلك جاءت فى العبادة ، بحيث يُنظر اليهما على انهما شىء واحد وكل لا يقبل الانفصام ، انها عقيدة واحدة تقوم فيها العقيدة والعبادة معا ، وقد جاء النقل المنزل بها جميعا . من ذلك .

- الوحدانية مع نفى عبادة الارباب

قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام : " ذلكما مما علمنى ربى ان تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة أبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون

يا صاحبى السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها انتم وأباؤكم ما أُنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أَمَرَ ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون(٢٨) .

(٢٨) سورة يوسف الايات ٣٧/٤٠ .

فقد بيّن لهم أن عبادة الارباب باطلة ، وان العقيدة الصحيحة تلزم العاقل ان يتوجه بالعبادة لمن هو واحد من كل ناحية ألا وهو الله رب العالمين ، الحقيق بأن نتوجه اليه بالعبادة السليمة مع صحة العقيدة .

قال تعالى : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله ألا أن يتم نوره ولو كره الكافرون[٢٩] .

وأكد القرآن الكريم أن عبادة الاله الواحد هي التى جاء الوحى بها ، وقام الأنبياء والمرسلون عليها ، أما الإشراك فى العبادة فذلك شأن المنحرفين ، وقد ذكر القرآن الكريم أن نبى الله ابراهيم قد وصّى بها بنيه ، وكذلك كل أنبياء الله فعلوا .

قال تعالى : " ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سَفِهَ نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الأخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون

ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذقال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون[٣٠] .

وهكذا فان أيات القرآن الكريم عرضت أمور العقيدة والشريعة على نحو خال من أوجه التقصير بل أنها فى عرضها فَصّلَت ما يحتاج الى تفصيل

(٢٩) سورة التوبة الايتان ٣١/٣٢ .

(٣٠) سورة البقرة الايات ١٣٠/١٣٣ .

، وذكرته باكثر من طريق حتى يسهل على طالبه التعرف عليه والوصول اليه ، وهو المنهج القرآني الذى عرف به النقل المنزل ، والسياق القرآنى الكريم" ومن أصدق من الله حديثا".

- الأولية والأخرية

سلف الحديث عن وحدانية الله فى الوهيته وربوبيته ، وها نحن نتحدث عن الأولية والأخروية لله رب العالمين ، فهو الأول الذى لم يسبق بأول ، وهو الأول وحده جل علاه ، هو الأول من كل وجه ، أولية التقدم ، وأولية التفرد ، أولية الخلق والايجاد ، أولية الاحكام والاتقان ، الاولية فى كل معانيها .

قال تعالى : " هو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم[٣١] . وقد جمعت الأية الكريمة بين أوليته تعالى التى لم تسبق بشىء ، بمعنى أنه الأول الموجود الذى لم يتقدم على وجوده أى وجود ، " بل سبق وجوده كل الوجود ، واستمر هكذا موجودا وسيستمر منفردا بالوجود ، متفردا ، فكما كان هو الأول بلا بداية ، فهو سبحانه وتعالى الأخر بلا نهاية . قال عليه السلام " أنه الأول ليس قبله شىء ، والأخر ليس بعده شىء[٣٢] " .

وربما كان مفهوم الأولية والأخرية بالنسبة لنا محصورا فى مفهوم معين ، ضاق أو اتسع المفهوم حسب ثقافة المتلقى وامكانياته ، وهذا انما يتناسب كمفهوم مع قدراتنا نحن المخلوقين التى يخاطبنا الله جل علاه حسب ظروفها وفيما تتمكن منه .

---

(٣١) سورة الحديد الاية ٣ .

(٣٢) ذكره الفخر الرازى فى تفسيره المجلد ١٥ ص ٣٥٥ .

لكن مفهوم الأول والأخر من حيث الكنه والحقيقة الألهية فهذا مما لا تستوعبه عقولنا ، وان كانت تستدل عليه ولا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى ، قال الفخر الرازى " واعلم أن هذا المقام مقام مهيب غامض عميق[٣٣] .

ذلك أن أولية الله تعالى صفة من صفات ذاته ، وكذلك أخريته تعالى ، وباقى صفاته ، ونحن لا نملك التعرف على الذات الالهية جل علاه من حيث حقيقتها ، لأنه لا يعرف الله على الحقيقة الا الله ذاته فكذلك ما نسب لتلك الذات الالهية من صفات .

كل ما فى الأمر أن المفهوم اللغوى الوارد فى النقل المنزل أنما يخاطبنا بقدر ما نفهم ، ويقرب المعانى للعقول حسب الامكانيات التى خلقها الله لنا ولذا ورد فى الحديث : سبحانه من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته[٣٤] .

قال الفخر الرازى : فهذه ابحاث غامضة فى حقيقة التقدم والأولية والأزلية ، وما هى الا بسبب حيرة العقول البشرية فى نور جلال ما هية الأزلية والأولية ، فان العقل انما يعرف الشىء اذا أحاط به ، وكل ما استحضره العقل ، ووقف عليه فذاك يصير محاطابه ، والمحاط يكون متناهيا ، والأزلية تكون خارجة عنه .

ثم هو سبحانه وتعالى ظاهر باطن فى كونه أولاً ، لأن العقول شاهدة باسناده المحدثات الى موجد متقدم عليها ، فكونه تعالى أولا أظهر من كل ظاهر من هذه الجهة ، ثم اذا اردت أن تعرف حقيقة تلك الأولية عجزت

(٣٣) المصدر نفسه ص ٣٥٥ .

(٣٤) حاشية الصاوى على الجلالين المجلد الرابع ص ١٦٩ .

، لأن كل ما أحاط به عقلك ، وعلمك فهو محدود وعقلك ومحاط علمك فيكون متناهيا ....

ومن ثم فتكون الأولية خارجة عنا ، فكونه تعالى أولا اذا اعتبرته من هذه الجهة ، كان ابطن من كل باطن ، فهذا البحث عن كونه تعالى أولا[٣٥] .

وفى تقديرى أن هذه الامكانيات المحصورة فينا من أقوى الأدلة على ان هناك امكانيات غير محصورة تتعلق بالله رب العالمين ، وهنا يكون الفارق بين امكانيات المخلوق وامكانيات الخالق ، وهو نفس الذى يمكن أن نستدل به على وجود الله تعالى ، من ناحية أخرى .

أما كونه تعالى أَخِرًا فلأنه تعالى يُفْنِى جميع العالم فيتحقق كونه أخرا ، ثم أنه تعالى يوجدها ويبقيها أبدا ، ثم أنه لما كان الوجود منه تعالى يبتدىء ، ولايزال ينزل وينزل حتى ينتهى الى الموجود الأخير ، الذى يكون هو مسببا لكل ما عداه ، ولا يكون سببا لشيء آخر ، فبهذا الاعتبار يكون الحق سبحانه أوّلاَ ، فهو سبحانه أول فى نزول الوجود منه الى الممكنات ، أخر عند الصعود من الممكنات اليه[٣٦] .

- وربما تسأل لماذا لم يستقل العقل بمعرفة الصفات الالهية والذات الالهية على الحقيقة والكنه ، أما كان ذلك أيسر فى تفهم الموقف وحل المسائل الصعبة والعويصة .

---

(٣٥) الفخر الرازى - مفاتيح الغيب - المجلد الخامس جـ٣٠ ص ٣٥٩.

(٣٦) المصدر السابق ص ٣٦١ .

• والجواب : من وجوه

• الأول : أن الله تعالى ذاتا وصفات لايتناهى ، بينما العقل متناه ، ولا يدرك المتناهى من لا يتناهى بل العكس هو الصحيح ، ولوحاول المتناهى الاحاطة باللانهائى على وجه الحقيقة لفقد خواصه ، وانهدمت امكانياته .

• الثانى : أن العقل ميزان له ميدان فاذا حاول تجاوز هذا الميدان ضل وانحرف ، وميدان العقل وميزانه فيما له معه حيلة ، وتقع عليه امكانياته ، ويتمكن من ضبطه على ناحية يقينية .

• الثالث : أن العقل مخلوق واحكامه فى المخلوقات التى يتعرف عليها ربما كانت يقينية ، وهو بالنسبة لها ميزان صحيح غير أنك لا تطمع أن تزن به امور التوحيد والأخرة ، وحقيقة البنوة ، وحقيقة الصفات الالهية ، وكل ما وراء طوره فان ذلك مطمع فى محال .

مثال ذلك ، مثال رجل رأى الميزان الذى يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال ، وهذا لا يدرك أن الميزان فى احكامه غير صادق ، لكن العقل قد يقف عنده ، ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط الله وصفاته فانه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه(٣٧) .

أجل العقل حجة الله على عباده ونعمة من نعمه عليهم ، ووسيلة التكليف فيهم ، لكن له حدود لا يتعداها ، وهو فى هذه الحدود ، وخلال تلك المجالات يكون عمله الذى ربما صدقت أحكامه ، أو جاءت على سبيل القطع واليقين ، ولكن اذا حاول تجاوزها ، أو القفز فوقها وتخطيها ،

(٣٧) العلامة ابن خلدون - المقدمة ص ٣٢٢ ، وما بعدها .

فلا شك أنه داخل فى متاهات وضلالات ، لايأمن معها السلامة أو يطمئن فيها الى النجاة .

من ذلك مسألة الغيبيات التى لا تقبل تجربة العقل ، ولم يحط بها علما على نحو غير ما جاء به الشرع الشريف ، فإن العقل اذا حاول اقحام نفسه فيها فلا شك أنه واقع فى الدرجات وهابط من أعلى الدرجات ، بل هو منهى عن الخوض فيها ، ومحاولة الدخول اليها .

وربما تستأنس لما ذهبنا اليه بالحديث الشريف الذى جاء من عدة طرق من قوله ﷺ " تفكروا فى الاء الله ولا تفكروا فى ذات الله فتهلكوا" ، وقوله ﷺ " تفكروا فى مخلوقات الله ولا تفكروا فى ذات الله فانه لا تحيط به القدر[٣٨] .

اذن الله واحد أول لا بداية له ، وأخر لا نهاية له ، وهذا مقتضى وحدانيته ، وخاصية تفرده بالخلق والايجاد ، وهكذا أفاضت أيات القرآن الكريم فى هذه المسألة ، وجاءت اليها على أكثر من ناحية حتى استقر فى الأفهام ، وقرّ فى العقول والنهى أنه تعالى واحد أحد ، فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

ثم أنه تعالى أول قبل كل شىء ، وانه أخر لأنه بعد كل شىء ، وانه ظاهر بحسب الدلائل ، وانه باطن عن الحواس محتجب عن الأبصار[٣٩] فثبت له تعالى أنه الأول والأخر ، والظاهر والباطن ، وانه بكل شىء عليم .

---

(٣٨) سبق تخريجه – من طرق كثيره كلها قوية ورواياته متعددة كلها صحيحة .

(٣٩) الفخر الرازى – مفاتيح الغيب المجلد الخامس عشر جـ٣٠ ص ٣٦٢ /٣٦٣ .

كما أنه تعالى محتجب عن الحواس الظاهرة ، والباطنة فلا تحيط به فى الدنيا ولا فى الأخرة ، وانما رؤيته وسماع كلامه فى الاخرة من غير كيف ولا انحصار ، ولا احاطة ، فكل مخلوق عاجز عن الاحاطة به ، بل كلما عظم قرب العبد منه ازداد خشية وهيبة وعجزا (٤٠) .

وكان من دعائه ﷺ " اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وانت الأخر فليس بعدك شيء ، وانت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين واغننا من الفقر(٤١) .

وهكذا فقد قام المنهج القرآنى على اثبات الكمالات كلها لله جل علاه ، وركز على العقيدة الصحيحة ، وفصل أجزاءها الواحد تلو الآخر ، فذكر الذات الالهيه وصفاتها ، وكل ما يتعلق بها .

ورأس الأمر كله ، أن يؤمن بالله الذين يؤمنون بالغيب ، ولما كان الله خالقا للغيب فقد صار الايمان به استدلا لا بالمخلوق على الخالق ، فتبارك الله رب العالمين .

وبعد أن عرض المنهج القرآنى عقيدة الألوهية وما يستتبعها ، عرض لباقى أجزاء العقيدة الاسلامية ، وربما جاءت كلها فى الآية الواحدة مثل قوله تعالى : " آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير(٤٢) .

---

(٤٠) حاشية الصاوى المجلد الرابع ص ١٦٩ .

(٤١) المصدر السابق ص ١٦٩ .

(٤٢) سورة البقرة الاية ٢٨٥ .

وقوله تعالى : " قل أمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون[٤٣] .

وقوله تعالى : " قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون[٤٤] .

وهكذا جاءت العقيدة الاسلامية فى الآيات القرآنية على سبيل التذكير والتأكيد ، وفى أكثر من موقع مما يؤكد أن منهج القرآن الكريم فى اثبات العقيدة قام على عرضها والتأكيد عليها ، واستمرار تناولها فى العديد من الآيات وعلى الكثير من النواحى .

• وربما يقال أن القرآن الكريم عنى بالعقيدة فى جانب اثبات قضية الالوهية ، والوحدانية ، وما يستتبع ذلك ولم يعر باقى أجزاء العقيدة العناية اللازمة ، ولكن هذا الزعم غير صواب ، أم لماذا ؟ فلما يلى ؟

• اولا : أن الحديث عن الملائكة فى الآيات القرآنية حديث غامر عذب المورد ، عزيز المنال ، عال فى التراكيب اذ قد وردت مادة م ل ك فى القرآن الكريم قرابة المائة مرة[٤٥] ، جمعا ومفردا ، ومثنى ، منكرا ومعرفا

• ثانيا : ان حديث القرآن الكريم عنهم ، شمل خلقهم ، وعباداتهم ، واعمالهم ، والتكاليف التى توجه اليهم ، والمهمات التى يقومون بها فى الدنيا والأخرة .

---

(٤٣) سورة آل عمران الاية ٨٤ .

(٤٤) سورة البقرة الاية ١٣٦ .

(٤٥) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٦٧٤ - ٦٧٦ .

وكذلك الكتب المنزلة ، والصحف والألواح التى جعلها الله هداية لأصحابها ، مثل توراة موسى عليه السلام وصحفه والواحه ، وصحف ابراهيم الخليل ، وزابور داؤد وانجيل عيسى عليه السلام ، والقرآن الكريم ، وقد جاءت الايات القرآنية على هذا الجانب موضحة ومعرفة ، مفصلة كافة هذه وتلك بحيث لم تترك شيئا منها إلا عرفت به ، وبينت ما أضيف اليه ، وما يجب أن ينفى عنه .

كما جاء الحديث عن رسل الله الكرام ، والأمم الذين بعثوا فيهم ، والمعجزات التى أجراها الله تعالى لهم تأييدا ، ومواقف خصومهم منهم والنتائج التى ترتبت على الايمان ، والعواقب التى تلت الكفران حتى أن بعض السور القرآنية أطلقت على بعض الأنبياء أو تسمت بأسمائهم .

مثل سورة يونس ، وسورة هود ، وسورة يوسف ، وسورة ابراهيم ، وسورة طه ، وسورة نوح ،سورة محمد ، إلى غير ذلك من السور التى سميت باسماء الأنبياء .

وكذلك مجيء سورة بعينها تسمى سورة الأنبياء الى غير ذلك مما يدل على العناية القرآنية التامة بالأنبياء والمرسلين تعريفا بهم ، وعباداتهم ، وأممهم ، وغير ذلك مما هو تابع الايمان بهم .

وكذلك اليوم الأخر قد تعدد الحديث عنه حتى أن اسماءه تجاوزت الثلاثمائة ، فالقارعة ، والحاقة ، والطامة ، والصاخة إلى غير ذلك من الاسماء والدلالات التى تطلق على اليوم الأخر ، واليوم الأخر عنى به الشرع الشريف أيما عناية ، حديثا عن اسمه ، والايمان به ، وما سيجرى فيه بحيث اذا تأملها عاقل أدرك أن الايمان باليوم الأخر أمر لا يقل أهمية عن باقى أجزاء العقيدة الاسلامية .

يقول الأستاذ سيد قطب " أن جميع الرسالات السماوية من لدن آدم عليه السلام الى سيدنا محمد ﷺ قد تضمنت عقيدة اليوم الأخر ، مع تضمنها لوحدانية الله سبحانه وتعالى[٤٦] ، ولذا فمن لا يؤمن باليوم الأخر لا تكون له عقيدة أبدا ، ولا يصح له ايمان ،

وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام : " إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالأخرة هم كافرون واتبعت ملة أبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون[٤٧] .

أما الايمان بالقضاء والقدر فمن مظاهر عناية القرآن الكريم بهما ورودها كثيرا فى القرآن الكريم بل وتسمية سورة من سور القرآن الكريم باسم سورة القدر[٤٨] ، وفوق ذلك ومعه تخصيص القدر بمعنى معين .

قال تعالى : " وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم[٤٩] ، وقوله تعالى : " وكان أمر الله قدرا مقدورا[٥٠] ، وقوله تعالى : "إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر[٥١] ، والقضاء والقدر مما نال عناية كبيرة من الدارسين المسلمين بل تخصصت فيه ابحاث بعينها [٥٢] .

---

(٤٦) الاستاذ / سيد قطب – مشاهد القيامة فى القرآن ص ١٤ ط ٦ – دار المعارف ١٩٨٠ .

(٤٧) سورة يوسف الأيتان ٣٨/٣٧ .

(٤٨) سورة القدر ، وعدد أياتها خمس كما جاءت مادة ق د ر فى القران الكريم حوالى خمسا وستين مرة – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٥٤٧/٥٤٦ .

(٤٩) سورة الحجر الاية ٢١ .

(٥٠) سورة الأحزاب الاية ٣٨ .

(٥١) سورة القمر الايتان ٤٩/٥٠ .

(٥٢) راجع كتابنا الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى – علاقة الغيب بالقضاء والقدر .

من ثم فلا اعتداد باعتراض الجاهل ، ولا عبرة بسؤال الماكر ، انما نريد بيان وجه الحق فى المسألة ، وان القرآن الكريم عرض العقيدة الصحيحة بيان اجزائها ، واثبات كل طرف فيها ، وابطال الشبه التى يعتمد عليها اعداؤها الذين حكم الله عليهم جميعا بعدم النجاة فى الأخرة ان هم ابتعدوا عن دين الاسلام .

قال تعالى : " ومن يتبغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الأخرة من الخاسرين(٥٣) ، اللهم أجعلنا عندك من المقبولين " رب اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى ، واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى ، واشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا(٥٤) .

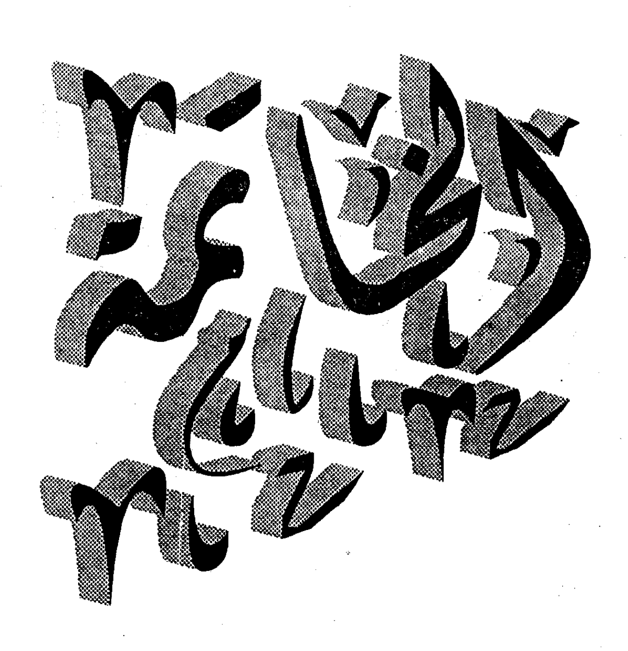
" اللهم أنى اسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى ، وتجمع بها شملى ، وترد بها الفتن عنى ، وتصلح بها دينى ، وتحفظ بها غايتى ، وترفع بها شاهدى ، وتزكى بها عملى ، وتبيض بها وجهى ، وتلهمنى بها رشدى ، وتعصمنى بها من كل سوء اللهم أنى أسالك الفوز عند القضاء ، ومنازل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء ، ومرافقة الأنبياء إنك نعم المولى ونعم النصير (٥٥).

---

(٥٣) سورة آل عمران الاية ٨٥ .

(٥٤) سورة طه الايات ٢٥/٣٥ .

(٥٥) أخرجه الطبرانى فى الدعاء والأحياء للغزالى جـ١ ص ٣٢١ .



من المعروف أن المقدمة لأى كتاب أو بحث علمى أنما تمثل تلخيصا لأبوابه ، وفصوله ، أو مباحثه ، ومسائله ، كما أن الخاتمة تمثل تلخيصا للنتائج التى توصل اليها الباحث ، والتوصيات التى يريد عرضها ، والأقتراحات التى يرجو تحقيقها .

وجريا على هذا المتعارف عليه فإن هذه الخاتمة توصلت إلى نتائج عديدة منها .

[١] وجوب التفرقة بين قراءة المصطلح ، وفهمه ، فكثيرا ماقرانا عن التوحيد ، وظن الناس أنه شيء واحد ، ثم بان لهم وجود توحيد بالمعنى اللغوى ، والأخر الشرعى ،والأخير الفنى أو الأصطلاحى ، واطلاق التوحيد عليهما من غير تخصيص ، ربما أوقع فى حرج شديد ، وبخاصة بالنسبة لمن يجهل هذه وتلك .

[٢] ان الكلام غير علم الكلام كما ان التوحيد غير علم التوحيد وكذلك فالعقيدة غير علم العقيدة باعتبار الألفاظ ، وان كانت المعانى متقاربة ، رغم أن الألفاظ لم تكن واحدة ، لوجود التمايز بينها كعلوم والأخرى كأوجه تطبيقية ينقاس عليها أو تندرج تحتها .

[٣] ضرورة التركيز على المعنى الفنى فى كل العلوم فالمشكلة تقوم فى أغلب الأحيان على عدم تحديد المصطلح ، ومعرفة دلالاته والأوجه التى ينصرف اليها ، أو تقع فى دائرة أختصاصه .

فإذا لم يتم ضبط المصطلح على الناحية التى يراد قيامه من جهتها ، واستعماله فيها ، فهنا تكون المشكلة ، حيث يكون الدارس فى ناحية والمصطلح فى الأخرى ، وحتما تأتى النتائج مخالفة لما وضع سلفا من مقدمات .

[٤] أن كل علم يتمايز بموضوعه ، متى كان الموضوع محددا فاذا لم يكن محددا فإن المسألة تقع لدى الدارس موقع الشك والقلق ، وحتما ينتهى معه الأمر إلى الاضطراب ، ولا شك أن هذا يوقع في سلبيات كثيرة أبسطها عدم التحديد لهوية العلم الذى يراد تناول مسائله .

[٥] ان موضوع علم التوحيد لا يخرج عن مباحثه الأصلية ، وهى الالهيات والنبوات والسمعيات اذ أن ذات الله تعالى ، وعلاقتها بالصفات الالهية داخل ضمن مبحث الالهيات ، كما أن الوحى والابلاغ داخل فى نطاق النبوات والمعجزات .

أما علاقة الذات الالهية بصفاتها ، وكون الصفات الالهية ، والاسماء الحسنى محددة فى عدد معين حسب ورود الحديث الشريف به ، فذلك داخل ضمن السمعيات مع ملاحظة ان السمعيات داخلة ضمن الغيبيات .

- أما لماذا ؟
- فلأن الغيبيات منها ما يدل عليه العقل ، ومنها مالا معرفة له الا بالسمع ، ومنها ما سكت الشارع عنه تخفيفا عنا ، ومراعاة لعقولنا ، ولا سبيل إلى معرفته كوزن الجنة والنار مثلا ، ومحيط السماوات السبع ، والدرجات الفاصلة بينها فان ذلك كله من الغيب الذى يجب الايمان به دون أن نحاول الحديث عن جزئياته على الحقيقة فذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى .

[٦] ان لعلم التوحيد فوائد عديدة ، ولو لم تكن له فوائد ما عكف الكثيرون من العلماء والأئمة على دراسته والوقوف على اسراره ، والتعرف عليها ثم عرضها على غيرهم حتى يصدقوا بها أو يستفيدوا

منها ، ويكفيه أنه العلم الذى يعرفنا بالله تعالى ، وصفاته ، والمبدأ والمعاد ، والتكليفات الالهية ، وكيفية الاعتقاد فى صحتها .

فإن انحصرت فوائده فى تلك التى سلف ذكرها فلا شك أنها تستوجب الدراسة والبحث والاتجاه نحوها ، فقديما قيل تشرف العلوم بموضوعاتها ، كما تشرف بفوائدها والغايات ،

وعلم التوحيد موضوعه هو ذات الله تعالى ، ولا شك أنه أشرف العلوم كلها من هذه الناحية ، لأن موضوعه هو الخالق جل علاه ، وصفاته ، وما يجب له وما يستحيل عليه ، ولا يوجد عاقل ينكر أنها أعظم فائدة له

كما أن من فوائد علم التوحيد التعرف على وجود الله تعالى بالادلة العقلية والنقلية والكونية والعلمية إلى آخر تلك الادلة التى تحتضنها داخل المؤلفات العلمية ، وينظر اليها الدارسون بعين الاعتبار ، وذلك أمر لا مفر من الاعتراف به والأقرار بأنه نعم العلم الذى يجب الاهتمام به .

أما غاية علم التوحيد فهى تعريف الناس خالقهم العظيم جل علاه وماله عليهم من حقوقه ، يجب أن يقوموا عليها ، والا كانوا مقصرين فى اداء ما افترضه عليهم ربهم الكريم مع الأخذ فى الأعتبار أنه جل علاه لا يستفيد من طاعة خلقه كما لا يتضرر بمعاصيهم ، وانما الحسنة راجعة اليهم بالمثوبة والسيئة راجعة عليهم بالعقوبة .

[٧] أن الاشتغال بعلم الكلام الاسلامى واجب شرعى على القادرين عليه حتى يظنوا العقيدة صافية نقية بحيث لا تنالها أيدى العابثين ، ولا تنال منها شبه الضالين .

كما يجب التفرقة بين علم الكلام الاسلامى الخالى عن شبهات الفلاسفة القائم على الاستدلال بالمنقول الشرعى ، والدليل الكونى ، والمنتج العقلى السليم ، وبين علم الكلام الممتلىء بالشبهات والضلال ، وهو الذى وقف ضده كل العلماء سلفا وخلفا ، ونحن نقف معهم له .

بيد أن علماء الاسلام قد نظروا إلى علم الكلام ، والاشتغال به ثلاث نظرات :

- الأولى : القائلون بتحريمه لظنهم أنه ممتلىء بالضلالات ، أو يجر إلى الشبهات أو يزعزع العقيدة الصحيحة فى نفوس أصحابها ، وهذه النظرة يمكن حملها على علم الكلام الممتلىء بالشبهات لا الذى يقوم به علماء الاسلام ، والفرق بين الأمرين واضح جدا ، بل هو كبير كذلك .

- الثانى : القائلون بوجوب الاشتغال به دون أن يفرقوا بين القادر عليه ، وهو الذى يتعلق به حكم الوجوب ، وبين غير القادر وهو الذى يجب منعه من تداوله أو النظر فيه ، ومن ثم يجب التفريق بين وجوب الاشتغال به ، والجهة التى من ناحيتها يقع هذا الوجوب .

- الثالث : القائلون بالاباحة وهم الذين نظروا إلى علم الكلام الاسلامى الخالى من الشبهات والضلالات ، كما نظروا إلى القادر عليه المتعاطى

له ، والغرض الذى يقوم به ، وهو ارشاد المسترشدين ، وهداية الحائرين ، وحفظ قواعد الدين ، ولا شك أن هذا أمر رائع نبيل معا .

من ثم فقد انتهوا إلى اباحة الاشتغال به ، واعتبروه فرض كفاية على من لم يحتج اليه فيه ، أما من يحتاج اليه فيه ، فهو فرض عين ، لا حيلة له فى التخلى عنه أو الابتعاد ابدا .

[٨] أن نشأة علم الكلام تختلف فى الكلام التأليفى عن الكلام الشفوى ، كما تختلف النشأة فى علم الكلام قبيل الاسلام عنه فى الاسلام ، بل وكذلك تختلف النشأة للكلام مع الأنبياء عن تلك التى كانت مع غير الأنبياء .

لذلك لابد من اعادة قراءة القواعد التى يعنى بها المختصون بدراسة علم الكلام ، فإما أن تكون القواعد سليمة والأسس مقبولة ، أو تكون بحاجة إلى اضافة أو حذف ، أو اعادة بلورة ، وبخاصة أن الوقت قد حان لاعادة النظر فى وجود علم الكلام ، وصياغته على وجه جديد يتناسب مع امكانيات العصر الذى نعيشه حتى لا يكون علم الكلام فى ناحية ، والذين يحتاجون اليه فى ناحية أخرى .

وليس هذا فحسب ، بل انى لآمل أن يراجع أخوانى الكرام النتائج التى توصلوا اليها فيما مضى ، واعتبروها النشأة الحقيقية لعلم الكلام ، اذ أنى أنادى بضرورة التفرقة بين النشأة التاريخية ، وكيفية النشأة اذ لكل منهما اعتباره الخاص ، فليس من العدل أن تعتبر النشأة هى التاريخ والكيفية معا رغم اختلافهما فى نواح كثيرة .

[٩] مراجعة أسباب نشأة علم الكلام ، بل اعادة القراءة فيما سبقت كتابته ، فليس من العدل أن نجعل المتشابه فى القرآن الكريم سببا من

اسباب النشأة بقدر ما نعتبر محاولة تفهمه هى السبب ، ذلك أن السلف الصالح فهموا هذا المتشابه ، ولم يسألوا عنه ، أما من يحاول السؤال عنه وفى نفس الوقت يدخل عقله فى مفهومه ، فهم المسؤلون عنه وعليهم وحدهم تحمل تبعاته .

[١٠] التأكيد على ان الخوارج بالمعنى اللغوى مفهوم قديم ليس من السهل حصره فى أمر الخارجين على عثمان ﷺ وحده أو على – كرم الله وجهه – ، بل لابد من العودة إلى الماضى ، ومن ثم نعرف أن الخوارج أمرهم قديم ، وكان ذلك مع الله تعالى ، وكل أنبيائه فقد خالف ابليس تعاليم الله تعالى بالسجود لآدم ﷺ حتى بات أن أمر الخوارج قديم مع الله تعالى حين خرج ابليس على طاعة الله تعالى وتوالى الخوارج بعد ذلك .

واعتدى خصوم كل نبى على اتباعه ، وخروج هؤلاء الخصوم على الله تعالى ، وأنبيائه وتعاليمه ، والزعم بأن العقل وحده هو السيد أو أن الدهر هو المحيى المفنى معا أمر قديم جدا.

كما أن هؤلاء الخوارج لم يتوقفوا عن الخوارج منذ أعلنها الرجل الأعرابى الذى قسا على سيدنا محمد ﷺ فى القول ، وقال له أعدل يا محمد ، وقال الرسول ﷺ عن هذا الرجل يخرج من ضئضئى هذا الرجل من يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية .

كما انتهت الدراسة إلى أن اعادة دراسة الخوارج الأن صارت أمرا ملحا ، وضرورة لابد منها ، فإما أن ينتهى الأمر بأن الخوارج

من أهل الاسلام ، وأنهم اتقياء لهم المنزلة العالية فى الفكر الاسلامى ، ويجب عدم التعرض لهم ، أو محاولة المساس بهم .

وأما أن ينتهى الأمر بأن الخوارج ليسوا من أهل الاسلام ، ويجب أن يعاملوا كأى تيار فكرى يلعب بأفكار أصحابه الهوى ، ويتلاعب بهم الشيطان ، ويجب اهمال أمرهم أو التحذير منه ، حتى لا يقع فى حبائلهم ، والتعرف عليهم والتعرض لهم الأغرار .

وأما الثالثة : وهى أن الخوارج فيهم مسلمون أتقياء ، وبينهم بغاة أشقياء ، وتراثهم يقع بين هذين الأمرين ، أما أن يكون الخوارج جمله واحدة متطوقة ، وشهادة واحدة تطلق عليهم ، وتنقل عنهم فما أظن ذلك بالأمر السهل ، والا جعلنا الشقى تقيا ، والفاجر نقيا ، أو عكسنا ، وهذا أمر غير مقبول ، وصنيع غير حميد .

[١١] أكدت الدراسة على ضرورة اعادة قراءة أفكار محمد بن ابى بكر ، ومحمد بن ابى حذيفه ، وكذلك ضرورة أعادة قراءة ما بين السطور فى أفكار الصحابة الأجلاء الذين لم يدافعوا عن عثمان ﷺ ، حتى نالته أيدى خصومه ، وقتل شهيدا .

ثم لماذا لم يتداركوا الموقف ، حتى يمسكوا بهؤلاء القتلة ، ويقيموا عليهم حد الحرابة ، بل لماذا لم يقوموا بالصلاة على عثمان ﷺ ، ودفنه بالشكل الذى يليق بخليفة له من السبق فى الاسلام ماله ، وله فى خدمة الاسلام الدور الذى لا ينكره الا من جحد .

ومن ثم يجب اعادة النظر فى أمر كل من ابن سبأ ، وكعب الأحبار ، فإن ثبت وقوع كعب فى تلك الفتنه فماذا يكون الموقف

مع مروياته ، وبخاصه أن اصابع الاتهام توجه نحو كعب هذا ، وصلته باستشهاد عمر بن الخطاب ﷺ ، مع ضرورة الفصل بين ثقافة كعب التى كانت له قبل الاسلام ، ومروياته التى تمثل جزءا من نصوص السنة النبوية المطهرة .

فما كان من ثقافته اليهودية التى نقلت معه إلى البيئة الاسلامية فيجب النظر فيها على انها من الاسرائيليات ، أما ما كان من السنة المطهرة فذلك أمر يجب التنبيه اليه ، والتأكيد عليه حتى لا يضل أحد أو يشقى .

[١٢]ضرورة الفصل فى المواقف التى تعرض لها القرآن الكريم أثناء حديثه عن الديانات الفاسدة ، والعبادات الباطلة ، والملل التى انحرفت ، والأمم التى فى مجرى التيار قد انجرفت .

مع ملاحظة أن القرآن الكريم اذا تحدث عنها فليس ذلك احتفاء بها ، أو احتراما لها ، وانما هو تأكيد على ان الرسول ﷺ يوحى اليه ، وانه نبى صادق ، ورسول الله حقا ، اذ أخبر عن أقوام ما سمع عنهم ، وذكر أمورا ما قصها أحد سبقه ، وبالتالى فهو مخبر عن الله تعالى ، متحدث بالوحى ، وهو من الادلة على صدق نبوته ﷺ ، وهو من أخباره بالغيب الماضى .

[١٣]بيان أن النقل المنزل فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة – قد عنى بابراز العقيدة الصحيحة ، والدفاع عنها ، بعد ابطال سائر العقائد التى كانت سائدة ، ويهجع اليها كثير من الناس ، سواء كانت تلك العقائد الباطلة من قبيل :

- [أ] الأصنام أو الأوثان ، كاللات والعزى ومناة ، وود ويغوث ، ويعوق ، ونسرا .

- [ب] المنافع والمخاوف ، كالأمطار والرياح ، والبرق والرعد والزلازل والبركين .

- [جـ] الكواكب ، كالشمس ، والقمر والنجوم قال تعالى : " لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون .

- [د] الابقار أو الأغنام أو الحيوانات.

- [هـ] عبادة الهة متعددين سواء كانت الآلهة اثنين أو أكثر فكلها مما ذكر القرآن بطلانها ، ووجه إلى انها لاتضر ولاتنفع بل انها تضر فقط ، ولا وجه للنفع فيها ابدا .

[١٤] التركيز على ان النقل المنزل ابرز العقيدة الاسلامية فى كل جوانبها ، بشكل لافت للنظر ، ولا يمكن أن يغنى عنه غيره ، وذلك كله بأسلوب جذاب أخاذ فيه الدقة والاعجاز .

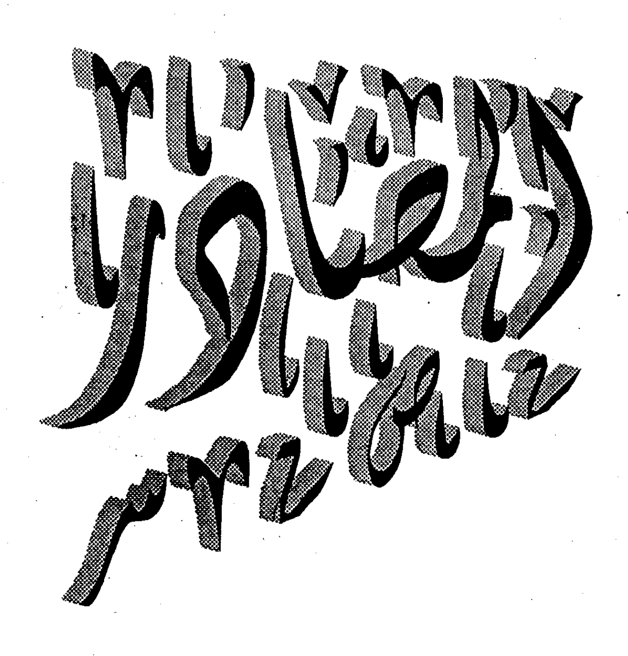
ولا يخفى على دارس أن هناك موضوعات كثيرة ذكرت فى سطور الكتاب مطوية ، وهى بحاجة إلى اعادة النظر فيها كالعوامل الخارجية والمزدوجه التى تعد بحق أحد اسباب علم الكلام ، وقد تركتها لوقت أخر .

بجانب وجود العديد من القضايا لم تستوعبها الدراسة ، ولم اتمكن من عرضها تفصيلا نظرا لضيق الوقت والظروف الصحية التى ادعو الله أن يرزقنى عليها حسن الاحتمال مع القبول والأجر . وبعد

فها أنذا قد خضت هذا الميدان وأدليت فيه بدلوى الضعيف ، فإن أكن وفقت لما هدفت ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وان أكن قد زلت بى القدم ، أو تنكب الطريق القلم ، فلى أمل فى الله أن تعيلنى من عثراتى ، ويجبر سقطاتى ، ويجعل هذا العمل عنده مرضيا ، وأجره عنده مدخرا ، انه نعم المولى ، ونعم النصير .

دكتور

محمد حسينى موسى محمد الغزالى



## ✵ أولا : القرآن الكريم


[١] القرآن الكريم وعلومه

[٢] الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للعلامة الجمل ط المنار .

[٣] بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز العلامه الفيروز ابادى -- تحقيق الاستاذ / محمد على النجار

[٤] منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم لابن الجوزى – تحقيق أ/ محمد السيد السنطاوى وأخر

[٥] البرهان فى علوم القرآن للعلامة الزركشى – ط الحلبى

[٦] تفسير التحرير والتنوير – الاستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – ط الحلبى ١٩٦٤م .

[٧] التفسير الوسيط – د/ أحمد السيد الكومى ، د/ محمد سيد طنطاوى – القسم الأول سورة البقرة – ط قاصد كريم .

[٨] حاشية الصاوى على تفسير الجلالين – للعلامة الشيخ أحمد الصاوى المالكى – ط دار الفكر .

[٩] تنوير الاذهان من تفسير روح البيان – الشيخ / اسماعيل حقى البروسوى – ط دار الصابونى .

[١٠] مفاتيح الغيب – العلامة الفخر الرازى – ط دار الغد العربى

[١١] بنو اسرائيل فى القرآن والسنة – د/ محمد سيد طنطاوى

[١٢]المفردات فى غريب القرآن – للعلامة الراغب الاصفهانى – تحقيق / محمد سيد كيلانى

[١٣]معجزة القرآن الكريم – الاستاذ الشيخ / محمد متولى الشعراوى – ط كتاب اليوم .

[١٤]المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – الاستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى

[١٥]صفوة التفاسير – الشيخ محمد على الصابونى

[١٦]لباب النقول فى اسباب النزول بهامش تفسير الجلالين للسيوطى – ط دار التراث .

[١٧]تفسير الكشاف – للعلامة الزمخشرى .

**❋ ثانيا : السنة النبوية وعلومها**

[١٨]صحيح البخارى النسخة المشكولة .

[١٩]فتح البارى بشرح صحيح البخارى العلامة ابن حجر .

[٢٠]صحيح مسلم بشرح النووى

[٢١]عمدة القارى شرح صحيح البخارى

[٢٢]سنن ابن ماجه

[٢٣]المستدرك على ما فى الصحيحين

[٢٤]الحلية – لابى نعيم

[٢٥]المقاصد الحسنة – للسخاوى

[٢٦] فتح الاله – شرح المشكاة للعلامة ابن حجر الهيتمى

[٢٧] سنن أبى داوْد

[٢٨] مسند الامام أحمد بن حنبل

[٢٩] شرح الفشنى على الاربعين النووية

[٣٠] رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين

## ❋ ثالثا : المعاجم العربية والرسائل الجامعية والمتون

[٣١] القاموس المحيط الفيروز ابادى .

[٣٢] التعريفات للجرجانى – ط الحلبى

[٣٣] المعجم الوجيز ط وزرارة التربية والتعليم ١٩٩٢م .

[٣٤] متن الكافيه فى الصرف للعلامة ابن الحاجب – مجموع مهمات المتون ط الحلبى .

[٣٥] متن الأحضرى فى المنطق دار الطباعه الفنية .

[٣٦] منظومة عقيدة العوام – الشيخ أحمد المرزوقى المالكى – ط الحلبى

[٣٧] معجم أعلام الفكر الانسانى – المجلد الأول – الهيئة العامة المصرية ١٩٨٤م .

[٣٨] دائرة المعارف للبستانى

[٣٩] الحقائق المشتركة بين رسل الله – د/ السيد أحمد سويلم – ماجستير أصول القاهرة .

[٤٠] اسرار التنزيل وأنوار التأويل للعلامة الفخر الرازى – دكتواره تحقيق د/ عبدالغنى الغريب – أصول الدين القاهرة ١٩٩٥م .

[٤١] الدين وحاجة الانسانية اليه د/ محمود محمد مزروعة – دكتوراه اصول القاهرة .

[٤٢] موقف القرآن من عقائد أهل الكتاب – د/ ابراهيم عبدالحميد محمد سلامة – دكتوراه بأصول القاهرة

[٤٣] الاديان فى القرآن – د/ محمود بن الشريف – دكتوراه أصول الدين – القاهرة

[٤٤] عبدالكريم الخطيب وأراؤه الكلامية – دكتور / محمد حسينى موسى الغزالى – ماجستير كلية البنات – جامعة عين شمس

[٤٥] الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى – د/ محمد حسينى موسى الغزالى – دكتوراه أصول الدين القاهره ١٩٩٥م .

[٤٦] كتاب شرح أكمل الدين على وصية الامام ابى حنيفة – تحقيق د/ ربيع خليفة – ماجستير اصول القاهرة .

### ❋ رابعا : التراجم والسير

[٤٧] المنهج الأحمدى فى اصحاب الامام أحمد

[٤٨] بيان للناس – مشيخة الأزهر

[٤٩] الكامل – للعلامة المبرد

[٥٠] الروض الأنف – العلامة السهيلى

[٥١] وفيات الأعيان – لابن خلكان

[٥٢] تاريخ الرسل والملوك للعلامة الطبرى

[٥٣] تاريخ الخلفاء الراشدين الامام السيوطى

[٥٤] البداية والنهاية للأمام ابن كثير

## خامسا : مصادر عامة

مع ملاحظة أن ترتيب هذه المصادر بعد تجريدها من " ال " ، وذكر اسم الشهرة أولا ثم الوصف للمؤلف ثم اسمه ثم اسم الكتاب ثم الطبعه .

### حرف الألف

**ابن خلدون – العلامة عبدالرحمن**

[٥٥] المقدمة ط دار الفكر ١٩٧٩

**الاصفهاني – ابو الثناء شمس الدين محمود**

[٥٦] مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ، وبهامشه حاشية الجرجانى

**ابن تيمية – شيخ الاسلام – أحمد بن عبدالحليم**

[٥٧] مفصل الاعتقاد ط دار الرحمة

[٥٨] منهاج السنة

[٥٩] اصول الفقه

[٦٠] توحيد الألوهية – المجلد

[٦١] الرسالة التدميرية

[٦٢] رسالة الفرقان

**ابن القيم – العلامة شيخ الاسلام محمد بن أبى بكر بن ايوب ٦٩١– ٧٥١هـ**

[٦٣] مدارج السالكين

✪ **ابن الجوزى - العلاَّمة ابو الفرج بن الجوزى البغدادى ت ٥٩٧هـ.**

[٦٤] دفع شبهة التشبيه

✪ **آل الشيخ - الشيخ عبدالرحمن بن حسن**

[٦٥] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى - دار الاستقامة

✪ **الاشعرى - الامام ابو الحسن**

[٦٦] الابانه عن اصول الديانة - تحقيق د/ فوقية حسين محمود - دار الكتاب

✪ **ابن حزم - العلامة**

[٦٧] الاحكام فى اصول الأحكام - ط دار الحديث

✪ **ابن ابى الحديد الشيعى**

[٦٨] شرح نهج البلاغة

✪ **ابن عربى**

[٦٩] رد المتشابه إلى المحكم من الايات القرآنية والاحاديث النبوية - ط عالم الفكر

✪ **ابن سينا - الشيخ الرئيس ابو على**

[٧٠] تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات - ط دار العرب للبستانى

✪ **ابن الهمام - العلامة الكمال**

[٧١]المسامرة على شرح المسايرة

✪ ابن عبدربه

[٧٢]العقد الفريد

✪ ابو دقيقة – الاستاذ الشيخ محمود

[٧٣]القول السديد فى علم التوحيد – تحقيق د/ عوض الله حجازى – ط مجمع البحوث الاسلامية ١٩٩١م .

✪ امين – الاستاذ / أحمد

[٧٤]فجر الاسلام – ط القاهرة ١٩٦٤ .

✪ الايجي – العلامة عضد الدين القاضي عبدالرحمن بن أحمد

[٧٥]المواقف فى علم الكلام مطبعة المتنبى

✪ ايوب – الاستاذ / حسن

[٧٦]تبسيط العقائد الاسلامية

✪ امبابي – الدكتور محمد مصطفى

[٧٧]الحركة الفقهية الاسلامية – مطبعة السباعى ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م

✪ الأمير – العلامة الشيخ محمد

[٧٨]حاشية محمد الأمير على شرح عبدالسلام للجوهرة – ط الحلبى

✪ البيحيرى – دانتى

[٧٩]الكوميديا الاهلية جـ٣ الفردوس – ترجمة عثمان نويه ط دار المعارف

✪ الياس – القس بولس

[٨٠] يسوع المسيح



✪ **البهي – الدكتور / محمد**

[٨١] الجانب الالهى من التفكير الاسلامى – دار الكاتب العربى ١٩٦٧م

✪ **البيهقي – العلامة**

[٨٢] الاسماء والصفات

✪ **البياضي – العلامة**

[٨٣] اشارات المرام من عبارات الامام

✪ **الباجوري – العلامة شيخ الاسلام ابراهيم بن أحمد**

[٨٤] حاشية الباجورى المسماه تحفة المريد على جوهرة التوحيد ، وبهامشه تقريرات الأجهورى – ط المطبعة الأميرية .

[٨٥] تحقيق المقام على كفاية العوام ط الحلبى.

[٨٦] حاشية تحقيق المقام

✪ **بنير – ويليام**

[٨٧] الهندسة الوراثية للجميع – ترجمة د/ أحمد مستجير

✪ **بطرس – القس ذكريا**

[٨٨] صلب المسيح



✪ **التفتازاني – العلامة السعد**

[٨٩] مقاصد الطالبين

ج

**✪ الجزائرى العلامة ابوبكر**

[٩٠] منهاج المسلم – ط دار الأقصى ١٩٩٠

**✪ الجرجاني – العلامة السيد الشريف**

[٩١] حاشية الجرجانى على مطالع الأنظار

**✪ الجسر – الشيخ حسين محمد**

[٩٢] الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الاسلامية – ط دار الحلبى ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .

**✪ جبر – الدكتور / على محمد**

[٩٣] محاضرات فى علم الكلام – المطبعه الفنية

**✪ الجويني – أمام الحرمين**

[٩٤] الكافية فى الجدل – تحقيق د/ فوقية حسين محمود

**✪ الجندى – المستشار عبدالحليم**

[٩٥] ابو حنيفة بطل الحرية والتسامح فى الاسلام ط دار المعارف

**✪ الجاحظ – العلامة**

[٩٦] العثمانية تحقيق د/ عبدالسلام هارون – ط القاهرة ١٩٥٥م



**✪ حسب الله – الدكتور / على**

[٩٧]أصول التشريع الاسلامى – ط دار المعارف

✪ **الحوالي – سفر بن عبدالرحمن**

[٩٨]منهج الاشاعرة فى العقيدة – مطبعة الدار السلفية بالكويت ١٩٨٦

✪ **حسين – الشيخ محمد الخضر**

[٩٩]تاريخ التشريع فى الاسلام – المطبعة التجارية

✪ **الحنفي – العلامة ابو العز**

[١٠٠]شرح العقيدة الطحاوية – ط المكتب الاسلامى

✪ **مكي – الشيخ حافظ بن أحمد**

[١٠١]معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول فى التوحيد ط دار الكتب العلمية

✪ **حجازى – الدكتور / عوض لله جاد**

[١٠٢]دراسات فى العقيدة الاسلامية – دار الطباعة المحمدية ١٩٩٢ .

✪ **حجازى – الدكتور / سامى عفيفى**

[١٠٣]مدخل لدراسة علم الكلام

✪ **حسين – الدكتور طه**

[١٠٤]الفتنة الكبرى



✪ **خميس – الدكتور /سليمان سليمان**

[١٠٥]محاضرات فى العقيدة ط١ عطايا

[١٠٦]نحو عقيدة قرآنية

﴿ د ﴾

✪ الدردير - العلامة ابو البركات

[١٠٧]شرح الخريدة البهية - ط الحلبى

﴿ ر ﴾

✪ الرازى - الأمام الفخر

[١٠٨]الاربعين فى أصول الدين - تحقيق د/ أحمد حجازى السقا - ط الكليات الأزهريه .

[١٠٩]اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - تحقيق طه عبدالرؤف سعد ط الكليات الأزهريه

✪ رضا - الاستاذ الشيخ محمد رشيد

[١١٠]هامش رسالة التوحيد ط المنار ١٧ .

﴿ ز ﴾

✪ زيدان - الدكتور / عبدالكريم

[١١١]المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ط دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية

﴿ س ﴾

✪ السنوسي - العلامة ابوعبدالله

[١١٢]شرح السنوسية الكبرى – تحقيق د/ بركات دويدار ، د/ عبدالفتاح بركة .

✪ **السفاريني – العلامة الامام**

[١١٣]شرح عقيدة السفاريني ط المنار ١٣٢٣هـ

✪ **السيوطي – العلامة الامام / جلال الدين**

[١١٤]صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام – تحقيق د/ سعاد عبدالرازق ط مجمع البحوث الاسلامية سلسلة أحياء التراث الاسلامى .



✪ **الشافعي – الشيخ محمد نووى**

[١١٥]نور الظلام – ط الحلبى ١٩٣٦

✪ **الشهرستاني – العلامة الامام**

[١١٦]الملل والنحل – تحقيق أ. عبدالعزيز محمد الوكيل ط الحلبى

✪ **الشاطبي – العلامة الامام**

[١١٧]الموافقات

✪ **الشافعي – الامام محمد بن ادريس**

[١١٨]الرسالة تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ط دار التراث ١٩٧٩ .

✪ **الشكعة – دكتور/ مصطفي**

[١١٩]اسلام بلا مذاهب

✪ **الشرقاوى – العلامة**

[١٢٠]حاشية الشرقاوى على شرح الهدهدى – ط الحلبى ١٩٥٠

✪ **شحاته – الدكتور عبدالفتاح علي**

[١٢١]تاريخ الأمة العربية – دراسات فى عهد الخلفاء الراشدين – المطبعة الفنية ١٩٧٢ .

(ص)

✪ **الصاوى – الشيخ أحمد**

[١٢٢]حاشية على شرح الخريدة البهية ، وبهامشها شرح الخريدة البهية للدرديرى .

(ع)

✪ **العقاد – الاستاذ عباس محمود**

[١٢٣]حقائق الاسلام وأباطيل خصومه

✪ **عبدالقادر – الدكتور / حامد**

[١٢٤]زرادشت الحكيم نبى قدامى الايرانيين

✪ **عبدالعظيم – الاستاذ علي**

[١٢٥]فى ملكوت السماوات والأرض ط مجمع البحوث الاسلامية ١٩٨٠

✪ **علي – الدكتور / أمير**

[١٢٦]مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى

✪ **علوى – السيد الشريف عبدالله**

[١٢٧]رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين ، سلوك طريق الأخرة ط الحلبى

✪ **عبدالوهاب - الشيخ محمد بن**

[١٢٨]كتاب التوحيد - نشر الرئاسة العامة بالمملكة العربية السعودية

✪ **عابد - الدكتور عابد منصور**

[١٢٩]دراسات فى العقيدة وعلم الكلام ط وزارة الأوقاف المراكز الثقافية

✪ **عبدالله - الدكتور شوقي ابراهيم**

[١٣٠]دراسات فى العقيدة الاسلامية - ط دار الهدى للطباعة بالقاهرة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

✪ **عبده - الاستاذ الامام محمد**

[١٣١]رسالة التوحيد ط ١٧ المنار - تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا



✪ **الغزالي - الأمام ابو حامد محمد بن محمد**

[١٣٢]الرسالة اللدنية

[١٣٣]الاقتصاد فى الاعتقاد

[١٣٤]احياء علوم الدين - تحقيق د/ بدوى طبانه .

✪ **الغزالي - الاستاذ الشيخ / محمد**

[١٣٥]عقيدة المسلم

✪ **الغزالي - الدكتور / محمد حسيني موسى محمد**

[١٣٦]الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامى – ط شروق ٦

[١٣٧]حبو الوليد فى علم التوحيد – شرح الموقف الخامس ١٩٩٦ .

[١٣٨]حفيف الأفنان فى الملل والنحل والاديان – ط ابو الهدى .

﴿ق﴾

✪ **قطب – الاستاذ سيد**

[١٣٩]مشاهد القيامة فى القرآن – ط دار المعارف

✪ **قنواتي – الآب جورج**

[١٤٠]تراث الاسلام جـ ٢ مقال له به

﴿م﴾

✪ **المزروقي – الشيخ / أحمد**

[١٤١]منظومة عقيدة العوام – ط الحلبى

✪ **المرعشي – العلامة الشهير بساجقلي زاده**

[١٤٢]نشر الطوالع ط الحلبى

✪ **المالكي – الدكتور محمد بن علوى**

[١٤٣]أمام دار الهجرة أنس بن مالك ط مجمع البحوث الاسلامية

✪ **مشرقي – القس – صموئيل**

[١٤٤]الاهيات – المجمع الخمسينى المركزى .

[١٤٥]وحدة الأقانيم الثلاثة ط المجمع الخمسينى ١٩٦٣م

✪ **مشرقي - القس - الياس**

[١٤٦]عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه

✪ **موريسون - أ. كريسي**

[١٤٧]العلم يدعو للايمان - ترجمة محمود صالح الفلكى .

✪ **منصور - القس يسي**

[١٤٨] رسالة التثليث والتوحيد

[١٤٩]الصليب فى جميع الاديان

(ن)

✪ **نصار - الدكتور / محمد عبدالستار أحمد**

[١٥٠]المدرسة السلفية وموقفِ رجالها من علم المنطق والكلام

✪ **النجار - الدكتور / محمد الطيب**

[١٥١]تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية - ط دار الاعتصام ١٩٨١م .

✪ **النجار - الشيخ / عبدالوهاب**

[١٥٢]قصص الأنبياء ط دار التراث

✪ **النووى - الاستاذ / ابو الحسن**

[١٥٣]ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

(هـ)

✪ **هراس - الدكتور / محمد خليل**

[١٥٤]دعوة التوحيد – مطبعة عاطف ١٩٧٧م .

✪ **الهمداني – القاضي عبدالجبار بن أحمد**

[١٥٥]المغنى جـ٥ – الفرق غير الاسلامية – الهيئة المصرية العامة

✪ **الهروى – العلامة أحمد بن يحيى**

[١٥٦]الدر النضيد من مجموعة الحفيد – مطبعة التقدم

## ❋ مصادر أخرى

[١٥٧]شرح التوضيح فى أصول الفقه

[١٥٨]المسايرة

[١٥٩]الأصول المنيعه للأمام أبى حنيفة بأصل كتاب اشارات المرام من عبارات الامام

[١٦٠]المسامرة

[١٦١]الفقه على المذاهب الأربعة – تحقيق د/ حمزه النشرتى وأخرين ط دار الغد العربى – مجلة اللواء الاسلامى .

[١٦٢]مجلة لواء الاسلام

✪ إلى غير ذلك من المصادر التى توجد بأسفل الصفحات ، ولم اذكرها فى جريدة المصادر تخفيفا عنها وعن القارىء معا .

## فهرست موضوعات الكتاب





يوجد خطأ فى ترقيم صفحات الفهرس لا تؤثر على توثيق الكتاب

**كتب صدرت للدكتور / محمد حسيني موسى محمد الغزالي**

[١] الايمان بالغيب وأثره على الفكر الاسلامي – مكتبة شروق لمحمد كمال بالزقازيق ١٩٩٥م أولى، والطبعة الثانية ٩٦، والرابعة ٩٧، والخامسة ٩٧، والسادسة ٩٨ مطبعة المخزنجي .

[٢] أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة – الطبعة الأولى بمطبعة غريب ١٩٩٥م، والطبعة الثانية/ بمطبعة دار حبيب للطباعة والتجليد بالزقازيق شرقية ١٩٩٨م .

[٣] رياض الاشواق في الميتافيزيقا والأخلاق – مكتب شروق بالزقازيق ١٩٩٥م الطبعة الأولى والثانية بمطبعة أبوالهدى عام ١٩٩٦م، والثالثة مؤسسة الشروق ١٩٩٧م .

[٤] حبو الوليد في علم التوحيد – مكتب شروق بالزقازيق ١٩٩٥م طبعه أولى، والطبعة الثانية بمطبعة أحمد ابوالهدى بالزقازيق شرقيه ١٩٩٧م، والطبعة الثالثه بمطبعة صبحي بالزقازيق ١٩٩٨م

[٥] غدوة المشتاق في ربوع الأخلاق – مكتب غريب ١٩٩٦م أولى، والثانية بمؤسسة الشروق ١٩٩٧م، الثالثة مطبعة حبيب ١٩٩٨م .

[٦] وميض النصرانية بين غيوم المسيحية – مطبعة صنعاء بالأسدية – ابوحماد – شرقيه ٩٦م، والطبعة الثانية بمؤسسة الشروق ١٩٩٧م، الثالثة مطبعة حبيب ١٩٩٨م .

[٧] حلف الفضول عند العرب وأثره في العصر الحديث – مطبعة صنعاء بالأسديه شرقيه ١٩٩٦م .

[٨] حفيف الأفنان في الملل والنحل والأديان – مكتب الأصدقاء ١٩٩٦م، ط٢ مطبعة الهدى ١٩٩٧م، الثالثة مطبعة الشروق ١٩٩٨م .

[٩] درة المدد بتفسير سورة المسد – طبعت بمطبعة صنعاء بالأسدية شرقيه – طبعه أولى ١٩٩٦م .

[١٠] خواطر حثيثة في الفلسفة الحديثة – ط أولى مطبعة صنعاء بالأسدية شرقيه – ط٢ مكتب شروق، الثالثه مطبعة الشروق ١٩٩٨م .

[١١] ديوان "التائه الغريب" في الشعر العمودي الموزون المقفى – طبعة أولى مكتب الأصدقاء ١٩٩٦م الثانية مطبعة دار الشروق ١٩٩٧م، الثالثة مطبعة عبدالناصر ١٩٩٧م، وجاري اصدار الطبعة الرابعة

[١٢] أنات حائر – مكتب شروق لمحمد كمال بالزقازيق شرقيه طبعة أولى عام ١٩٩٧م، الثانية مطبعة المخزنجي ١٩٩٨م .

[١٣] لماذا انتشر الاسلام ؟ الجزء الأول – الطبعة الثالثة – بمؤسسة الشروق بالزقازيق شرقيه ٩٧م، والرابعة مطبعة المخزنجي ١٩٩٨م .

[١٤] قيمة الصراع بين الفلسفة الاسلامية وعلم الكلام – الجزء الأول – ط٣ – مكتب شروق بالزقازيق شرقيه . ١٩٩٧م، الرابعة مطبعة حبيب ١٩٩٨م .

[١٥]عبد الكريم الخطيب أمراؤه الكلامية – مكتب شروق بالزقازيق شرقيه – ١٩٩٧م ، الثانية مطبعة المخزنجي ١٩٩٨م.

[١٦]أوراق منسيه في النصوص الفلسفيه – مؤسسة الشروق ١٩٩٧م – نفذت وجاري الطبعة الثانية.

[١٧]أوراق مطويه في التصوف والصوفيه ط١ ، ٢ مؤسسة الشروق ١٩٩٦م ، ١٩٩٧م ، ط٣ النجوم الهاشميه ، الرابعة مطبعة صبحي

[١٨]يوميات في سنوات – مؤسسة الشروق ١٩٩٧م الطبعة الأولى ، وجاري اصدار الطبعة الثانيه

[١٩]صدع البرهان في جمهوري السودان – مؤسسة الشروق ١٩٩٧م ، وجاري الطبعة الثانية .

[٢٠]من وحي البيان في جماعة الشيطان – مكتب شروق ، ومؤسسة دار حبيب للطباعة والتجليد ١٩٩٧م والثالثة مطبعة الشروق ١٩٩٨م .

[٢١]قضايا حيسه في الفلسفة الحديثة ١٩٩٧م طبعه أولى – الطبعة الثانية ١٩٩٨م – مؤسسة الشروق

[٢٢]أنسام حيبه في الأفكار الصوفيه – ط أولى ١٩٩٧م – مطبعة صبحي ، ط٢ دار حبيب ١٩٩٨ ، الثالثة مؤسسة الشروق ١٩٩٨م .

[٢٣]منهج السلف في اثبات وجود الله تعالى – ط أولى ١٩٩٨م – مؤسسة النجوم الهاشميه بالزقازيق والثانية ١٩٩٨م مطبعة المخزنجي .

[٢٤]أمرأة المعلم قرني (قصة) مكتب شروق بالزقازيق ١٩٩٨م . وجاري اصدار الطبعة الثانية

[٢٥]الوليد المنطق في علم المنطق ، الطبعة الأولى بمطبعة دار حبيب للطباعة بالزقازيق ١٩٩٨م ، والثانية بموسسة الشروق ١٩٩٨م .

[٢٦]وهذا مذهبي – مسرحيه شريه مرتجله ، وجاري اصدار الثانية – مكتب شروق بالزقازيق ٩٧م

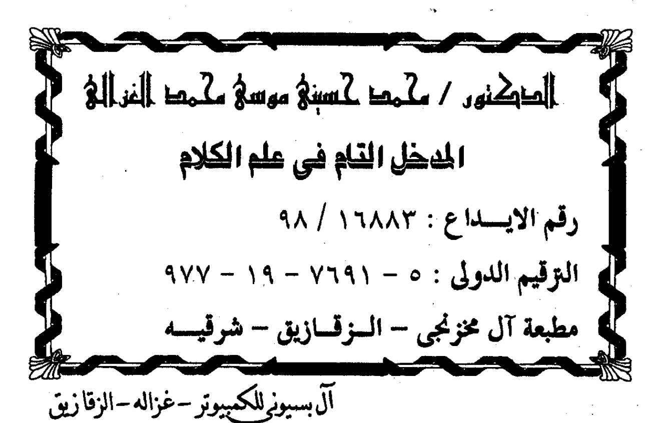
[٢٧]الوداع الأخير – وجاري اصدار الثانية – مكتب شروق بالزقازيق ١٩٩٨م .

[٢٨]الغزاليات في الالهيات ١٩٩٨ مطبعة المخزنجي . .

[٢٩]حصاد الاقتصاد في الاعتقاد . . .

[٣٠]المدخل التام لعلم الكلام .

[٣١]التديم في المنطق القديم ١٩٩٨م .



الدكتور / محمد حسيني موسى محمد الغزالي

المدخل التام في علم الكلام

رقم الايـــداع : ١٦٨٨٣ / ٩٨

الترقيم الدولى : ٥ - ٧٦٩١ - ١٩ - ٩٧٧

مطبعة آل مخزنجى - الـزقـازيق - شرقيـــه

آل بسيوني للكمبيوتر - غزاله - الزقازيق